# المحيي

المحيي "خالق الحياة"[1].

المحيي "الله الذي أحيا الخلق بأن خلق فيهم الحياة وأحيا الموات بإنزال الحيا"[2].

الْمُحْيِي : "إِنَّهُ جَاعِلُ الْخَلْقِ حَيًّا بِإِحْدَاثِ الْحَيَاةِ فِيهِ"[3]

المحيي الذي يحيي الأشياء بإنشائها من الشيء الأول وهو الذي يحيي الأجساد ببث الروح فيها، وهو معطي الحياة لمن شاء بإحياء النطفة الميتة وفي هذا الإحياء تجلي لله تعالى من بدء وجود هذه العلقة في رحم الأم ونموها مرحلة تلو مرحلة وبعث الروح فيها من عنده تعالى ليبدأ بالحركة الدالة على انبعاث الحياة داخله، فتطرق الحياة باب قلبه فيرد نابضاً وتتكون جميع أجهزة هذا الجنين كالجهاز التنفسي والهضمي حتى مرحلة الاكتمال وخروجه للدنيا بإذن الله تعالى، فالروح التي وضعها المحيي في هذا الجسد الآدمي هي سر بعث الحياة في أعضائه الساكنة، وهي من الغيبيات التي لا يصل لمعرفة حقيقتها إلا المحيي والمميت لها قال تعالى:{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[4]، فمهما تطورت الحياة وتقدم العلم يبقى أمر الروح بيد خالقها يبثها فينا ويسترجعها منا وقتما يشاء بعلمه وقدرته دون تدخل للبشر في ذلك، ولابد أن يكون حامل هذه الروح شاكراً عابداً خاشعاً وتكون نفسه موطن إيمان وحب لا موطن كفر وحقد، فكيف نكفر بمن وهب لنا الحياة؟ ويكفي أن يتأمل الإنسان في طبيعة تكوينه لوجد أن كل عضو من أعضائه ينطق بالحياة طالما الروح فيها، فكل عضو في جسد الإنسان له وظائف عدة بإدارة الروح، لأنها هي التي تشحن هذه الأعضاء وتدفعها للعمل والعطاء، وبخروجها من هذا الجسد فقدت كل

---

[1] المواقف، ج ٣، ص ٣١٠.

[2] تفسير أسماء الله الحسنى، ج ١، ص ٥٦.

[3] الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ١٨٦.

[4] الإسراء، ٨٥ .

تلك الأجهزة والأعضاء قيمتها وفائدتها وأصبحت عديمة الجدوى بعد زوال الحياة بزوال الروح.

وبالرغم من ظهور العديد من الفنون الحديثة من صناعات وتقنيات إلّا أننا نجدها جميعاً تجسيداً للمادة لا للروح، فالجماد صفة لصناعة الإنسان مهما كانت هذه الصناعة متطورة وحديثة، ومهما أدخلوا عليها من تقنيات حديثة كالحركة والصوت لكنها تبقى جامدة تشغل حيزاً لا يمكن أن تتعداه بتوالي السنين مهما حدث، لأن الروح التي من أمر الله تعالى هي وحدها التي تعطي الأمر بالنمو والتغير، وبهذا فإنها تكسب الحي صفات لا يمكن أن تتواجد في الصناعات المتقنة الحديثة التي تبقى صناعة مهما أدخلوا عليها من أفكار متطورة.

ونحن نلحظ في كثير من المحلات المتنوعة عرضاً لهذه الصناعات كدمى الأطفال الناطقة بواسطة أشرطة مسجلة أو المتحركة بواسطة بطاريات شحن، وكذلك نلحظ التحف المُصوّرة لأشكال طبيعية نابضة بالحياة كالطيور والزهور وغيرها، ولكن إذا قمنا بمقارنة بين وردة خلقها المحيي في الطبيعة ولو كانت وردة بسيطة وبين وردة مصنوعة من نوع فاخر من المواد، فأقل وأول شيء ممكن أن نلاحظه هو الفرق بين الموت والحياة، بين الخلق والصناعة، فأين حرارة الحياة من برودة الجماد، وأين حركة وتفاعل الحياة من سكون الجماد؟

وهذا ما اتخذه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حجة على من كانوا يعبدون الأصنام الجامدة، التي لا حول لها ولا قوة بل إنها مصنوعة ومخلوقة لا خالقة، فاتخذ سيدنا إبراهيم السكون والجمود حجة لإثبات بطلان ألوهيتها، فقام بتحطيم جميع الأصنام تاركاً صنماً واحداً كي يسألوه باعتباره شاهداً على من قام بتحطيم جميع الأصنام، وبما أن الكلام يتطلب وجود الحياة بما أنه حجارة لا تنطق فهو لا روح ولا حياة كي يفهم وينطق فيشهد، فكيف تكون آلهة تهب الحياة لهم وهي ميتة لا تستطيع أن تحيي نفسها؟ فأمر الإحياء للغير لابد أن يكون من محيي عظيم أكبر وأعظم ممن يحييهم، قال تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى

ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[٥]، أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يلفت أنظار الكافرين الذين يشركون بالله أن العبادة لا تكون إلا للحي الذي يخلق ويقدر على كل شيء، فلا يحصره مكان ولا زمان، وأن الجماد لا يُحيي ولا يُميت، ولا يقدر على شيء، وهذا بحد ذاته هو العجز، ومن كان عاجزاً لا يمكن أن يكون محيياً لأن الإحياء يتطلب القدرة على الخلق وإعادة الخلق قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أجلا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا} [٦]، فهل من كافر يرد على هذه الحجة وهذه القدرة الشاخصة أمام أعيننا؟.

بالطبع لن يجد أي كافر جاحد رداً مقنعاً لأن السماء تنطق والأرض تنطق بقدرة الله وعظمته، وكل هذه المخلوقات هي دلائل بيّنة للمحيي الذي خلقنا وصورنا في أحسن صورة، لذلك فلابد للأعين التي وهبها المحيي لنا وأمرها أن تقلب بصرها في الكون وتتأمل أن تحيا بالنظر والتمعن في قدرة الله تعالى على الإحياء.

وعلى خليفة الله أن يعبد الواحد القهار المحيي لكل الخلق، وهذا ما جاء به الرسل من عند الله تعالى للناس كافة وفي مختلف الأزمان والأماكن، قال تعالى:{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[٧]، وأن يستشعر نعمة الإحياء والهدف منها، ويجعل حياته

---

[٥] الأنبياء، ٥٢ . ٦٧ .

[٦] الإسراء، ٩٩ .

[٧] الرحمن، ٢٦ ، ٢٧ .

وسيلة لإحياء للغير عن طريق الدعوة إلى الإصلاح وإحياء روح الإيمان بالذكر والموعظة الحسنة.

والمحيي بالإطلاق له عدة صور للإحياء منها:

**أولاً: الإحياء من لا شيء:**

وهي أول مرحلة من مراحل الإحياء، إذ تكون بداية الخلق من لا شيء، فيبث المحيي بإطلاق الروح في الجسد البشري معلناً بذلك بداية إحياء هذا الإنسان، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٨]، فهو محيي أولاً بالأمر (كن)، الذي قام به هذا الكون الشاسع واهباً لكلٍ حياة تبدأ بحين وتنتهي بآخر، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أجل مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[٩]، فالبشر لهم أجل معين وكذلك باقي المخلوقات المكونة لهذا العالم الحي، وهذا أكبر دليل على أن الحياة موهوبة لنا من محيي عظيم لا يفنى ولا يموت، أهدى لنا هذه الحياة بهدف عبادته وتوحيده، وذلك كما في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[١٠]، وبهدف خلافة الأرض بالخير والمعروف والإصلاح، لا للفساد والطغيان فيها هذا الذي نهانا المحيي عنه، قال تعالى: {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} [١١]، فلا يكون الإحياء عبثاً ولهواً بل غايةً لا يدركها إلا عباد الله الذين استحقوا الحياة الكريمة والآمنة في ظل المحيي، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

---

[٨] آل عمران، ٥٩ .

[٩] لقمان ٢٩ ، ٣٠ .

[١٠] الذاريات ٥٦.

[١١] الشعراء ١٥١ ، ١٥٢.

وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ}[١٢].

فليت عباد الله يذكرون دائماً أصل خلقهم وغاية إحيائهم، فلا يضيعوا في هذه الحياة فيخسروها مع خسرانهم الآخرة، قال تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ}[١٣]، فكيف تحيا روحه من كان خاسراً في الحياة الدنيا والآخرة؟

**ثانياً: إحياء الأجساد البالية بإعادة الأرواح إليها:**

فما من روح قد فارقت جسدها بأمر من الله تعالى إلّا وهي مردودة إليه بأمر من الله، قال تعالى: {اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٤]، فالإحياء من الشيء ثم الإماتة ثم إعادة الإحياء من الموت كل ذلك بأمرٍ من المحيي بإرساء الروح في هذه الأجساد ثم خروجها منها ثم عودتها إليها، والروح لا تأتمر إلا بأمر خالقها فقط، فلا تستقر ولا تخرج من جسد الإنسان إلا بأمر من الله تعالى، والإحياء الثاني للبشر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإحياء الأول، إذ أن إحياءنا يوم القيامة يكون لمحاسبتنا على الإحياء الأول لنا في الدنيا، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[١٥]، فالإحياء الثاني للبشر سيكون المقر الأخير الذي سيبقى فيه الإنسان نتيجة إحيائه الأول.

ويكون هذا الإحياء يوم يعيد المحيي بالإطلاق إعادة الحياة في الأجساد في اليوم العظيم الذي يكون إحياؤنا فيه للحساب والوقوف بين يدي المحيي، قال تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[١٦]، هذا اليوم آتٍ لا محالة وتلك الأرواح عائدة لأجسادها لا محالة، والحساب قائم متوعد به المحيي، فما أغرب

---

[١٢] الأنبياء، ١٦ . ٢٠.

[١٣] الأعراف ٩ .

[١٤] الروم، ١١ .

[١٥] الجاثية ١٥.

[١٦] الأنبياء، ١٠٤.

بعد كل هذه الدلائل أن يكون بعض البشر جأحداً كافراً بالذي وهب لها الحياة ووعدها بالعودة إليه؟

أما الخليفة هو من يحيا في الدنيا عاملاً لحياته في الآخرة، فلا يعيش على أساس استفادته من الحياة الدنيا لهواً ومرحاً، بل عليه أن يعمل في دنياه لأجل آخرته، فيحيي الفؤاد بحب الله ويحيي الليل بذكره تعالى ويسعى في حياته بالخير والمعروف، مقيماً للصلاة وصابراً محتسباً الله في أمره، وهذا هو سبيل الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، لذلك فقد أوصى لقمان ابنه ناصحاً له ومرشداً، كما جاء في الآية الكريمة: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[١٧]، فتخيل أيها الخليفة حياتك القائمة على هذه الوصايا! إنك حينها ستكون مستحقاً للحياة التي خلقك المحيي من أجلها وما أروعها من حياة، إذ أنه:

**أ- في الصلاة إحياءٌ للقلب والروح:**

فصلاتك تبعدك عن المفاسد التي تميتك في الحياة، والصلاة من شأنها أن تحيي حب المحيي في وجدانك وروحك، بقربك منه ووقوفك بين يديه، وما أروع الحياة في وقفة بين يدي الله، وهي سكنٌ للروح، قال تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ}[١٨]، فلتحفظ حياتك بصلاتك التي تحيا بها في الدنيا آمناً وفي الآخرة آمناً، وهذا هو الفلاح يوم الدين كما في قوله تعالى: {الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[١٩].

---

[١٧] لقمان ١٧.

[١٨] العنكبوت ٤٥.

[١٩] البقرة، ١ . ٥ .

ففي كل صلاة تقوم بها أيها الخليفة تجدد إحياؤك في الدنيا، لأن صلاتك تطرد شبح المفسدة والضلال هذا الشبح الذي يقبع في قلوب تاركي الصلاة فيجرهم للضياع قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}[٢٠]، وهي تميت وسوسات الشياطين بإحياء ذكر الله فيها والبعد عن المحرمات، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}[٢١] ففي كل صلاة تقوم فيها تحيا المودة بين الخالق والمخلوق بالعبادة والتوحيد، وبين المخلوق والمخلوق الآخر، بالرحمة والمودة التي تحييهما الصلاة في النفوس.

**ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

فهدف إحيائك هو السير بالمعروف والخير في هذه الدنيا اللذان أحياهما الله في قلوبنا، والابتعاد والنهي عن المنكر والمعاصي اللذين أحياهما الشيطان في النفوس، فكيف ستكون لحياتك قيمة إذا عشتها بين المنكرات والرذائل؟ لكنك بالأمر بالمعروف ستحيا إنساناً تدب الحياة الحق في كل أنحاء جسده وعقله، لأن في المعروف حياة وفي المنكر هلاك وموت، لذلك فإن طريق الفلاح لا يمكن أن تسلكه وأنت داعٍ للمنكر مبتعدٍ عن المعروف، قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٢٢]، والخير معناه كل ما هو إصلاح وفلاح، فإصلاح الأرض وعمارها فيه خير والصدقة فيها خير وإحياء المحبة فيها خير وإحياء التسامح فيه خير وإحياء غير ذلك لأن الخير لا يجده عمل وأحد فقط، والأمر بالمعروف من أهم أسس قيام المجتمع السليم الحي، أما المنكر فهو كل عمل قائم على الرذيلة والفساد، لأن من شأنه إذا تفشى في مجتمع فإنه يميته ويفنيه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ

---

[٢٠] الماعون ٤ ، ٥ .

[٢١] المائدة، ٩٠ .

[٢٢] آل عمران، ١٠٤.

الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أحد أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }[٢٣].

**جـ- الصبر على البلاء:**

فالحياة تتطلب الصبر والرضا بقضاء الله تعالى، لأن المحيي عندما خلق هذه الدنيا جعل فيها الشقي وفيها السعيد، وفيها الغني الفقير، وهذا التباين بين البشر يجعل الإنسان أحياناً غير قانع ومعترض، لكّن خليفة الله يكون في صبره على المصائب إحياء له في الدنيا والآخرة، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ " ففي الصبر حياة لا يدرك كنهها إلا الصابر المحتسب الذي يعلم أنه المحيي له سيجازيه عليه في الآخرة {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[٢٤].

والصبر فيه أيضاً إحياءٌ للنفوس، لأن الصبر على أذى الناس فيه إحياءٌ للعلاقات الاجتماعية لأنه يزرع المودة والتآلف بينهم، والصابر يحييه الله تعالى بحبه ونصره إذا طلب. إنها وصايا من اقتدى بها وسار عليها كان محيياً لنفسه ولغيره بالخير والصلاح، فهي وصفٌ لمنهج الحياة الصحيحة التي أرادها المحيي بالإطلاق لنا.

**ثالثاً: إحياء القلوب بنور الإيمان:**

هذا نوع من الإحياء يخص المحيي به عباده الباحثين عنه، والساعين وراء الهداية، الذين يحملون قلوباً تستمد حياتها من المحيي لها، وبما أنه الواهب لحياتها فهو الأعلم بها، قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

---

[٢٣] النور ٢١ .

[٢٤] البقرة، ١٥٥ . ١٥٧ .

الصُّدُورِ}[٢٥]، لذلك يحيي الله القلب الذي يريد أن يحيى في هذه الدنيا بذكر المحيي وبحبه، فينير الله تعالى له دربه، ويجعل حياته عامرة ومطمئنة، أما القلب العاصي فلا حياة له، فما فائدة القلب البشري الذي لا ينبض بحب المحيي له والذي يحسب أنه حي وما هو بذلك؟ فالذي يملك قلباً جاحداً عاصياً فكأنه لا يحيى أبداً، فيسير في هذه الدنيا دون هدف أو غاية ودون أن ينعم بحب المحيي ورضاه، فيضل بذلك درب الحياة الحق وذلك كما في قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[٢٦].

ونحن نعلم أن هناك الملايين من البشر الذين يحييون فوق الأرض ويحملون جميعاً في صدورهم قلوباً تنبض والنبض دليل الحياة، ويتنفسون ويتحركون لكنهم ليسوا جميعاً بأحياء، وكم من قلوب تنبض وتجري فيها الدماء لكنها ميتة! ذلك لأن تلك القلوب بعيدة عن معنى الحياة التي خلقنا الله تعالى لأجلها وهي الإعمار والإصلاح، والقلب الذي يمتلئ بحب الله والزهد في الدنيا يبقى عامراً لأنه لا يجتمع حب المحيي وحب الدنيا في قلبٍ الإنسان الحي بالفعل، فالله تعالى يصطفي من عباده من يعلم أنه تقي وصادق فينير قلبه ودربه بنور الإيمان، بذلك يحيى حياة سعيدة وراضية.

وقلب خليفة الله تعالى يحيا بالحب والإيمان، فيسوده السكينة والطمأنينة في الدنيا والآخرة، ذلك كما وصفها الله تعالى في قوله: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }[٢٧]، فلا يكون هنالك مجال للبغض والحسد والنفاق الذي يملأ قلوب الجاحدين كما جاء في وصفهم في الآيات الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ

---

[٢٥] التغابن ٤.

[٢٦] الحج ٤٦.

[٢٧] الرعد ٢٨ .

قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[٢٨]، والخليفة الحق هو من تجرد قلبه من كل الأمراض الاجتماعية التي من شأنها إماتة الحب وإطفاء نور الإيمان به، لأن الإيمان يحيي مشاعر الود والرحمة، أما البعد عنه فإنه يحيي الفساد والبغض والتكبر، كما جاء في وصف أصحاب القلوب المريضة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أحدكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}[٢٩]، فقلب خليفة الله تعالى متجرد من كل ما سبق ذكره من هذه الأمراض المميتة للأمة والتي تحيي فيها نار الكراهية والفرقة، ولا يمكن أن يحيا الخليفة بقلبٍ ميت بالجهل والجحود.

**رابعاً: إحياء العقول بنور المعرفة:**

لأن أساس الحياة هي المعرفة والعلم، وقد خلق الله النبات حياً ينمو ويكبر ويتنفس، وخلق الحيوان حياً ينمو وينمو ويأكل، وخلق الإنسان حياً ينمو ويكبر ويفكر، الإنسان إذا كان يفكر فهو حي ويستحق أن يكون حياً بشرط أن يكون التفكير موجهاً لا مقلداً وإلا لما كان أصلاً تفكير، والحياة البشرية بصفة عامة قائمة على الدعوة للتفكير للوصول للحق والنور، لأن العقل طالما كان مظلماً انتهى وهو يحسب أنه حي في هذه الدنيا.

ولقد دعا المحيي بالإطلاق لاستخدام العقل والتفكير منذ أول بشارة هبطت على رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم– إذ أمره الله تعالى بالقراءة والعلم فهما أساس الدعوة منفراً بذلك من الجهل الذي يؤدي إلى الكفر والهلاك،قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الإنسان

---

[٢٨] آل عمران، ١١٨ . ١٢٠ .

[٢٩] الحجرات ١١ ، ١٢ .

مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإنسان مَا لَمْ يَعْلَمْ }[٣٠]، فقد وضّح الخالق عز وجل طريق معرفته والإيمان به والاقتناع بربوبيته، بالعلم يصل الإنسان إلى أروع حياة قانعة وراضية ومستقرة في ظل حب المحيي، وهذا دليل على أن الإسلام دينٌ يدعو لإشعال نور العقل لا لإطفاء فتيله، وما من عالِم قد وجّه علمه في الخير والإصلاح إلا وله الثواب الكبير عند الله لأنه بذلك يساعد على إحياء العقول الميتة، فالعقل يحيى بالعلم ويموت بالجهل، ولذلك فإننا نلحظ الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي تخاطب العقل البشري وتثيره للتفكير في خلق هذا الكون الأمر الذي من شأنه أن يحيي الإيمان بالعلم، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }[٣١]، وكذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[٣٢]، وأيضاً قوله تعالى:{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[٣٣]، والعديد من الآيات القرآنية التي تتوجه للعقل فتحاوره وتسأله وتثيره للبحث، لأن البحث والتأمل هما طريق الحياة الصحيحة التي تصل بصاحبها إلى الاقتناع والوصول إلى الحق، ولذلك ديننا جاء ليمسح آثار الجهل والعمى الذي كان يدعون إليه أصحاب الضلال من عابدي النار والشمس والأصنام وغيرها من آلهة لا تنفع ولا تضر لو أنهم فقط أحيوا عقولهم بنور الإيمان، فليس النظر أو السمع هما اللذان يقودان الإنسان إلى الحق والصواب، بل العقل الذي يقود هذه الحواس، فكم من مبصر هو أعمى، وكم من منصت هو أصم؟ لأنه لا حياة في بصره ولا سمعه طالما أن العقل في ضلال، {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

---

[٣٠] العلق، ١ . ٥ .

[٣١] الأنبياء، ٣٠. ٣٣ .

[٣٢] المؤمنون، ٨٠ .

[٣٣] الغاشية ١٧ . ٢٠ .

وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الواحد الْقَهَّارُ}[٣٤] ، فالإحياء لنا ليس بهدف الحركة للأعضاء بل بهدف الحركة للعقل في الاتجاه الصحيح.

**خامساً: إحياء النهار بالعمل والليل بالذكر:**

إن إحياء النهار بالعمل ذلك لأنه يحيي الإنسان وبحياته يحيي النهار، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا}[٣٥]، والعيش هو الحياة والحياة هي الإنسان، فإذا أمات الإنسان نهاره بالكسل والخمول والمفسدة، فإنه أمات حياته بأكملها.

وإحياء الليل يكون بالذكر والعبادة، فلا نميته بالسهر مع رفقاء السوء، بل نحييه بذكر المحيي الذي بذكره نحيي ليلينا ونهارنا،ولنا في رسول الله – صلى اله عليه وسلم– أسوة حسنة، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}[٣٦].

لذلك فعلى خليفة الله تعالى أن يحيي عقله وقلبه بالمعرفة والإيمان، فلا يتركهما عرضة للفساد والضياع، خاسراً بذلك حياته التي وهبها الله له باللهو والشرور، وليكن حياً بعلمه لا ميتاً بجهله، فطوبى لمن رحل عن هذه الحياة تاركاً علماً حياً يستفيد منه البشر، وقد كرّم الله تعالى العلماء بقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ

---

[٣٤] الرعد ١٥ ، ١٦ .

[٣٥] النبأ ١١ .

[٣٦] المزمل ٢٠ .

وَالأنعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}[٣٧]، وتشير هاتان الآيتين إلى عدة نقاط مهمة منها:

١ . بدأ الله تعالى بلفت نظر الإنسان الحي إلى ما في هذا الكون من دلائل واضحة على وجود إله وأحد لا شريك له، فبذلك يكون الله قد خاطب العقل البشري بالبراهين الواضحة، التي من شأنها أن تحفّز العقل على التفكير للوصول إلى قناعة تامة ودون إجبار من أي سلطة أخرى، فالإنسان بذلك وضعه الله بين خيارين وهما إما إحياء العقل بالتدبر والتمعن وإما إماتته بالجمود والتقليد، فالإسلام بذلك هو دين علم ونور يدعو لإحياء العقل بنور المعرفة التي تفتح له باب الجنة، لأنه ما من عبد قد أحيا عقله بذلك إلا ووصل للحق الساطع للعين والقلب والروح ، فالحجة والبرهان إذن هما الوسيلتان اللتان لا غنى عنهما في الوصول للحقيقة والصواب والبعد عن الباطل والضلال.

٢ . الإشارة إلى فائدة العلم التي توصل العالم إلى خشية الله، فلا فائدة في عقلٍ يستنتج ويفكر في اتجاه الباطل والظلام، العلم الحق هو الذي يأخذ بيد صاحبه إلى الأمان والحق ويبعده عن المهالك والفساد، فالعالِم الذي سخّر علمه ليكون مصعداً للوصول إلى أعلى درجات خشية المحيي وطلب رضاه هو الذي استحق أن يكون من خلفاء الله تعالى في الأرض، بعلمه الذي عرّفه الله حق المعرفة فخشيَه وأحبه، وأدرك خالقه بعلمه.

٣ . في العلم معرفة لله أكثر، وهذا يتضح لنا حتى في أبسط الأمور التي تمر بنا عابرة، فمثلاً نلاحظ في أثناء استماعنا لمحاضرة دينية أو مشاهدتنا لبرنامج فتاوى دينية أننا كنا على جهل ببعض الأمور التي تتعلق مباشرة بحياتنا، ونستشعر بعد علمنا بها أن الكثير من الأمور التي تتجلى واضحة أمامنا تفتح لنا باب تجديد وتمكين للعلاقة بين المحيي وبيننا، مثل علمنا برحمة الخالق بنا ومقدار مغفرته لذنوبنا وذلك كما في قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا

[٣٧] فاطر ٢٧ ، ٢٨ .

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[٣٨]، فعلمنا بأن الجهل بالذنب يغفر لصاحبه، ويفتح باب توبة وحب الله تعالى، أو مثلاً علمنا بقوته كما في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ }[٣٩]، وهذا من شأنه أن يبدد الجهل بقوة الله وعقابه، أو مثلاً علمنا بمدى حبه لمن يطلبه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٤٠]، وكذلك حرصه على تحذيرنا من المهالك بسبب إتباع الشيطان، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أحد أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[٤١]، أو بدقة حسابه، كقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}[٤٢]، هذا من شأنه أن يصحح خطانا في الدنيا ويقرّبنا من المحيي الذي لا يبتعد عنه إلّا كل جاهلٍ معاند.

٤ . كلمة (عباده) تخصيص للعلماء الذين يستعملون علمهم للوصول للحق، دون تقليد، لأننا نجد أن هناك الكثير من العلماء ما يزالون رغم وصولهم لدرجات عالية من العلم هم كفرة لم يهتدوا للحق، ذلك بأنهم يبحثون في العلوم بعقل ميت جاهل مقلد، لا يتدبرون في خلق الله ولا في طريقة إحيائهم ومماتهم ولا حتى في هذا الكون من حولهم الذي يشير كل شيء فيه إلى قدرة الله، والذي هو عبارة عن دليل تلو الآخر لهم إن أرادوا إحياء عقولهم بعيداً عن

---

[٣٨] الأنعام، ٥٤.

[٣٩] غافر ٢١ ، ٢٢.

[٤٠] المائدة، ٥٤.

[٤١] النور ٢١.

[٤٢] الأنبياء، ٤٧.

التعصب لكفرهم والتعنت، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ}[٤٣]، فهناك صنف ممن يدّعون العلم لكنهم يعملون على إماتته وإحياء الجهل، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" [٤٤].

**ولأن المحيي هو الله فهو المحيي للأرض الميتة:**

فالإحياء لا يكون للأنسان فقط بل حتى هذه الأرض تموت وتحيا بإذن الله، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٤٥]، وموت الأرض وإحيائها من جديد ما هو إلا آية من آيات المحيي يضربه للبشر لعلهم يتدبرون في ذلك فيرجع العاصي منهم للحق الذي خُلِقوا من أجل إتباعه، ويزيد المؤمن إيماناً، وتذكرة من الخالق للبشر أجمعين بقدرة المحيي على الإحياء والإماتة، فهو الذي يحيي الروح في الجسد كما يحيي الأرض بالماء وليس هناك أدل على ذلك من هذه القصة التي وردت في سورة الكهف، قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحدهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ

---

[٤٣] السجدة ٢٧ .

[٤٤] صحيح مسلم ، ج ٢، ص ٢٤٨.

[٤٥] البقرة، ١٦٤ .

رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أحدا وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحدا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا}[٤٦]، فهذا الحوار الذي قام بين هذين الرجلين يحمل في طياته تجسيد للفرق بين الإنسان الحي والميت، إذ أنه تظهر هذه الفروقات في التالي:

أ . إحياء الرجل الأول لروحه بشكر المحيي على ما أعطاه من نعم ، في مقابل إماتة الثاني لروحه بالجحود والتكبر على ما أعطاه الله.

ب . التفاخر في نفس الثاني دليل على موت التواضع الموجود في الأول.

جـ- كفر الرجل الثاني باليوم الآخر بظنه أن الساعة لن تقوم، فقد أمات الإيمان في قلبه، مع إيمان الأول بأنه مردود إلى الله هذا الإيمان الذي أحياه راضياً.

د- رغبة الأول في إقناع الثاني في العدول عن تكبره وكفره وفي هذا إصلاح وفي الإصلاح إحياء، مع استحالة عدول الثاني عن عصيانه بإحيائه لوسوسات الشيطان.

هـ- ثقة الرجل الأول في الله وإن ما عنده أبقى ، مع جحود الثاني بذلك.

فالرجل الأول مثال للإنسان المحيي للخير والطاعة لله تعالى، والرجل الثاني كان مثالاً للإنسان الميت بجحوده وتكبره على نعم الله عليه.

والإحياء للأرض يكون بإرسال الرياح لتحمل اللواقح فتنتج الثمار المتنوعة، فتزدهر وتدب فيها الحياة وتزداد، التي تنعكس على المحيي بالإضافة الذي لابد أن يسعى لإبقاء الأرض حية بإذن الله، وذلك بالاهتمام بها والحفاظ عليها، ففي إحيائها إحياءٌ له، كما في موتها موتٌ

[٤٦] الكهف ٣٢ . ٤٤ .

له، لأن رزقنا منها، كما في قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[٤٧].

فالله قد أعطى وأحيا فوجب علينا الشكر، لكنّ الإنسان كفر وجحد وأنسته الدنيا شكر المحيي ووسوس له الشيطان بالجحود فضرب الله تعالى أمام عينيه دليلاً لقدرته عز وجل على أنه يحيي ويميت.

ولابد لخليفة الله أن يكون حريصاً على إرواء نفسه بالطاعات وشكر الله تعالى على ما أنعم به عليها من نعم لا تعد ولا تحصى فتحيا نفسه بهذا الارتواء وتنتعش فتنبت بذور الخير والطمأنينة كما تُنبت الأرض وتزدهر بالحياة، فكما الأرض ترتوي بالماء فالنفس البشرية ترتوي بحب المحيي لها.

والله تعالى محيي بعدة أمور منها:

**أولاً : الله محيي بكرمه:**

الحياة أصلا هي كرم من الله تعالى تكرّم بها علينا، فقد تكرّم علينا بإحيائنا من الشيء الأول السابق علينا في الخلق منه عز وجل، وخلْقنا في أحسن صورة، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[٤٨]، والله كريم بإحيائنا على نور الإسلام ،الذي أضاء لنا الدنيا ويسر علينا أمورنا وحياتنا، والذي ارتضاه المولى لنا ديناً كما جاء في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[٤٩]، وهو كريم بإحياء الأرض منفعة ومصلحة لنا، فلولا هذه الخيرات التي تزخر بها الأرض بفضل المحيي لها ولنا لما كانت الحياة تستمر وتسهل علينا وتيسر أمر معيشتنا، والمولى لم يكرمنا بإحياء الأرض فقط بل

---

[٤٧] البقرة، ٢٢.

[٤٨] المؤمنون، ١٢ . ١٤ .

[٤٩] المائدة، ، ٣.

بتنوع الحياة عليه حسب حاجتنا وظروفنا، فهاهي الفواكه المتنوعة والحبوب المفيدة والتضاريس المتباينة كما توضح الآية هذا التنوع: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ}[٥٠].

ولو لم يكن المحيي كريماً لما أحيانا وأحسن إلينا وخلّفنا في الأرض نرعاها ونصلحها.

والمحيي كريمٌ بإحياء من أحبوه واتبعوه فيجعل لهم حياة الخلد في النعيم، فقد أكرم الله تعالى عباده الذين باعوا هذه الحياة الدنيا في سبيله بإحيائهم بعد استشهادهم مكرماً إياهم بحياة الخلد في الجنة جزاءاً لهم، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} [٥١].

فالحياة إذن هي في الأساس كرم من المحيي لنا، وهبنا إياها بهدف الطاعة والعبادة، وهذا ما يجب أن يكون عليه خليفة الله من وعي ومن امتنان للمحيي سبحانه وتعالى، فلا تغره هذه الدنيا ولا تلهيه عن شكر الخالق ولا تنسيه كرمه وعطاؤه، بل يجب أن يكون كرم المحيي معه سبباً لأن يكون كريماً في الخير والمعروف، لا يبخل بحبه ولا بعلمه ولا بماله على الغير، فإذا كان الله قد أكرمه بالحياة فهل سيبخل بالطاعة والاستسلام لله تعالى؟

**ثانياً: الله محيي بقوته:**

لله القوة المطلقة وكذلك القدرة، له الأمر في ملكه إذ لا يعتريه ضعف ولا قصور، والمحيي يستوجب أن يكون قوياً لا يصيبه الوهن أو الضعف وإلا لكانت عملية الإحياء ناقصة تعتريها الخلل، فلو لم يكن المحيي قوياً لما كان محيياً ، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى

---

[٥٠] فاطر ٢٧ .

[٥١] آل عمران، ١٦٩ . ١٧١ .

مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أجلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٥٢]، فبهذا الأمر الإلهي تتكون الحياة وتبعث الروح في الأجساد وهذا أساس خلقنا مما خلق من أشياء، فمن يفعل ذلك سوى القوي القادر! وكل هذا الكون دلائل تشير لقوة المحيي له، ففي خلق الجبال والبحار تتجلى قوة الله تعالى، كما تتجلى أيضاً في خلق السموات والأرض، بل حتى في خلق أبسط الكائنات الحية ذلك الذي تحدى به المحيي العباد في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [٥٣]، فكم من جبابرة عبروا هذه الحياة وكم من أبطال سطّروا أمجاداً في تاريخ البشرية، وكم من عالِم بهر البشر بعلمه واختراعاته، لكن هل منهم من يستطيع أن يقبل هذا التحدي؟.

وعلى الخليفة أن يستمد قوته من قوة المحيي، فيوجهها بذلك للخير والصلاح، فيحيا بقوة المصلح لا بضعف المفسِد، لأن الضعف موت للحق الذي يجب أن يظهر في الدنيا، الذي لن يعم إلا بإحياء العدل والمعروف والود، لأن القوة إذا اسْتُخْدِمَت في فرض السيطرة والتكبر والاستعلاء على الغير انقلبت إلى مقبرة يُدْفَن فيها هذا الإنسان، فكيف لا يتذكر هذا المتعال المتباهي بقوته أن هناك القوي العزيز الذي وهب له هذه القوة وهو القادر على استردادها منه وقتما يشاء.

**المحيي مالكٌ:**

فكيف يهب لنا الحياة إن لم يكن مالكاً لها وخالقها؟ فالملك للشيء من دلائله حرية التصرف بالملك والقدرة عليه والمحيي قادر على كل شيء، قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا

---

[٥٢] غافر ٦٧ ، ٦٨ .

[٥٣] الحج ٧٣ ، ٧٤ .

الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}[٥٤]، فملكية الشيء يعطي المالك السلطة والقدرة على التحكم والسيطرة على الملك بصفة عامة، وإحياء البشر يدخل في ملك المالك لهم وإلا فكيف يمكنه أن يهب ويأخذ ما لا يملكه، الله تعالى يملك حياتنا فيبثها فيمن يشاء لأنه الواهب لها، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[٥٥].

لذلك على الخليفة أن يكون مالكاً لمفاتيح نفسه، فلا تحكمه شهواته فتودي به إلى نار جهنم وبئس المصير، فبامتلاكه لنفسه وردعها سيحيا قوياً لا يتحكم به أي شيء آخر من شأنه أن يضيّع حياته سدىً، لأن الذي عند الله خير وأفضل، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[٥٦]، والعاقبة الحسنة لمن يحيي الإيمان في قلبه بأن يكون مالكاً لزمامها أمام مغريات الحياة الماثلة في كل مكان وزمان، فيميت قوة الشهوة التي يمتلكها، وإن تغلبت عليه امتلكته.

**المحيي معطي:**

فالحياة بحد ذاتها هي عطاء سخي من المحيي، وهذا العطاء دائم من عنده عز وجل، فمسيرة حياتنا إذا تأملنا فيها ما هي إلا عطاء متواصل من المحيي، منذ بداية تكويننا في أرحام أمهاتنا وخروجنا للحياة وشق طريقنا فيها وتيسير سبل العيش فيها، وهو معطي لكلٍ حسب علمه ومشيئته، وإذا حرم أي أحد من نعمة فهو معطيه من أخرى كنعمة الرزق، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[٥٧]، أو نعمة الأنجاب كما في قوله : {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا

---

[٥٤] يونس، ٣١ ، ٣٢ .

[٥٥] الأنعام، ٧٣ .

[٥٦] آل عمران، ١٤ ، ١٥ .

[٥٧] الإسراء، ٣٠.

وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ }[٥٨]، فالمحيي معطٍ كيفما يشاء ووقتما يشاء، عطاؤه يكون بعلمٍ وحكمة وبحساب وخبرة بالعباد لا عن عبث ولهو.

إحياء المحبة بين العباد عطاء من الله تعالى يحيي به الروابط الاجتماعية، وإحياء الأرض عطاء من الله يحيي به الأجساد، والصحة والستر والعلم والعقل وغيرها كلها عطاءات من المحيي يقوم عليها حياتنا.

وهذا أكبر داعٍ للخليفة أن تكون حياته عطاءاً، لا يبخل بفعل الخيرات والسعي وراء المعروف، فحياة الخليفة تنتعش بالعطاء الدائم الموجّه للحق والصواب، فما دام الخليفة معطياً فهو حيٌ بهذا العطاء لأن ذلك يؤدي إلى رضا المولى عنه هذا الرضا الذي يحيي الخليفة حياةً سعيدة هانئة.

**المحيي رحيم:**

رحمة المولى تتضح منذ أول تكوين لخلقنا من مراحل يمر بها الإنسان لحين خروجه للحياة بوجود من يحيطونه بالحب والرعاية، فيحيا الإنسان ويشتد عوده بينهم، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[٥٩]، فكما أنه رحيم بإحيائنا في أحسن صورة فهو أيضاً رحيمٌ بإحياء الأرض وتيسير سبل الحياة عليه، قال تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٦٠]، فرحمته تتجلى لنا في هذه الخيرات التي تمتلئ بها الأرض من أجلنا،وفي إعادة الحياة للأرض الميتة التي لا فائدة ترجو منها، وهو رحيم بإحياء الفرص لنا للتوبة لمن أرادها وطلبها كما جاء في قوله تعالى: {وَهُوَ

---

[٥٨] الشورى ٤٩ ، ٥٠.

[٥٩] المؤمنون، ١٢ . ١٤ .

[٦٠] الروم، ٥٠ .

الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[٦١]، ففي قبول التوبة بعد ارتكاب الذنب إعادة إحياء للأمل في نيل رضا المحيي بالإطلاق، وإماتة شبح اليأس من رحمة الخالق، وهو محيي لنا برحمته كل سبل الخير لمن أراد أن يهتدي، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٦٢]، فهدايته لنا لسبيل الحق رحمة.

ولا يمكن أن تكون من خلفاء الله على الأرض ما لم يمتلئ قلبك رحمة ومودة، رحمة تبدأ بنفسك حين تنهاها عن المعاصي والذنوب رأفةً بها يوم الحساب، فتُحييها بهذه الرحمة، وكذلك رحمة تخص بها من حولك من أهلٍ وأقارب ومعارف تحييهم بها، ورحمة عامة لكل من تتعامل معهم، لأن فيها إحياء للمودة والتآلف، هذا من شأنه أن يرقى بالأمة الإسلامية إلى أعلى درجات التعاطف والإخاء، فيرحم كبيرهم صغيرهم ، وغنيهم فقيرهم، وصحيحهم مريضهم، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[٦٣].

**المحيي مبدئ ومعيد:**

الله تعالى محيي لنا منذ بدء الخلق، ومعيد لهذا الإحياء بعد الموت، فهو إذن محيي بالبداية والنهاية {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ}[٦٤] ،وهذه البداية والنهاية هما صورتان للإحياء في حق المحيي بالإطلاق لحكمة لا لحاجة، وهذا تفضّل منه تعالى على العباد.

والله مبدئ بإحياء الحب فينا بحبه لنا إن صدقناه وأطعناه، كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ

---

[٦١] الشورى ٢٥ .

[٦٢] المائدة، ١٥ ، ١٦ .

[٦٣] صحيح مسلم، ج ١٢، ص ٤٦٨ .

[٦٤] البروج، ١٣.

عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ}[٦٥]، فقد سبق حبه حبنا في الآية الكريمة ليكون بادئاً به كريماً بإحياء طاعته والبحث عن رضاه.

إن المحيي بالإطلاق إذن ببدئه للحياة فهو محيي الإنسان، والإحياء الأول هو بهدف خلافة الأرض بالإصلاح والإعمار، وهو محيي في إعادته للحياة بعد الموت بهدف الحساب يوم القيامة، قال تعالى: {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[٦٦].

وعلى الخليفة أن يكون على يقين أن البدء في الإحياء إنما كان لأمر عظيم، وأن يفكر في إعادة الإحياء لتظهر له حقيقة الإحياء، فيكون مبتدئاً بالخير ومعيداً له، ومهما كان البدء بالخيرات جميل فإن إعادته أجمل لما فيهما من إحياء للخليفة، ويكمن هذا الإحياء في طمأنينة النفس ورضا خالقها.

**المحيي بصير:**

إن عملية الإحياء تتطلب أن يكون المحيي بصيراً، لا يفوته شيء من أمر من أحياهم فهو الذي يدبر أمورهم ويعلم خيرهم من شرهم، حتى يحين موعد الإحياء الثاني، الذي يكون حسابه لعباده فيه عادلاً، وكيف لا وهو البصير بهم؟ قال تعالى: {أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[٦٧]، وكذلك قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[٦٨].

---

[٦٥] المائدة، ٥٤ .

[٦٦] غافر ١٧ .

[٦٧] آل عمران، ١٦٢ ، ١٦٣ .

[٦٨] الحديد ٤ . ٦.

ويجب أن يكون الخليفة بصيراً بما ينفعه، ويعود بالنفع على غيره، وأن يكون بصيراً بطريق العودة إلى المحيي، هذا الطريق إذا أضاعه أمات الفرصة للفوز والنجاح في هذه الحياة، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ}[٦٩]، إذن الأعمى هو من يتبع خطوات الشيطان رغم وجود نعمة النظر لديه، والبصير هو من أدرك سبيل السير على طريق الحق وإن كان فاقد البصر، قال تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}[٧٠].

**المحيي حي:**

فاقد الشيء لا يعطيه. فكيف يحيي من لم يكن حياً؟

وحياة المحيي بالإطلاق لا تحدها زمان ولا مكان، قائماً فيها ومطلعاً على أمور العباد، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[٧١]، لا يغفل عمن خلقهم ووهب لهم الحياة، فيسمع الدعاء ويبصر العباد وما يصنعون، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[٧٢]، وصفة الحي في حق الله لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات، فهو متوحد في أزلية الحياة، وقد بعث الرسل والأنبياء لإحياء هذه الحياة بالحق والعدل ولتنبيه العباد من يوم الحساب الآتي، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

---

[٦٩] الأعراف ٢٠١.

[٧٠] الأعراف ١٩٨ .

[٧١] البقرة، ٢٥٥ .

[٧٢] غافر ٦٤ ، ٦٥ .

مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا}[٧٣].

وعلى خليفة الله تعالى أن يحيي خشية الحي في قلبه، بالتوحيد والدعاء والتسبيح والحمد، كما أمرنا الله في قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[٧٤].

**المحيي باعث:**

لأن في الإحياء الأول أصلاً بعث للروح، وفي الإحياء الثاني إحياء للبعث الأول، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}[٧٥] ،إذن المحيي باعثٌ للروح، قال تعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٦].

وخلفاء الله في الأرض كالرسل والأنبياء والأبرار هم بعثة للحق بأمر المحيي، لأن الحق قد يُغمر في الدنيا إن لم نكن تابعين لهؤلاء البعثة، فنبدأ بأنفسنا فنبعث فيها روح العدل والمحبة ونحيي الأمل بانتشار الحق والخير.

**المحيي حسيب:**

كل هذه الحياة خلقها الله بحساب وبتقدير، فبغياب المحاسبة تختلط الموازيين ببعضها، ففي الحساب إحياء للعدل والحق وإماتة للظلم، وبما أن الحسيب استوجب العدل في الحساب فقد لزم كل إنسان كتابه الذي يسجل فيه أعماله، قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ

---

[٧٣] الفرقان، ٥٦ . ٥٨ .

[٧٤] الفرقان، ٥٨ ، ٥٩ .

[٧٥] المؤمنون، ١٢ . ١٦ .

[٧٦] البقرة، ٢٨٤ .

وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}[٧٧]، لكي لا يكون لأي إنسان حجة على الله، ولكي يحيي هذا الإنسان حسابه في الدنيا قبل أن يحييه المحيي يوم الدين، فلا مجال للندم والرجوع، كما في قوله تعالى: {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[٧٨]، وكذلك قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[٧٩]، هؤلاء من أماتوا أنفسهم بعدم حسابها فخسروا أنفسهم وخسروا آخرتهم.

لذلك علينا أن نكون مستعدين للحساب، فنحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الخالق، هذا من شأنه أن يصحح خطانا ويقيّم سلوكنا.

**المحيي عليم:**

علمه مطلق لا حد له، فهذا الكون حياً بعلمه، أحياه وهو عالمُ بأحواله، فكيف يحيي من لا علم له، فهو يعلم ما يصلح لنا وما لا يصلح، بل يعلم ما فيه خير هذا الكون كإنزال الكمية الواجبة من المطر لإحياء الأرض، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٨٠]، والإحياء يتطلب علم التقدير لما يستحقه الأحياء الذين خلقهم في هذه الدنيا، لأنه هو المحيي فذلك يستلزم علمه المطلق الذي يضم كل صغيرة وكبيرة {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[٨١]، من أجل ذلك لا بد للخليفة أن يكون عليماً بما يصلح لنفسه ولغيره بل ما صالحٌ لأمته، وأن تكون حياته بعيدة كل البعد عن الجهل

---

[٧٧] الإسراء، ١٣ . ١٥ .

[٧٨] الزمر ٨٥ .

[٧٩] الأنعام، ٢٧ .

[٨٠] لقمان ٣٤ .

[٨١] الأنعام، ٥٩ .

الذي يؤدي إلى إماتة الروح والعقل، فتتفشى الأمراض الاجتماعية والفساد ويعم الظلام جوانب الحياة.

**المحيي قادر:**

عملية الإحياء تستوجب القدرة المطلقة، هذه القدرة التي يتفرد بها الخالق عز وجل، وهي التي لا يستطيع أي مخلوق الادعاء بامتلاك مثلها، وفي هذا المجال تحضرنا قصة الذي حاج سيدنا إبراهيم عليه السلام في ربه، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[٨٢]، وهذا الطلب الذي رد سيدنا إبراهيم على الكافر به هو بحد ذاته تجسيد لتفرد الخالق بقدرة مطلقة لا يتخيلها العقل البشري، وفي آية أخرى تتضح لنا قدرة المحيي التي جسدتها عملية خلقنا ، كما جاء في قوله تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٨٣].

وعليه أتساءل:

كيف يكون الخليفة محيي؟.

**١-إحياء العقول بالعلم:**

فالعقل البشري يحيا ويموت كالنفس البشرية تماما، وسبب إحيائه يكون بتزويده بالعلم الذي يقود إلى الإيمان العميق القائم على الاقتناع والبرهان، وهذا ما نلحظه في تكرار وتأكيد مخاطبة المحيي للعقل الإنساني داعياً إياه للتفكير والتحليل، الذي بالضرورة سينتهي بالإيمان

---

[٨٢] البقرة، ٢٥٨ .

[٨٣] البقرة، ٢٥٩ .

القوي، قال تعالى: {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٨٤]، وما هذا الكون إلا حافز لهذا العقل للتنبه والرجوع عن الضلال الذي قد يسيطر عليه فيميته.

وفي العلم إحياء للإيمان في النفوس أما الجهل ففيه إماتة لها، لذلك لا يمكن أن يتساوى كل منهما في الحياة ولا في الآخرة، قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٨٥]، فالعلم حياة والجهل موت وفناء، يؤدي بصاحبه إلى سوء المصير بكفره وعصيانه اللذان أحياهما جهله، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}[٨٦]، فالعقل هو الفيصل الذي به يفرّق بين الحق والباطل، فيقود صاحبه إيمانا إلى النجاة وكفرا وشركا وضلالا إلى الهلاك.

وعملية إحياء العقل تتطلب من الخليفة عزماً وثباتاً على حبه ومداومته لطلب العلم، لأن فيه نجاته من ظلمات الجهل ومهالكه وسوء عاقبته.

**٢- إحياء الأخلاق بالإيمان:**

الخُلق هو المكون الأساسي للإنسان فلا نستطيع أن نفصل بينهما، لذلك نجد اختلافاً بين الناس يسببه اختلاف أخلاقهم، فنجد منهم الصالح والكريم والصادق والحليم ونجد المفسد والمنافق والشرير، وهذا التباين بين الناس يوضح الحي منهم والميت بالرغم من أنهم جميعاً أحياء يتنفسون ويتحركون، لكنهم بقياس الأخلاق ليسوا جميعاً كذلك، فالإنسان المتصف

---

[٨٤] النحل ١١ . ١٤ .

[٨٥] الزمر ٩.

[٨٦] الملك ١٠ ، ١١ .

والملتزم بالإيمان الخالص المتمثل بالاستسلام والأنقياد لأوامر الله والسير على خطا رسوله – صلى الله عليه وسلم– يكون محبياً لأخلاقه بهذا الإيمان الذي بغيابه تموت هذه الأخلاق وبموتها يُعتبَر الإنسان ميتاً في الحياة، والميت لا يستحق أن يخْلُف الحي الذي لا يموت.

ولقد اصطفى الله خلفاءه وميّزهم بحسن الخُلق فكانوا أحياءً عبر التاريخ، ولنا في رسول الله عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، قال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[٨٧]، وهذا ما كان عليه بقية الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من أخلاق حميدة وهم خلفاء المحيي بالإجبار، فعلى من يختار أن يكون خليفة الله تعالى أن يتحلى بحسن الخلق، فيحيي بذلك أمةً أرادها الله أن تكون في قوله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٨٨] .

**٣-إحياء الخير في النفوس:**

ولا يكون ذلك إلا بتثبيت العمل الدائب لنشر الصلاح بين العباد، ومن ذلك:

أ- **الدعوة إلى الصدقة:** لما فيها من إحياء لروح التآلف والأخوة، وتنمية الإحساس بالغير وإماتة للشح في نفوسنا، وفيها تلبية لدعوة الله تعالى لذلك: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}[٨٩]، وكذلك قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[٩٠]، فطوبى لمن أحيا الصدقات والخير بين الناس، ولو كانت بكلمة طيبة، لأن الكلمة الطيبة صدقة تحافظ بها على مشاعر وكرامة الفقير، وكذلك عدم المن والتجريح بإشهارها أو التفاخر بها، نزولاً لقوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا

---

[٨٧] القلم ١ . ٤ .

[٨٨] آل عمران، ١٠٤ .

[٨٩] البقرة، ٢٧٦ .

[٩٠] التوبة ١٠٤ .

مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[٩١] ومن هذه الآية نستطيع أن نستدل على أن في الصدقة إحياء وذلك من وعد الله بالأجر لمن تصدق كان ذلك إحياء للأمل في روح المنفق وتشجيع له، فيعمل هذا المنفق على إحياء نفسه بالصدقات والأنفاق.

**ب- الدعوة إلى السلام والتسامح**، ففيهما اطمئنان للنفوس البشرية المختلفة، فبذلك يكون إماتة للحقد والكراهية، وهذا ما حرص الإسلام على نشره والدعوة إليه ، وها هو رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يوضح لنا ذلك، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" [٩٢]

**٤- إحياء العلاقات الاجتماعية بالتواصل وصلة الرحم والحب**، فبالحب تحيا الأنفس وتنتعش الأمة المستخلفة في الأرض بهدف الإصلاح والفلاح فيها لا بهدف الإفساد وسفك الدماء بغير حق، والحب لا يختص بأفراد محدودين بل إنه شامل لكل ما حولك، بداية بحب المحيي الذي بحبه تحيي ذكره في نفسك، وثانيها حبك لذاتك لأنك أن أحببتها أحييتها بهذا الحب، وحبك للوالدين والأقرباء والأصدقاء والفقراء والجيران، قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}[٩٣].

---

[٩١] البقرة، ٢٦١ . ٢٦٤ .

[٩٢] صحيح البخاري ، ج ١٩ ، ص٢٢ .

[٩٣] النساء، ٣٦ .

٥- **إحياء سنة الرسول** – صلى الله عليه وسلم – هو إحياء لمكارم الأخلاق وللخير بعمومه، قال تعالى: {مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أحدا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}[٩٤].

٦- **إحياء الدين:** بالالتزام وإماتة الشهوات التي تسبب انحراف الإنسان عندما يكون حجم الإيمان أقل من قوة الشهوة، فتتغلب على الإنسان شهوته الأمر الذي يعمل على خسارة حياته وآخرته، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[٩٥].

٧- **إحياء الحق بالعدل والجهاد.** والعدل يكون بالقول والفعل، فلا يدوم الحق إلا بالنيل من الباطل في كل أمر، وبوقفة شجاعة وجرأة من دعاته، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ أحداهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [٩٦].

٨- **إحياء الأرض بزراعتها:** فالخليفة لا يرى في البذرة بذرة بل يراها شجرة تفيد الناس وتُظِلهم فيعمل على إحياء هذه البذرة لتصبح شجرة.

وفي مقابل هذا الإحياء الصالح نجد هناك نوعاً من الإحياء المفسد، مثل إحياء بعض الأشخاص للعصبيات والفتن وهذا بالتأكيد لا يستحق أن يكون خليفة.

في إحياء بعض الأشياء إماتة لغيرها مثل:

**أولاً: في إحياء الحق إماتة للباطل:**

---

[٩٤] الأحزاب ٣٨ ، ٣٩ .

[٩٥] آل عمران، ١٤ .

[٩٦] الحجرات ٩ ، ١٠ .

إن في الحق قوة وعزة، ولا يمكن أن يجتمع الحق مع الباطل، لأن في زوال الباطل ظهور الحق والعكس صحيح، قال تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}[٩٧]، وقوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[٩٨]، فعندما عم الفساد بين الناس بعث الله الرسل والأنبياء لإحياء الحق وإماتة الباطل.

وفي القصاص إحياء للحق وإماتة للظلم، فبتطبيق القصاص العادل تحيا العباد بأمن وسلام {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأنفَ بِالأنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[٩٩] ، {الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأنثَى بِالأنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[١٠٠]

والمحيي بالإضافة لابد أن يكون محبياً للحق دائماً لا يخشى في ذلك لومة لائم فيصدع به ويسخّر قوته في سبيل تحقيقه.

**ثانياً: في إحياء الخير إماتة للشر:**

الخير نقيض الشر وهما موجودان في الدنيا منذ الأزل، وهما ملازمان للبشر منذ بدء الخلق، وليس أدل على ذلك من قصة ابني سيدنا آدم عليه السلام، كما جاء في قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أحدهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ

---

[٩٧] الإسراء، ٨١ .

[٩٨] الأنبياء، ١٨.

[٩٩] المائدة، ٤٥ .

[١٠٠] البقرة، ١٧٨ ، ١٧٩ .

فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[١٠١]، وهذا المشهد الذي صوّره الله لنا هو تجسيد للخير والشر معاً، ولابد أن ينتصر أحدهما على الآخر لاستحالة إحيائهما معاً.

ونحن نلاحظ كلما ساد الشر وهن الخير، والعكس صحيح لذلك على المحيي بالإضافة أن يكون سهماً قاتلاً للشر في النفوس، فيسير بين الناس محيياً للخير،هذه هي الأمة التي أرادها المحيي، فالخير أساس كل نجاح وإصلاح،قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[١٠٢]، فالدعوة إلى الخير هي دعوة لإحياء النفوس الميتة بإماتة الشر فيها، لذلك كانت دعوة الرسل جميعاً والأنبياء لإحياء الخير وتعمير الأرواح به، وعلى خلفاء المحيي بالإطلاق أن يسيروا على هذا الدرب في زمنٍ كثر فيه الشر ونقص فيه الخير.

**ثالثاً: في إحياء الحب إماتة للبغض:**

فالحب هدية من عند المحيي يضعه في قلوبنا، وينشره حولنا ويدعو إليه، فلو تأملنا نجد أن الطفل في أول خروجه للحياة يتلقاه أعظم حب بعد حب الله تعالى وهو حب الأم والأب وهذا دليل على تأكيد الله تعالى على أن نحيى بالحب ونُحْيي به، كما أننا لا نجد من خلفاء الله تعالى من يمتلئ قلبه بالكراهية والحسد بل من صفاتهم أن قلوبهم حية نابضة بالحب والرحمة، لأن الحب يستوجب الرحمة، ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قدوة حسنة إذ علمه الله تعالى كيف يحيى وكيف يحب ويُحَب، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[١٠٣]، فمن كان محباً يرغب في القرب من الحبيب دائماً وهذا ما كان عليه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام مع المحيي

---

[١٠١] المائدة، ٢٧ . ٣١ .

[١٠٢] آل عمران، ١٠٤ .

[١٠٣] آل عمران، ١٥٩ .

عز وجل، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١٠٤]، فما أروع هذا الحب الذي يحيي القلب ويعمّره فلا يستشعر التعب والكرى، بل يطلب القرب والرضا، فكيف لمثل هذا القلب المعمر بالحب أن يدخله الحقد والبغض؟ لا أرض هناك في قلب المحب تنبت فيها أشواك الكراهية، فمتى عمِرَ وكبر الحب تراجع البغض الذي لا مكان له إلا في قلوب أتباع البغيض، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[١٠٥].

وهناك ثلاثة أنواع من الإحياء، نوع حي في الحياة ونوع ميت في الحياة ونوع حي في الموت.

**النوع الأول هو الحي في الحياة:**

وليس المقصود بالحي هنا هو الإنسان الذي يأكل ويشرب ويتنفس ويتحرك، بل الذي يعرف حق المحيي عليه، فيخشاه ويطلب رضاه، ويحيي الليل بذكره ودعائه، محسناً مستغفراً الذي خلقه ورزقه وأحسن إليه، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي

---

[١٠٤] المزمل ٢٠ .

[١٠٥] آل عمران، ١١٨ . ١٢٠ .

أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[١٠٦]، إن الحياة في عينه عطاء وحب وحلقة وصل بالآخرة التي يتشوق إليها، إذن هو حي في الحياة له أثر طيب فيها، وهو حيٌ بإحياء العقول بالعلم وإحياء القلوب بالدعوة للخير، وإحياء الأرض برعايتها، بذلك يمتد أثر حياته الإيجابي على الحياة بصفة عامة فيُؤثر ولا يتأثر بما في هذه الدنيا من مفاسد وشرور، فحياته تكمن فيها إحياء للغير في الدنيا وإحياءٌ له في الآخرة، فالفائز برضا المحيي في الدنيا والآخرة هو حيٌ، والفائز بشفاعة النبي عليه السلام هو حيٌ، وهذا هو مقياس الحياة الصحيح الذي يقيس به الخالق الحي من الميت، وعلى الرغم من توارد وتوالي الأمم والأجيال نجد أن هناك الكثير ممن جاء للدنيا وخرج منها ميتاً لا حياة فيه، أحياه الله بكرمه وحبه فأمات نفسه بولائه للشيطان بخسرانه المبين، قال تعالى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا}[١٠٧].

لكّن طالب الحياة بحق هو الفائز، لعلمه بقيمة هذه الحياة واستفادته منها كما أراد المحيي، فكان حياً في الدنيا وسيحيا في الآخرة،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[١٠٨].

فكيف يموت من عَمِر قلبه بالخير ونبض بحب المحيي؟.

والتائب من ذنبه أيضاً يكون كمن لحق بالحياة بعد أن شارف على الهلاك، لأن في التوبة عودة للمحيي وفي هذه العودة استرجاع لحياة كانت قد شارفت على الفناء، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ

---

[١٠٦] الذاريات ١٥ . ١٨ .

[١٠٧] النساء، ١٢٠ ، ١٢١ .

[١٠٨] صحيح مسلم ، ج ٥ ، ص٢٢٩ .

هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[١٠٩]، فرحمة المحيي بنا هي بحد ذاتها إحياء لنا، فالمحروم من رحمة الله تعالى هو هالكٌ وخاسر، والعودة إلى الله هي عودة من الموت إلى الحياة من جديد، فلنبحث عن رحمته بالعودة إليه ونحافظ على حياتنا بالحفاظ على إحياء حب المحيي في قلوبنا ووجادننا، فهذا الحب الذي لا تفنى معه الحياة ولا تنتهي، لذلك فقد شرّع المحيي لنا أبواباً واسعة لإحياء النفس في الدنيا، بقبوله مغفرة كل الذنوب صغيرها وكبيرها إذا صدق الإنسان التوبة، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}[١١٠]، ما أعظم حب الله لنا وحرصه على إحيائنا في الدنيا! وبالرغم من ذلك فكم من الفرص الضائعة من البشر لكي يستعيدوا حياتهم قبل أن تفلت منهم وتنتهي.

**والنوع الثاني هو الميت في الحياة:**

وهو بعكس النوع الأول، فهو الذي يتنفس ويتحرك لكنه ليس بحي، أي أنه أقرب للميت فلا فائدة من حياته الفاسدة المليئة بالشرور والمعاصي، أولئك أتباع الشياطين لا حياة لهم في الدنيا ولا في الآخرة فقد خسروا الدارين،قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ}[١١١]، ففي الخسارة موت وفي الربح حياة، وإن لم تكن الحياة معبراً للجنة وفسحة أمل للتوبة ونيل رضا الله تعالى فكيف ستكون حياة؟.

---

[١٠٩] الزمر ٥٣ .

[١١٠] النساء، ١١٦ .

[١١١] هود ١٨ . ٢٢ .

هذه الحياة تنادي ضعفاء النفوس خدّام الشهوات، يهرولون خلفها فلا يشبعون منها ولا يستفيدون، بل إنهم يخسرون الحياة في حين أنهم يظنون أنهم يستمتعون بها، فالساعي وراء الشهوات ميت،لأن فيها ضياع ومفسدة، قال تعالى: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفًا}[١١٢]، وقاسي القلب ميت، لأن حياة القلوب هي الرحمة والحب، قال تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأنهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [١١٣] والمنافق والجأحد كلهم أموات يسيرون ويتحركون، قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[١١٤].

**النوع الثالث: هم الأحياء في الموت:**

وهم فئة خصهم الله تعالى بهذه الحياة الخاصة بهم تكريماً لهم ومكافأة لما بذلوه في سبيله، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}[١١٥]، وقد أكد الله حياة أولئك الشهداء الأبرار بعدة دلائل منها:

١- الرزق الذي يصلهم من عند خالقهم، فالميت لا رزق له بل كيف يرزق من كان ميتاً؟ وجاء الرزق هنا للتأكيد على إحياء هؤلاء الشهداء تكريماً ومكافأة لهم على حرصهم لإحياء أرواحهم بالشهادة في سبيل الله تعالى.

---

[١١٢][١١٢] النساء، ٢٧ ، ٢٨ .

[١١٣] البقرة، ٧٤ .

[١١٤] الأنفال ٤٩ ، ٥٠ .

[١١٥] آل عمران، ١٦٩ . ١٧١ .

٢- الفرح الذي هو سمة لمن كان حياً، فالمعروف أن الإنسان عندما يفارق الحياة يغيب عنه الشعور بالفرح والحزن وغيرها من المشاعر التي تتطلب الحياة، لكّن الله أكّد حياتهم واصفاً حالها بالفرح والسعادة.

٣- الاستبشار الذي هم عليه هو ينطق بالحياة في حقهم، فلا بشرى لميت يشعر بها ويعيشها، لأنها تتطلب الحياة.

وقد خصص المحيي بالإطلاق هذه الصفات لطمأنينة أهلهم ولإحياء الرغبة لمن بعدهم بالشهادة، وهوان الدنيا في عيون المسلمين.

فحياتنا وموتنا بيد المحيي والمميت، فهو يحيي من يشاء ويميت من يشاء، فنجد من يعيش أكثر من مائة عام، وغيره لا يرى حتى نور الحياة، وغيرهما من يتوفى في سن الطفولة أو الشباب، فكلٌ له قدر لا مفر له منه، فالحي المطلق يهب الحياة بحق لمن أحبه فيلقي بحب هذا الإنسان في قلوب الناس، ويهب الموت والفناء والعدم حتى في الدنيا لمن أراد الشيطان وتولى عن حب الله فلا حياة له في الحياة ولا في الآخرة، لأن حب الله لا يجتمع مع حب الدنيا والمفاسد، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[١١٦].

والحياة بنفسها تهدي لنا العبر والمواعظ التي من شأنها تقييم سلوكنا وكبح شهواتنا، التي إذا حكمتنا ضاعت قيمة الحياة وخسرنا خسراناً عظيماً والتاريخ أكفأ معلم لنا إذا شئنا، لأنه يوضح لنا أن داخله هو الحي الذي يحيى الناس بعلمه أو حكمته أو اكتشافه، وكم من ملايين الخلق الذين عبروا هذه الحياة دون أن يسجلوا أسماءهم فيه فمضوا دون أن يلتفت إليهم أحد، فقد ماتوا وانتهوا من كانوا جبابرة عبر التاريخ وملوكاً وطغاة أمثال فرعون وقارون وغيرهما لم يستطع أي منهم أن يُخّلد في الحياة بماله أو ملكه أو جبروته، بل إنهم أصبحوا عبرة للإنكسار والهزيمة والفناء، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

[١١٦] النحل ٢٠ ، ٢١ .

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}[117]، وهذا قارون الذي كانت نهايته كما جاء في القرآن الكريم {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[118]، فأين هم من الذين بقوا أحياءاً بعلمهم وحبهم للمحيي الذي أحياهم بحبه لهم، كمثل الأئمة الأربعة الذين أناروا الدنيا بمذاهبهم التي نسير عليها ليومنا هذا على الرغم من فقرهم وبساطتهم، لكنهم ملكوا مفتاح الحياة في الباقية في القلوب وهو حب الله تعالى لذلك أحياهم الله بالذكر الجميل في الدنيا، والكثير ممن بقوا أحياءاً بآثارهم في الإصلاح.

والخليفة يكون محيياً لحب الله تعالى بكل ما يملك، فبعينيه الدامعتين لتلاوة القرآن خشوعاً، {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[119]، وجسده الذي يرتعش من خشية المحيي، {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}[120] وبقلبه النابض بالحق والرحمة والاطمئنان بالمحيي، كما جاء في قوله تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[121] فيسعى في الأرض ناشراً للفضيلة داعياً للمعروف والإصلاح، متصلاً بالمحيي اتصالاً لا ينقطع بزوال نعمة، لأن من انقطع اتصاله بالمحيي انقطع بذلك عن الحياة لأن الاتصال الدائم بالخالق دليل حياة الإنسان.

---

[117] آل عمران، ١٠ . ١٢ .

[118] القصص، ٨١ ، ٨٢ .

[119] المائدة، ٣٣.

[120] الزمر ٢٣ .

[121] الرعد ٢٨.

والباحث عن أن يكون محبياً لابد أن يبحث عن الإصلاح، لأن فيه حياة تدوم وتعمر، والإصلاح له عدة صور منها:

أ- إصلاح النفس البشرية بتخليصها من الأمراض والكفر والشرور، ففي الإصلاح حياة وفي الفساد موت وهلاك،والرغبة في الإصلاح سبب رئيسي لقبول العمل، قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[١٢٢]، ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أفضل مثل نحتذي به، إذ أنه بُعث في زمن كثرت فيه المفاسد والمعاصي، فشق طريقه بالدعوة للإصلاح والهداية، لأنه ما من اهتدى إلى الحق إلا وأصلح ما كان في نفسه أولاً وكانت له الرغبة في إصلاح غيره، ولا يكون الإصلاح إلا بالتمسك بالله واتباع أوامره والبعد عن نواهيه، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ}[١٢٣]، وفي المقابل فإن المفسدين في الأرض هم قتلة لأنفسهم أولاً وللحياة ثانياً، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آَمِنُوا كَمَا آَمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}[١٢٤]، وكذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ

---

[١٢٢] النساء، ١١٤ .

[١٢٣] الأعراف ١٧٠ .

[١٢٤] البقرة، ٦ . ١٦ .

بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٢٥]، فالكفر يستتبع الفساد، والفساد يستتبع الخسارة، والخسارة لا حياة فيها، قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[١٢٦].

فكن أيها الخليفة مصلحاً بادئاً بنفسك محيياً إياها،لأن حياتك أمانة ولابد لك من أن ترعى هذه الأمانة، ومصلحاً لغيرك محيياً لهم بما أهداك المحيي من قوة بدنية أو من علم أو من حكمة، محققاً هدف إحيائنا على هذه الأرض وهو خلافتنا لها، فهدف خلقنا من الأساس كان للإستخلافة في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[١٢٧]، إذن خلافتنا في الأرض تتطلب الإصلاح الذي يميت الإفساد والدمار.

ب- إصلاح الأرض البور، الأرض التي سخّرها وأحياها المحيي بالإطلاق من أجلنا، لا بد أن نحافظ على حياتها فنرعاها ولا نفسدها، {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَأحد وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[١٢٨]، إنها نعمة الله لنا الأولى أن نحمده ونشكره عليها لا أن نجحد ونتكبر، فالأرض أمانة حمّلها لنا الخالق منذ بداية الحياة، فإن صلحت فبنا وإن فسدت فبنا أيضاً، والأرض تشبه الإنسان لأنها تحيا بالإصلاح وتموت بالفساد، فطوبى لمن زرع شجرة استظل بها إنسان ما من شدة الحر، أو من رعى الدواب والنبات، أو حتى من أزاح الأذى من على الطرقات، عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ

---

[١٢٥] البقرة، ٢٧ ، ٢٨ .

[١٢٦] البقرة، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

[١٢٧] البقرة، ٣٠ .

[١٢٨] الرعد ٣ ، ٤ .

أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : "لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ"[١٢٩].

أليست هي من أطعمت مريم بأمرٍ من الله تعالى لمريم بذلك؟ قال تعالى: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أحدا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا}[١٣٠]، فهذا المشهد الذي يصوّر كرم الأرض باستجابتها لرغبات وطلبات الإنسان يوحي بمدى الحياة التي تدب فيها.

فكن من خلفاء المحيي بالإطلاق في الحفاظ على هذا الإحياء للأرض، متبعاً وصية رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم– عندما أمر أن لا يقطع المسلمون في الحرب شجرة، مقرناً إياها بوصيته بعدم قتل الشيوخ والأطفال، وهذا بحد ذاته يدل على أن الأرض لها حقً علينا كما للأنسان، فإن سلبناها هذا الحق بالفساد فيها فقد خالفنا أمر المولى عز وجل، لأن إحياء الأرض إحياء للبشر لارتباطهما معاً فلا حياة لأرضٍ ميت أصحابها، ولا حياة لأناس ميتةٌ أرضهم.

أيها الخليفة عش مستحضراً في ذهنك وقلبك وروحك مبادئ السمو والرفعة في هذه الدنيا، لأن خلفاء الله تعالى هم من جعلوا من حياتهم الدنيا باباً يمرون عبره للفوز العظيم يوم الدين، وهذه المبادئ والقيم لم تخف يوماً على أحد، فهي كل خير وكل عمل صالحٍ من شأنه أن يتغلب على الدنيا فلا تقوى عليه فتغويه وتودي به للهاوية، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ

---

[١٢٩] صحيح مسلم، ج ١٣ ، ص٤٧ .

[١٣٠] مريم ٢٣ ، ٢٦ .

يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[١٣١]، بذلك يصل الخليفة إلى الاستقامة التي تجمع كل ما هو خير وصالح وهي اختصار لكل الصفات التي يجب أن يسير عليها، وهذا ما أوضحه لنا رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – الذي علّمه الله، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ:" قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ"[١٣٢].

وهذه الأساسيات تيسر للخليفة كيفية إحياء ذاته بالشكل الذي تستحقه، فقد كرّمنا المحيي بهذا الإحياء وخلّفنا في الأرض نرعاها ونعمرها، فكيف يكون السبيل لتحقيق ذلك إلا بهذه الأخلاق التي خصت خلفاء الله تعالى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ فَهَلْ يُدْعَى أحد مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ"[١٣٣].

اللهم يا المحيي اجعل الطمأنينة ملء نفوسنا ومحبتك ملء قلوبنا. اللهم يا المحيي ازرع فينا طاعة الوالدين في غير معصيتك واجعلنا من المحسنين إليهم.

اللهم اجعلنا من الذين يُحيون الأرض بإصلاحها وفلاحها وإعمارها وزرع الخير والأعمال الحسان فيها ولا تجعلنا من المفسدين والعابثين.

---

[١٣١] آ ل عمران ١٣٣ . ١٤٠ .

[١٣٢] سنن الترمذي، ج ٨ ، ص٣٤١ .

[١٣٣] موطأ مالك، ج٣، ص٣٧٨ .

اللهم يا المحيي أحينا على الإيمان وامتنا عليه، واحي في قلوبنا طاعتك وأمت معصيتك، اللهم أحينا حياة طبية في الدنيا والآخرة، واجعلنا من أصحاب الحياة في الجنة ولا تجعلنا من اصحاب النار، اللهم أحي في قلوبنا ما تحب وترضى، واجعلنا من الساعين في إحياء ما تحب وترضى، اللهم أحينا على طاعتك ولا تحينا على معصيتك انك مجيب الدعاء محي القلوب.

اللهم أحينا على الإيمان وامتنا على الإيمان وابعثنا أحياء على الإيمان سبحانك يا المحيي أنت الرحمن.

اللهم يا المحي أحينا على ملة الإسلام وامتنا عليها، وأحينا إن كانت الحياة خيرا لنا، وأمتنا إن كانت الحياة شرا لنا، اللهم يا المحي أحي قلوبنا بالإيمان وبنور معرفتك، اللهم أحي بصائرنا بنورك العظيم لنتبع خطوات عبادك من الأنبياء والشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقا.

اللهم يا المحي اجعلنا من الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقتهم ينفقون، اللهم أكرمنا بعفوك ورحمتك وفضلك يا المحي للنطفة الميتة فتخرج منها النسمة الحية، والمحي للأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، والمحي للأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق، أحيينا برحمتك يا المحيي يا الله.

# المميت

المميت: هو من لا يطاله الموت، فهو الباقي وبيده الأمر الذي يحيي ويميت، أي أنه خالق الحياة والموت معا، وهو المتصرف في شأنهما.

المميت "هو خالق الموت"[١٣٤].

المميت الله تعالى "خلق الموت كما أنه خالق الحياة لا خالق سواه استأثر بالبقاء وكتب على خلقه الموت"[١٣٥].

الْمُمِيتِ : "هُوَ الَّذِي يُمِيتُ الأَحْيَاءَ، وَيُوهِنُ بِالْمَوْتِ قُوَّةَ الأَصِحَّاءِ الأَقْوِيَاءِ: يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تَمَدَّحَ سُبْحَانَهُ بِالإِمَاتَةِ كَمَا تَمَدَّحَ بِالإِحْيَاءِ اسْتَأْثَرَ بِالْبَقَاءِ ، وَكَتَبَ عَلَى خَلْقِهِ الْفَنَاءَ"[١٣٦]

والمميت هو الذي بيده إماتة الحياة وإماتة الموت لتبقى الحياة سرمدية لا موت فيها ويبقى الخالدون في جنات النعيم، والمعذبون حطب جهنم.

المميت في حق الله تعالى هو من قدّر الموت على كل مخلوق، فلا أحد يملك أمر الموت غيره، لأنه المقرر والقادر عليه الذي به يحدد لكلٍ أجله باختلاف الأسباب، فهو الذي أودع الحياة وبث الروح فينا وهو الذي يسترجع هذه الروح منا بخلقه للموت الذي يسلب الأرواح من الأجساد.

إن المميت هو فاعل أمر الموت الذي يوكله لملك الموت، ليقبض أرواح الخلق، فكل من على وجه الأرض فانٍ ولا يبقى إلا وجه الخالق، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو

---

[١٣٤] المواقف، ج ٣، ص ٣١١.

[١٣٥] تفسير أسماء الله الحسنى، ج ١، ص ٥٦.

[١٣٦] الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ١٨٦.

الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}[١٣٧]، فالفناء قدر جميع الخلق، مصلحين ومفسدين، مؤمنين وكافرين، جميع الأجناس والأعمار، فقد رحل كل من كان من خلق الله تعالى وطوتهم الأرض حتى الأنبياء والرسل والصالحين، قال تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}[١٣٨] وسيرحل الباقون، فالله هو المميت بقدرته جميع الأحياء، وهو الوحيد الذي لا تطاله الموت.

واسم المميت فيه يظهر لنا مصير هذا الكون بجميع من عليه، كما جاء في قوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}[١٣٩]، ولأن هذا الكون ملكٌ لله فإنه مالك له بالتصرف في أموره، فالحياة والموت أمران مرتبط كل منهما بالآخر، وهما بأمر المولى عز وجل فقط، وهذا من شأنه أن يجعل الإنسان دائماً على استعداد للقاء المميت في أحسن حال، لأنه لن ينفع ندم ولا أسف على ما قصّر الإنسان في حق الله أولاً وفي حق نفسه ثانياً، فمن أهمل اسم المميت في حياته أهمله الله ولم يتلفت إليه، فهو الغني عن كل ما خلق. فالإنسان هو المحتاج إلى المولى ويسعى لرضاه، هذه هي حقيقة العلاقة السوية التي يجب أن تكون بين العبد وربه، قال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٤٠].

واسم الله المميت يحمل في طياته عدة معانٍ أخرى منها:

المميت مبدئ للحياة ومبدئ للموت:

البداية تكون بالإحياء، فالله تعالى يبدأ الحياة بالخلق، فيبث الروح في الأجساد، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

---

[١٣٧] الرحمن، ٢٦ ، ٢٧ .

[١٣٨] الزمر ٣٠ .

[١٣٩] الأنبياء، ١٠٤.

[١٤٠] المائدة، ١١٩، ١٢٠ .

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [١٤١]، فلا يستطيع أن يميت من لا يستطيع أن يكون مبدئاً، ولا حساب دون أعمال والأعمال تبدأ ببدء خلق الإنسان والحساب بإماتته وإرجاعه يوم الحساب.

والمميت مبدئ للموت بخلقه، ومميت له يوم الحساب بإرجاع الروح فينا، فلا يمكن أن يميت الخلق إلا من بدأ الخلق بأمره، ولا يمكن أن يميت الموت إلا من بدأ خلق الموت، فالإنسان والموت مخلوقان ألزم المميت أحدهما الآخر، فلا يمكن لأي إنسان أن ينفصل عن الموت، حتى لو أنه هرب واختبأ، قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [١٤٢].

والله تعالى بدأ خلق الموت لإماتة الخلود للإنسان، مع أننا نجد الكثير من البشر يتمنون الخلود وهم في اعتقادهم سيفرون من الموت: كما جاء في قوله تعالى: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [١٤٣] فبما أن الإنسان مخلوق فالموت جارٍ عليه، أما المميت فلا يطاله لأنه مبدئٌ بخلق هذا الموت، والمخلوق لا يقوى على خالقه.

ولنا في التاريخ أكبر شاهد على ذلك، فقد رحلت كل الأقوام السابقة دون رجعة للدنيا، أبدأهم الله بالإحياء ثم أماتهم، ليكونوا عبرة لمن بعدهم، كما في قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [١٤٤].

---

[١٤١] الروم، ٢٧.

[١٤٢] النساء، ٧٨.

[١٤٣] البقرة، ٩٦.

[١٤٤] فاطر ٤٢ . ٤٤.

فالمميت مبدئ بالخلق والموت لأنهما بأمره سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يتدخل أي مخلوق في سيرهما.

المميت قادر:

هذه القدرة التي لا حدود لها والتي لا يصل إليها العقل البشري، فالقدرة على الإحياء هي نفس القدرة على الإماتة، لأن الفاعل القادر واحد لا يتعدد ولا يتغير، ففعل الإماتة بيد المميت وحده لا يستطيع أحد أن ينهي حياة إنسان دون الأمر (كن) الذي هو بالنسبة لفعل الموت بيد المميت، لأن لكلٍ قدر كتبه الله تعالى ولا مفر منه، فمثلاً إذا قام شخص بقتل آخر ليس هذا معناه أنه أنهى حياته بقدرته وقوته، بل لأن الله كتب عليه الموت ذلك الوقت بتلك الأسباب التي اقترفها أو التي كتبت عليه سواء كان بريئا أو غير ذلك، فإن كان بريئا، فالذنب سيكون على قاتله، وإذا كان قد قتل بذنبه فيكون ذلك جزاؤه، وكم من الغرائب نسمع بها ونشاهدها بأعيننا من أنه قد وقع حادث لمجموعة من الأشخاص وماتوا جميعاً إلا طفلا رضيعا! أو امرأةً مسنةً قضت أياماً تحت دمار بيتها في الحرب دون أن تفقد حياتها، وغير ذلك لأن الله قادر على أن يهب الحياة ويُنهيها كيفما يشاء، لأنه هو الذي يملك القدرة على كل شيء، قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٤٥]، والله قادر على أن يجعل الحياة أياماً معدودة ثم يكون الموت جماعيا لكل البشر، لكنه تفاوت في ذلك لعلمه وحكمته تعالى، فهذا التفاوت في الأعمار والأقدار دليل واضح على قدرته تعالى على الإماتة والخلق، ولكي لا يرتبط الموت بالتقدم في السن أو بالمرض مثلاً، ولأخذ العبر ممن سبقونا في الحياة وتركوا كل الدنيا وراءهم، هذه الدنيا التي سلبت آخرتهم منهم باللهو والكفر والمعصية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ

[١٤٥] المائدة، ١٧.

مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[١٤٦].

فالمميت قادر والقادر مميت، والفعلان مطلقان في حق الله تعالى، فلا حدود لقدرته على الخلق ولا حدود لقدرته على الإماتة، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[١٤٧].

المميت خالق الحياة من بعد إماتته للموت، والمميت ليس بقاتل، القتل فعل يتعلق بالمخلوق بشرا كان أم حيوانا (ثعبان أو عقرب أو ذئب أو أسد وغيرها كثير) أم كان طيرا أم سمكا أم نباتا، ولكل أسباب؛ ولذا علينا أن نفرق بين المميت الذي لا يميت أحدا قبل يومه الذي كتب له، وبين القاتل الذي يجنى على الحياة حتى وإن كان أجلها المكتوب من عند المميت جل جلاله.

ولأن الموت مؤقت، فإن الإماتة في أساسها بغرض الحياة، ولذا المميت يميت من أجل الحياة، ولهذا فالموت حق والإماتة حق ولا تفعل إلا بالحق.

ولأن الموت حق فكل من خلق ستأتيه الموت حق، ولا يظلم ربك أحدا، فلا إنس ولا جنَّ ولا موت، إنه الحي الباقي، قال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[١٤٨] لأنه القادر على كل من في الأرض والسماء، بل إنه يمنح من يشاء من الجن والإنس بعض القدرات التي لا تتوفر لدى غيرهم، وهو القادر على إماتة هذه القدرات فيهم، وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك ومنها:

---

[١٤٦] الحج ٥.

[١٤٧] الأنبياء، ١٠٤ .

[١٤٨] غافر ١٥، ١٦.

مثلما جعل للجن قدرة كبيرة على التصرف والإمكانيات التي يعجز عنها غيرهم، كما حدث مع الجن الذي سخّره الله تعالى لخدمة سيدنا سليمان، قال تعالى: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ}[١٤٩].

لكنه أيضاً قادر على أن يميت هذه القدرة إذا شاء فهو الذي أمات قدرة الجن على استراق السمع، قال تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[١٥٠]، وكذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}[١٥١]، هذا أكبر دليل على قدرة الله على إماتة أي قدرة أمامه، فلا يستطيع أي مخلوق أن يصل إليها.

ومثل منح الله تعالى القدرة لسيدنا سليمان على التحدث والتخاطب مع غير البشر، كالنمل كما في قوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[١٥٢]، أو تخاطبه مع الهدهد، كما جاء في الآيات الكريمة: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ

---

[١٤٩] النمل ٣٨ . ٤١ .

[١٥٠] الصافات ٦ . ١٠ .

[١٥١] الحجر ١٦ . ١٨.

[١٥٢] النمل ١٧ . ١٩ .

أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[١٥٣]، أو قدرته على امتلاك بعض مكونات الطبيعة فتأتمر بأمره وبقدرته قال تعالى، {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ}[١٥٤].

فمن أحيا هذه القدرات في بعض الأشخاص لهدف وغاية هو قادر على إماتتها، وهذا أكبر رادع لأي إنسان يمتلك أي نوع من القدرات الفائقة للبشر العاديين أن يستغلها في نشر الفساد والرذائل، لأنه قد يجد نفسه ضعيفاً معدوم القوى بقدرة القادر المميت لأي قدرة سواه، فالممتلك لقدرة جسدية أو ذهنية عليه أن يتذكر أنها من خلق الرحمن وأنه قادر على أن يميتها وقتما يشاء فلا يتجبر بها ولا يتفاخر.

المميت لا يموت:

لا يهب الحياة إلا من كان حياً لا يموت، ولا يملك أمر الموت إلا المبدئ للحياة، والمحاسب عليها، قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[١٥٥].

وهو إن لم يكن حياً لما استطاع الإماتة والإحياء، فالموت يأتي بعد الحياة لأنه لا يموت من المخلوقات إلا من كان يتصف بالحياة والحركة، أما المميت فهو دائم الحياة لا يموت، قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا}[١٥٦].

وصفة دوام الحياة هي للحي فقط دون سواه سبحانه وتعالى، فكيف يدركه الموت من كان خالقاً له الخلود والأزلية؟.

---

[١٥٣] النمل ٢٠ . ٢٢.

[١٥٤] سبأ ١٢ .

[١٥٥] الفرقان، ٥٨ ، ٥٩.

[١٥٦] الفرقان، ٥٨

والخليفة المميت هو المميت للضغائن التي تحاك بين البشر، والمكائد والمكر الذي يدور بين الناس ظلما لا حق فيه، وذلك من أجل حياة طيبة بين الناس، ومثل هؤلاء هم الوارثون والمستخلفون من أجل الإصلاح والهداية إلى الحق، ولهذا سيظلون أحياء ما بقيت ذكراهم تسطر في كتب التاريخ وسيظلون أحياء بجهادهم النفس وجهادهم بها وجهادهم بما يملكون مما يمتلكون.

إن المميت بالإضافة هو من يستمد صفاته من صفات خالقه الذي لا يميت شيئا أو أحدا إلا بالحق، وإحقاقا للحق، فمن تبع ذلك سيظل حيا على الحق ومميتا على الحق، وبهذا فهو المتصف بصفة المميت المطلق، أما أولئك الذين يعتدون ويسفكون الدماء بغير حق فأولئك هم المفسدون في الأرض الذين استثناهم الله من حق الاستخلاف ووراثة الجنة.

المميت قيوم:

هو القائم على الحياة، وعلى أمر الخلق، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}[١٥٧].

وهو قائم على أمر الرزق، قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[١٥٨].

وهو القائم على أمر الموت، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[١٥٩].

وهو القائم على أمر الحساب، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا}[١٦٠].

---

[١٥٧] البقرة، ٢٥٥.

[١٥٨] يونس، ٣١.

[١٥٩] آل عمران، ١٨٥.

[١٦٠] الانشقاق، ٧ . ١٢ .

فهدف الإحياء أصلاً كان لخلافة الأرض بتعميرها وإصلاحها، وبما أن البشر تباينوا في مسلكياتهم في الحياة فمنهم الصالح ومنهم المفسد فقد أوجد الخالق الحياة والموت من أجل أن يقوم الحساب العادل لكل إنسان، والله عندما خلقنا على هذه الأرض وضّح لنا طريق الحق من الباطل بإرسال الرسل وبالحجج والبراهين وترك للإنسان اختيار مسلك حياته، أما الحساب فله وحده جل جلاله، قال تعالى: {وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}[١٦١].

المميت رحيم:

الرحمة أشد وأروع من الحب، ففي الخلق رحمة وفي الموت رحمة، فالله هو الرحيم حتى في إماتته، ومن الملاحظ أن الكثير من البشر متيقن من فكرة أن الموت نهاية الحياة فقط، وأنه جالبٌ للحزن والألم، ولم يخطر ببالنا أنه مع ذلك رحمة تتمثل في عدة أحوال منها:

الحالة الأولى:

يرحم الله البشرية بموت الجبابرة والظالمين، فبموتهم راحة للبشرية واستعادة للأمان والطمأنينة لأن الظلم يميت حق الإنسان المظلوم في الحياة ونصيبه من الحرية والسعادة، والله مميت للكفرة والجبارين الذين طغوا في الأرض وأفسدوا، لأن بموتهم يتوقف أذاهم وفسادهم، ولولا ذلك لتوسعوا في دائرة الجحود والتجبر والظلم، ولنا في التاريخ أكبر دليل على هذا: لا يُذْكَر الطغيان والتجبر دون أن يُذْكر معه فرعون، فهو على رأس الجبابرة الذين ساروا في الأرض بالفساد والتكبر، فتوقف بموته هذا الفساد والشر وفي ذلك رحمة وسكينة للعباد، قال تعالى: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}[١٦٢].

والرحمة في موت الجبابرة تكون رحمة لبعض من قست قلوبهم بأخذ العبرة والحيطة، قال تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ

---

[١٦١] الرعد ٤٠.

[١٦٢] البقرة، ٤٩ ، ٥٠ .

قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[١٦٣].

فالمميت رحيم بعباده الضعفاء بإماتة الظالمين والمتجبرين الذي من شأنه رفع كابوس الجور الجاثم على صدورهم، ورحيم بعباده الأقوياء أيضاً، بإماتة روح الطغيان والتجبر في صدورهم فيخرجون من صفوف هؤلاء الظلمة الخاسرين في الآخرة.

والخليفة لا يخاف الموت بل يخاف الظلم، ويخاف الفساد في الأرض، ويخاف عدم الإحسان إلى الوالدين ويخاف أن تعم الرذيلة بين الناس وتختلط الدماء التي جعل لها الرحمن صونا من الفساد، اللهم احفظ زوجاتنا وبناتنا وأولادنا وأخوتنا جميعا من كل المفاسد والشرور واجعلهم آمنين وهم فيها مستخلفون.

ولأن الخليفة يؤمن بالموت حق فهو يحسب له كل يوم ألف حساب حتى لا يفاجأ وهو منقوص، أو على غير رضا من الله إنه الخائف من الذنوب والعيوب فهو المجتنب لكل ذلك دون إفساد أو سفك دماء بغير حق.

الحالة الثانية:

يرحم المميت الإنسان بالموت عند تخليصه من الألم، ففي حالة وجود الأمراض المستعصية والفتاكة وعند عجز الطب عن مساعدة المريض لوقف الألم أو الحد من المرض، فإن الموت يأتي في صورة رحمة بالمريض وبمن يتألمون من حوله، لأنه نهاية للإحساس بذلك الألم الذي نكون عليه في الحياة، ولذا فالموت للمسن الكبير رحمة وللمريض رحمة وللعزيز من الذل رحمة، وللكريم من الحاجة رحمة، إنه الحق الذي ينتظره الخليفة في كل وقت.

الحالة الثالثة:

في الموت رحمة لمن تقدم في العمر، فأصابه الوهن وبدأ يفقد قدراته بالتدريج قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

---

[١٦٣] يونس، ٩٠ . ٩٢.

قَدِيرٌ}[١٦٤]، فكلما تقدم العمر بالإنسان تحول حبه للحياة وتمسكه بها إلى ضيق وضجر، ذلك أن الإنسان مخلوقٌ حساس سريع التأثر بوجود كل هذه المشاعر داخله، لذلك نراه في فترة الشباب والقوة يشتعل بالحياة الذي بغيابه ينطفئ ويذبل لأن الحياة تكون قد بدأت تدير ظهرها له، وبدأت قواه تتلاشى وتظهر الدنيا بثوب ضيق في عينيه، وعليه فالمميت رحيم به بالموت أكثر ممن حوله من الأبناء والأحفاد الذين قد يجعلونه يشعر بأنه منبوذ وميت في حياته لدرجة أنه قد يتمنى الموت، فيأتي الموت رحمة لكل هذا الشعور المتألم داخل هذا الإنسان.

المميت محيي:

فالمميت هو المحيي، لأنه لا يملك القدرة على إنهاء هذي الحياة إلا الوهّاب لها، فلو لم يكن محيياً لما كان مميتاً، والإحياء والإماتة لا يخصان الإنسان فقط، بل يخصان كل شيء حي على هذه الأرض من إنسان ونبات وحيوان، فالأرض تحيا وتموت بإذن الله، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[١٦٥].

والحيوان يحيا ويموت أيضاً، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[١٦٦].

والإنسان له بداية ونهاية بالحياة والموت، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}[١٦٧].

وفي الإحياء إماتة للموت مرتين:

---

[١٦٤] النحل ٧٠ .

[١٦٥] الأنعام، ٩٩ .

[١٦٦] هود ٦.

[١٦٧] التوبة ١١٦.

المرة الأولى في إحياء الخلق من الشيء الأول مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[١٦٨]، وقوله تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٦٩].

والمرة الثانية في إحياء الموتى للحساب، كما جاء في قوله تعالى: {هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٧٠]، قال تعالى أيضاً: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[١٧١]، فهدف الخلق أصلاً لخلافة وإعمار الأرض والهدف من الإماتة الثانية هو الإحياء للحساب فيُجْزى كل إنسان على أعماله لا يُظْلم شيئاً.

فالمميت إذن لابد أن يكون قبلاً محيياً، والمحيي لابد أن يتبع ذلك الإحياء بالموت، لأن سنة الكون التي قام عليها هي الفناء لكل ما عداه سبحانه وتعالى، فلا خلود على وجه الأرض رغم هذه الحياة القائمة عليها.

المميت خالق:

هو خالق الحياة كما أنه خالق الموت الذي تفنى به كل الأحياء، وهو خالق للحياة السرمدية التي لا موت فيها أبداً بعد الحساب، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[١٧٢]، فكما تكون بداية الخلق بأمره كذلك لابد أن تكون نهاية أمره أيضاً، فكيف يكفر الإنسان ويكذب بحقيقة الموت مع أنه قائم محيط به، ومع أن الخالق واحد للحياة وللإنسان وللكون وللموت؟ قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[١٧٣].

---

[١٦٨] النحل ٤٠.

[١٦٩] يا سين ٨٢، ٨٣.

[١٧٠] يونس، ٥٦.

[١٧١] الجاثية ١٥.

[١٧٢] الأنعام، ٧٣ .

[١٧٣] الملك ١، ٢.

المميت محاسب:

لأن الموت يخلفه إحياء للبشر مرة ثانية ويكون هذا الإحياء بهدف الحساب، فالإنسان لم يُخْلق سدىً، ولن يهرب من الحساب لأنه ميت لا محالة والموت يحيط به أينما كان، قال تعالى: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [١٧٤]، والحساب عادلٌ يوم القيامة لا ظلم فيه ولا جور، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آَيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ}[١٧٥]، وهذا الحساب شامل لكل العباد في كل الأزمان والأماكن، وهذا أكبر دليل على أن الموت أيضاً شاملٌ لكل مخلوقات الله تعالى.

فعلى خليفة الله أن يكون محاسباً في الدنيا نفسه، قبل أن يأتي يوم لا ينفع الندم وليس فيه رجوع عما اقترف الإنسان من ذنوب في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}[١٧٦].

والله تعالى مميت للبشر والأقوام لأخذ العبر لمن يأتي بعدهم في الحياة، فلم يجعل الحياة مرحلة واحدة ولا سنوات معدودة لكل البشر، بل جعلها مراحل وسنون متلاحقة، يأتي أناس وترحل أناس كي يأخذوا من تلاحق بعضهم البعض في الحياة ومصيرهم عبرة وموعظة، كما جاء في قوله تعالى: {وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا

---

[١٧٤] النساء، ٧٨.

[١٧٥] سبأ ١ . ٥ .

[١٧٦] السجدة ١٢.

فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[١٧٧]، أين ذهبوا من كانوا؟ ذهبوا إلى حيث مستقرهم ومصيرهم عند خالقهم ينتظرون يوماً عظيما أمره بيده تعالى، هذا المستقر الذي هو جامعٌ لكل ما خلق الخالق.

والموت هو سكون الحركة وانعدام الحياة، لكننا نجد أن هناك تعدد لأشكال الموت في الطبيعة والخلق، ومن هنا نجد أن هناك أنواعاً للموت تزول الحياة فيه إما مؤقتاً أو بنسبةٍ ما أو يكون الموت معنوياً لا مادياً مثل:

أولاً: موت الطبيعة بالتلوث:

الطبيعة تشبه الإنسان فهي كائن حي، تتنفس وتنمو وتتحرك وبما أنها حية فإنها قابلة للموت والانتهاء، فأسباب حياتها أولاً بيد المحيي لها، لأنها لا تحيا ولا تنمو إلا بالماء الذي يحييها كما يحيا الإنسان والحيوان، ولا تسر الناظرين إلا بالطهارة التي تجعلها على نظافة تامة فسحة وسياحة للذين يرثون الأرض ويستخلفون فيها وهم مصلحون. قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[١٧٨]، فحياة الأرض يبثها الخالق فيها، ويمنع عنها هذه الحياة بمنعه لأسبابها، أي بأن يمسك عنها المطر فيكون نصيبها من الجفاف المؤدي لموتها، وبما أن الإنسان عليه أن يكون خليفة الخالق في الأرض فيدخل ضمن واجباته المحافظة على إبقاء هذه الأرض تتنفس وتحيا، بإصلاحها وإعمارها والاهتمام بها، فيكون الخليفة بذلك مميتا للموت الذي يصيبها بسبب الإهمال ويكون متصفا بصفة من صفات الله حقا، وهذا الإصلاح يكون بزراعتها وريها، وبمحبته لها ولمن عليها، لكننا اليوم نقف على أطلال مساحات كبيرة من هذه الأرض المدمرة نتيجة الحروب والصراعات البشرية، ومن الممكن للإنسان إذا تجرد من الماديات أن يشم رائحة الموت في ذرات التراب اليابسة، وأن يقرأه على بقايا أوراق الأشجار المحترقة، فأين من تحمل أمانة الحفاظ عليها؟ وكيف سيعيد الحياة لها؟

ثانياً: موت العقل بالجهل:

---

[١٧٧] الحج ٤٣ . ٤٦ .

[١٧٨] الأنبياء، ٣٠.

إن إحياء العقل بالمعرفة والعلوم من شأنه أن يصل بصاحبه إلى الحقيقة مع الأدلة للإثبات، فلو لم يكن هذا العقل هبة لما رفع الخالق التكاليف عمن تنقصهم نعمة العقل، فالمجنون مثلاً رفع الله العتب عنه فلا يُعاقب ولا يُحاسب، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ"[١٧٩] بعكس أصحاب العقول الصحيحة الذين وهبهم المولى هذه النعمة للتمييز والتفكير والتحليل وبالتالي للوصول إلى الحق، فلا حجة لهم في سلك طرق الضلال واتباع خطوات الشيطان، وليس أدل على هذا من قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما أدرك بعقله البشري الذي ظل يبحث عن إله لهذا الكون دائم الحياة لا يموت وهو عظيم وكريم، قال تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[١٨٠]، فعقله قد هداه بالتفكير والتحليل إلى البحث والوصول إلى الحقيقة.

ثالثاً: موت المشاعر الإنسانية:

الإنسان خليط من مشاعر وأحاسيس تكوّن شخصيته، وهذه المشاعر تتغير تبعاً لعدة عوامل منها ما يتعلق بالتربية وبالمجتمع والدين، ومن هذه المشاعر:

موت الأمان بالخوف:

فالشعور بالخوف يسيطر على الإنسان الفاقد لمعنى الأمان في حياته، هذا الأمان الذي توفره عدة عوامل مثل الأسرة المترابطة المستقيمة، والمعروف أن أغلب الأشخاص الذين يعانون من الشعور الزائد من الخوف لا يحييون داخل أسرة متكاملة بل أغلبهم يعانون من طلاق الوالدين أو مشاكل نفسية لأحدهما، لذلك راعى ديننا الإسلامي ودعا إلى أن تكون الأسرة المسلمة

---

[١٧٩] سنن أبي داود، ج ١١، ص٤٨١.

[١٨٠] الأنعام، ٧٦ . ٧٩ .

مثالاً للاستقامة. فالخليفة الحق لا بد أن يكون محييا للعلاقات الأسرية الصحيحة ومحافظا عليها من أجل إماتة الخوف والقلق في نفوس أبنائه وإنشاء أسرة سليمة كريمة مؤمنة بالله مطيعة لأوامره باعتبارها اللبنة الأولى لأعمار الكون.

وأيضاً مثل اعتناق الدين، فالدين له أثر بالغ في توفير الأمان في القلوب، قال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[١٨١]، إذن مجرد التفكير بأن الله واحد وهو المالك والقادر على كل شيء يشعرنا بالأمان، وأساس الإيمان زرع الثقة والأمان في نفوس المؤمنين ليصنع منهم أبطالا وقادة، فلا يمكن المراهنة على ضعاف النفوس في الأزمات.

ولأن الثقة بيت الأمان لذا فهي قيمة معيارية، تستوجب معطيات موضوعية ومنطقية، فمن يكن مَحَلاً لها ينلها، ومن لا يكن سيكن محلا للظنون التي في مقابلها تسود الخيانة والتآمر بدلا من الآمان. وعليه كلما سادت الثقة بين الناس سادت الطمأنينة، وكلما انعدمت سادت المخاوف. ولا سبيل لغرس الثقة إلا بتأكيد الكرامة، والكرامة هي: تأصل القيم والفضائل في الأقوال والأفعال والسلوكيات البشرية، التي تربي عليها الشخصية حقائق ثابتة وبها تنال الاحترام والتقدير من الذين ساهموا في غرسها أو أنهم في حالة تماثل قيمي مع من تُكوِّن كبريائهم.

وهي قيمة ذاتية تأصيلية تربط الإنسان بالتاريخ، والفضائل الاجتماعية التي تجعل من الفرد أمة بحالها، أو وطنا بكامله، أو دينا شموليا. ولهذا يصبح الشرف والوطن والأمة والدين من المكونات الرئيسة لذات الفرد. الذي يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها. ولذلك هل يمكن أن يكون للإنسان كرامة إذا حُرِمَ من ممارسة حقوقه وتأدية واجباته وحمْل مسؤولياته بإرادة؟. بالتأكيد لا. ولهذا تعد الكرامة قيمة رئيسة لممارسة الحرية. ولذا لا ينبغي أن يغفل الخليفة عن تفطين الناس إلى أهمية القيم التي تجعلهم ينالون رضا الله عليهم.

---

[١٨١] الرعد ٢٨ .

وعليه عندما يشك الرئيس في شعبه، فأين يا ترى سيجد الثقة؟ وعندما يشك الشعب في رئيسه فهل يمكن أن ينام الرئيس هانئا؟ وإذا ما ساد هذا الشعور والإحساس بين الشعب والحكومة، فهل يمكن أن يجد الإخلاص محلا له في البلد أو الإقليم أو القطر؟.

والمؤمن دائما في حالة ابتلاء واختبار، وهذا الأمان يموت بموت المسبب أو ضعفه، وإذا لاحظنا لوجدنا أن أكثر الناس خوفاً من الموت وحرصاً على الحياة هم المفسدون فيها وسافكي الدماء بغير حق، لأن الحياة في نظرهم هي الابتعاد عن الموت، والموت يمثل لهم النهاية الأخيرة، أما الخلفاء فهم يستشعرون الأمان بالقرب من المميت، لإيمانهم بأن طاعتهم له تنجيهم من سخطه وعذابه بل تجلب لهم رضاه ونعيمه فيموت بذلك شعور الخوف في نفوسهم ويحل محله الشعور بالأمن والطمأنينة.

رابعا: موت الأمل باليأس:

بالأمل نشق سبل الحياة، هذا الأمل الذي يحيي الحياة في نفوسنا، وبموته تموت كل معاني الحياة في نفس الإنسان، فلولا إحياء الأمل في النفوس لما سعى الفقير لسعة الرزق، وما انتظر العليل الشفاء، وما تاب المذنب لله تعالى أملاً في قبول توبته ومغفرة ذنوبه، والمميت هو الذي يميت اليأس في نفوس المؤمنين، ويحيي الأمل مكانه، فقد تسلح أوائل المسلمين بهذا الدرع الواقي من اليأس فانتصروا رغم قلتهم، وانتشروا رغم كثرة أعدائهم، ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أفضل مثال نحتذي به، فسيرة حياته كانت ميلاداً للأمل بنصر الله مرة تلو الأخرى هزم به الكفار ودانت له الأرض، ولولا فسحة الأمل في النفوس لتمكن اليأس منا فقتلنا في الحياة.

خامسا: موت الوقت باللهو:

إن لم يكن الوقت ذو أهمية في نظر الإنسان فتأكد أنه ميت، لأن الحياة تفرض علينا الاهتمام بالوقت، لأنه إذا ضاع منا استحال رجوعه، فالثواني تتسارع ماضية لا تعود، والأيام تتسرب من عمرنا بشكلٍ مستمر، ولا سبيل لعودتها، والغريب أنه بالرغم من أهمية الزمن إلا أن الكثير من البشر يتعمدون قتله باللعب والتلهي، فلا يتلفتون لما فاتهم من زمن أضاعوه وضاعوا معه،

قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}[١٨٢] فاللهو دائما فعل يترتب عليه فعل الندم الذي في بعض الأحيان يؤدي إلى أنفصال الشخصية وأحيانا إلى الانتحار هروبا من الأمر الذي فاته وقت التعويض. فالحياة دون قيم وأهداف ومبادئ تموت وتفنى وتضيع سدىً، قال تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}[١٨٣]

خليفة الله هو الذي يميت كل أنواع اللعب واللهو بإحياء الوقت فيما ينفعه من ذكر الله تعالى، والعمل الصالح.

سادسا: موت الحرية بالاستعباد:

لكلٍ منا مساحته الخاصة من التفكير والتصرف وهذه هي حريته دون أن يتخطى مساحة غيره، فالله خلق الإنسان حراً وطلب منه المحافظة على حريته وحرية الآخرين بجميع أنواعها من حرية التعبير والتفكير إلى حرية التصرف، إذن الإسلام يُؤَكِد على حرية الإنسان في ماله ونفسه وعرضه بصيانة كلٍ منها وعدم التعرض لها بل أقر حرية التفكير أيضا، حتى أنه دعا

[١٨٢] الفرقان، ٢١ . ٣٢.

[١٨٣] الفرقان، ٢٥ . ٢٩.

لحرية الأديان طالما أن الدعوة للإسلام قائمة فالإنسان لا يجب أن يُكره على اعتناق الإسلام، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [١٨٤]، وقد كانت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام للإسلام دعوة سلام ومحبة لا إجبار ولا تسلط فيها. وقد ترك الخالق حرية التحليق في الفكر لكل إنسان فقيراً كان أم غنياً رجلاً أم امرأة بعد أن أظهر الحقائق وأوضح الحق من الباطل، وقد خلق الله هذا الكون حراً لا يحق لأحد سلب آخر أي شيء يخصه، وطلب من الإنسان الدفاع عنها بكل شيء يملكه بالنفس والمال والقلم، سواء كان ديناً، كأمره تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا}[١٨٥]، أو أرضاً أو عرضاً أو فكراً.

وممارسة الحرية في الفكر الإسلامي كانت تمارس وفقا لفلسفة الشورى، والتي تعني فيما تعني: أخذ الرأي بعد تبيان الأمر واستيضاحه مصداقا لقوله تعالى: {وشاوِرْهم في الأمر}[١٨٦] ويقول أبن منظور: "شاورهم تعني استخرج آراءهم"[١٨٧] أما الشيخ الشعراوي فيقول: "فالمشورة هي تلقيح الرأي بآراء متعددة"[١٨٨]. وهذا يدل على أن الشورى في الفكر الإسلامي تماثل الديمقراطية عندما تكون ممارستها حقا للجميع الذكور والإناث، ولذلك يستوجب ممارسة الشورى في الأمر. والأمر هو، كل ما يتعلق بالإنسان من حقوق وواجبات ومسؤوليات، سواء كان هذا الأمر سياسة داخلية أم خارجية، أو كان هذا الأمر في حالة السلم أو في حالة الحرب، وسواء كان اقتصادا أو علاقات اجتماعية، ولذلك في الآية السابقة يخاطب الله عزّ وجلّ رسوله الكريم ويلزمه بالمشاورة في الأمر، أي وكأنه يقول، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي أن تقرر أي شيء يتعلق بالناس نيابة عنهم، بل ما يتعلق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى

---

[١٨٤] البقرة، ٢٥٦ .

[١٨٥] النساء، ٨٤

[١٨٦] آل عمران، ، ١٥٩ .

[١٨٧] تفسير الجلالين ، ص ٩٤ .

[١٨٨] . محمد متولي شعراوي ، تفسير الشعراوي . القاهرة ، أخبار اليوم ، ج ٣، ص ١٨٤٠ .

معهم، ولذلك كانت الآية (وشاورهم في الأمر) موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبين له أهمية المشاورة في الأمر مع الذين يتعلق الأمر بهم.

وفي حالة ما لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام معهم يصبح الأمر بينهم شورى مصداقا لقوله تعالى: {وأمْرُهُم شُورى بينهم}[١٨٩]. إذن بكل وضوح إن الأمر الذي يتعلق بالناس في فترة الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حالة شورى بين الرسول والآخرين الذين يتعلق الأمر بهم. أما من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلق بهم شورى يقررون ما يشاءون فيه، وينفذونه كما يشاءون في غير معصية الله جل جلاله، ولهذا لا ينبغي أن يتقدم أحد لينوب عن الناس فيما يتعلق بهم من أمر.

وكلمة أمرُهُم: تتكون من جزأين هما: (أمْرُ) ، و(هُم) ، فالأمر هو ما سبق تبيانه، أما هم فجاءت مطلقة أي كل من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، وهذا يعني لا وجود في الممارسة الديمقراطية بالمفهوم الفكري الإسلامي لأقلية وأغلبية ، بل الوجود فقط للكل دون استثناء، وكلمة (بينهم) الظرفية تعني، أن تقتصر الشورى في الأمر على الذين يعنيهم الأمر فقط، ولا مكان لغير ذلك في المشورة، ولتأكيد هذا الاقتصار قال عزّ وجل بينهم ، ولم يقل بين الحاكم والمحكومين، أو بين السادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول.

وقد يتساءل البعض: إذا كان الأمر هكذا حاله، فإن الديمقراطية إذن مطبقة في المجتمعات الإسلامية، أليس كذلك؟. وللأسف الإجابة بأجل، وذلك لأن الفكر الإسلامي في الشرق والتطبيق الإسلامي في الغرب (أعني وللأسف في اتجاهين مختلفين)، ولذا تمارس الديمقراطية في ظل الأحزاب والنواب والبرلمانات والطوائف والعشائر والقبائل المتعصبة لرؤاها وغير متفاعلة مع رؤى الآخرين من بني جنسهم وبلدهم أو وطنهم.

وعبر التاريخ كانت هناك محاولات فكرية لممارسة الديمقراطية من الناحية النظرية ، وهناك من الناحية العملية والتطبيقية ما يخالف ذلك بالتمام، حتى أصبح المعنى السائد للديمقراطية التي تعد أسلوبا حديثا لممارسة الحرية هو حكم الأغلبية، مع العلم أن هذا التفسير ليس له علاقة

---

[١٨٩] . الشورى ، ٣٨ .

بمعنـي الديمقراطيـة ودلائلها اللفظيـة، ولـذا أصـبح التهـرب عـن دلائلها بتعويضـات منقوصـة، فالديمقراطية هي واحدة لا تتجزأ، إذن من أين جاءت دلائل الديمقراطية السياسية التي تعني أن كل شيء بالشعب؟ وكذلك من أين جاءت دلائل الديمقراطية الاجتماعية التي تعني أن كل شيء للشعب؟.

جاءت في اعتقادنا لغياب رقابة الشعب على نفسه. وقد يتساءل البعض: عما هو الشيء الذي غيب هذه الرقابة؟. الذي غيّبها هو رقابة الشعب على الحكومة. ولهذه المبررات أصبحت الديمقراطية هي التعبير الشعبي. وإذا قال أحد نعم، ليس هناك ما هو أفضل من أن تكون الديمقراطية هي التعبير الشعبي. بالتأكيد سيتكون إجابتنا عليه بأن الديمقراطية هي: الحكم الشعبي وليست التعبير الشعبي، وحكم الشعب لا يتأتى إلا بالشورى التي أبوابها مفتوحة للجميع الذين يتعلق الأمر بهم وبأحوالهم وهمومهم ومستقبلهم.

وبناء على ما تقدم عرفنا أن الديمقراطية واحدة لا تتجزأ ولا تتنوع ، وأن كل المسميات التي حاول البعض إلصاقها بها ليست هي المعبر عنها، بقدر ما هي مسميات لبعض الأساليب التي تظهر بين الحين والأخر في أماكن مختلفة ومدى قربها أو بعدها عما تعنيه من دلالة ومعنى. ولذا لا يمكن أن تكون الديمقراطية متطورة، بل الذي يمكن أن يكون في أي وقت من الأوقات هو أن تطبق الديمقراطية بما تعنيه الكلمة، وحينها يعرف الجميع أنه لا جديد يذكر في فلسفة الديمقراطية سوى التطبيق، وهذا لا يعني تطوّر في الديمقراطية بقدر ما يعني زيادة وعي الناس بأهميتها، وعلى خليفة الله بالإضافة أن يحافظ على إحياء حريته وحرية الآخرين التي تتمثل في الآتي:

أ-حق حماية الحياة: فلكل إنسان نصيب وحق في هذه الحياة التي لا يحق لأحد التعدي على حياة الآخر، فبذلك يحفظ حياته وحياة الغير، قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} [١٩٠] .

ب–حق صيانة الأموال والممتلكات: فالأموال والممتلكات تدخل ضمن الأشياء المعصومة فلا يحل لأي كان وبأي سبب من الأسباب الاعتداء على هذه الحرية، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}[١٩١].

ج–حق التجول في هذه الدنيا: فلا يجوز لأي جهة أن تمنع إنسان ما من التنقل على هذه الأرض، ولا يجوز نفي أو إبعاد أي شخص بالإكراه إلى مكان لا يرغبه، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ}[١٩٢]

فبهذه الحقوق يستطيع الإنسان أن يبدع وينطلق ليكون خليفة الله في الأرض، فيرتقي وترتقي معه الحياة.

سادساً: موت الصلة بالله بالكفر: الخروج عن طاعة الله وجحود نعمته والإشراك به موتٌ لصلة الإنسان بخالقه، فالكافر لا يكلمه الله ولا يسمع دعاءه، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ

---

[١٩٠] المائدة، ٣٢.

[١٩١١٩١] النساء، ٢٩ ، ٣٠.

[١٩٢] البقرة، ٨٤ . ٨٦.

بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[١٩٣].

سابعاً: موت الحياء بالتجرد من الأخلاق:

الحياء أصل الأخلاق وبدونه يصبح الإنسان متجرداً من الإحساس، فالحياء لا بد أن يبدأ من الله، لأن من استحى من الله نأى عن فعل السوء، والذي يملؤه الشعور بالحياء أمام الله تموت فيه كل أنواع الفواحش والفساد، لأنه يعلم أنه أمام الخالق العظيم، والحياء أيضاً يكون من الذات، فلا يجب أن يرضى الإنسان لنفسه إلا معالي الأخلاق وأنبلها، والحياء يكون أمام الغير من أهل وأقارب.

الأخلاقية تُستمد من الإطار المرجعي (الدين أو العرف) وهي قيم تضبط القول والفعل والسلوك، ولها صفة الثبات النسبي الرصين، بها تُثمّن جهود الأفراد والجماعات بما يُرضي المجتمع الذي يمدها بالاستحسان والقبول والرضا. وبها وإليها يُحتكم من ينضوون تحت لوائها. إنها الفضائل المقدّرة بمرضيات المجتمع، مما يجعل المتخلين عن التمسك بها في حالة انحراف بالمنظور الاجتماعي والإنساني العام، وهي الشيء الثمين الصانع للخصوصية والهوية الاجتماعية والإنسانية والمستمد من التاريخ والمُتمكِّن من نيل التقدير والاحترام في كل أمة.

فمن القيم تُستمد المبادئ التي تُسهم في تنظيم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتمدهم بالثقة تجاه ما يلتزمون به من أدبيات المجتمع وأخلاقياته وهي التي تُكوِّن كبريائهم وتحثهم على التماسك والوحدة والألفة والتعاون على كل ما من شأنه أن يحقق لهم الرضا النفسي والاطمئنان الاجتماعي والتآلف الإنساني.

وفي هذا العصر أصبح للقيم تصانيف مقننة، لفرز أبعادها وما تتركه من آثار تفضيلية على الفعل والسلوك. هذه التصانيف تُبرمِج العلاقات القيمية وفقا للمعايير المحددة لكل قيمة وهذه المعايير تتراتب على السلم القياسي للتصنيف الذي به تحدد مستويات الثقة والدلالة إحصائيا

[١٩٣] آل عمران، ٧٧.

لكل علاقة قيمية، وحسب كل مجال من المجالات التي تمتد القيم من خلالها بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

والقيمة كدلالة ومعنى عندما تتوحد في الشخصية تضفي عليها الهيبة التي تجعل الآخرين يميلون إلى الاقتداء بها، وكذلك عندما تكون القيمة هي المضمون الذي يتمركز عليه الخطاب أو النص أو الموضوع تشد المستمعين والقراء إليها، وعندما تفقد المواضيع قيمها ينفصل الناس عنها وتوصف بالطاردة.

وعليه أتساءل: متى يكون الموت مطلباً؟.

١ . عندما تطغى المحبة على كل المشاعر الأخرى في النفس البشرية، فتحيي فضيلة الإيثار، وهنا يفرض موقف على بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه عندما رقد في فراش الرسول – صلى الله عليه وسلم– مضحياً بنفسه في سبيل الله ورسوله ، مميتاً لشعور حب الذات والدنيا، وأيضاً يحضرنا هنا مبايعة الصحابة للرسول – صلى الله عليه وسلم– على الموت، عَنْ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ أَلَا تُبَايِعُ قَالَ قُلْتُ قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَيْضًا فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ"[١٩٤].

٢ . عندما تهون الحياة الدنيا وتصغر في أعين وقلوب تحمل إيماناً كبيراً، ونفوس تتوق للقاء المولى حباً وطاعة، فيكون الموت عندهم مطلباً ورغبة، أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[١٩٥].

---

[١٩٤] صحيح البخاري ، ج ١٩، ص١١٨.

[١٩٥] النساء، ٧٤.

فعلى خليفة الله بالإضافة أن يميت الصراع من أجل الدنيا، قال سبحانه تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [١٩٦]، لأن الصراع والقتال من أجل الحياة الدنيا إنما هو مميت للسعي بالفوز بالآخرة.

وبما أن الله تعالى هو المحيي والمميت، وهو باعث الروح فينا أمانة يستردها وقتما يشاء، فلا يحق لأحد أن يتصرف في هذه الأمانة، غير أننا نجد من يجهل ذلك من ضعاف النفوس الذين تغلبهم الحياة الدنيا وهم على عدة وجوه، فمنهم من نجدهم فارين من هموم الدنيا وأثقالها، يظنون أن الموت خلاص لهم من ذلك، وهو مكان للراحة والهدوء، فيقدمون على الانتحار هرباً مما يحيط بهم من أزمات وهموم، فيضيفوا إلى حياتهم هما في مماتهم بذنوب الانتحار.

ومنهم من يقتلون أولادهم مخافة الفقر والحاجة، قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}[١٩٧]، ووأد البنات قديماً مخافة العار، قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[١٩٨].

وقد خلق الله تعالى الطبيعة فيها أيضاً الحياة والموت لبعضها البعض:

أ-إماتة الشمس للبرد:

الطبيعة مزيج عجيب تتجلى فيها قدرة الخالق على الإحياء والموت، فنجد أن في إحياء بعض الظواهر إماتة لغيرها، كشروق الشمس التي تميت برودة الليل، فلا تحيا أحداها مع الأخرى.

ب-إماتة الحرارة والبرد للجراثيم للحفاظ على موازين الطبيعة، لأن الطبيعة لها قوانين وسنن تسير عليها، وضعها الخالق عند إحيائه للمخلوقات جميعاً، ومنها الجراثيم والفيروسات المتناهية في الضآلة، والتي لا نستطيع رؤيتها بالعين المجردة لكنها تملأ الكون، فجعل الله في حرارة الشمس موت وفناء لها، فهي سريعة التكاثر والانتشار.

وفي الإيمان بالله المميت العديد من الثمرات:

---

[١٩٦] الأنفال ٤٦ .

[١٩٧] الإسراء، ٣١.

[١٩٨] التكوير ٨ ، ٩ .

١ . في الإيمان بالمميت إماتة للجبن في النفس البشرية:

إذا تمكن الإيمان من قلب الإنسان كان درعاً قوياً لا يصدأ ضد الجبن والحرص على الدنيا وما فيها، فلا يمكن أن يقف المؤمن موقف الجبناء في وقت يتطلب الشجاعة والإقدام، هذا الموقف الذي لا يرضاه إلا المنافق عندما يتولى ويفر حيث يكون الإقدام واجباً: كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٩٩].

والجبن يموت بالإيمان بأن الموت بيد الله وحده لا يقرره سواه، فلا ملك ولا سلطان ولا حاكم بيده أمر الموت بل أمر إماتتهم جميعاً بيده عز وجل، وهذا من شأنه أن يميت الجبن، فلا يستطيع إي مخلوق أن يمنع إنسانا من النطق بكلمة الحق، لأنه لن يخشى إلا من أحياه ومن هو مميته، فحياته وروحه بيد الخالق لها، بذلك لن يهاب سوى الله، ولن يهمه أيٌ من البشر مهما علا مكانه ومنزلته، مادام هو على الحق، أما الذين يخشون بعض الناس أكثر من خشيتهم من الله فهم على ضلال من الأمر، كأن يخشى الإنسان رئيسه في العمل لدرجة أنه قد يغضب الله في مسألة ما إذا طلب منه رئيسه القيام بها، خوفاً من أن يصرفه من العمل، وكأن الرزق بيده والقدر كذلك! وأيضاً نجد بعضاً من الناس يفرون من أرض القتال خوفاً ورهبة من الموت، وعندما يكون القتال الحق يكون الفرار جريمة وظلال، فالذين يقتلون في سبيل الله هم دائما أحياء عند الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ

[١٩٩] آل عمران، ١٦٦ . ١٨٦.

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[٢٠٠]، ألم يعلموا أن المميت هو الله عز وجل؟ قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا}[٢٠١]، هؤلاء يميتون الشجاعة بالجبن داخل أنفسهم ،على عكس من وهب حياته وكل ما يملك بشجاعة في سبيل الله تعالى، وليس أدل على ذلك من موقف المسلمين في غزوة بدر، إذ تكاثر الكفار عليهم وزادت عدتهم، وبالرغم من ذلك أماتوا الخوف والجبن في نفوسهم بالإيمان بأن النصر من عند الله، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}[٢٠٢]، وهناك نوع آخر من الشجاعة التي تميت الجبن، وهي شجاعة الإنسان في مواجهة نفسه ومحاسبتها وعدم الهروب منها، فبعض الناس نجدهم يبحثون عن ركن بعيد يختبئون فيه بمبررات غير موضوعية، فمثل هؤلاء هم الذين لا يستطيعوا المواجهة ولا يتخذون قرارا يمكن أن يسهم في صناعة المستقبل.

٢ . هوان الحياة الدنيا:

الحياة الدنيا ليست عزيزة إلا على من اغترب قلبه عن الله فأضاعه الله تعالى، لكنها هينة ورخيصة على من اشتروا حب المولى فاختاروا قربه في الآخرة، فلم تكن الدنيا كل همهم وأدركوا في اسم المميت معنى فناء هذه الحياة وقصر الرحلة عليها فهانت في أعينهم وفي قلوبهم من أجل أن يكونوا في الجنة من الوارثين، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

---

[٢٠٠] آل عمران، ، ٦٩ . ٧٢.

[٢٠١] النساء، ٧٧.

[٢٠٢] آل عمران، ١٢٣ . ١٢٨.

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[٢٠٣]، وأيضاً قال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}، فمن كان يسعى للفوز بالآخرة ترك الدنيا لمن اشتراها من الجاهلين والعصاة، الذين خسروا خسرانا كبيرا، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٢٠٤]، قال تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآَخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآَخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[٢٠٥].

والخليفة هو من تظهر في سلوكه مدركات للاسم المميت جل جلاله، فلا ينغمس في هذه الدنيا لاهثاً وراء جمع المال وكأنه يعلم أنها ملكه وأنه غير تارك لما جمعه، بل تميزه بحبه للإنفاق كما أمره تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٢٠٦].

ولأن الله جعل في الأرض خليفة ممن خلقهم في أحسن تقويم، فبدون شك جعل لهم فيها نصيب طيب، وحق كريم فلا ينبغي لهم تركه، بل عليهم بأخذه منها، ولا ينسوا ذلك أبدا، لكن لا يجعلوا ذلك مبلغ همهم، فهم الوارثون في الدارين لذا لا ينبغي أن تكون الحياة الدنيا على حساب الحياة العليا في الآخرة الكريمة بالجنة. قال تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ

---

[٢٠٣] التوبة ٢٠.

[٢٠٤] البقرة، ٢١٢.

[٢٠٥] النحل ١٠٥ . ١٠٩.

[٢٠٦٢٠٦] البقرة، ٢٦١، ٢٦٢.

وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[٢٠٧].

إذن اسم المميت يحمل في طياته للعاقل المفكر الخليفة في الأرض استرخاص وهوان الحياة الدنيا، فلا يشتري بها الآخرة فيكون من الخاسرين، بل إنه يشتري الآخرة بهذه الدنيا فيكون من الفائزين، ولا يمكن أن تشترى الآخرة إلا بالعمل الصالح في الدار الدنيا، فمن فاتته فرصة أخذ النصيب من الدنيا ومن لم يأخذه خسر الدنيا والآخرة.

النصيب في الدنيا يتم بأخذ الحقوق التي كتبها الله للعباد في الكتاب دون تفرقة، وأداء الواجبات من رعاية الأبناء وصون العرض والشرف، والذود عن الدين والوطن، ورعاية الوالدين وطاعتهما في غير معصية الله تعالى، والالتزام بما أمر والانتهاء عما نهى عنه عز وجل، من إحقاق الحق إلى إزهاق الباطل دون رأفة. وحمل المسؤوليات في سبيل ما أمر وما نهى وما أوجب وما فرض وما شرع به.

٣ . الاستعانة بالله والثقة في قوته لقهر الظالمين والطغاة، لأن في معنى المميت أن الموت سيطول كل جبَّار وكل طاغٍ وكل عنيد، فلن يمتد العمر بهم للأبد وهذا من شأنه تدعيم الثقة بالله وبأنه المعين على رد الحقوق والانتقام من المتجبرين، فاليقين بموت هؤلاء هو يقين بقدرة الله عليهم فمهما تجبر وطغى فإن الموت يغلبه ويقهره، الكل منتهون من هذه الدار وراحلون إلى الدار الأخرى التي فيها الجنة للصالحين والمصلحين وفيها النار للكفرة والمفسدين.

المميت للحركة بالسكون:

الحركة حياة مؤقتة في الدار الدنيا وباقية مع الباقين في الدار الآخرة، والسكون مؤقت إلى أن تنفخ الروح فيه فيمتد بالحركة حتى يصبح جزاء منها، ولذا لا سكون بالمطلق في الدار الدنيا، حتى الأموات هم في حالة حركة مع حركة الأرض، فالأرض تتحرك بما فيها وما عليها ولهذا كل سكون على ظهر الأرض هو في حالة حركة مع الحركة العامة بالرغم من سكونه على ظهرها أو في باطنها. والموت نقيض الحياة تماماً، فإذا وُجِد إحداها انتفت الأخرى فلا

[٢٠٧] الق، صص، ٧٧.

يجتمعان، وفي الدار الدنيا تعد الحركة دليل الحياة والسكون دليل الموت، فالرياح تموت إذا سكنت، والإنسان يموت في نومه، قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٢٠٨] والأرض تموت بالجفاف، فتسكن حركة الأوراق وحياة الأغصان والجذور.

المميت للمتوقع بالممكن:

هنالك بعض الظواهر التي يستحيل وقوعها في التصور البشري، لكن الخالق يحولها إلى ظاهرة ممكنة الحدوث كبرهان أو دليل لقدرته وعظمته، كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام حين ألقوه في النار لإحراقه، عقاباً له لما فعله بآلهتم، كما جاء في قوله تعالى: {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}[٢٠٩]، فقد كان الكفار متوقعين إحراق النار لجسد سيدنا إبراهيم، فأمات الله شعورهم المتوقع هذا بأنه جعل النار بأمره برداً وسلاماً على إبراهيم وهذا أمر مستحيل وقوعه في الأوضاع الطبيعية.

المميت للعناد والكفر بالحجة:

المحاجّة جدل وبرهنة تستند على المنطق وكشف الحقائق، ولذا لا يدحض الحُجّة إلا الحُجّة (لا يبطل الحُجَّة إلا الحُجَّة) ونتيجة المحاجّة هو بلوغ الأحكام الموضوعية بعد كشف الزيف وتحييده، واثبات الحق والعمل به أو التمسك به.

---

[٢٠٨] الزمر ٤٢ .

[٢٠٩] الأنبياء، ٥٩ . ٧٠.

التحليل والبرهنة بالمحاجة هو تحليل تقبُل ودحض، حُجَّة بحُجَّة، وسبب بسبب، وهذا النوع من التحليل، يؤدى إلى التغير، والتغيير. تغيير موقف بموقف، وفكرة بفكرة، أما إذا اقتصر التحليل على العناد نتيجة أفكار أو أحكام مسبقة، فإن نتائج التحليل لا تؤدي إلى أهداف علمية وموضوعية، وتضعف الحُجَّة عندما تكون مبنية على عناد ليس إلا، ولهذا فالحُجَّة التي تُطرح للنقاش والجدل دون تعصب، لا تشكل عبئا على المدافعين عنها، من خلال تقديمهم البراهين التي تؤيدها، وتقبُّل الآراء التي تعارض تأييدهم لها، وذلك من أجل المحاجَّة العلمية.

إن التحليل بالمحاجة بين الأطراف المتجادلة أو المتحاورة والمتفاوضة، قد يؤدي إلى انسحاب ضعيف الحُجَّة من ميادين النقاش، وقد يؤدي إلى انسحاب قوي الحجة أيضا، نتيجة تحامل الطرف الآخر عليها أو على صاحبها، ما يجعل التفاوض أو النقاش في حالة خروج عن صوابه، فيترتب على ذلك انسحاب أحد الأطراف، وقد يكون المنسحب صاحب الحُجَّة الصادقة، مما يفسح المجال لضعيف الحجة، بأن يستمر في عرض حُجَجِه الواهية، على من تبقى من الذين لا حُجَجَ لهم، أو الذين تم استغفالهم بغير حق، ولهذا ينبغي أن يكون الحوار والجدال بالتي هي أحسن ولا أن تكون فيه سيادة إلا للحُجَّة بالمصادق.

وعليه لا يتمكن الإيمان من قلوبنا إلا بالحجة والبرهان، والحجة والبرهان يحتاجان للعقل المدبر والقلب السليم، وبما أن الإسلام يحترم العقل ويثيره للتفكير فلا يصل إلا بالقناعة فإن الله ضرب لنا العديد من البراهين والحجج للتفريق بين الحق والباطل، سواء في القدرة مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}[٢١٠]، وكذلك ضرب الأمثال للتمعن في نهاية الجبابرة والعصاة، كما جاء في قوله تعالى: {وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ

[٢١٠] الحج ٧٣، ٧٤.

كَـانُوا قَوْمًـا فَاسِـقِينَ فَلَمَّـا آسَـفُونَا انْتَقَمْنَـا مِـنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـاهُمْ أَجْمَعِـينَ فَجَعَلْنَـاهُمْ سَـلَفًا وَمَـثَلًا لِلْآخِرِينَ}[٢١١]، ونهاية الجاحد بنعم الله عليه كما جاء في قصة قارون، قال تعالى:{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[٢١٢].

وكذلك ضرب الأمثال للمقارنة بين الكفر والإيمان كما في قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ }[٢١٣]، وأيضاً قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ

---

[٢١١] الزخرف ٥١ . ٥٦ .

[٢١٢] القصص، ٧٦ . ٨٢.

[٢١٣] التحريم ١٠ . ١٢.

اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[٢١٤]، وكذلك قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٢١٥].

المميت للآثام والذنوب بالحدود والقصاص:

تولد الآثام وتكثر الذنوب في غياب الرادع وهو تطبيق الحدود الشرعية في معاقبة مرتكبيها، فنحن نلاحظ أن الكثير من المجتمعات الإسلامية تفتقد إلى الأمن والطمأنينة في حين أن الدين الإسلامي دعا إلى تكوين مجتمع ينعم بكل وسائل الأمان والحماية، بعيداً عن الظلم والافتراء بسن هذه الحدود، ولكن مع تغير الزمن أصبحت هناك قوانين دخلت على الشريعة من صنع البشر وطبعاً الموازين والقوانين الدنيوية تختلف عن موازين وقوانين الخالق فإن الفجوة بدأت تتسع في تطبيق الحدود الشرعية.

فالقصاص المفروض علينا تطبيقه من شأنه أن يميت في النفوس الإجرام والمعصية، بذلك يحفظ الحياة والسلامة للجميع {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٢١٦].

والحدود الشرعية والأحكام يميتان الفوضى واستغلال الأوضاع الضعيفة للبعض، وقد أوضح لنا القرآن الكريم كافة تلك الأوضاع والحدود المناسبة لها، مثل العلاقات الزوجية، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا

---

[٢١٤] إبراهيم، ٢٤ . ٢٧.

[٢١٥] النحل ٧٦.

[٢١٦] البقرة، ١٧٨، ١٧٩.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٢١٧].كذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}[٢١٨].

والأمر غير مقتصر على العلاقات الزوجية بل هي تشمل كل ما من شأنه تنظيم المجتمع الإسلامي وحفظ العلاقات والحقوق البشرية، قال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٢١٩].

المميت للمرض بالشفاء والصحة:

المرض موتٌ مؤقتٌ للصحة، فلا تحيا ولا تقوم إلا بزوال هذا المرض، والمرض قد يكون جسدياً أو معنوياً، فالشرك والنفاق والكفر أمراض لا صحة للروح والقلب في وجود أحدها، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}[٢٢٠]، هؤلاء مرضى بالاختيار لا ينظر إليهم الله ولا يرحمهم، فهم ليسوا كمن كتب عليهم الله نوعاً من الأمراض الجسدية أو أكثر، فهؤلاء يرفع عنهم الله الحرج ويرحمهم ، قال سبحانه تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا}[٢٢١].

المميت للفقر والحاجة بالعطاء وسعة الرزق:

---

[٢١٧] المجادلة ٣، ٤.

[٢١٨] الطلاق، ١.

[٢١٩] الحجرات ٩، ١٠.

[٢٢٠] التوبة ١٢٥.

[٢٢١] الفتح ١٧.

لا يمكن أن يحيا الفقر في مكان يحيا فيه الإنفاق والصدقات والعطاء، فالفقر بنوعيه يموت بالزكاة والصدقات والعطاء، ويموت بالعمل المنتج الذي يجعل الإنسان معتمدا على جهده لا معتمدا على الغير، مصداقا لقوله تعالى {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٢٢٢] الصدقات تحيي الرحمة والمحبة بين الناس المستخلفين فيها، ولهذا أساس الاستخلاف هو العمل لا الاتكال على الآخرين، ومن واجب الخليفة أن يحث ويحرض على العمل فالعمل رحمة للعباد، به تصان الأنفس من الضياع والعبودية التي كانت تتم في عصور الجاهلية حيث العبد يمتلك العبيد، ولذا فمن يحث على العمل قال معروفا وعمل معروفا لمن قال لهم ذلك أو حثهم عليه، قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[٢٢٣]، بشرط أن تكون خالصة لوجه الله تعالى، فلا تكن للمباهاة وإرضاء الغرور البشري، كما جاء في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} [٢٢٤]، بل تكون من يد ممدودة بالرحمة والحب ومن قلب مملوء بالرغبة في رضا المميت الذي هو مقابله يوم الحساب هؤلاء من تميت صدقتهم الفقر النفسي والمادي للفقراء، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٢٢٥]. وهناك الفقر المادي إي انعدام القدرة على توفير الاحتياجات الضرورية للحياة، وقد حدد الله مستحقيها في

---

[٢٢٢] التوبة ١٠٣ . ١٠٦.

[٢٢٣] البقرة، ٢٦٣.

[٢٢٤] النساء، ٣٨. ٤٠.

[٢٢٥] البقرة، ٢٧٤.

قولـه تعـالى: {إِنَّمَـا الصَّـدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَـاكِينِ وَالْعَـامِلِينَ عَلَيْهَـا وَالْمُؤَلَّفَـةِ قُلُـوبُهُمْ وَفِـي الرِّقَـابِ وَالْغَـارِمِينَ وَفِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَابْـنِ السَّـبِيلِ فَرِيضَـةً مِـنَ اللَّـهِ وَاللَّـهُ عَلِـيمٌ حَكِـيمٌ}[٢٢٦]، وكـذلك قولـه سـبحانه تعـالى: {يَسْـأَلُونَكَ مَـاذَا يُنْفِقُـونَ قُـلْ مَـا أَنْفَقْـتُمْ مِـنْ خَيْـرٍ فَلِلْوَالِـدَيْنِ وَالْأَقْـرَبِينَ وَالْيَتَـامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [٢٢٧] ، كذلك قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[٢٢٨].

فلا حياة لفقير في ظل حياة الكريم المعطاء، ولا شعور بالفقر في ظل قلوب مليئة بالرحمة والحنان فالموت يكون من نصيب الفقر في مجتمع يحيا فيه المنفقون والمتصدقون والمزكون الكرام زادهم الله من رزقه.

ولذلك قد أوجد الله هذا التباين في الرزق بين الناس فهو اختبار لمن سيحيي الصدقة ومن سيميتها، فالأول هو الغني وإن كان معتدل الحال والثاني هو الفقير وإن كان ميسور الحال.

فعلى خليفة الله أن يميت الفقر بالإنفاق والدعوة للإنفاق في سبيل الله، بذلك يميت الشح في النفوس، ومن شأن اسم المميت أن يجعل خليفة الله بالإضافة أن يميت مرض البخل في نفسه، لأنه ملاقٍ الله تعالى وما عنده مرجعه للخالق عز وجل.

المميت للضعف والوهن بالقوة:

ولأن ملكة التمييز قوة، فان تنميتها تجعلها في حالة فطنة، ولذا فان تنميتها تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن. ولهذا في ملكة التمييز الفطنة دائماً في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة، وتحقيق نجاحات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

---

[٢٢٦] التوبة ٦٠.

[٢٢٧] البقرة، ٢١٥.

[٢٢٨] البقرة، ٢٧٢، ٢٧٣.

وعليه فالقاعدة هي:

١ . ملكة التمييز قوة.

٢ . تنمية ملكة التمييز فطنة.

والاستثناء هو:

١ . ملكة التمييز ضعف.

٢ . عدم تنمية ملكة التمييز غفلة.

ولذا فإن تنمية ملكة التمييز يؤدي إلى الأتي:

. زيادة درجة الوعي والفطنة.

. التبيُّن عن ثقة.

. معرفة ما يجب والإقدام عليه.

. معرفة ما لا يجب والإحجام عنه.

. استبصار مكامن القوة ومكامن الضعف.

وتكمن قوة العقل في الطريقة التي يُفكر بها الإنسان، وفيما يفكر. وإذا ما تمكّن الخليفة من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها بني جنسه من حوله، وفيما يفكِّرون، واكتشف مكامن القوة والضعف فيهم، يستطيع أن يرشدهم إلى كيف يُفكرون بقوة فيما هو أصح وأصوب وأفيد وانفع.

إن عقل الإنسان، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية، ونقلها إلى الدماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ.

والخليفة ينبغي أن لا يقف عند حد السلوك والفعل المُشاهد والمُلاحظ، بل عليه أن يدرك مصدر هذا السلوك والفعل، وهو العقل وما يحويه من قوة هائلة. هذه القوة هي التي جعلت مجموع قوة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوة المجمّعة، وليس من حاصل القوة المتفردة.

وعليه: هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هذه القوة، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع)، ومن ثمَّ نجد المبررات

التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكا سلبيا، أو سلوكا إيجابيا، كما نتمكَّن من تصحيح مسارات بعض الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها إن لم تكن على الهداية التي يرتضيها الله تعالى، وبذلك نستطيع خلق نُقلة في عقله أو عقل الجماعة؛ أي في خلق النقلة في كيفية التفكير وفيما يُفكر، وبما يعود عليهم من منافع وفوائد قيميّة. وهذه الخطوات هي:

١- تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة، وكل معلومة أو فكرة تتحرك في مسارها الخاص، بما يُعطي ترابطا عصبيا بين المعلومة المختزنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان. فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه، كلما مر بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجينا تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة.

٢- في كل مرة يحدث فيها ترابط عصبي، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة، ويُسّجله في جهازه العصبي، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل. مثلاً: الفرد الذي قام بفعل السرقة وعوقب عن فعله، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هذا الفعل.

٣- أما الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأول مرة، ولم يقم بتكراره، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز على تكرار السلوك والفعل، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية.

لذا يأتي دور الخليفة المرشد للحق والصلاح والإصلاح، والذي يسعى إلى إحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافا سالباً، حيث عليه أن يدرك أن أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن، تحتاج إلى طريقة فعّالة لإحداث التغيير؛ ذلك لأنها كوّنت روابط عصبية قوية في العقل البشري، ما يجعل الضرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير.

عليه: الخليفة المربي للنشء والموجه إلى أفعال الخير في مرضاة الله عز وجل عليه بالعمل على غرس الثقة في نفوس بني جنسه قولا وعملا حتى يرشدهم إلى العمل النافع فيقول:

– قوي إرادتك.

. صحي نفسك من غفلتها.

. نمي قدراتك.

. هيئ استعداداتك.

. استثمر إمكاناتك.

. استرجع ماضيك وأخضعه للتقييم.

. استقرئ حاضرك وقارنه مع أهدافك.

. تطلّع لمستقبل أفضل.

. تحدى الحاضر وأقبل بتحدي الصعاب.

. اقدم على العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط.

الإنسان مقوَّم بحواسه، فبها يُميّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويُلاحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن .

ولذا فإن القاعدة هي:

قوة الحواس.

والاستثناء هو:

ضعف الحواس.

ولأن الحواس قوة؛ فهي تكمن في الآتي:

١– قوة البصر.

٢ . قوة البصيرة.

٣ – قوة الاستماع.

٤ . قوة الإنصات.

٥ . قوة الإحساس.

٦ – قوة الذوق.

٧ – قوة اللمس.

٨ – قوة الشم.

٩ – قوة الحاسة التامّة.

وبما أن الخليفة قوة ليس له علاقة بالضعف إلا إذا قورن بخالقه. إذن الذين يركنون إلى الضعف هم الذين اختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء. التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قويا. ولأن الأفراد والجماعات قوة مندمجة بوحدتهم، فهم بها قادرون على إحداث النقلة كلما تمكنوا من اكتشاف القوة فيهم.

الخليفة قوة هائلة، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل. يستمدها من القيمة التي قوَّمه الله بها. هذا التقويم هو الذي جعل من الخليفة قوة.

وبما أن الإنسان خُلِق في أحسن تقويم.

إذن هو مقوّم بما هو عليه من قوة.

ولهذا كل ما نراه قويا هو ضعيف أمام قوة الإنسان العقلية والحسية والذوقية. وأيضا مهما ننظر للإنسان بأنه قوة، فهو الضعيف أمام قوة خالقه. ولذا فإن كل شيء ممكن هو في دائرة النسبية، حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر، ويستقرئ ويستنبط، ويخطط ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر.

ولذا فالقاعدة هي:

الإنسان قوة في دائرة الممكن.

والاستثناء هو:

الإنسان ضعف في دائرة الممكن.

ولأنّ الضعف والوهن هو خروج عن القاعدة، لذا يعمل الخليفة عليه في دعوته إلى الهداية للحق، لأجل تحويله إلى القوة أو عودته إليها.

وبالرغم من أن الإنسان قوة؛ إلاَّ أن هناك بعض من الأفراد الذين يواجهون وهنا في طبيعتهم الخَلقية، حيث المعتوه الذي يعاني من تأخر في قدراته العقلية، والذي تعطّلت بعضٍ من حواسه، ونجد البعض يعيش في تأزماته الحياتية، هؤلاء هم في حاجة لمن يقدم إليهم المساعدة الهادفة؛ الخدمية والتأهيلية والإصلاحية والمعرفية.

إذا قوي الإنسان مات الضعف، وهناك نوعان من القوى داخل البشر تشدان أزره عند الحاجة، وهما:

القوة الجسدية: وهي البنيان القوي للجسد وهذه القوة غير متوفرة عند جميع الخلق، فقد تفاوت البشر في القوى البدنية بين شدة القوة وتوسطها وضعفها، وبوجود هذا التباين وجد الظلم والاستعباد والإكراه، بأن استغل القوي هذه القوة وسخرّها للمفسدة والضلال.

والقوة المعنوية: هي ينبوع يتفجر داخل النفس ولا علاقة له بالجسد، فكم من متين الجسد ضعيف النفس، وكم من ضعيف الجسد قوي النفس، وهذه القوة تمنح صاحبها رباطة الجأش والصبر على البلاء والثبات عند الخوف، وهذه القوة التي يدعمها الإيمان القوي ويرسخها في النفوس، وأكبر دليل على ذلك أن كثيرا من الشعوب الضعيفة التي ناضلت الاستعمار بقوته وسلاحه وتمكنت بهذه الروح التي يفتقدها المستعمر أن تنال الفوز والانتصار، كذلك لنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أسوة حسنة ومثالاً يُحْتذى به، فقد مر عليه عام الحزن وعلى المسلمين معه ماتت فيه السيدة خديجة – رضي الله عنها– زوجته التي وقفت إلى جانبه وكذلك توفي فيه عمه أبو طالب الذي كان يشد أزره ويدعمه وهذا كله وهو في شعاب مكة ومن معه من المسلمين يعانون قلة الطعام والشراب، ورغم ذلك فقد كان داخله ينبوعا شديد التدفق من الثقة بالله والإيمان يمدانه بالقوة الكافية لتحمل ذلك الوضع الصعب.

فكن أيها الخليفة ممن يملكون هذه القوة ويحافظون عليها فلا يكن صدرك مكمناً للرعب والخوف والضعف كشأن الكافر الجاحد الذي ملأ الرعب قلبه من المسلمين فحاقت بهم

الهزيمة، قال تعالى: {وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا}[٢٢٩].

المميت للكفر بالإيمان:

لا يمكن أن يجتمع الكفر مع الإيمان، فكل منهما قاتل للآخر، ومنذ بداية خلق الإنسان وبداية تفتح مداركه وعقله إما أن يشتري الإيمان ويبيع الكفر أو أن يشتري الكفر ويبيع الإيمان، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٢٣٠]. والفارق بين من يحيون على الأرض يوم الحساب هو الكفر والإيمان، فالكفر موت للإنسان في حياته، والإيمان حياة للمؤمن في موته، قال تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٢٣١]، وكذلك قوله تعالى: {قال تعالى: الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}[٢٣٢].

والفائز هو من يميت أي بذرة للعصيان داخله بالإيمان، قال تعالى: {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}[٢٣٣].

المميت للقسوة بالرحمة:

قام الدين على أساس من الرحمة واللين، بعكس ما تدعو إليه حالياً الأديان الأخرى، أو من يغالون في الدين الإسلامي، لأن أساسه هو رحمة للعالم ورأفة بالبشرية من الظلم والتمييز

---

[٢٢٩] الأحزاب ٢٦.

[٢٣٠] آل عمران، ١٧٧ ، ١٧٨.

[٢٣١] الأنعام، ١٢٢ .

[٢٣٢] الأعراف ٥١.

[٢٣٣] آل عمران، ١٧٦ . ١٧٨.

والقهر، ونجاة من عذاب الحريق، لذلك فقد كان المميت رحيماً رؤوفاً بنا وبهدايتنا وإرسال الرسل لنا، هذه الرحمة التي وسعت كل الذنوب إلا الشرك بالله والتي فتحت باب الأمل أمام التائبين الخائفين، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[٢٣٤] ، كذلك قَالَ تعالى: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ}[٢٣٥] هذه الرحمة التي من شأنها أن تولّد الرحمة في النفوس البشرية وتميت القسوة والجبروت.

كذلك نجد أنه من أهم ما تميز به رسولنا الكريم محمد – صلى الله عليه وسلم– الرحمة واللين في التعامل كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[٢٣٦]، لأن من شأن الرحمة أن تذيب جليد الكفر والقسوة التي كانت متحكمة في النفوس، {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[٢٣٧].

وحتى أننا نجد أن صورة الرحمة واضحة حتى في تقرير الحرب في الإسلام، إذ أننا سنجد أن ديننا الإسلامي لم يدع للحرب من باب فرض السيطرة، بل إنها كانت ضرورة من الضروريات، وآداب الحرب التي دعا إليها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام توضح مدى رحمته ولينه، فقد حرّم الإسلام قتل امرأة أو مريض أو طفل أو عابد وحرم حتى التمثيل بالجثث بل الأروع من ذلك وأوضحه لرحمة الإسلام وأخلاقه أنه حرّم قتل الحيوان وإفساد الزرع وتهديم البيوت، عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِ أَنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً يَقُولُ لَهُمْ اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ

---

[٢٣٤] الزمر ٥٣.

[٢٣٥] الحجر ٥٦.

[٢٣٦] الأنبياء، ١٠٧.

[٢٣٧] آل عمران، ١٥٩.

اللَّـهِ تُقَـاتِلُونَ مَـنْ كَفَـرَ بِاللَّـهِ لَا تَغُلُّـوا وَلَا تَغْـدِرُوا وَلَا تُمَثِّلُـوا وَلَا تَقْتُلُـوا وَلِيـدًا وَقُـلْ ذَلِـكَ لِجُيُوشِـكَ وَسَرَايَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ"[٢٣٨].

ولا يمكن أن تكون خليفة لله في الأرض وأنت تحمل في قلبك قسوة وتشدد لا يتركان للرحمة مكاناً فيه للمسلمين من حولك، بل كن كما كان أصحاب رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، كما جاء في قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّـهُ الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[٢٣٩].

فالرحمة شعور يرقى بالإنسان لأعلى درجات الإنسانية وليته موجود في الكثير من المسلمين لتغيرت إذن معالم مجتمعاتنا الإسلامية اليوم.

والمميت وهب لنا الحياة وهذا وحده كافٍ لكي نستشعر قيمة هذه الحياة، فلا نعتدي على حياة أحد ولا نسلبه حقه فيها، لأنها نعمة من الله علينا وهي نعمة لها أجل ستزول بزوال الحياة فلا يبقى إلا رصيدنا من تلك الأيام المعدودة، ولأنها نعمة من الله تعالى فقد استحقت المحافظة عليها وعدم ضياعها، قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ}[٢٤٠].

فكن أيها الخليفة من دعاة الحياة الآمنة السعيدة التي أهدانا الله إياها، بذلك تشرق أنوار الإيمان واليقين والعفة بين جنباتك، وبذلك لا تلقى المميت إلا في أعلى درجات الإيمان باستعدادك وعملك وحفاظك على الحياة كما أراد الخالق.

---

[٢٣٨] موطأ مالك، ج ٣، ص ٣٢٣.

[٢٣٩] الفتح ٢٩.

[٢٤٠] المائدة، ٣٢.

ومع إن الخليفة يعلم أنه جاهل بموعد ومكان وكيفية موته إلا أنه على يقين بأنه ميت وأن الموت حق، فلا يرضى أن يموت إلا وهو من المسلمين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[٢٤١]، ويكون استعداد الخليفة للموت بعدة أمور منها:

أ- طاعة الله:

طاعة المسلم لله سبحانه وتعالى هي أصل الفلاح في الدنيا والآخرة، فبغيرها لا يمكن أن يصل الإنسان إلى أي نجاح أو فوز، فطاعته عز وجل لا يمكن أن تقودنا لمفسدة أو هلاك، بل هي تتير درب الحياة والصلاح لنا، وطاعته تستوجب طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم- {يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[٢٤٢]، كذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}[٢٤٣]، هذه الطاعة التي تكلل كل الأعمال بالنجاح والرضا، وهذا من شأنه أن يزرع الثقة برحمة المميت يوم يقوم الحساب، هذه الثقة والطمأنينة اللتان تنميان الرغبة بلقاء المولى عز وجل، فتصغر الحياة الدنيا في أعينهم ولن تكون مطلبهم أبداً، على عكس من غرتهم الدنيا فتاهوا وركضت السنون بهم ليخسروا آخرتهم باللهث وراء دنياهم، فلم يطيعوا الله في أوامره ونواهيه بل انغمسوا في هذه النواهي إلى أن وصلوا لدرجة تمني الحياة الدائمة وعدم وصول الموت إليهم خشية لقاء المميت، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[٢٤٤]، وكالذين عصوا أوامر الله ولم يخرجوا للقتال خشية الموت فرحين بهروبهم منه، محذّرين المقاتلين من الخروج كي لا يصيبهم الموت،

---

[٢٤١] آل عمران، ١٠٢.

[٢٤٢] الأحزاب ٧١.

[٢٤٣] النساء، ٦٩ ، ٧٠ .

[٢٤٤] البقرة، ٩٤ . ٩٦.

متناسين أنهم خرجوا يطلبون الحياة لا الموت، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٢٤٥] .

وليس لخلفاء الله في الأرض من خروج عن طاعة الله وعصيانه، فإذا أردت أن تكون من هؤلاء الخلفاء فتمسك بطاعته وحافظ عليها بكل ما لديك من إيمان وصبر وثبات، لأن مفتاح الوصول إلى رضا الله في طاعته.

ب- العمل الصالح:

العمل الصالح هو المحدد للغنى والفقر في نظر الإسلام، فالغني هو من كان رصيده منه وفيراً، والفقير هو من خلت خزائنه منه، والعمل الصالح ليس ميراثاً نتوارثه من أجدادنا أو آبائنا إن كانوا صالحين، بل هو يخص الإنسان نفسه لا يشاركه فيه أحد، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}[٢٤٦] .

والعمل الصالح جامع لكل أعمال الخير كالإنفاق في سبيل الله، وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله والمحافظة على صلة الأرحام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرحمة بالضعفاء والعجزة وقول الحق وغيرها من الأعمال التي تقربنا من المميت وتجعل قلوبنا في حالة اطمئنان وسعادة دائمين، قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}[٢٤٧] ،كذلك قوله تعالى: {إِنَّ

---

[٢٤٥] آل عمران، ١٦٦ . ١٨٦.

[٢٤٦] النساء، ١٢٤.

[٢٤٧] النساء، ٣٦، ٣٧.

الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٢٤٨].

فعلى خليفة الله بالإضافة أن يسعى لعمل الخير في الدنيا، فبذلك لن يضعف ولن يستسلم لهذه الدنيا ولن تهزه ريح ضلالية تأخذه بعيداً عن المميت سبحانه وتعالى، وأن يكون ذاكراً أن عمله الصالح هو زاده الذي سيبقى معه عند لقائه بالمميت يوم الحساب، وأن يدرك أن العمل الصالح هو أمنية الكافر والعاصي يوم تضيع منهم الفرصة للنجاة فتأتي ساعة فراقهم للحياة الدنيا، كما جاء في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[٢٤٩].

ج – التوبة:

من منا لا يخطئ في هذه الدنيا؟ ومن منا لا يقع في فورة غضب تؤدي به للزلل؟.

المعصية تولّد الندم والندم يولّد التوبة في النفوس السوية، لأن الندم لا يستشعره فاقد الإحساس أو العاصي بل من بقلبه بذرة الإيمان التي توجه الإحساس للندم والرجوع إلى الخالق سبحانه وتعالى، الذي يترك بابه مفتوحاً مشرعاً أمام التائب التائه في خوفه وخشيته منه، قال تعالى: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ}[٢٥٠]. فمن العبد التوبة الصادقة ومن الخالق المغفرة الواسعة، فبذلك يكون الخليفة على صلة بالمميت، هذه الصلة التي من شأنها أن تحقق التوازن والطمأنينة في نفس الخليفة، هذه الصلة التي في انقطاعها أنت ميت، تفقد الحياة بانعدامها فصلتك بالله هي التي تحدد ما إذا كنت ميتاً أو حياً، قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ}[٢٥١] فإذا توصلت إلى هذه المرحلة من الإيمان فقد فزت وأنت من الأحياء في الدنيا والآخرة.

---

[٢٤٨] البقرة، ٢١٨.

[٢٤٩] المؤمنون، ٩٩، ١٠٠.

[٢٥٠] غافر ٣.

[٢٥١] فاطر ١٩ . ٢٢.

واعلم أنك على موعد مع الموت في كل ليلة، قد يأتي وقد لا يأتي مؤجلاً إياك لموعد آخر يقدّره المميت، فسكون الحركة وتوقف العقل عن التفكير هو بحد ذاته موت مؤقت لأن الحياة هي الحركة في كل أجزاء الجسد والنفس، لكّن الله تعالى خلق النهار للمعيشة والحركة وخلق الليل للسكون والنوم، هذا النوم الذي قد لا نحيا بعده أبدا، كما في قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٢٥٢]، وما عليك إلا أن تتدبر في معنى هذه الآية الكريمة التي يقرر فيها المميت هذه الحقيقة التي تغيب عن الكثير من المسلمين اليوم، فنراهم ينامون بثقة المتيقنين من الاستيقاظ وذلك بأنهم لا يتهيئون لذلك ولذا فعليهم بالآتي:

١-الإكثار من ذكر الله قبل النوم فلا ينام المؤمن إلا ولسانه رطب باسم الله تعالى.

٢-طلب المغفرة على ما قصّر فيما فات ومضى، كما جاء في قوله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٢٥٣].

٣-أن يكون طاهراً في فراشه بالتسامح، فلا ينام إلا وهو حريص على أن يلاقي الله بنقاء نفسي وروحي، عَنْ أَبِي ظَبْيَةَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِرًا فَيَتَعَارُّ مِنْ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاه"[٢٥٤]

٤-أن لا يغمض جفنيه إلا على الحمد والشكر والتسبيح والدعاء، قال سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ}[٢٥٥].

---

[٢٥٢] الزمر ٤٢.

[٢٥٣] آل عمران، ١٤٧.

[٢٥٤] سنن أبي داود، ج١٣، ص٢٣٧.

[٢٥٥] السجدة ١٥ . ١٨.

٥ . أن يراجع ما عمل بالنهار ليتعرف على ما ارتكب من زلات أو هفوات ليعظ نفسه عن تكرارها ثانية في اليوم الغد.

هذا هو الإنسان المؤمن الذي استخلفه الله في الأرض، يسعى في الحياة بإحياء ذكر المميت في قلبه، لا ينسى أمر الموت وهو حي يرزق، فتكون حياته بذلك منجاة له في الآخرة من سوء المصير، كلما أرادت الدنيا أن تلهيه وتنسيه، أرجعه التدبر في اسم المميت إلى أحضان الإيمان.

وأن يكون على وعي كامل بأنه وُجِد على هذه الأرض لخلافتها، وأن خلافة الأرض تتطلب منه أن يكون مميتاً للظلم بالعدل وللقسوة بالمودة والرحمة وللأنانية بالإيثار والتضحية وإنكار الذات، مما يجعل له تأثيرا طيبا في النفس البشرية، ومما يلطّف الحياة البشرية ويُعْليها ومما يؤاخي بين الناس وينشر الفضيلة بينهم، لأن رسالة الإسلام جاءت لتجمع القلب إلى القلب فإذا اجتمعت القلوب اجتمعت بها الأيدي والعقول والصفوف، فيموت التفرق والعداء والفشل فيحققون بإماتة هذه الأسباب المقاصد السامية من التوجه لله وحده وإقامة الحق.

اللهم يا المحيي الأموات ويا مميت الأحياء نتوسل إليك بأسمائك الحسنى ما نعرف منها وما لا نعرف أن نكون من عبادك الطائعين وخلفاؤك المخلصين المتصفين بصفاتك الحسان.

اللهم أمت فينا روح الإفساد والظلم وأمت شهواتنا لمعاصيك ومعصيتك واجعل لنا الموت راحة لنا وخلاص من كل شر واجعل الحياة لنا من كل خير.

اللهم أمت فينا شعور الذل والضعف بعزتك وقوتك وقدرتك وأمت فينا شعور الحقد والكره برحمتك وعفوك وحبك، وأمت فينا النقائص بالتكبر عليها وتركها بحبك وحب ما يقرب إليك من طاعات وأمت فينا اللهم جهلنا بنور علمك وهدايتك وأمت فينا الخوف من غيرك بالخوف منك وأمت فينا الرجاء في غيرك بالرجاء فيك، وأمت فينا الطمع في غيرك بالطمع في رحمتك ومغفرتك.

اللهم اجعلنا مميتين لكل ما يغضبك وما لا ترضاه في نفوسنا وفي أقوالنا وأعمالنا واجعلنا من الشاهدين.

# الحي

الحمد لله الحي بلا انتهاء، والبادئ بلا ابتداء، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[٢٥٦]. والصلاة والسلام على من بعث بين يدي ربه بشيرا ونذيرا للعالمين.

الحي: الذي قامت به الحياة، وهو الذي يُميت ولا يموت[٢٥٧].

الحي: "يعني، الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد"[٢٥٨].

الحي "اسم الله مختص به"[٢٥٩].

الحي "اسم من أسماء الله يُؤخذ منه صفة الحياة"[٢٦٠].

الحي الدائم، دائم الحياة المطلقة، والحي بالإضافة هو الذي يستمد حياته من الحي المطلق بالقول والعمل الذي لا يزول، ولهذا يكون متبعا لما أمر به الحي المطلق جل جلاله، ولذا الحي بالإضافة هو من يكون حيا بأقواله وأعماله وأفعاله التي تُحتسب مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[٢٦١]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[٢٦٢]

الحي هو خالق الحياة، ولأن كل مخلوق يفنى، وخالق المخلوق لا يفنى فجاء اتصافه بالحي جل جلاله. ولذا فمن يخلق الحياة لابد وأن يتصف بها.

ولأنه الحي خلق الموت ليكون باقيا حيا أمام امتثال الموت للموت بعد مماته للحياة غير الباقية. قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ

---

[٢٥٦] الملك٢.

[٢٥٧] جامع الرسائل، ج ١، ص ١٦٦.

[٢٥٨] تفسير الطبري – ج ٥ ، ص ٣٨٦.

[٢٥٩] شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ٢٧.

[٢٦٠] شرح الفتوى الحموية، ج ١، ص ١٣٨.

[٢٦١] آل عمران، ١٦٩.

[٢٦٢] البقرة، ٢٦٤.

وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}[٢٦٣].

اسم الحي من أسماء الصفات التي اتصف بها في عليائه، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[٢٦٤]. ففي قوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) تقدم الحياة على القيومية، إذ لو لم تكن هناك حياة لم تكن هناك قيومية على أي أمر من أموره، فالله هو الحي بلا ابتداء، أي من ظلمات الأزل إلى ظلمات الأبد، وترتب على هذا الاسم كونه جل جلاله:

١ . **الأول بلا ابتداء:** قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٢٦٥]. فهو جل جلاله موجود قبل وجود الزمان، لأنه موجود قبل الأشياء كلها، والسابق لها، وهو الموجد لها، والمحدث لها؛ لابتداء المسببات منه جل في علاه؛ وبذلك تكون الأولية ذاتية.

٢ . **الآخر بلا انتهاء:** قال تعالى: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٢٦٦]. إن الله جل جلاله

---

[٢٦٣] الملك ١ . ١٠.

[٢٦٤] البقرة، ٢٥٥.

[٢٦٥] الحديد٢ ،٣.

[٢٦٦] الحديد٢ ،٣.

ليس بعده آخر، فهو الآخر بلا انتهاء كما هو الأول بلا ابتداء، وليعلم الخليفة أن الخلائق كلها تفنى ويبقى الله تعالى في علاه، قال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٢٦٧].

**٣ . المحيي لكل حي:** قال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٢٦٨]. إن الله جل جلاله خلق كل حي، وذلك لأن الخلائق تحت أمره أوجدها كيف شاء وأراد، وكل ذلك تحت كلمة (كن)، قال تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٢٦٩]. إنه القادر على كل شيء سبحانه الحي الدائم، كل شيء يعود إليه في الخلق والموت والبعث لا إله إلا هو، ولذا لا رجوع إلا إليه:

**الرجعة الأولى في الحياة:** قال تعالى: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آَمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ}[٢٧٠]، وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٢٧١]، وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ

---

[٢٦٧] الرحمن، ٢٥-٢٨.

[٢٦٨] آل عمران، ٢٦.

[٢٦٩] يس٨١-٨٣ .

[٢٧٠] هود ٣٢ . ٣٧.

[٢٧١] القصص، ٨٨.

أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}[٢٧٢]، وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا}[٢٧٣].

**الرجعة الثانية في الممات:** قال تعالى: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٢٧٤]، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[٢٧٥]، وقال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٢٧٦].

---

[٢٧٢] آل عمران، ٨٣.

[٢٧٣] مريم ٤٠ . ٥٠.

[٢٧٤] يونس، ٥٥، ٥٦.

[٢٧٥] الأنبياء، ٣٤، ٣٥.

[٢٧٦] الأنعام، ٣٦ . ٤٠.

**الرجعة الثالثة في البعث:** قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٢٧٧]، وقال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ}[٢٧٨].

والخليفة هو الحي بالإضافة أي هو الذي علمه الله الأسرار الباقية جميعها ثم طلب منه أن يُعلِمهم بها، وبذلك فهو الخليفة الذي حمل الأمانة الباقية من الحي القيوم قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[٢٧٩]. وبهذا فالخليفة يستمد علمه من العليم الحكيم فيصنع حياة بين المستخلفين فيها مؤسسة على المحبة والتعاون وإصلاح الأرض وإحيائها بعد جدب إذا ما استخرج الماء من بطنها لتعمها الحياة بالإنتاج وهو المحي بفكره ثقافة وحضارة وعلما (سلطان)، وهو محيي الكافة بنشره دين

---

[٢٧٧] البقرة، ٢٨، ٢٩.

[٢٧٨] الشعراء ٦٩ . ٨٨.

[٢٧٩] البقرة، ٣٠ . ٣٣.

الكافة، قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٢٨٠]. والمراد بالسلطان هنا هو العلم والمعرفة والدراية والفهم لكل ما يجري في هذا الكون، وهو الذي يكون عليه خلفاؤه في أرضه، حتى تكون الرسالة التي كلفوا بها على أكمل وجه.

ولأن الخليفة يستمد حياته من الحي الذي لا يموت، فهو الباقي بأعماله من بعده التي ستظل إلى يوم يبعثون، وهي التي بها سيجازى ثوابا ويكون من الوارثين، إما غيره من بني آدم الذين لم تبق لهم أعمال على قيد الحياة سيكونون مع أعمالهم الفانية في الدار التي لا تبقي ولا تذر قال تعالى: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}[٢٨١].

٤ . **المميت لكل حي:** قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[٢٨٢]. ليعلِّم الخليفة من على الأرض أن كل من على الكون سيموت، لوجود الموت والتي ستكون آخر من يموت، ولكن علم المستخلفين في الأرض بموتهم لا يعني تركهم لحقوقهم وواجباتهم في

---

[٢٨٠] الرحمن، ٣٣ ،٣٤.

[٢٨١] المدثر ٢٥ . ٤٧.

[٢٨٢] آل عمران، ١٨٥.

الحياة، وإلا فما قيمة الحياة التي خلقوا لها، فما يتركه الإنسان خلفه من إعمار أو دمار هو دليل حياته؛ ولأن الحياة الباقية بالنسبة للخليفة هي حياة الأعمال الحسان قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[٢٨٣]. ولذلك على الخليفة أن يجتهد في خدمة مستخلفيه ويجتهد في بناء الأرض بالخير والنماء، ويكون ذلك:

أ . **بالتحريض:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ}[٢٨٤].

ب . **بالتبشير:** قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[٢٨٥]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}[٢٨٦]، وقال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}[٢٨٧].

---

[٢٨٣] آل عمران، ١٦٩ . ١٧٣.

[٢٨٤] الأنفال ٦٥ .

[٢٨٥] البقرة، ١٢٣.

[٢٨٦] النساء، ١٣٧ . ١٣٩.

[٢٨٧] الأنعام، ٤٨ . ٥١.

**ج . بالإنذار**: قال تعالى: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}[٢٨٨]، وقال تعالى: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}[٢٨٩]، وقال تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[٢٩٠].

**د . بالعدل**: قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٢٩١]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٢٩٢].

---

[٢٨٨] الأنعام، ٥٢.

[٢٨٩] ق، ١ . ٥.

[٢٩٠] الشعراء ٢١٥ . ٢٢٠.

[٢٩١] البقرة، ٢٨٢.

[٢٩٢] النحل ٩٠.

**هـ . بإيفاء العهد:** قال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[٢٩٣]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٢٩٤].

**و . بإيفاء الكيل والميزان:** قال تعالى: {وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٢٩٥]، وقال تعالى: {إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٢٩٦].

**ع . بالمشاورة:** قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[٢٩٧]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ

---

[٢٩٣] النحل ٩١، ٩٢.

[٢٩٤] الأنعام، ١٥٢، ١٥٣.

[٢٩٥] هود ٨٥.

[٢٩٦] الشعراء ١٧٧ . ١٨٣.

[٢٩٧] آل عمران، ١٥٩.

ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ}[٢٩٨].

**غ . بالإنفاق:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[٢٩٩]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٣٠٠]

**ف . بالصدقة:** قال تعالى: {وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[٣٠١]، وقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَآَخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٣٠٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[٣٠٣].

**ق . بالزكاة:** قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا

---

[٢٩٨] الشورى ٣٧ . ٤٤.

[٢٩٩] البقرة، ٢٥٤.

[٣٠٠] البقرة، ٢٦٧، ٢٦٨.

[٣٠١] البقرة، ٢٨٠، ٢٨١.

[٣٠٢] التوبة ١٠٣ . ١٠٦.

[٣٠٣] المجادلة ١٢، ١٣.

الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[٣٠٤]، وقال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}[٣٠٥]، وقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}[٣٠٦].

**ك . بالمعروف:** قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[٣٠٧]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٣٠٨]، وقال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[٣٠٩].

**ل . بالمغفرة:** قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٣١٠]، وقال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[٣١١].

---

[٣٠٤] المائدة، ٥٥ . ٥٧.

[٣٠٥] البقرة، ٤٣.

[٣٠٦] الأعلى ١٤ ، ١٥.

[٣٠٧] البقرة، ٢٦٣.

[٣٠٨] البقرة، ٢٤٠.

[٣٠٩] البقرة، ٢٦٣.

[٣١٠] البقرة، ٢٦٨.

[٣١١] آل عمران، ١٣٣ . ١٣٦.

م . **بحسن التحية:** قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}[٣١٢]، وقال تعالى: {أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}[٣١٣].

وعليه فإن للخليفة مهاماً في إصلاح الأرض بما أنه قد قبل بحمل الرسالة التي أبت الجبال أن تحملنها، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[٣١٤]، ولذا فعليه أن يعدل وأن يكيل ويزن بالقسطاس المستقيم ويتقي الله ربه في نفسه وأسرته ومجتمعه مراعيا لاعتبارات الأعراف والتشريعات الإنسانية دون أن يغفل عن أداء العبادات كاملة فيزكي ويتصدق ويغفر ويرحم ويعفو ويصفح ويصلح ويُفلح ويعمر ولا يفسد ولا يسفك الدماء في الأرض بغير حق.

وعلى الخليفة أن يعمل بكل ما في وسعه لأجل بناء العقول بالعلم فتبني وتُعمِّر وبهذا المعنى يكون الخليفة حيا، قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}[٣١٥].

ولذا فالبناء يؤدي إلى العمار والعمار حياة تشيد على أرض الله الواسعة، فكلما كان الإنسان في وضع مستريح كلما كان عطاؤه أكبر وأعظم، وليكن كل ذلك في عمار الأرض بناء المأوى الذي هو سترة لإشباع الحاجة للفرد والعائلة المحترمة وفي ذلك حياة لمن يتقي ربه.

وباستصلاح الأرض بالزراعة وشق الأنهار والقنوات والترع، وتوفير ما يلزم من الأسمدة والبذور المحسنة، واستغلال الوجه الأمثل لتوفير ما يحتاجه الإنسان من الغذاء، وليوفر الحلول المناسبة للمشاكل التي تترتب على عدم إشباع الحاجة للمأكل والمشرب، وبما يحق المن للمستخلفين فيها.

---

[٣١٢] النساء، ٨٦.

[٣١٣] الفرقان، ٧٥، ٧٦.

[٣١٤] الأحزاب ٧٢.

[٣١٥] الكهف١٠٣-١٠٦.

**وعليه فالحي هو:**

**. القادر على الخلق:** قال تعالى: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}[٣١٦]. والقادر بالإضافة إلى الله جل جلاله هو الخليفة الذي يمكن أن يشارك في القدرة على خلق الإبداع في نفسه ومجتمعه، وأن يكون طموحا واثقا من نفسه في القدرة على الدفع والنفع بمجتمعه، فالخليفة الحي بالإضافة هو الذي يجعل الحياة حية في الأرض وأن يجعل لنفسه حياة ذات تاريخ يبقى حيا ما بقى ثم من بعد يبقى، قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[٣١٧].

ولهذا الخليفة هو الذي يعمل ويتقي الله في كل ما يعمل، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}[٣١٨] ولا يكون ذلك إلا بما يقدمه من إنجازات وأعمال نافعة صالحة، وبكل إخلاص وود لبني عصره، ولا يكون ذلك إلا بالتفاني والجد وبكل همة ونشاط

---

[٣١٦] الروم، ٥١-٥٤.

[٣١٧] آل عمران، ١٦٩ . ١٧٣.

[٣١٨] النساء، ١٢٢ . ١٢٤.

حتى يحصل التقدم الذي هو هدف الخليفة الذي استخلفه الله في الأرض ليعمرها بكل ما هو مصلح، وليصل بذلك الخليفة إلى العمل بأمره تعالى: {آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ}[٣١٩].

**ـ المبدئ لكل مخلوق:** قال تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[٣٢٠]، وقال تعالى: {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ}[٣٢١].

والخليفة الحي هو الذي يستمد صفاته من صفات خالقه، فيحيي الكلمة لتكون باقية للفعل، ويحيي الفعل ليكون صائبا في العمل، ويحيي العمل ليكون منتجا لما يفيد وينفع. كما انه يحيي الجملة لتكون حاقة للحق وزاهقة للباطل، وتكون عادلة بين الناس وذلك من خلال ما تتضمنه من حكم وحجة، وتحيي العدل ليكون بين الناس محبة لا فتنة. كذلك يحيي الخليفة النص والخطاب ليكون رسالة تصلح ولا تفسد وتُعمِّر ولا تُدمِّر، تبني علاقات الوحدة بين المستخلفين في الأرض وتبطل مفعول كل فعل من أفعال الفساد وسفك الدماء فيها بغير حق.

---

[٣١٩] الحديد٧-١١.

[٣٢٠] البروج، ١٢-١٦.

[٣٢١] الأنبياء، ١٠٣-١٠٦.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}[٣٢٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[٣٢٣].

**ـ المعيد لكل مخلوق:** قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}[٣٢٤]، وقال تعالى: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٣٢٥]. وللخليفة الحي أن يعيد إحياء ما يحتاج إلى إحياء من أراض بور، وذلك بالاستصلاح والاستزراع، وبناء وإعادة الترميم لكل قديم، من البناء المادي والمعنوي والمعرفي، وذلك ليعيد الحياة في مستخلفيه ببناء البناء الصالح للأمة.

---

[٣٢٢] المائدة، ٨٨،٨٧.

[٣٢٣] البقرة، ٢٦٧-٢٦٩.

[٣٢٤] إبراهيم، ١٩، ٢٠.

[٣٢٥] الروم، ١٧-٢٤.

وعليه الكلمة الطيبة تحيي أنفس، والصدقة الطيبة تحيي أنفس، والزكاة الطيبة تحيي أنفس، والصلاة الطيبة تحيي أنفس، والجهاد في سبيل الله يبقي النفس حية بين المستخلفين فيها إلى يوم يبعثون فهي المستخلفة في الأرض والوارثة في الجنة.

**. القائم على كل شيء:** قال تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}[٣٢٦]. وقال تعالى: {الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[٣٢٧]. والخليفة يكون حيا بقيامه على ما كلف به من واجبات، وأمور تجاه ربه ونحو مجتمعه، ولكن على أساس من العدل والتقوى والمحبة، وحياته في ذلك لا تكون إلا بإخلاصه وصدقه ووفائه على ما كلف به، وعلى ما أداه من واجبات ومارسه من حقوق وحمله من مسؤوليات.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}[٣٢٨].

**. العالم بكل شيء:** قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٣٢٩]، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ}[٣٣٠].

---

[٣٢٦] طه، ١١١.

[٣٢٧] آل عمران، ١-٤.

[٣٢٨] النساء، ١٣٥،١٣٦.

[٣٢٩] البقرة، ٢٨،٢٩.

[٣٣٠] الحجر، ٨٥، ٨٦.

ولذا فالخليفة يكون حيا بعلمه بكل ما يدور حوله، وذلك بمتابعة الأحداث والمجريات كل ساعة بساعة بالليل والنهار، ولا يكون غافلا عن مستخلفيه، وذلك بمتابعتهم باستمرار، وتقديم التوجيهات والنصائح اللازمة لهم، ليكونوا سعداء في الدنيا والآخرة، ويكون قد حمل المسؤولية فأحسن حملها، وأخذ حقوقه فأحسن ممارستها، وعمل واجباته فأحسن أداءها.

**. المهيمن على كل شيء:** قال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٣٣١]، وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[٣٣٢]. وهيمنة الحي بالإضافة تكون بالقضاء على مظاهر الفساد والفتن وكل ما يؤثر على سير مجتمعه إلى الأمام ليكون مجتمعا حيا مزدهرا راقيا، ومتبعا لكل ما أمر الله به ومبتعدا عن كل ما نهى عنه.

**. الخبير بكل شيء:** قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا}[٣٣٣]، وقال تعالى: {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ

---

[٣٣١] البقرة، ١١٦، ١١٧.

[٣٣٢] المائدة، ٤٨-٥٠.

[٣٣٣] الفرقان، ٥٨، ٥٩.

نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[٣٣٤].

الحياة تعلم المستخلفين، أي أن حياتهم في الدار الدنيا تعلمهم أساليب الحياة فيها، فيتعرفون على الكيفية التي يجب أن يكون قولهم عليها مع مراعاة الزمان والمكان الذين يستوجبان المراعاة عند كل حديث أو قول، ويتعرفون على السلوك الذي ينبغي أن يسلك وفقا لكل عرف سليم، ويتعرفون على العمل المستوجب للأداء والعمل الذي يبغي تجنبه مع احترام وتقدير الآخر مصداقا لقوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[٣٣٥].

**. مدبر الأمر**: قال تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}[٣٣٦]. بطبيعة الحال لو لم يكن عز وجل حيا ما كان مدبرا للأمر، وهكذا لن يكون الخليفة مدبرا للأمر الذي يتعلق به لو لم يكن حيا، ولهذا فالقاعدة تقول: (لا يدبر الأمر إلا من قبل المتعلق به)، ولذا فإن الأمر المطلق يتعلق بالحي المطلق، والأمر النسبي يتعلق بالحي النسبي، ولهذا علاقة ترابط تمتد بين الأمر ومدبر حاله.

واسم الحي المطلق يطلق على من يكون على أكمل أحواله وصفاته الحسان ولا يكون ذلك إلا لله عز وجل؛ ولأنه كمال فهو باقٍ لا يزول ولا ينتهي، فالحي الباقي لا سبيل للموت عليه ولا الفناء. وهو الذي يعلم ويقدر وإلا فما قيمة الحياة عنده، قال الطبري:" وهو الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدها، وينقضي بانقضاء غايتها.

---

[٣٣٤] الإسراء، ١٥-١٧.

[٣٣٥] الكافرون، ٦.

[٣٣٦] يونس، ٣١،٣٢.

{الحيّ}: الباقي، الذي لا يزول، ولا يحول. وهو المصرّف للأمور، والمقدّر للأشياء. حيّ كما وصف نفسه، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه"[٣٣٧]. واسم "{الْحَيُّ} فيه تأويلات:

**أحدها:** أنه سمى نفسه حياً لصَرْفِه الأمور مصارِفها.

**ثانيها:** تقدير الأشياء مقاديرها، فهو حي بالتقدير.

**ثالثها:** أنه حي بحياة هي له صفة.

**رابعها:** أنه اسم من أسماء الله تَسَمَّى به، فقلناه تسليماً لأمره.

**خامسها:** أن المراد بالحي الباقي[٣٣٨].

**وسادسها:** بدوامه الذي لا يزول يتصف بالحي. قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[٣٣٩].

**وسابعها:** بخلقه للحياتين الأولى والآخرة. قال تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٣٤٠].

**وثامنها:** بخلقه للموت التي بها يميت الأحياء. قال تعالى: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}[٣٤١]، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[٣٤٢].

---

[٣٣٧] تفسير الطبري، ج ٥، ص ٣٨٦.

[٣٣٨] النكت والعيون، ج ١، ص ١٨٨.

[٣٣٩] ١١٥ . ١١٨.

[٣٤٠] القصص، ٧٠.

[٣٤١] آل عمران، ١٤٣.

[٣٤٢] آل عمران، ١٨٥.

**وتاسعها:** بقتله للموت بعدما تفنى الخلائق لا يبقى إلا هو بصفته الحي. قال تعالى: {وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[٣٤٣]، وقال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٣٤٤]، وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٣٤٥].

**وعاشرها:** إنه الحي بوجود الحركة. قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ}[٣٤٦]، وقال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ}[٣٤٧]، وقال تعالى: {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[٣٤٨].

---

[٣٤٣] هود ٧، ٨.

[٣٤٤] الرحمن، ٢٦ . ٢٨.

[٣٤٥] القصص، ٨٨.

[٣٤٦] النمل ٨٦ . ٨٨.

[٣٤٧] البقرة، ٥٨ . ٦١.

[٣٤٨] المائدة، ٢٣.

وعلى ذلك فإن الخليفة حي بالإضافة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وليعلم أن من ورائه الموت، ويعلم أنه الحي الباقي من بعدها، أي أنه الحي الباقي بعد أن يموت الموت، وتكون له الحياة الحيوان، ولتكن سيرته كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}[٣٤٩]، وقال تعالى: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[٣٥٠]. وعلى خلفائه في أرضه أن يمضوا أوقاتهم في إدراك معاني اسم (الحي)، ويمعنوا النظر في مظاهر هذه الحياة، ليتعظوا، وليعظوا غيرهم، ومن مظاهر ذلك أن ينظر إلى:

**ـ خلقهُ للموت:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[٣٥١]، وقال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}[٣٥٢]. وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}[٣٥٣]. والخليفة تجاه هذه سواء أكان الموت جهادا في سبيله أو لأي سبب كان لابد أن يكون متقبلا لما يحدث تجاهه، قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ

---

[٣٤٩] المؤمنون، ٥١، ٥٢.

[٣٥٠] العنكبوت ٦٤.

[٣٥١] آل عمران، ١٥٦، ١٥٧.

[٣٥٢] الأعراف١٥٨، ١٥٩.

[٣٥٣] آل عمران، ١٨٥.

بِشَـيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[٣٥٤].

**ـ إحياؤه للقلوب بالإيمان:** قال تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٣٥٥].

**ـ إحياؤه للأرض الجدباء:** قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}[٣٥٦]، وقال تعالى: {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}[٣٥٧]، قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ}[٣٥٨]، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٣٥٩].

**ـ إحياؤه للسماء بحفظها بالنجوم:** قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[٣٦٠]، قال تعالى:

---

[٣٥٤] البقرة، ١٥٤ –١٥٦.

[٣٥٥] الأنعام، ١٢٠–١٢٢.

[٣٥٦] الفرقان، ٤٨–٥٠.

[٣٥٧] الزخرف١١.

[٣٥٨] ق، ٧–١١.

[٣٥٩] فصلت، ٣٩.

[٣٦٠] فصلت، ١١ ، ١٢.

{إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا دِيَارِهِمْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ}[٣٦١].

**. توزيعه للأقوات:** قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[٣٦٢]، وقال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[٣٦٣]. وعلينا أن نشكر هذه النعم التي جعلها لنا رب العزة سهلة ميسورة ولا نكفر بأنعمه تعالى في علاه وإلا سيلحق بنا ما لحق بالأمم السابقة التي عتت عن أمر ربها وكان عاقبة أمرها خسرا – والعياذ بالله– قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}[٣٦٤].

---

[٣٦١] الصافات، ٤–١٣.

[٣٦٢] هود٦ ،٧.

[٣٦٣] العنكبوت٦٠–٦٣.

[٣٦٤] النحل ١١٢–١١٦.

ـ **إحياؤه الأرض بالتعمير**: قال تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٣٦٥]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[٣٦٦]، وعلينا أن ننظر في الأمم السابقة ولتكن فيهم للخلفاء موعظة حسنة وإلا فإنه مصيبهم ما أصاب الذين عتوا عن أمر ربهم، قال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٣٦٧]، وقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا

---

[٣٦٥] البقرة، ٦٠.

[٣٦٦] البقرة، ١٦٩.

[٣٦٧] الروم، ٧-١١.

يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ}[٣٦٨].

**. إجابته للدعاء:** قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[٣٦٩]، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[٣٧٠]، وقال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[٣٧١].

ومن المستخلفين من عمل مخلصا حتى بلغ في حياته مراتب الخلافة التي منها الآتي:

**١ . داعي الله:** قال تعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}[٣٧٢].

**٢ . داعي الحق:** وذلك بالدعوة إلى الحق وما يصلح به المجتمع وليكونوا صالحين، وأهلا للخلافة والتي لا تكون إلا بدواعي الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، هذا ما يجب أن يستجيب له كل من مستخلف على أرضه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ

---

[٣٦٨] سبأ ١٥-٢٢.

[٣٦٩] النمل٦٢.

[٣٧٠] غافر٦٠.

[٣٧١] البقرة، ١٨٦.

[٣٧٢] الأحقاف، ٣١-٣٥.

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٣٧٣].

**٣ . إحياؤه للموتى:** قال تعالى: {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[٣٧٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٣٧٥]، وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ}[٣٧٦]، وقال تعالى:

---

[٣٧٣] الأنفال٢٤ ،٢٥.

[٣٧٤] البقرة، ٧٠-٧٣.

[٣٧٥] البقرة، ٢٦٠.

[٣٧٦] الحج٦-١٥.

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}[٣٧٧].

وللخليفة من بعد تلك الآيات والمكارم العظام التي أظهرها الله على عباده الصالحين ينبغي أن يقدم على إحياء كل ما من شأنه أن يترك أثرا طيبا يرضاه الحي جل جلاله وذلك من خلال الآتي:

١ . **إحياء القلوب:** وذلك بدعوة المستخلفين للإيمان بالله والعمل بما يرضيه، والابتعاد عن نواهيه، قال تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}[٣٧٨].

٢ . **إحياء الدين:** ويكون ذلك بالدعوة إلى الحق والرد على الباطل ممتثلا لأمر الله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[٣٧٩].

٣ ـ **شفائه للمرضى:** بالعلم يتمكن الخليفة من معرفة ما يؤدي إلى الشفاء وما يؤدي إلى العلة والمرض، وبالعلم يتمكن الإنسان من التوكل على العليم الحكيم فيزيده علما وحكمة، ومن يؤتي ذلك يؤتى خيرا كثيرا، قال تعالى: {وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي

---

[٣٧٧] الروم، ١٩، ٢٠.

[٣٧٨] الأنعام، ١٢٠-١٢٤.

[٣٧٩] الإسراء، ٨١، ٨٢.

حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[٣٨٠]، وقال تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[٣٨١].

٤ ـ **إحياؤه للبذرة:** قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}[٣٨٢]. ويكون الخليفة حيا بغرسه للبذرة الصالحة في مجتمعه، وتوفير الجو الملائم، التربة الخصبة لها لتحيى حياة سليمة طاهرة، وبذلك تنتج الذرية الطيبة التي تعمر الأرض بالصلاح والخير والبركة، وبالتالي تعود على الخليفة الحياة التي تبقى في ذاكرة التاريخ، ليعلم مستخلفيه أن من يغرس البذرة الصالحة يكون له نصيب من أجرها والعكس بالعكس، قال تعالى: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}[٣٨٣].

٥ . **خلقه لليل والنهار:** {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[٣٨٤]. وقال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}[٣٨٥].

٦ . **خلقه النجوم:** {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[٣٨٦]. وقال تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}[٣٨٧].

٧ . **خلقه للنفس البشرية:** قال تعال: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}[٣٨٨]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ

---

[٣٨٠] الشعراء٧٩-٨٣.

[٣٨١] الإسراء، ٨١ ،٨٢.

[٣٨٢] الأنعام، ٩٥.

[٣٨٣] النساء، ٨٥ ،٨٦.

[٣٨٤] الأنعام، ٩٦.

[٣٨٥] الفرقان، ٦١ ،٦٢.

[٣٨٦] الأنعام، ٩٧.

[٣٨٧] النحل١٦.

فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[٣٨٩]. ويجب في الخليفة الحي بالإضافة أن يخلق النفس البشرية التي تأمر بالخير وتحث عليه دونما كلل، أو مِنَّة، وذلك بالعمل على دعوتها للحياة السليمة والصحيحة الرابحة في الدارين، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}[٣٩٠].

٨ ـ **خلقه لأصناف النبات:** {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٣٩١]. ويكون الخليفة حيا باختيار الأصناف الصالحة من الأشجار والبذور ولتعطي ما يكفي لحاجة المستخلفين من الثمار والغلال، والبذور الصالحة لتسد حاجة البشرية من الغذاء والكساء.

٩ ـ **إبداعه للسماوات والأرض:** قال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آَيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}[٣٩٢]، وقال تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٣٩٣].

---

[٣٨٨] الأنعام، ٩٨.

[٣٨٩] الحج٥.

[٣٩٠] الأنفال٢٤.

[٣٩١] الأنعام، ٩٩.

[٣٩٢] البقرة، ١١٧، ١١٨.

[٣٩٣] الأنعام، ١٠١.

١٠ ـ **خلقه للعقل:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٣٩٤]. وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[٣٩٥].

والخليفة الحي الذي يحي العقول بالمعرفة والدراية والفكر الذي يحي العالم وينهض به ويخرجه من الظلمات إلى النور، هذا الذي ينال به رضا الله جل جلاله في الدنيا والآخرة عندما يكون العلم موظفا للإصلاح والعمار والفلاح لا للفساد والخراب والدمار.

١١ . **بسطه للعلم:** قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[٣٩٦]، وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٣٩٧]، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}[٣٩٨].

---

[٣٩٤] الأنفال ٢٠-٢٥.

[٣٩٥] الحج٤٦.

[٣٩٦] البقرة، ١٢٠.

[٣٩٧] البقرة، ٢٤٧.

[٣٩٨] آل عمران، ٧، ٨.

**١٢ ـ تنويعه لأصناف الكائنات الحية:** قال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٣٩٩]، وقال تعالى: {حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[٤٠٠]، وقال تعالى: {وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٤٠١].

**١٣ ـ خلقه للشمس والقمر:** قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}[٤٠٢]. وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٤٠٣].

**١٤ ـ خلقه للأرض والجبال:** قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٤٠٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

---

[٣٩٩] الرعد٤.

[٤٠٠] النمل ١٨ . ٢٢.

[٤٠١] النحل ١٣ ، ١٤.

[٤٠٢] الرعد٢.

[٤٠٣] النمل ١٢.

[٤٠٤] الرعد٣.

تَعْلَمُونَ}[٤٠٥]، وقال تعالى: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[٤٠٦]، وقال تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا}[٤٠٧].

**١٥ . تذليله الحيوان لخدمة الإنسان:** قال تعالى: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}[٤٠٨]، وقال تعالى: {وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}[٤٠٩].

**١٦ . إنزاله للمطر:** قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}، وقال تعالى: {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٤١٠].

**١٧ . تسخيره للبحر وما جعل فيه من منافع:** قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٤١١]، وقال تعالى: {وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ}[٤١٢].

---

[٤٠٥] البقرة، ٣٠.

[٤٠٦] الأعراف ٧٤.

[٤٠٧] الكهف ٤٧.

[٤٠٨] النحل٩.

[٤٠٩] النحل١٣.

[٤١٠] النحل١١.

[٤١١] النحل١٤.

[٤١٢] الشورى ٣٢ . ٣٤.

١٨ . **تثبيته للأرض:** قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}[٤١٣]، وقال تعالى: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[٤١٤]، وقال تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا}[٤١٥].

١٩ . **إيجاده للخلق:** قال تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[٤١٦]، وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ}[٤١٧]، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٤١٨]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٤١٩].

---

[٤١٣] النحل١٥.

[٤١٤] البقرة، ٢٢.

[٤١٥] البقرة، ٦٠، ٦١.

[٤١٦] النحل١٧ ،١٨.

[٤١٧] الحجر ٨٥، ٨٦.

[٤١٨] البقرة، ٢٩.

[٤١٩] الرعد ٣ . ٥.

٢٠ . **ابتلاؤه للمؤمنين:** قال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}[٤٢٠]. ما أجمل الصبر عندما يكون طاعة لأمر الحي الدائم، وما أجمل الحياة بين الصابرين في طاعة الحي الدائم.

اللهم يا حي يا دائم لا تُحمِّلنا ما طاقة لنا به وأعفو عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وعلى الكاذبين والمنافقين أنت مولانا بك أمنا وعليك توكلنا وأولينا أمرنا وأسرنا إليك فنعم المولى ونعم النصير.

الابتلاء امتحان من الله فالمؤمن يتعرض لمواقف إن نجح في مواجهتها بما يرضي الله فقد فاز، وإن فشل في الفرصة الأولى تعطى له فرص أخرى وكلما نجح بتغلبه على الصعاب كلما كان جزاؤه أعظم ومكانته عند الله أرفع.

٢١ . **بعثه للحياة ببعثه الرسل:** ما قبل الرسل كانت الأمم تعيش عصور الجهالة المظلمة، حياتها غم على غم، ضالة السبيل لا تعلم بما يجب لتتبعه ولا تعلم بما لا يجب فتجتنبه، إلى أن بعث الله فيهم الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ومحرضين على أفعال الخيرات يرشدون على الحق ويسلكون سلوك القدوة الحسنة، فكانت سننهم متماثلة مع كل عمل يرضي الحي الدائم. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[٤٢١]، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}[٤٢٢]، وقال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

---

[٤٢٠] آل عمران، ١٨٦.

[٤٢١] النساء، ٦٤، ٦٥.

[٤٢٢] البقرة، ٨٧.

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٤٢٣].

**٢٢ . خلقه لليل والنهار**: قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[٤٢٤]، وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، الليل نعمة من نعم الحي الخالق فيه تستقر الأنفس وتنام لتريح بالها من متاعب النهار وأعبائه، ولتستريح بدنياً بغرض تجديد نشاطها وواجباتها التي تنتظرها في النهار القادم بعد كل ليل، فسبحانه جعل النعم متنوعة ومتعددة فمنها ما يمسك باليد ويحمل بها ومنها ما يشرب ليروي الظامي، ومنها ما يؤكل ليسد رمقا ويشبع حاجة جائع، ومنها ما هو سكينة للراحة البدنية والنفسية معا ولهذا كان النوم رحمة للكائنات الحية وهكذا كان النهار رحمة. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ

---

[٤٢٣] آل عمران، ١٤٤-١٤٨.

[٤٢٤] الأعراف ، ٥٤-٥٦.

سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا}[٤٢٥]، قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}[٤٢٦]. وللخليفة أن يمضي ليله ونهاره في خدمة المستخلفين على أرضه، وأن لا يضعه في غير مصلحتهم، وذلك بتوجيههم في النهار والدعاء لهم بالصلاح في جوف الليل، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٤٢٧].

٢٣ . **خلقه للزمن:** قال تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}[٤٢٨]، وقال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}[٤٢٩]، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[٤٣٠]، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٤٣١].

خلقه للزمان وخلقه لليل والنهار وخلقه للحركة والسكون كلها خلق إعجازي، وإلا هل هناك من يخلق الزمان؟.

. وهل هناك من يخلق الحركة لو لم تكن الحياة في أساسها على حالة حركة؟.

ـ وهل هناك من يخلق الشمس أو القمر أو أن يكون له نور لو لم يكن النور من خلقه تعالى؟.

. أم هل هناك من يخلق النوم الطبيعي الذي خلقه الله راحة للعقل والبدن والنفس؟.

---

[٤٢٥] الفرقان، ٤٨.

[٤٢٦] الروم، ١٦، ١٧.

[٤٢٧] يوسف١٠٨.

[٤٢٨] النباء١٨،١٧.

[٤٢٩] النساء، ١٠٣.

[٤٣٠] ص٧٩-٨٣.

[٤٣١] البقرة، ١٨٩.

. أم هل هناك من يخلق الصحوة الفطرية التي بها يفطن الكائن من نومه ليكون متحركا في النهار؟.

. أم هل هناك من يخلق منظومة بيولوجية ذات مواقيت ثابتة في جسم وعقل ونفس الكائن الحي؟.

. أم هل هناك من يخلق الحياة بعد الممات كما يخلق الحي الدائم؟.

. أم هل هناك من يخلق الروح وغيره لا يعلم أمرها بالمطلق؟.

وعليه الخليفة يؤمن بالمطلق إن هذا الأمر بيد الحي الباقي الذي يُزيل كل شيء متى شاء وكيف يشاء وهو الباقي الذي لا يزول، ومع ذلك فهو يفكر في كل أمر حتى يدرك كنهه، ويتذكر ما استطاع أن يتذكر حتى يعرف ويتعظ أو يكتشف ويضيف الجديد. ويعلم أن علمه بالحي باقي، وعلمه بغيره زائل. ولذا فهو المتوكل في أمره على الحي الدائم فيبحث ويتقصى ويتعرف من أجل أن يضيف الجديد النافع للحياة الإنسانية وذلك من خلال ما يهدف إليه من عمار للأرض وإصلاحا فيها طاعة لأمر الله مصداقا لقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٤٣٢]، وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}[٤٣٣]، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا

[٤٣٢] المائدة، ٣٢ . ٣٤.

[٤٣٣] البقرة، ١١، ١٢.

مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}[٤٣٤].

٢٤ . **عقابه للكافرين آيات في الحياة الدنيا والآخرة:** قال تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٤٣٥] قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}[٤٣٦]، وقال تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

---

[٤٣٤] هود ١١٥ . ١١٧.

[٤٣٥] الأنفال ١٧ . ٢٥.

[٤٣٦] فصلت، ٤١-٤٤.

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[٤٣٧].

**٢٥ . خلقه للتعارف:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٤٣٨]. المعرفة هي أساس الحياة، والعلائق بين البشر هي المعرفة الحق، ولأجل المعرفة كان التكاثر والخلق الزوجي مصداقا لقوله تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}[٤٣٩]، وقال تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى}[٤٤٠].

**٢٦ . خلقه للألفة بين القلوب:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٤٤١]. وقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ

---

[٤٣٧] غافر ٤-٧.

[٤٣٨] الحجرات ، ١٣.

[٤٣٩] النجم ٤٥ . ٥٥.

[٤٤٠] الليل ١ . ١٤.

[٤٤١] آل عمران، ١٠٢-١٠٥.

بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[٤٤٢]. وعليه من واجبات الخليفة أن يعمل على التآلف بين الناس دون التخالف وأن يعمل على إصلاح ذات البين، وأن يسعى دائما لتقريب القلوب دون إبعادها فإنه كلما سعى الخليفة في الصلاح والإصلاح وبنية حسنة وصادقة، كان له الأجر والثواب، ويكون موفقا بإذنه تعالى، وقد جاء ذلك صريحا وواضحا في قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}[٤٤٣].

الألفة والمحبة دائما هي نتاج توادد وتراحم بين الناس، ومن طبيعة الحياة الإصلاح في الأرض والفلاح فيها وهذا لا يتم إلا بتعاون وتوافق وتكيف على جميع المستويات الاجتماعية من المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي ثم إلى المستوى المجتمعي، ولهذا دائما الأعمال الخيرة لا يؤديها أو يفعلها ويقوم بها إلا حي مدرك لما يجب ويقدم عليه ويدرك ما لا يجب ويبتعد عنه ويحرض الآخرين على تجنبه، وذلك حتى لا يعم الفساد الذي يفرق بين المرء وزوجه وبين الأخ وأخيه. وعليه فإن التعاون والتآلف والتوافق يقوي العلاقات ويجعل الألفة بين الناس فيتمكنوا من العمل الصالح ويتمكنوا من إحقاق الحق وإزهاق الباطل كلما استوجب ذلك ودعت الضرورة، وما أجمل أن تكون الألفة بين الزوجين وبين أفراد الأسرة والجيران أقارب وأباعد وبين المواطنين على مستوى البلاد.

**٢٧ . خلقه للمعرفة:** أوسع أبواب المعرفة المستخدمة من الخليفة هي أبواب معرفة الله الحي الدائم، ثم معرفة ما أمر به وما نهى عنه، ثم معرفة حاله وما يجري من حوله، ومعرفة الأسباب التي تمكنه من معرفة المستقبل الذي يخطط له ويأمله لنفسه أو لبنيه أو من تربطه

---

[٤٤٢] الأنفال٦٢-٦٤.

[٤٤٣] النساء، ٣٥، ٣٦.

بـه علاقـة. قـال تعـالى: {فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ}[٤٤٤]، وقال تعالى: {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}[٤٤٥]، وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٤٤٦]. وقال تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}[٤٤٧].

٢٨ . **خلقه للهداية:** قال تعالى: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ}[٤٤٨]، وقال تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ}[٤٤٩]، وقال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[٤٥٠]،

---

[٤٤٤] الرحمن، ٣٩-٤٤.

[٤٤٥] محمد٦.

[٤٤٦] البقرة، ٢٧٢-٢٧٤.

[٤٤٧] محمد٣٠، ٣١.

[٤٤٨] محمد٥.

[٤٤٩] البقرة، ٢٧٢.

[٤٥٠] البقرة، ١٤٣.

وقال تعالى: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٤٥١].

**٢٩ . خلقه للنصرة:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}[٤٥٢]، وقال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}[٤٥٣]. والخليفة الحي بالإضافة لابد وأن يكون ناصرا للمظلومين آخذا لحقوقهم وعارفا بواجباتهم فيوجههم التوجيه الصحيح السليم ليفوزوا بالدارين، ولتكون لهم العزة والنصرة في الدنيا والآخرة، وقد صدق قول الله جل جلاله في قوله: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[٤٥٤].

**٣٠ . خلقه للبحث:** البحث تقصي لأجل المعرفة الحق، ولهذا فإن الحي بالإضافة يسعى دائما لمعرفة الحقيقة، وبمعرفته لها يحافظ على صفته حيا ولذا فهو يسعى لمعرفة الحياة في بعدها الزماني والمكاني والحركي والسكوني، وذلك من خلال أبعادها في كل ما خلق الخالق سبحانه. قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا}[٤٥٥]، وقال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

---

[٤٥١] الفتح١٧.

[٤٥٢] محمد٧ ،٨.

[٤٥٣] آل عمران، ١٦٠.

[٤٥٤] المنافقون٨-١١.

[٤٥٥] محمد١٠.

تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}[٤٥٦]، وقال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[٤٥٧].

٣١ . **خلقه للموعظة:** كل مخلوق خُلق لغاية منها ما نعلمه ومنها ما لم نكن عالمين به، وهذه بطبيعة الحال حيث لا كمال إلا لله تعالى، أما ما دونه فغير كامل، ولهذا كان للاستغفار دلالة ومعنى وكان للاعتذار دلالة ومعنى، ولهذا أيضا كان للقصص دلالة ومعنى، وكان للتذكر دلالة ومعنى وكان للتفكر دلالة ومعنى، ومن كل ذلك يمكن لبني الإنسان أن يعتبروا مصداقا لقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ}[٤٥٨]، وقال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ}[٤٥٩]، وقال تعالى: { وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}[٤٦٠].

٣٢ . **خلقه للظل:** والظل سترة تقي من الرمضاء، والظل يأتي بمعنى الحجاب الساتر في مدلوله المباشر عندما يحمي من إشاعة الشمس الحارقة، ومدلوله غير المباشر وهو الإحاطة والحفظ في معانية المتعلقة بالموضوع قيد البحث أو الحديث أو الدراسة. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا

---

[٤٥٦] يونس، ١٠١.

[٤٥٧] الغاشية ١٧ . ٢٠.

[٤٥٨] الحشر ٢، ٣.

[٤٥٩] هود ١٢٠، ١٢١.

[٤٦٠] المؤمنون، ٢١، ٢٢.

قَبْضًا يَسِيرًا}[٤٦١]، وقال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ}[٤٦٢].

**٣٣ . خلقه للرياح:** الريح نعمة تنقل السحب وتلقحه كما تلقح النباتات والأشجار، ولذا لو لم تكن الرياح ما كانت الحركة، ولهذا لا يمكن أن تكون الحياة بدون حركة ومتحرك، ولأن للحركة أهمية فكذلك كان للسكون أهمية، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}[٤٦٣]، وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}[٤٦٤]. وقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٤٦٥].

---

[٤٦١] الفرقان، ٤٥ ٤٦.

[٤٦٢] النحل ٨٠–٨٣.

[٤٦٣] الفرقان، ٤٨–٥٠.

[٤٦٤] البقرة، ١٦٤، ١٦٥.

[٤٦٥] الأعراف ٥٦، ٥٧.

٣٤ . **خلقه للبرزخ:** معجزات الله كثيرة وواسعة، فهو القادر على الفعل كيفما يشاء ومتى يشاء وأينما يشاء، فكان البرزخ آية جعلت الماء المالح في ملامسة للماء العذب وهما في حالة حركة وجريان دون حاجز مادي يفصل بينهما إنه الله الحي الذي يرينا كل شيء حي لنؤمن ولا نشرك بعبادته أحدا. قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}[٤٦٦]، وقال تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٤٦٧]، وقال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٤٦٨].

٣٥ . **خلقه للتخيير:** لقد خلق الحي الإنسان في أحسن تقويم، ليكون مخيرا في أن يفعل أو لا يفعل ما يشاء بعد أن يعرف ويتقي الله ربه، قال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}[٤٦٩]، وقال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}[٤٧٠]، وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[٤٧١]،

---

[٤٦٦] الفرقان، ٥٣، ٥٤.

[٤٦٧] الرحمن، ١٩-٢٣.

[٤٦٨] فاطر١٢.

[٤٦٩] الكهف٢٩ ،٣٠.

[٤٧٠] يونس، ٩٩، ١٠٠.

[٤٧١] النحل٩٣.

وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا}[٤٧٢]، وقال تعالى: قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[٤٧٣].

٣٦ . **خلقه للتسيير**: قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[٤٧٤]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}[٤٧٥]، وقال تعالى: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ}[٤٧٦]، وقال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[٤٧٧].

٣٧ . **خلقه للغيب**: المعجزات تتوالى من الحي الذي لا يموت، خلق الإنسان وعلمه جميع الأسرار إلا سرا واحدا لم يعلمه له ألا وهو علم الغيب الذي أختص به نفسه، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[٤٧٨]، وقال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[٤٧٩]، وقال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ

---

[٤٧٢] المزمل١٩.

[٤٧٣] الشورى ٣٨ . ٤٠.

[٤٧٤] الإنسان ٣٠، ٣١.

[٤٧٥] آل عمران، ٩١.

[٤٧٦] آل عمران، ١٢، ١٣.

[٤٧٧] النحل ٤٠.

[٤٧٨] الفتح١٨.

[٤٧٩] هود١٢٣.

لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٤٨٠]. وعليه فالخليفة خليفة في كل ما يعلم وهو لم يكن كذلك فيما لا يعلم، ولهذا من يستمد علمه من العليم الحكيم تتسع دائرة معارفه وعلومه ومن لم يستمد ذلك منه فيكون علمه في دائرة الممكن القاصرة والمحدودة.

٣٨ . **خلقه للمشيئة:** قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}[٤٨١]، وقال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا}[٤٨٢]، وقال تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[٤٨٣]، وقال تعالى: {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[٤٨٤].

٣٩ . **خلقه للعزة:** قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}[٤٨٥]،

---

[٤٨٠] النحل٧٧-٧٩.

[٤٨١] الشورى٨-١٠.

[٤٨٢] الكهف٢٣، ٢٤.

[٤٨٣] الأعراف٨٨، ٨٩.

[٤٨٤] الإنسان٢٨-٣٠.

[٤٨٥] فاطر١٠.

وقال تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٤٨٦].

**٤٠ ـ خلقه للعمر**: قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِير}[٤٨٧]، وقال تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[٤٨٨].

**٤١ . خلقه للتوبة**: قال تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[٤٨٩]، وقال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٤٩٠].

---

[٤٨٦] آل عمران، ٢٦.

[٤٨٧] فاطر ١١.

[٤٨٨] البفرة٩٤-٩٦.

[٤٨٩] النساء، ١٥-١٨.

[٤٩٠] التوبة١٠٣-١٠٦.

٤٢ . **علمه للسر والجهر**: قال تعالى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٤٩١]، وقال تعالى: {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[٤٩٢]. وقال تعالى: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[٤٩٣].

٤٣ . **خلقه للطاعة**: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[٤٩٤]، وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[٤٩٥]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}[٤٩٦].

---

[٤٩١] آل عمران، ٢٩.

[٤٩٢] آل عمران، ١٥٤.

[٤٩٣] هود٥،٤.

[٤٩٤] النساء، ٥٩.

[٤٩٥] آل عمران، ٣١ ،٣٢.

[٤٩٦] محمد، ٣٢ ،٣٣.

٤٤ . **خلقه للرأفة:** قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}[٤٩٧]، وقال تعالى: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[٤٩٨].

٤٥ . **خلقة للرحمة:** قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٤٩٩]، وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[٥٠٠]، وقال تعالى: {وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[٥٠١] وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}[٥٠٢].

---

[٤٩٧] آل عمران، ٣٠.

[٤٩٨] النور ٥٤-٥٦.

[٤٩٩] البقرة، ٢١٨.

[٥٠٠] الأعراف٥٤-٥٦.

[٥٠١] آل عمران، ١٥٨، ١٥٩.

[٥٠٢] النساء، ١٧٤، ١٧٥.

٤٦ . **خلقه الأزواج:** وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٥٠٣]، وقال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى}[٥٠٤]، وقال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٥٠٥].

٤٧ . **خلقه للغة:** قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}[٥٠٦]، وقال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[٥٠٧]

٤٨ . **خلقه للترغيب والترهيب:** قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٥٠٨]، وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٥٠٩]، وقال تعالى: {فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا

---

[٥٠٣] الروم،

[٥٠٤] النجم ٤٥ . ٥٥.

[٥٠٥] الداريات ٤٩.

[٥٠٦] الروم، ٢٢ ،٢٣.

[٥٠٧] النساء، ١٦٣، ١٦٤.

[٥٠٨] الروم، ٢٤.

[٥٠٩] الحشر ٧.

كَبِيرًا وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}[٥١٠].

وعليه فإن الحياة جلالة لله تعالى، وهي صفة من صفاته الحسان، والحياة بيده تُخلق خلقا، وبيد الخليقة تُصنع صنعا، والحياة هي القوة التي بها خلقت الأشياء وما يستمد منها من توالد وتكاثر، وهي صفة متلازمة من ذات الله فهو الأول والآخر، وهي كذلك هي أول وآخر (حياة الدنيا وحياة الآخرة).

الحي المطلق هو الذي تستمد منه الحياة فلو لم يكن ما كانت، ولأنها الكائنة فهو الذي من وراء كينونتها، ولأنه جل جلاله هو الحي الدائم فهو: الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفَّار، القهَّار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحي، المعيد، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الولي، المتعال، البَرَ، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

اللهم يا الحي إننا نصلي ونسلم علي سيدنا محمد فاجعل صلاتنا وسلامنا عليه يُحى بها الإيمان والخير في صدورنا، ويمت بها الكفر والشر في أنفسنا وأعمالنا، اللهم يا الحي حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعل يا الحي يا الدائم أجمل أيامنا يوم لقاك فنحيا حياة لا نموت بعدها أبدا في ملكك الذي لا يبلى ونعيمك الذي لا

---

[٥١٠] الفرقان، ، ١٩ . ٢٠.

ينفد، اللهم يا الحي يا القيوم برحمتك نستغيث لا إله إلا أنت، أصلح لنا الأمور كلها ولا تكلنا إلى نفوسنا طرفة عين أو أقل وتولنا في الأمور كلها.

اللهم يا الحي أحيي في قلوب عبادك الرحمة والمودة والألفة والمحبة، وأحيي في نفوسهم طاعة الوالدين في غير معصيتك، والإصلاح والفلاح في الأرض التي استخلفتهم فيها إنك رؤوف رحيم، فارحم.

اللهم إنك الحي القيوم فاجعل أعمالنا شاهدة قائمة بالحق يوم لقاك، اللهم إنك الحي الذي أحيانا من لا شيء وجعلنا مستخلفين فارحم وكفِّر واغفر إنك قريب سميع مجيب لا إله إلا أنت سبحانك.

# القيوم

القيوم: "هو كامل القيومية وله معنيان:

هو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته.

وقامت به الأرض والسماوات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها "[٥١١]

القيوم: مدبِّر الأمر والقائم به على كل ما خلق.

القيوم "الذي قام بذاته واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السَّماوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه"[٥١٢].

وابن القيم يقول:

وكذاك يشهد انه القيوم قا ... م بنفسه ومقيم ذي الأكوان[٥١٣].

القيوم "القائم على كل نفس بما كسبت وقيل القائم بذاته المقيم لغيره وقيل القائم بتدبير خلقه وحفظه وقيل هو الذي لا ينام وقيل الذي لا بديل له"[٥١٤].

القيوم "الذي قام بنفسه واستغنى عن غيره المقيم لما سواه"[٥١٥]

والقيّم "عن مجاهد في قول الله جل ثناؤه: "الحي القيوم"، قال: القائم على كل شيء"[٥١٦]، وقال آخرون:"معنى ذلك: القيام على مكانه". ووجَّهوه إلى القيام الدائم الذي لا زوالَ معه ولا انتقال، وأنّ الله عز وجل إنما نفى عن نفسه بوَصفها بذلك، التغيُّرَ والتنقلَ من مكان إلى مكان، وحدوثَ التبدّل الذي يحدث في الآدميين وسائر خلقه[٥١٧].

القيوم: "القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل : القائم بذاته المقيم لغيره، وقيل: القائم بتدبير الخلق، وحفظه، وقيل: هو الذي لا ينام، وقيل: الذي لا بديل له"[٥١٨].

---

[٥١١] شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ٨١.

[٥١٢] نور التوحيد وظلمات الشرك، ج ١، ص ٢٣.

[٥١٣] شرح قصيدة ابن القيم، ج ٢، ص ١٩٩.

[٥١٤] المصدر السابق، ، ص ٢٣٦.

[٥١٥] مختصر الأجوبة الأصولية للسلمان، ج ١، ص ٢٤.

[٥١٦] تفسير الطبري – ج ٦ ، ص ١٥.

[٥١٧] المصدر السابق، ج ٦ ، ص ١٥٨.

[٥١٨] فتح القدير ، ج ١ ، ص ٣٦٦.

اسم القيوم من أسمائه الحسنى جل جلاله، والتي جاء ذكرها مقترنا مع اسمه الحي؛ لاقتران القيام بالحياة وهي رمزها ودلالتها فكيف تعرف الحياة إذا لم يعرف ويظهر قيامه على الأشياء، وجاء اسم القيوم بهذه الصيغة البلاغية لما تحمله من معنى دقيق في قيامه على الأشياء الدقيقة وبما تحمله من معنى واسع لاشتماله على كل الأكوان من السماوات والأراضين وما بينهما، فهي التي يتضح بها معنى الأسماء الأخرى بما لها من ارتباط وثيق وأساسي، فنعرف الحياة بالقيام، وبها نعرف الثواب والأنتقام، فتظهر علامات قيامه فيما حولنا من الأمور والأشياء جلية وخفية، ومنها:

**قيامه على كل نفس:** قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ}[٥١٩]. والخليفة القيوم هو الذي يرعى النفوس من الهلاك الجسدي والمعنوي، فيقوم برعاية الأجساد عن أسباب الهلاك بالنصيحة السليمة ويدعوهم إلى الطريق القويم وينهاهم عن الرذائل والموبقات التي بعدت بهم عن الطريق المستقيم.

٢ . **قيامه على استجابة الدعاء:** قال تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

[٥١٩] الرعد ٣١-٣٤.

الْأَرْضِ أَئِلَـهٌ مَـعَ اللَّـهِ قَلِيلًا مَـا تَـذَكَّرُونَ}[٥٢٠]. والخليفة دوره أن يدعو العباد المستخلفين في الأرض إلى العمل الناجح والصلاح والفلاح في الدين والدنيا؛ إن إعمار الأرض والحكم بما انزل الله تعالى هو صفة من صفات القيوم بالإضافة الذي استمد صفاته من صفات القيوم المطلق، وبذلك فإن تعليم العباد القيم الخيرة التي بها تعمر الأرض وتقوى العلاقات بين الناس هو خير وسيلة لاستجابة الدعاء، مصداقا لقوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[٥٢١] فعلى الخليفة أن يحث الناس ويحرضهم على الإكثار من أفعال الخيرات، ويعلمهم بأن لهم رب قيوم يقوم ويرى حوائجهم ليلا ونهارا، ويعلمهم أنه تعالى قريب مجيب، ولكون الخليفة قيوم بالإضافة فلابد أن يرى للناس أمرهم وأن يستجيب لمطالبهم، وأن يرعى حقوقهم، بالمتابعة عينا وأثرا، وأن يشجعهم على أداء واجباتهم وحمل مسؤولياتهم وأن يتقوا الله وهم مدركون بأنه لا قيوم عليهم بالمطلق سواه.

**٣ . قيامه على علم ما تكنه الصدور:** القيوم هو الذي لا يغفل ولا يهمل وإن أمهل، ولذا فهو القيوم على كل قول وكل فعل سواء كان قولا أو فعلا ذا أثر موجبا أو كان ذا أثرٍ سالبٍ، قال تعالى: {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ}[٥٢٢]، وقال تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ

---

[٥٢٠] النمل ٥٩ . ٦٢.

[٥٢١] التوبة ١٠٣ . ١٠٥.

[٥٢٢] لقمان ٢١-٢٤.

ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}[٥٢٣]. لما كان جل جلاله قيوما لابد وأن يعلم خفايا الأمور، وإلا كيف يكون قيوما من لا يستطيع أن يعلم الخفي والمستتر، فالقيوم لتكتمل قيوميته لابد أن يكون عليما بما في الصدور وبما هو أخفى من ذلك، فكما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٥٢٤].

علم الصدور لا يعلمه بالمطلق إلا الحي القيوم، ولا يعلمه هو كما هو بأثره النفسي أو التفكري أو التذكري إلا صاحبه الذي يحس به أو بأثره عليه، ومع ذلك قد يكون صاحبه قاصرا خاصة إذا دخلته الأمراض النفسية والبدنية أو الضغوط والمؤثرات العقلية.

والخليفة القيوم بالإضافة لم يطلب منه ليعرف خفايا الأمور بالتجسس والتحسس لأحوال الناس؛ لأنه تعالى نهى عن التجسس وتقييد أحوال الناس والدخول في أمورهم الداخلية ما لم يطلب منه ذلك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أحدكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[٥٢٥]. ولكن يجب أن يكون فطنا عارفا لما يدور حوله من الأمور يقظا لكل من يحاول أن يعبث أو يفسد في الأرض بعد إصلاحها، فحين ذاك وجب عليه الرد وصدهم تنفيذا لأمر الله جل جلاله، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

---

[٥٢٣] الفرقان، ٥- ٩.

[٥٢٤] طه، ٥-٨.

[٥٢٥] الحجرات١١-١٣.

تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٥٢٦]، وقال تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}[٥٢٧].

وعليه فإن الحي القيوم هو الذي يعلم ما تكنه الصدور وما تظهره (باطن وظاهر) والقيوم هو المسؤول عن كشف ما ظهر وما بطن، ولهذا فالأعمال بالنيات ولكل أمريء ما نوى، ولهذا ألزم كل طائر بعنقه قال تعالى: { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[٥٢٨].

٤ . **قيامه على خلق النبات:** قال تعالى: {أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}[٥٢٩]، وقال تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ

---

[٥٢٦] الأعراف٥٤-٥٧.

[٥٢٧] الأعراف٨٥ ،٨٦.

[٥٢٨] الإسراء، ١٣ . ١٧.

[٥٢٩] النمل٦٠.

الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٥٣٠]. وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٥٣١]. لينظر الإنسان إلى ما حوله من الشجر باختلاف أنواعها وأحجامها سيجد أنها لم تأتِ عبثا بل بقدرة صانع عالم قادر مسيطر على ما يصنع بقوة وعزة فمهما يكبر حجم الشجرة فهي تحت قدرته وقوته، وهيمنته الذي لا يعزب عن علمه الشجر مهما كثر أو صغر، ولأنه الحي فهو الذي يستطيع إيجادها دون تكلف أو عناء وبذلك كان اسم القيوم من أسمائه التي يجب على الخليفة أن يتحلى بها وليكون قيوما بالإضافة فعليه أن يرعى الشجر والعشب من حيث السماد لتقويتها وتحقيق الاستفادة القصوى منها للحيوان عامة والإنسان خاصة، وبذلك يتحقق له العناية الإلهية لأنه قام بواجبه نحوها، والله المستعان.

٥ . **قيامه على خلق الأرض:** الأرض هي الطينة التي منها طينة آدم عليه الصلاة والسلام، فلو لم تكن الأرض سابقة ما كان آدم بالأمر (كن) مخلوق خلقا مباشرا منها، ولأن القيوم خلق الشيء وخلق من الشيء أشياء كان التكاثر والتعدد والتنوع، ومع أن الأرض لم تعد سرا في خلقها، إلا أن في خلقها سرا لا يعلمه كاملا ويقينا إلا هو، ونحن نعلم من هذا السر خلق آدم منها، ولأنه منها وفي أحسن تقويم كان هو المستخلف فيها.

وعليه فخلق الأرض نعمة كاملة غير منقوصة بالنسبة للمخلوقين منها والمخلوقين عليها، وذلك بتماثلها مع العمر الزمني الذي يحدده القيوم لكل مخلوق كبير أو صغير يُرى بالعين المجردة أو بالعين المضخمة للرؤية، أو أنه لم يُرى بعد وهو على نصيبه في الأرض يعيش.

ومن الواجب الإصلاح والفلاح في الأرض ومن المحرم سفك الدماء فيها بغير الحق ومن المحرم الإفساد فيها فالأرض هي الكنز الذي منه تعيش المخلوقات ومنه ترتزق ومنه تكتنز ومنه تستثمر، فهي السطح المناسب للحياة وهي بجاذبيتها ربَّت كبد حنونا على من فيها،

---

[٥٣٠] يس٧٨-٨٣.

[٥٣١] النحل١٠ ،١١.

فهي المتمسكة بمن فيها ومن عليها في ثبات وملاطفة وراحة تامة، إنها في حالة حركة دائمة ومع ذلك لا تحسس من تحتضنهم بما يقلقهم من على ظهرها إذا لم يحدث القيوم أمرا بزلزلة أو بركان أو فيضانات ومع ذلك فهي التي تحمل الماء الذي يروي عباد الله والنبات الذي يشبع حاجاتهم للأكل، والثمار المتنوعة التي فيها كل ما يحتاجه الجسم والعقل والبدن وسبحان الله والحمد لله على فضله الواسع الذي لا يُحصى. قال تعالى: {أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[٥٣٢]، وقال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٥٣٣]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآَخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[٥٣٤]، وقال تعالى: { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحد مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[٥٣٥].

---

[٥٣٢] النمل ٦١.

[٥٣٣] البقرة، ٢٨، ٢٩.

[٥٣٤] البقرة، ٢٦٧-٢٦٩.

[٥٣٥] البقرة، ٢٨٤- ٢٨٦.

إن في خلق الأرض دلالة واضحة على قيوميته وقدرة قيامه عليها وبكل دقة لأكبر دليل على سعة علمه بالأشياء أينا كان حجمها أو بعدها في عمق الأرض، فهذه الأرض وما خلق فيها من الأنهار والسهول والجبال والهضاب كلها لم تكن عبثا بل جعلها لتخدم مستخلفيه الذين هم قائمون عليها بالإضافة والذين وجب عليهم أن يعمروها بالخير والبركة وأن يراعوا حدود الله فيها دونما طغيان أو بطر؛ لأن الذين أعجبتهم أنفسهم من الأمم السابقة ولم يحمدوا الله على ما آتاهم، وبدلوا نعمة الله كفرا كان مصيرهم جهنم كما قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعلانية مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[٥٣٦].

**٦ . قيامه على خلق الرياح وتسخيرها:** الرياح دائما في دائرة الممكن تأتي بالمتوقع وتأتي بغير المتوقع، فقد تأتي بالأمطار وقد تأتي بالرياح الجافة وقد تأتي بالكوارث ولكل حساب، فالمتوقع وغير المتوقع متغيران رئيسان في دائرة الممكن. تؤسس عليهما تساؤلات أو فروض يمكن إثبات صحتها ويمكن بطلأنها.

**الممكن:**

هو الذي (لا شك في حدوثه، أو ظهوره كلما توفرت معطياته أو شروطه). ولهذا لا يعد الممكن مستحيلا. وبما أنه غير مستحيل. إذن بالضرورة سيقع وفقا لما نتوقع أو وفقا لما لا نتوقع.

---

[٥٣٦] إبراهيم، ٢٧-٣٤.

**دائرة الممكن:**

تتكون دائرة الممكن من (المتوقع وغير المتوقع). التي تتساوى فيها فرص ظهور كل منهما وفقا للفرض الصفري بنسبة ثابتة قدرها ٥٠% .

**المتوقع:**

هو الذي (بحدوثه أو ظهوره أو وجوده لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب).

ولهذا المتوقع معطيات حدوثه أو ظهوره متوفرة بين أيدي الباحثين، ما يجعل صحة إثباته (هوّ كما هوّ). وعليه إذا ما وقع لا تحدث المفاجأة ولا الاستغراب.

**غير المتوقع:**

هو الذي (لا تتوفر معطيات أو شروط حدوثه أو ظهوره، بين أيدي البحاثة ومع ذلك قد يقع). ما يجعله في حالة تساوي نسبي مع المتوقع في دائرة الممكن. ولهذا إذا ما وقع تقع المفاجأة أو الاستغراب.

**المستحيل:** هو الذي لا إمكانية لوصوله أو بلوغه عبر الزمن.

ولكن بما أن كل شيء ممكن، فلماذا الاستغراب؟

الاستغراب: لحدوث أو ظهور غير المتوقع، بدلاً مما هو متوقع. أي ظهور ما لم يكن في الحسبان. وإذا فكر الخليفة في المتوقع فقط قد يواجهه غير المتوقع. ولذا عليه أن يتدبر ويفكر ويتذكر ويعتبر من القصص والحكم قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا}[٥٣٧]، وقال تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آَمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ

[٥٣٧] النساء، ٨٢، ٨٣.

خَيْرًا لَهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[٥٣٨].

ولذا فإن الممكن امتداد متوقع وغير متوقع في دائرة الزمان. وبما أن الممكن امتداد متوقع وغير متوقع في دائرة الزمان. وأنّ الزمان يمتد في الماضي والحاضر والمستقبل.

إذن: بالضرورة ستتباين صوره من وقت لوقت آخر وتتباين الأعمال وتتعدد القيم وهو وأحد أحد لا تأخذه سنة ولا نوم سبحانه.

في الماضي: بالنسبة لنا ونحن في هذا الزمن الحاضر. ما كان متوقعا أو غير متوقع قد وقع بالفعل أو لم يقع بالفعل. ولهذا يعد الممكن مثبتا ولن يعد متوقعا من حيث الحدوث أو عدمه. ولكن مع أنه أصبح مثبتا إلا أنه في حاجة لبرهنة تُمكِّن المتحاورين أو البحاثة أو الدارسين من معرفته دليلا وحقيقة.

فعلى سبيل المثال: قيل لأحد الأصدقاء أنّ الشيخ الفلاني أو العلامة الفلاني أو عالم علوم الفقه والدين الذي تعرف عنه كل خير قد قدمَ على أفعال لا أخلاقية (هتك عرض) مع أحد أقاربه قبل خمس سنوات، فأجاب على الفور وبكل سرعة. هذا ليس ممكنا. أنا لا أصدق. وطلب الدليل والبرهان.

مع أن الأمر قد وقع قبل خمس سنوات إلا أنّ صديقنا لا زال لم يُصدِّق، وبالنسبة له وكأن الأمر لم يقع بعد. وعندما أثبت له دليلا وبرهاناً قاطعاً دخل في دائرة الاستغراب وكأنه لم يُصدِّق.

**<u>التعليق</u>:**

في الأمر الواقع أن الممكن يرتبط بالزمان **(الآن)** في كل وقت من الأوقات الثلاثة. ولهذا يسبق الممكن وقوع الفعل أو المترتب على ما هو متوقع أو غير متوقع (أي نتوقع أولاً، ثم يقع ما توقعنا، أو لا يقع). وهذا ما لا ينطبق على الزمان الماضي الذي فيه وقع الفعل أو الحدث.

---

[٥٣٨] محمد ٢٠ . ٢٤.

ولذا مع أن الفعل قد حدث قبل خمس سنوات، إلا أنّ الاستغراب لازال يلاحق الممكن في غير زمانه. وهذا هو الاستثناء، الذي يحيد عن القاعدة التي تنص على أنّ (المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن) يسبقان حدوث الفعل.

وعليه: لا تُصدِر أحكاما مسبقة على الأشياء السابقة على أحكامك. ولكن تبيَّن، ثم احكم.

ولذا فالمتوقع وغير المتوقع المتعلق بالزمان الماضي هو في حاجة للبحث عن دليل إثبات أو برهنة تُثبت وقوعه بالفعل أو عدم ثبوته لأجل أن تطمئن القلوب.

أما في الزمان **(الآن)** الحاضر، فالتوقع وغير التوقع يسبقان حدوث الفعل أو وقوعه، ويظل الأنتظار إلى أن يحدث أو لا يحدث. أما الفعل أو الحدث المتوقع أو غير المتوقع سيظل في الزمان المستقبل. ويكون المتوقعون وغير المتوقعين في دائرة الممكن هم في حالة انتظار إلى أن يأتي الزمان الذي فيه الفعل أو البرهان أو الدليل المثبت.

بناء على ما سبق فالقاعدة هي: أنّ دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) يسبقان الفعل والسلوك. والاستثناء يقع الفعل أو يحدث السلوك قبل توقعه أو عدم توقعه في دائرة الممكن.

ولهذا:

فالممكن يُلاحق الماضي.

ويتزامن مع الحاضر.

ويسبق المستقبل.

وعلى الإنسان الذي كرمه الله في البر والبحر أن يعرف، أنّ علاقة قوية تربط بين الممكن والقدرة. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا}[٥٣٩]، تكريم القيوم لبني آدم هو تكريم في دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع، فمن المتوقع أن كل بني آدم هو خليفة، ومن غير المتوقع أن يكون من بني آدم من هو غير

[٥٣٩] الإسراء، ٧٠ . ٧٢.

خليفة، أفلا يتدبرون القرآن! ليكونوا جميعا خلفاء يستمدون صفاتهم من صفات مستخلفهم في الأرض. ولا غرابة أن يكون بعضهم من المستخلفين وبعضهم الآخر في غير دائرة المستخلفين، فالأمر يتعلق بالتخيير، والقيوم من حيث الخلق خلق الإنسان بالمطلق في أحسن تقويم، ووفقا لقاعدة لا إكراه في الدين فالمسألة اختيارية فمن تدبر وتبين واهتدى فقد أصبح خليفة يورث في الدارين خيرا ونعيما كثيرا، ومن لم يؤمن بذلك فالقيوم عليه قائما بالحساب والعقاب الشديد.

**وعليه:**

فالإنسان يتوقع ما هو ممكن، ولكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته. فما يشاهد أو يُلحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه أو شمه أو سمعه فهو الواقع في حدود الممكن. وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة للمدركات والقدرات والأحاسيس حيث هناك البعض يمّيز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر.

فعلى سبيل المثال: الوصول إلى القمر كان في الزمان الماضي مستحيلاً وفقا لقدرات الإنسان وعلومه، وفي زماننا أصبح ممكنا.

وبما أن كل شيء ممكن.

إذن فلماذا الاستغراب؟.

الاستغراب هو حدوث غير المتوقع في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقع. أي ظهور ما لم يكن في الحسبان، وعليه يجب أن يضع الخليفة في حسبانه كل ما هو ممكن حتى لا يفاجأ.

الممكن برغم وجوده المتجزئ إلا أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع).

مثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكناً، ما كان البحث عنه. ولهذا البحث عن العمل ممكناً، والحصول عليه ممكناً.

وعدم الحصول عليه أيضاً ممكناً. هذا الأمر هو المتوقع (ما يوضع في الحسبان). لكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل، فهذا الأمر بالنسبة لك غير متوقع.

وعليه: فالحب متوقع، والزواج متوقع، والطلاق كذلك، والأنحراف متوقع، والأنجاب متوقع، وأيضا عدم الأنجاب متوقع. الخيانة متوقعة، والطاعة والعصيان متوقعان، الكذب والصدق متوقعان، وأيضا أن يُعطى لك موعد ويُخَل به متوقع، وفي مقابل ما ذكرناه من متوقعات يكون غير المتوقع وفي ذلك على سبيل المثال: أن تَقدم الأم على ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهذا غير متوقع، أو أن يَقدم الأب على فعل الفاحشة مع ابنته، فهذا غير متوقع أيضاً، لأنه لم يوضع في حسبان القيم والأخلاق البنائية المستمدة من الدين الخاتم، الذي جاء فيه التحريم القاطع ومع ذلك كل شيء في دائرة المتوقع وغير المتوقع هو ممكنا، قال تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[٥٤٠].

ولهذا، معاير المتوقع هي التي على ضوئها تكون القواعد، وعلى معايير غير المتوقع تكون الاستثناءات.

– غير الممكن: هو المستحيل، الذي لا يمكن الإقدام على فعله، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزمن.

**مثال:**

. من غير الممكن أن نأتي بالشمس من المغرب.

. من غير الممكن أن ندمج الشمس في القمر.

---

[٥٤٠] النساء، ٢٢، ٢٣.

. من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين.

. من غير الممكن أن نفكر إن فقدنا عقولنا.

ـ من غير الممكن أن نحي الموتى بقدراتنا هذه. وقد يتساءل البعض: ماذا تعني بقدراتنا هذه؟.

أعني: إنَّ إحياء الموتى عبر الزمن كان ممكناً لبعض الرسل والأنبياء عندما إذن لهم القيم جل جلاله بذلك وذلك لتطمئن قلوبهم وليعلم من حولهم أنه على كل شيء قدير، ولكن في زمننا هذا فهو غير ممكن. قال تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي}[٥٤١]، وقال تعالى: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[٥٤٢]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٥٤٣].

ومع أن إحياء الموتى اليوم لا يدخل دائرة الممكن المتوقع وغير المتوقع (مستحيلا) إلا أنه بإذن المحيي لمن اصطفى من الأنبياء والرسل كان ممكنا إعجازا منه للآخرين ومناصرة لإظهار الحق كما هو حال الذي تم إحياءه ليقول من الذي قتله.

وبناء على ما سبق فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل؟.

– الممكن، قابل للإثبات أو الاكتشاف. أي أنه في حاجة لمن يثبته ويبرهن على معطياته أما المستحيل فمثبت. وهو الذي نعلم به ولا نعرفه.

---

[٥٤١] المائدة، ١١٠.

[٥٤٢] البقرة، ٧٣.

[٥٤٣] البقرة، ٢٦٠.

إذن المستحيل: هو الذي لا يمتلك أمره إلا الحي القيوم جل جلاله، الخالق له والقائم على أمره والعالم بما يجب، قال تعالى: {وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ}[٥٤٤]، وقال تعالى: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[٥٤٥].

ولأن زمن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلم تسليما الذين يطلعهم القيوم جل جلاله على الغيب لم يعد بعد الرسالة الخاتمة رسالة محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعث للكافة مبشرا ونذيرا وسراجا منيرا ورحمة للعالمين، قال تعالى: { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}[٥٤٦].

وعليه، يقع (غير المتوقع) أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في القراءات والحسابات السابقة على وقوعه، مما يجعله يقع (كما هوّ) إثباتا. ولهذا يتطلب التعرف عليه وعلى علله ومسبباته لا حقا، ليتم التعرف على نقاط الغفلة أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المسبق. فعلى سبيل المثال: كان إعصار كاترينا (Katrina) ٢٠٠٥ بالولايات المتحدة الأمريكية متوقعا، ما جعل الاحتياطات تؤخذ وفقا لما هو متوقع. ولكن

---

[٥٤٤] يونس، ٢٠.

[٥٤٥] النمل ٦٥.

[٥٤٦] هود ٤٧ . ٥٣.

الذي لم يكن في الحسبان درجة شدته ومستوى الدمار الذي خلفه، ولهذا كانت الاحتياطات المأخوذة ليست في مستوى وقوع الإعصار.

قال تعالى: {أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٥٤٧]، وقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}[٥٤٨]، وقال تعالى: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٥٤٩]، وقال تعالى: {وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٥٥٠].

إن الذي يرى ما للرياح من حركة منظمة من خلال فصول السنة وما يتبعها من الأنواء، وموجات البرد واختلاف سرعتها من موسم لأخر وما تقوم به من وظائف مهمة ومفيدة

---

[٥٤٧] النمل٦٣.

[٥٤٨] البقرة، ١٦٤، ١٦٥.

[٥٤٩] الأعراف٥٦، ٥٧.

[٥٥٠] الروم، ٤٦-٥٠.

للأنسان ففي بعض الجهات تأتي قوية لتحمل ما بذلك المكان من الغبار لتحمله إلى أناس في بقعة ثانية تكون لهم فيه فائدة، وكذلك اختلاف سرعتها من فصل لفصل ففي الربيع تكون خفيفة في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان الأخرى قد تكون قوية وهي حاملة بحبوب اللقاح التي بها تتنوع وتتسع الرحمة وفي ذلك فضل من القيوم عظيم، أي أنها لا تتحرك إلا وهي تحت رعاية القيوم جل جلاله، الذي جعل كل شيء بحسبان، قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[٥٥١]، وكذلك الرياح في موسم الشتاء تكون محملة بالسحب الثقال فتكون سرعتها هادئة لئلا يتمزق السحاب أو يذهب لغير موضعه فتمطر رحمة وغيث نافعا لإغاثة العباد الذين هم في حاجة إليها، ولهذا فالذي يعلم الأمر قادر على التصرف متى ما شاء كيف شاء سبحانه لا إله إلا هو. قال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}[٥٥٢]، لذلك جعل للرياح فوائد ومنها ما يأتي رادعا للطغاة والمعاندين الذين يظنون أن حصونهم مانعتهم من الله قال تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى

---

[٥٥١] الحجر ١٩-٢٥.

[٥٥٢] الفرقان، ٤٨-٥٢.

وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٥٥٣].

وبذلك وجب على الخليفة أن يستفيد من هذه النعمة في إعمار الأرض بالنبات وذلك باستغلال مواسم الأمطار بالحرث والبذر، وكذلك الاستفادة منها في استخراج المياه من جوف الأرض، وفي توليد الطاقة اللازمة لحركة الإنسان وما ينتج عنها من زيادة في الأنتاج ويترتب على ذلك من الرفاهية والراحة التي توفر للخليفة في الأرض قدرا أكبر من الوقت للذكر والدعاء والتضرع، وإلا كيف يكون قيوما بالإضافة إذا لم يكن مراعيا لأنعم الله في البر والبحر، ومن جميع جوانبها، فهذه الرياح بقدر ما تأتيه من النذر الذي تظهر فيه قيوميته وقدرته وسطوته، فإنها مظهر من مظاهر رحمته بما تأتي به من الأمطار النافعة التي تجعل الأرض الجدباء خضراء وبما تأتي به من الراحة للنفوس.

٧ ـ **قدرته على الإفناء:** قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٥٥٤]. بقيوميته تعالى فإنه قادر على الفناء وإعادة البناء من جديد لما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء دونما شريك أو نديد ويظهر ذلك في:

أ . حياة النبات الذي تراه مخضرا ثم يصير أصفر اللون يابسا، ثم يبقى في مهب الريح يرفعه الله إلى أي مكان شاء، قال تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا}[٥٥٥].

---

[٥٥٣] فصلت، ١٣–٢٠.

[٥٥٤] المائدة، ١٧.

[٥٥٥] الكهف٤٥.

ب ـ إفناؤه للمال والإنسان: قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}[٥٥٦].

ج . إفناؤه للجبال يوم القيامة: قال تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أحدا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحدا}[٥٥٧].

ولذلك على الخليفة أن يكون قادرا على اتخاذ القرار فيما يرى ما هو صواب ليحي ما يحي على بينة ويفني ما يفني على بينة، ليكون خليفة الله في أرضه ويكون قادرا بذلك على التجديد واتخاذ القرار الصائب بإذنه تعالى، وعليه في ذلك أن يستخير ربه في كل الأمور، فلا خاب من استخار، ولا من استشار.

٨ ـ **ملكه السماوات والأرض:** عندما نقول ملكه للسماوات والأرض نعني ملكه لكل شيء، ومالك كل شيء وحده الذي يتصرف في كل شيء، ووحده القادر على ما نعلم في دائرة الممكن وما لا نعلم في دائرة علم الغيب، ولهذا فهو القيوم على كل شيء والحمد لله رب العالمين على ملكه الذي لا يبلى ولا يزول إلا بأمره. قال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}[٥٥٨]. وقال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ}[٥٥٩]، وقال تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٥٦٠]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

---

[٥٥٦] الكهف٤٦.

[٥٥٧] الكهف٤٧– ٤٩.

[٥٥٨] البقرة، ١٠٧.

[٥٥٩] آل عمران، ١٨٩–١٩٣.

[٥٦٠] المائدة، ١١٨–١٢٠.

وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[٥٦١].

وعليه أتساءل:

. ألا يكون بحق مالك السماوات السبع والأرضي السبع بغني لا مجال للمقارنة معه؟.

. ألا يكون مالك هذا الملك العظيم بقادر على الهيمنة عليه؟.

. ألا يكون محرك هذا الملك بقيوم على كل حركة وسكون فيه؟.

. ألا يكون مزامن الحركة والسكون بعليم بكل أمر متعلق بكل زمان وحركة؟.

. إلا يكون القادر العظيم بقادر على أن يخلق ما هو أعظم؟.

. ألا يكون من خلق وهو يخلق في كل حين بقادر على إنهاء ما خلق؟.

. ألا يكون من أوجد هذا الخلق بقادر على استبداله بخلق جديد؟.

ـ ألا يكون من خلق الحياة والممات بقادر على جعل الحياة سرمدية بعد أن يقضي بأمره (كن) على أفعال الموت؟.

. ألا يكون من بيده أمر كل شيء مجازيا بالحسنات من يكون له طائعا، ومجازيا أصحاب السيئات بالعذاب الشديد؟.

ـ ألا يكون من المفيد أن نضع مقارنة بين الذين يركعون ويسجدون لخالق السماوات والأرضين وجعل لهم فيها أرزاقا، وبين الذين يركعون ويسجدون لمن لم يخلق جناح بعوضة؟.

. ألا يكون من الأليق بنا أن نركع ونسجد للوأحد الأحد الذي لم يكن له كفؤاً أحد وهو يخلق ولا يُخلق ولا نركع لمن يمرض وينافق ويفسق ويكذب ويسرق ويزنى ويطفف الميزان وإذا حكم بين الناس ظلم ومال؟.

**٩ ـ قيامه على خلق السحاب والسيطرة عليه:** السحاب ماء معلق بغير عمد في السماء المرفوعة بغير عمد نراها، وبالرغم من أنه الماء إلا أنه يوقد نارا فتكون برقا يضيء الأرض

---

[٥٦١] النور، ٤١، ٤٢.

والسماء في دائرة النسبية المكانية والزمنية، ومع أن ماء المطر في أساسه مرفوع من الأرض إلا أنه سيسقط عليها مطرا نافعا بعد أن كان خليطا بملح أجاج.

ماء البحار والمحيطات هو الماء الغالب على سطح الأرض ولذا فالسحاب الكثيف في معظمه هو مستمد من هذه المجمعات للمياه الملحة، وسبحان الله بدون أجهزة تحلية ينقى الماء العذب من الماء الملح وينقل من هذه الخزانات الراسية ليسقط مطرا على الأرض اليابسة فيحييها فتصبح مخضرة لونها يسر الناضرين ويشبع حاجاتهم رزقا من القيوم الذي يتولى الخلائق بالرعاية والعناية.

ولأن مياه البحار والمحيطات في أماكن من الأرض المنخفضة وهي ملحة فلا تنفع الأرض الجرداء بل إن انتقلت إليها جعلتها أكثر بورا وفقرا ولهذا فالقيوم القادر بالمطلق بأمره (كن) جعلها تتطاير وتتبخر حتى تصعد بالغصب عن قانون الجاذبية إلى ما هو ممكن ولتسقط مطرا رحمة منه إنه الرحمن الرحيم. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ}[٥٦٢]، وقال تعالى: {وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}[٥٦٣]. بقيوميته تعالى قادر على خلق السحاب والسيطرة عليه وإرساله إلى حيث يشاء دون أي استعانة أو نجدة بأحد، أما القيوم بالإضافة إلى خالقه لابد له وأن يستغيث ربه في طلب السحاب النافع له وللمستخلفين على الأرض ليقوموا به شؤون حياتهم، وليستعينوا بذلك للقيام على الشجر والزرع والذي به يصلح شأن البهائم والتي تمدهم بكل ما يحتاجونه من الجلود والأصواف والأوبار ومن الحليب واللحم وغيرها من المنافع، تلك التي خلقها جل جلاله لتعين الإنسان على صروف وظروف الحياة المختلفة، ومن واجب الخليفة في ذلك أن يتضرع لخالقه بالدعاء في طلب الاستسقاء

---

[٥٦٢] النور ٤٣.

[٥٦٣] الرعد ٩-١٣.

كلما تأخرت عنهم الأمطار، وأن يدعو المستخلفين بالاستغفار لذنوبهم ليستعجلوا الماء النافع لهم ولغيرهم من البهائم والمزروعات. ولأنهم المستخلفون فهم القيومون بالإضافة وعليهم بالعمل والبحث العلمي الذي يمكنهم من بلوغ الأسرار وكشفها في نقل المياه واستعمار الأرض التي أوصاهم القيوم المطلق بإصلاحها وإعمارها وفلاحها.

**١٠ ـ قيامه على جناته:** ولأنه القيوم فهو القائم بكل شيء وعلى كل شيء، وله في ذلك ملوك وسلاطين مما خلق من الملائكة المكرمين ومما لا نعلم مسخرين للخدمة والمراقبة والمتابعة وهم من حول العرش يحيطون بحمله ويسبحون بحمده.

وكما سبق أن بينا كيف بقيوميته يرفع الماء إلى السماء وعرفنا أن الماء الذي يطفئ النار يوقد نارا فتكون برقا بأذنه، هذه آيات عظيمة فمن نظر إليها ونضر تفكر وتذكر وتتدبر حتى أيقن أنه الحق من الحي القيوم جل جلاله، ومن لا يتمكن من ذلك لا يمكنه أن يفكر في الكيفية التي بها تتم هذه العملية العجيبة ولماذا تتم هكذا ؟ ومن أجل من؟.

والخليفة وحده أدرك هذا الأمر وأدرك الأمر الأعظم وهو ما يخلق في الجنة من نعم لا مثيل لها في الخلق الأرضي، قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}[٥٦٤]، وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٥٦٥]، وقال تعالى: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}[٥٦٦]، وقال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا

---

[٥٦٤] الفرقان، ١٠، ١١.

[٥٦٥] البقرة، ٢٥.

[٥٦٦] آل عمران، ١٥.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}[٥٦٧]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}[٥٦٨].

١١. **قيامه على تدبير الأمر**: الأمر كلمة ذات دلالة مطلقة غير محددة في دائرة الممكن، فهو يحتوي ما يتعلق بالشيء المتعدد باستمداد الأشياء منه، ولهذا فالأشياء لا تحصى وفي مجملها هناك أشياء تتعلق بالوجود وهناك أشياء تتعلق بالعدم، وهناك أشياء تتعلق بالبعث وهناك أشياء تتعلق بالجنة اللهم لا تحرمنا منها ومن الخيرات الحسان التي فيها وهي لا تعد ولا تحصى، وهناك أشياء تتعلق بالنار اللهم أحفظنا منها ومن شرها. إنه مدبر الأمر بأسبابه ومعطياته وبأغراضه وغاياته وما يترتب عليه سبحانه ما أعظم شأنه إنه بكل شيء عليم وعلى كل أمر قيوم. قال تعالى: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[٥٦٩]،.

---

[٥٦٧] آل عمران، ١٩٥-١٩٨.

[٥٦٨] النساء، ٥٦-٥٧.

[٥٦٩] السجدة٥- ١١.

**١٢ . مكافأته النفوس بأعمالها:** ولأنه قيوم فهو العليم بكل حال وبكل أمر ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماوات العلا وما بينهما وفي كل مكان نعلمه أو لا نعلمه أنه القيوم العليم جل جلاله؛ وإنه يعلم ما تكنه وتظهره النفوس وهو بكل أمر عليم حكيم. قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلأن جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}[٥٧٠].

**١٣ . قيامه بالرعاية لخلفائه:** المستخلفون هم دائما في حفظ القيوم وفي رعايته من الشرور ومن كل بلية، وذلك باختيارهم للحق وإتباعه والاهتداء به فيما يقومون من عمل ومن قول ومن فعل وسلوك، وهكذا يتكفل أمر المحسنين والصالحين من عباده الوارثين ويتقبلهم بقول حسنا. قال تعالى: {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

---

[٥٧٠] السجدة١٢-٢٠.

وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}[٥٧١].

وقال تعالى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}[٥٧٢]، وقال تعالى: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[٥٧٣]. فهذه الرعاية التي منحها القيوم لمستخلفيه لابد أن يقابلها الشكر منهم بما منحهم من الرعاية والعناية الإلهية التي لا تدوم إلا بالشكر والثناء ويكون ذلك بالعبادة واتباع ما أمر واجتناب ما نهى عنه؛ لأن النعم تدوم بالشكر لا بالجحود كما قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}[٥٧٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}[٥٧٥].

**١٤ . قيامه على المحو والتثبيت:** قال تعالى: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}[٥٧٦].

---

[٥٧١] آل عمران، ٣٧- ٤٥.

[٥٧٢] الحجر٣٩-٤٢.

[٥٧٣] الحجر٨٧-٩٩.

[٥٧٤] النساء، ١٤٦، ١٤٧.

[٥٧٥] إبراهيم، ٧، ٨.

[٥٧٦] الرعد٣٩، ٤٠.

١٥ . **قيامه على أمر الروح:** قال تعالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإنسان أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا}[٥٧٧].

١٦ . **قيامه على إرسال الرسل:** القيوم هو الذي يصطفي الرسل ويقوم عليهم حتى يؤدوا الأمانات لأهلها شعوبا وقبائل وأمما وللكافة كما هو حال الرسالة المحمدية. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[٥٧٨]، وقال تعالى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}[٥٧٩]، وقال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالأنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}[٥٨٠]، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ}[٥٨١]. ولأن الرسل مستخلفين مباشرة باصطفاء من الله تعالى فإن المؤمنين برسالاتهم هم خلفاء بالإتباع (إتباع الرسالة والاهتداء بهديها).

١٧ . **قيامه على نصرة ومكافأة خلفائه:** قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

---

[٥٧٧] الإسراء، ٨٣-٨٧.

[٥٧٨] إبراهيم، ٤،٥.

[٥٧٩] آل عمران، ١٨٤-١٨٦.

[٥٨٠] الأنعام، ١٣٠،١٣١.

[٥٨١] الأعراف٥٢-٥٣.

لَشَدِيدٌ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ}[٥٨٢]، وقال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[٥٨٣]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ}[٥٨٤].

١٨ . **قيامه على هداية خلفائه:** قال تعالى: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}[٥٨٥]، وقال تعالى: {الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[٥٨٦]، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

---

[٥٨٢] الرعد٦-٩.

[٥٨٣] البقرة، ٢١٣، ٢١٤.

[٥٨٤] العنكبوت٩-١٤.

[٥٨٥] إبراهيم، ١٢-١٥.

[٥٨٦] البقرة، ١-٥.

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[٥٨٧].

**١٩ . قيامه على التبديل والتجديد:** مالك الأمر لا ينتظر الاستئذان من أحد فهو بيده الأمر يقدم ويؤخر ما يشاء متى ما شاء إن شاء أن يفعل ما يشاء. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ}[٥٨٨].

**٢٠ . قيامه على الخلق:** خلقه بشر منهم المهتدين ومنهم ما دون ذلك ولكل منهم حسابه ثوابا أو عقابا، وهم في خلقهم على قدرات متعددة غير متساوين، فمنهم العلماء العظام ومنهم العلماء الذين يفتقدون لعظمته إن لم يكونوا مؤمنين به وبما خلق وبما أرسل من رسول، فهو يعلم بحال كل منهم ويعلم بحال كل ما خلق من إنس وجن وملائكة وما خلق من طير وحيوان وسمك ونبات ومما نعلم مما خلق ومما لا نعلم من كبيرة وصغيرة. قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}[٥٨٩]، وقال تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ

---

[٥٨٧] البقرة، ١٤٣، ١٤٤.

[٥٨٨] إبراهيم، ١٩-٢١.

[٥٨٩] إبراهيم، ٣٢،٣٣.

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}[٥٩٠]، وقال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ}[٥٩١]، وقال تعالى: { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٥٩٢].

**٢١ . قيامه على العذاب:** الحمد لله الذي خلق العذاب عقابا للكافرين والمشركين والمفسدين في الأرض وسافكي الدماء فيها بغير حق، فلو لم يخلق العذاب ما امن من آمن ولا اختشي الكثير مما هم الأن في خشية من ربهم في أن يعملوا ما لا يرضيه. وبرغم كيد الكائدين فإن الله هو خير الكائدين وخير الرازقين ومهما ما مكر الماكرين فإن الله هو خير الماكرين. قال تعالى: {وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَأحد وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٥٩٣]، وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

[٥٩٠] البقرة، ١٠٦– ١٠٨.

[٥٩١] البقرة، ١١٦–١١٩.

[٥٩٢] آل عمران، ١٧٩ ،١٨٠.

[٥٩٣] إبراهيم، ٤٦–٥٢.

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}[٥٩٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ}[٥٩٥]، وقال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[٥٩٦].

٢٢ . **قيامه على حفظ القرآن:** قال تعالى: {مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ}[٥٩٧].

٢٣ . **قيامه على حفظ السماء:** قال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}[٥٩٨]، وقال تعالى: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[٥٩٩]، وقال تعالى: {إِنَّ

---

[٥٩٤] الكهف٢٩-٣١.

[٥٩٥] البقرة، ٨٤-٨٦.

[٥٩٦] الأنعام، ٦٥-٦٧.

[٥٩٧] الحجر٨-١٠.

[٥٩٨] الحجر١٨،١٧.

[٥٩٩] الصافات٤- ١٠.

الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[٦٠٠].

٢٤ . **قيامه على المعاش والرزق:** قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ}[٦٠١].

٢٥ . **قيامه على خزائن الدنيا:** قال تعالى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}[٦٠٢]، وقال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}[٦٠٣]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ}[٦٠٤].

٢٦ . **قيامه على أمر الحياة والموت:** قال تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ}[٦٠٥]، وقال تعالى: {إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[٦٠٦]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ

---

[٦٠٠] فصلت، ٨-١٢.

[٦٠١] الحجر١٩ ،٢٠.

[٦٠٢] الحجر٢١.

[٦٠٣] النباء٦-١٦.

[٦٠٤] الأعراف، ١٠ ،١١.

[٦٠٥] الحجر٢٥.

[٦٠٦] يس، ١١ ،١٢.

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[٦٠٧].

**٢٧ . قيامه على خلق الإنسان:** خلقه للإنسان خلق للطينة التي منها الخليفة، والخليفة على أربعة:

**الأولى:** استخلافه لآدم عليه الصلاة والسلام من التراب مباشرة أي من أديم الأرض الكريمة خلقه ثم قال له كن فكان على الحياة والممات والحركة والسكون وسيكون يوم البعث في جنة النعيم في حياة دائمة لا تنتهي أبدا.

**الثانيـة:** استخلاف الأنبياء والرسل باصطفاء مباشر وبأمانات منه ورسالات من قصص وحكم وكتب وزبر وصحف وألواح وتوراة وإنجيل وقرآن كريم.

**الثالثة:** استخلاف بالإتباع أي إتباع ما جاء به الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

**الرابعة:** استخلاف بالتوحيد به وأحد أحد ودينه الخاتم وأحد لا يتعدد، ورسوله الخاتم بالرسالة ألخاتمه هو الحق فمن تبعه كان خليفة ومن لم يتبعه فقد ضل.

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[٦٠٨]، وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ}[٦٠٩]، وقال تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}[٦١٠]، وقال تعالى:

---

[٦٠٧] ق، ٣٨-٤٥.

[٦٠٨] الحجر٢٦.

[٦٠٩] الحجر٢٨-٣٠.

[٦١٠] النحل١-٤.

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[٦١١].

٢٨ . **قيامه على خلق الجن:** قال تعالى: {وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ}[٦١٢]، وقال تعالى: {خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٦١٣].

٢٩ . **قيامه على تسخير البحر والبر للأنسان:** قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٦١٤]، وقال تعالى: {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ}[٦١٥]. وقال تعالى: {وَالأنعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}[٦١٦]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ

---

[٦١١] السجدة٤-١١.

[٦١٢] الحجر٢٧.

[٦١٣] الرحمن، ١٤-١٦.

[٦١٤] النحل١٤.

[٦١٥] الأنعام، ٦٣ ،٦٤.

[٦١٦] النحل٥-٩.

بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أجل مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أحدكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}[٦١٧].

**٣٠ ـ قيامه على مفاتيح الغيب:** قال تعالى: {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[٦١٨].

**٣١ . قيامه على الشجر:** قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}[٦١٩].

**٣٢ . قيامه برعاية الأرض:** قال تعالى: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[٦٢٠].

**٣٣ . قيامه على السر والعلن:** قال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ}[٦٢١]، وقال تعالى: {لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ}[٦٢٢]، وقال تعالى:

---

[٦١٧] الأنعام، ٦٠ . ٦٢.

[٦١٨] الأنعام، ٥٨ ،٥٩.

[٦١٩] النحل١٠– ١٣.

[٦٢٠] النحل١٥–١٨.

[٦٢١] النحل١٩.

[٦٢٢] النحل٢٣.

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[٦٢٣]، وقال تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}[٦٢٤].

**٣٤ . قيامه بعذاب الكافر**: قال تعالى: {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَأحد فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}[٦٢٥].

**٣٥ . قيامه على سؤال خلقه**: قال تعالى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ}[٦٢٦].

**٣٦ . قيامه على ما بجوف الأنعام بجعله لبنا**: قال تعالى: {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي

---

[٦٢٣] طه، ٦-٨.

[٦٢٤] الفرقان، ٣-١١.

[٦٢٥] النحل٢٢- ٢٦.

[٦٢٦] النحل٥٦،٥٥.

بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٦٢٧].

**٣٧ . قيامه على رعاية النحل:** قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٦٢٨].

**٣٨ . قيامه على أعمار خلقه:** قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[٦٢٩].

**٣٩ . قيامه على درجات الرزق:** قال تعالى: {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}[٦٣٠].

**٤٠ . قيامه على خلق الأزواج:** قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}[٦٣١].

**٤١ . قيامه على الغيب:** قال تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٦٣٢].

**٤٢ . قيامه على نعمتي السمع والبصر:** قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٦٣٣].

**٤٣ . قيامه على الطير في طيرانه وسكناته:** قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[٦٣٤].

---

[٦٢٧] النحل٦٥-٥٧.

[٦٢٨] النحل٥٨، ٥٩.

[٦٢٩] النحل ٧٠.

[٦٣٠] النحل٧١.

[٦٣١] النحل٧٢.

[٦٣٢] النحل٧٧.

[٦٣٣] النحل٧٨.

[٦٣٤] النحل٧٩.

٤٤ . **قيامه على أثاث الإنسان:** قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ}[٦٣٥].

٤٥ . **قيامه على راحة الإنسان:** قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}[٦٣٦].

٤٦ . **قيامه على العذاب يوم القيامة:** قال تعالى: {يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[٦٣٧].

٤٧ . **قيامه على مكارم الأخلاق:** قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}[٦٣٨]. ومن قيامه على مكارم الأخلاق: قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي

---

[٦٣٥] النحل ٨٠.

[٦٣٦] النحل ٨١ ، ٨٢.

[٦٣٧] النحل ٨٣-٨٧.

[٦٣٨] النحل ٩٠ ، ٩١.

الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}[٦٣٩].

**٤٨ . قيامه على الرزق:** قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٦٤٠]، وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}[٦٤١].

**٤٩ . قيامه على ردع الشيطان عن المؤمنين:** قال تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ}[٦٤٢]، ولأنه بقيامه يفرض سيطرته على الشيطان: قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[٦٤٣].

---

[٦٣٩] الإسراء، ٣٢-٣٨.

[٦٤٠] النحل٩٦ ،٩٧.

[٦٤١] الإسراء، ٣٠ ،٣١.

[٦٤٢] النحل٩٨-١٠٠.

[٦٤٣] الإسراء، ٦١-٦٦.

٥٠ ـ **قيامه على إسراء الرسول:** قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا}[٦٤٤].

٥١ . **قيامه على الحساب بدقة:** قال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}[٦٤٥].

٥٢ . **قيامه على تفضيل الخلق:** قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا}[٦٤٦].

٥٣ . **قيامه على كل تسبيح:** قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}[٦٤٧]، وقال تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}[٦٤٨].

---

[٦٤٤] الإسراء، ١ ،٢.

[٦٤٥] الإسراء، ١٣–١٧.

[٦٤٦] الإسراء، ١٨–٢٢.

[٦٤٧] النور ٤١.

[٦٤٨] الإسراء، ٤٤ ،٤٥.

٥٤ . قيامه على كل شيء: فما ذكرناه هو فقط للتذكير إما إحصاء ما هو قائم عليه فهو لا يحصى سبحانه لقد أحصى كل شيء وعده عدا، قال تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[٦٤٩]، وقال تعالى: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[٦٥٠]. ومن قيامه على الشيء المطلق أذكر اثنين فقط هما:

**قيامه على الزمان والحركة:**

الزمان هو الملاحظ الذي لا يمكن مشاهدته، والذي لا يقاس بغيره أو من خارجه، فالزمان لا يقاس إلاّ بالزمن، والدهر، كزمن، لا يقاس إلاّ بالأعوام والسنين، والأعوام لا تقاس إلاّ بالشهور كمواقيت طبيعية، والشهور لا تقاس إلاّ بالأيام، وهكذا عرفنا الساعات كزمن لقياس اليوم كزمن، إذاً الزمان هو المتدرج من الكل إلى الجزء الذي هو الآخر يتجزأ، أما في حالة جموعة فهو دائماً المتدرج من المتجزئ إلى الكل.

وقد يتساءل البعض: ما علاقة الزمان بالحركة؟ وأيهما الأسبق على الآخر؟ تكون الإجابة: لا حركة بلا زمان، ولا زمان بلا حركة. ولهذا لا يمكن أن يكون أحدهما سابقاً على الآخر. فلو كان الزمان سابقاً على الحركة، لكانت الحركة عبارة عن حدث من أحداث الزمان، وهكذا لو كانت الحركة سابقة على الزمان لكان الزمان عبارة عن حدث حركي أو مولود الحركة الأول، وكل منهما مترتب وجوده مع الآخر، وليس مترتباً عليه. ولهذا لو توقفت الحركة يتوقف الزمان، وإذا توقف الزمان توقفت الحركة، فلا حركة إلاّ بزمان، ولا زمان إلا بالحركة. إذاً الزمان والحركة هما الشيئان المكملأن الواحد للآخر في الوجود المترتب عليهما.

---

[٦٤٩] المجادلة ٦.

[٦٥٠] مريم ٨٦ . ٩٥.

وبما أن الزمان والحركة شيئان، إذاً هما الموجودان في الآن الواحد، ولهذا لا يمكن أن يكون الآن بأحدهما، ولا يمكن أن يكون الماضي، ولا يمكن أن يكون المستقبل. فالزمان والحركة هما الشيئان اللذان كانا لحظة الأنفجار العظيم، وهما السابقان في الخلق الذي يتكوّن من الزوجين، مصداقاً لقول الله تعالى: {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}[٦٥١]، وقال تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى}[٦٥٢]، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَأحد وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[٦٥٣]، فالزمان والحركة شيئان اثنان كغيرهما من الأشياء الأخرى التي تم خلقها من عند الله عز وجل. وبقوله تعالى: {وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون}[٦٥٤]

والليل كزمن أو ميقات يتوحد مع حركة الأرض والذي يسبح (يتحرك) وكأنه في حالة انطفاء، وهو في حركة منتظمة ومتناهية مكاناً وزماناً.

ونتيجة انتظام حركة المتحرك مع زمانه فلا يمكن له (المتحرك) أن يدرك أحده الآخر (الليل والنهار والشمس والقمر) ومع أن الزمان والحركة يلاحظان ولا يشاهدان، إلاّ أن المواقيت تشاهد، والليل والنهار والفجر والصبح والمغرب مواقيت كلها تشاهد. ولهذا لا متحرك إلاّ في

---

[٦٥١] الداريات، ٤٩.

[٦٥٢] النجم ٤٥ . ٤٧.

[٦٥٣] الرعد ٣، ٤.

[٦٥٤] يس، ٣٧-٤٠.

مواقيت أو بمواقيت. إذاً لا متحرك إلاّ والزمان معه، ولا وجود لمواقيت إلاّ والحركة معها {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون}[٦٥٥].

**الأن:**

يقول ابن سينا: الأن هو (دائماً وصل بين قبل وبعد، وهو قبل ما بعده، وبعد ما قبله)[٦٥٦]. فالآن كالعلامة على الزمان ويشار به إلى الوقت الحاضر الذي يربط الزمنين الماضي والمستقبل اللذين هما الآخرين علامتين على الزمان، والزمان متصل غير منفصل، أما الوقت الذي هو المتكون من الماضي والحاضر والمستقبل فمتجزئ بأحداثه، وعندما نقول الزمان في تشبيهه كالحبل على البكرة، فالذي تم سحبه منه أصبح في الوقت الماضي، وما هو على البكرة هو في وقت الآن، وما لم يسحب بعد يقع في الوقت المستقبل، ولهذا تجزأ الوقت ولم يتجزأ الحبل (الزمان) فالحبل متصل لأنه حبل واحد، أما الوقت فلم يكن واحداً.

الأن إذاً هو الظاهر في الحاضر، والكامن في الماضي، والمتناهي في المستقبل.

**الأن البداية:**

هو الذي لم يكن كما قال عنه ابن سينا (الأن دائماً وصل بين قبل وبعد)[٦٥٧]، بل الأن البداية هو بداية التوأم (الزمان والحركة) فلا زمان إلاّ من بعده ولا حركة إلاّ من بعده، ولا حياة إلاّ من بعده، وذلك لعدم وجود ماض سابق على وجوده، ولهذا الآن البداية هو دائماً بداية لما بعده.

الأن الأوسط:

هو الذي ينطبق عليه ما قاله ابن سينا بأنه (دائماً وصل بين قبل وبعد، وهو قبل ما بعده، وبعد ما قبله)، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هو الوسط الحسابي بحيث تتعادل أطرافه، فإذا

---

[٦٥٥] يس، ٤٠.

[٦٥٦] إبراهيم، العاتي، الزمان في الفكر الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، دار التخب العربي، ١٩٩٣م، ص١٨٣.

[٦٥٧] المرجع السابق، ص ١٨٣.

اعتبرنا الآن في هذا اليوم نقطة وصل بين الماضي من البداية، والمستقبل إلى النهاية، فهل نحن متأكدون بأن ما قضيناه من الزمان يساوي ما تبقى منه؟

الأن النهاية:

هو دائماً بعد ما قبله، وليس وصل بين قبل وبعد، فإذا كان للحجرة باب، فالأن هو المفتاح الذي أُقفلت به الحجرة. ولهذا الآن النهاية هو دائماً نهاية لما قبله.

الأن الماضي:

هو المستوعب للتجارب التي وقعت أو التي حدثت بموجبها وسالبها، وهو الذي يكتمل بعد حدوث الفعل أو الأنتهاء من التجربة، ويتصل مع كل حاضر بالنقطة الأن. الماضي هو الوقت الذي سجلت فيه الأحداث والأفعال والتجارب في الزمان والحركة، وهو القابل للاستدعاء كأحداث وغير قابل للاستدعاء كزمان وحركة، والسبب هو الأفعال الماضية إلى جانب كونها تسجل في الزمان والحركة، فهي أيضاً تسجل في العقول المدركة التي عندما تحاور بالأسلوب العلمي تتمكن من أن تستدعى ما سجل لديها من مخزون الماضي. أما الزمان الماضي والحركة الماضية فلا يمكن استدعاؤهما مع الأحداث الماضية إلاّ كمواقيت ودلائل لتسجيل الأحداث والمواقف والمواضيع والظواهر، ولذلك لا يمكن استدعاؤهما مجردين مع أنهما يتكرران وفقاً للدورة الفلكية المنتظمة. ولذلك نلاحظ تكرار الزمان والحركة، ونلاحظ اختلاف المحتوى، بمعنى أن اليوم يتكرر كل أربع وعشرين ساعة، ولكن مضمون اليوم ومحتواه قد لا يتكرر، فعلى سبيل المثال: قد نجد اليوم درجة الحرارة أكثر أو أقل من حرارة يوم أمس، أو أنها أكثر أو أقل من حرارة اليوم المماثل لهذا اليوم من العام الماضي، مع أن هذا اليوم يماثل يوم العام الماضي من حيث الزمان والحركة، ولهذا يختلف المضمون والمحتوى لكل وقت سواء من حيث الكم أو الكيف، ولكن بالنسبة إلى الحركة الذاتية والزمان الذاتي لا يختلفان بين هذا اليوم ويوم العام الماضي، فيوم ٢٣ يوليو من هذا العام لا يختلف عن يوم ٢٣ يوليو من العام الماضي، باعتباره أطول أيام السنة نهاراً، ولكن من حيث المضمون والمحتوى فقد لا يكون بينهما تماثل، وهكذا يكون يوم الفاتح من سبتمبر من هذا

العام لا يختلف عن يوم الفاتح من سبتمبر من العام القادم من حيث الزمان والحركة. إذاً الماضي كأعمال لها مضمون ومحتوى يمكن استدعاؤها في الوقت الآن، والآن هو لحظة بداية ولحظة نهاية، ولهذا يقع الآن في الزمان كما يقع الزمان في الحركة، فلا حركة بدون الآن، ولا الآن بدون زمان، فالماضي لا يبدأ إلاّ به ولا ينتهي بغيره (بغير الآن)، وهكذا الحاضر هو الآخر بدايته الآن ونهايته الآن، وكل مستقبل لا يكون إلاّ به، فهو أمر البداية والنهاية، فسبحان ربي إذا أراد أمراً فإنما يقول له كن فيكون، ولذلك قال الله تعالى: {ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً}[٦٥٨] فالأعمال التي وقعت في الماضي ستكون في المستقبل كما هي أمام مرتكبيها، ولهذا استدعاء الماضي ممكن، ولكن إعادة الزمان والحركة بالنسبة إلى المخلوقات غير ممكنة.

الأن المستقبل:

المستقبل هو الوقت المنتظر الذي يحتوي على الآمال وهو غير قابل للتذكر ولكنه قابل للتفكر، والتفكر لا يهتم باستدعاء المعلومات الجاهزة، بل هو المتطلع إلى ما هو متوقع، نتيجة استنتاجه واستقرائه لمضمون الماضي الذي تكمن فيه المعلومات والتجارب وتتراكم فيه الخبرة، ولذلك يستمد المستقبل تطوره وتجديده من الماضي الذي يرتبط به في الآن، ولذلك تتداخل المعلومات كما يتداخل الزمان مع الحركة، مما يجعل الحياة نسيج الأفعال في الزمان والحركة، فلا زمان بلا حركة، ولا حركة بلا زمان ولا حياة بدونهما.

المستقبل لا يحصى، وذلك لعدم تسجيله بعد في سجلات التاريخ، مع أنه مسجل كوقت في الزمان والحركة، ولهذا سيأتي بالقوة الفاعلة من خلال قوة الزمان والحركة الفلكية، فبما أن اليوم قد دخل والحركة مستمرة إلى النهاية مع الزمان، فبالضرورة سيأتي غداً لا محالة، وغداً قد يكون نهاية لما سبق وقد يكون استمراراً له، وهذه بالنسبة إلينا غير معلومة مع أنها متوقعة.

---

[٦٥٨] الكهف، ٤٩.

المستقبل هو الذي سيأتي بعد كتابة هذه الكلمة في حالة مواصلتي الكتابة، وهو الفكرة التي ستأتي بعد ما أفكر فيه، وهو الزمان الذي فيه طموحاتنا وما نتوقع، والذي من أجله نتنفس، ونشرب، ونأكل، ونفكر، ونتعلم، ونعمل، ونتصدق، ونصلي، ونحب، ونتزوج، وندَّخر وفق حاجاتنا، ونؤمن على أرواحنا وممتلكاتنا، ونخاف، وهو نهاية البداية وثبات الحركة، وعليه كل حركة من أجل المستقبل.

تتحرك الأرض والكواكب والنجوم بالأمس، فكان اليوم، وتستمر في حركتها من أجل أن يأتي غداً، وهكذا تكون الحركة إلى النهاية، وعندما تأتي النهاية يكون الثبات، وإذا كانت الحركة تتضمن وجود طاقة، فإن المستقبل يتضمن زمان ومجال توليدها، وهكذا تستمر الحركة والمستقبل، فلا حركة إلاّ لمستقبل، ولا مستقبل بدون حركة، ومنهما يحدث التغير، سلباً أو إيجابا.

يتكوّن كل من المستقبل والحركة من زمان، وفعل (محتوى ومضمون). وعليه لا يمكن أن يتحقق المستقبل بدون زمان وفعل، ولا يمكن أن تكون الحركة بدون زمان وفعل، وعندما تصل الحركة إلى لحظة النهاية، يكون العدم، وينتهي المستقبل بالنسبة إليها مادامت في حالة عدم، وعليه يستمر المستقبل كلما كانت هناك حركة، وتستمر الحركة كلما كان هناك مستقبل.

ولو لم يكن هناك مستقبل ما كان هناك أمل، ولا أمانٍ، وما فكرنا فيما ينبغي أن نفكر فيه وهو ما يشغلنا. وبناء على ذلك ينبغي أن تكون مناهجنا مستقبلية، لكي نعرف من نحن، وما يجب علينا القيام به، ونعرف من أجل ماذا نفكر، ومن أجل ماذا نتعلم؟ ومن أجل ماذا ندرس، ونحلل، ونعالج؟ ولماذا طرحت هذه الأسئلة؟ وهل ينبغي أن يتجاوز تفكيرنا الزمان، أم يقتصر عليه؟ إذا كانت الإجابة بتجاوزه فإننا نفكر، وإذا كانت بالاقتصار عليه فإننا نتذكر وننتظر، نتذكر الماضي، وننتظر حتى يأتي الغد في لحظة الآن المستقبلية، أي نعطل قدراتنا ومواهبنا ولا نفكر، لأن الغد لم يأتِ بعد. كل هذه وتلك الأمثال تجعلنا كما قال تعالى: {وتلك

الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون}[٦٥٩]، ويقول تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[٦٦٠].

والمستقبل يكمن في الزمان والحركة كما تكمن الشجرة في البذرة، مما يجعل الشجرة تكمن في الزمان المستقبل في البذرة الآن، مع أن هذه البذرة كانت في الماضي من الشجرة، وعندما تصبح البذرة شجرة مثمرة تكون البذرة في الماضي، وتكون الشجرة في الأن، وتكون الثمار في المستقبل. وهكذا في التقاء الأحبة الآن بين الحيوان المذكر مع البويضة يكمن المستقبل الذي تكمن فيه هو الآخر معاني الأمومة والأبوة والأخوة بين البشر عندما تأتي الآن المستقبلية في وقت النضج العقلي والعاطفي والوجداني للبشر من مرحلة الطفولة المبكرة إلى مرحلة الشيخوخة المتأخرة.

إن ما وقع في الأن الماضي سيكون بالضرورة حاضراً في الآن المستقبل، ولهذا لا يمكن أن يكون الماضي ولا المستقبل إلاّ في الآن، فالمؤمن الذي يعمل صالحاً في دنياه يعمل في حقيقة الأمر من أجل المستقبل، ومستقبله سواء أكان خيراً أو لا، هو ما كان له حاضر في الماضي. إذن الماضي كأحداث وأفعال سيكون حاضرا في المستقبل (الحاضر المستمر) ويسأل صاحبه عليه فيعاقب أو يجازي به، فيقول الله تعالى: {يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوءٍ تودُ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد}[٦٦١].

تؤكد هذه الآية على أن كل عمل ماض هو من أجل المستقبل، وهكذا عمل الحاضر الذي هو الآخر سيقع في الزمان الماضي، فهو لم يكن من أجل الماضي، بل أنه من أجل

---

[٦٥٩] الحشر، ٢١.

[٦٦٠] الأعراف، ١٧٥ . ١٧٨.

[٦٦١] الأعراف، ٣٠.

المستقبل، ولذلك يكون الماضي كالخزينة المملوءة التي لم تفتح بعد الفتحة النهائية، بل إنها في الحياة الدنيا لا تفتح إلا بمقدار استدعاء المعلومات التي يمكن أن تفيد في صنع تاريخ قريب، ولهذا ينبغي أن نعمل في حاضرنا خيراً لكي يكون لنا مستقبلاً خيراً. وكل الأعمال التي تقع في الآن تمسى في الماضي وتصبح على خير المستقبل، وحتى إن نسيها أصحابها فلا يضيع منها شيء بالنسبة إلى سجل الزمان والحركة، {يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصه الله ونسوهُ واللهُ على كُل شيء شهيد}. تؤكد هذه الآية على أن كل شيء وجد يمكن إحصاؤه، ولكن لقصور القدرات البشرية عن ذلك عجزت عن إحصائه مع أنه محصي من قبل الخالق عز وجل، ولهذا كل عمل قد حدث سيكون حاضراً في المستقبل لتتم المسألة ويتحقق له الجزاء.

الوقت منتظم في الزمان كانتظام حبات المسبحة في خيطها، وبالتالي يمكن التعرف على الأوقات وحصرها وعدها، ولكنه من غير الممكن عد الزمان، فعندما تعد وأحدة من حبات المسبحة المتكونة من المائة حبة تصبح هذه الأولى في الماضي، وتكون الحبة الثانية الواقعة بين أصابعك في الأن، وتكون ٩٨ حبة واقعة في المستقبل، ولكن إذا قررت أن تكرر التسبيح أو عد حبات المسبحة أكثر من مرة وأحدة، تكون الحبة التي وقعت في الزمان الماضي هي الأخرى واقعة في المستقبل وذلك لأنها هي الأخرى سيتم عدها أو التسبيح بها مرة ثانية، وفي هذه الحالة لن يكون عدد الحبات المتبقية للتسبيح كما سبق وأن ذكرنا هي ٩٨ حبة، بل يكون عدد الحبات المتبقية ٩٩ حبة، وعلى هذا النحو يكون عدد الحبات في جميع الدورات هو ٩٩ حبة عندما تكون الاستمرارية في التسبيح على أن تكون في كل دورة تسبيحية حبة وأحدة في الآن بين الأصابع، ولا يكون العد التناقصي إلى الصفر إلاّ في الدورة التسبيحية الأخيرة، وعليه كل الماضي هو واقع في المستقبل المعلوم بما أنه سيكون حاضراً، مصداقاً لقوله تعالى:{يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوءٍ تودُ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد}[٦٦٢]. إذاً كل ما قمنا به من

[٦٦٢] آل عمران، ، ٣٠.

أعمال سيكون حاضراً في المستقبل ونكون نحن مساءلين عنه، ولهذا لن ينتهي الماضي بعد، لأن نهايته هي في الآن المستقبلية وليست في الآن الماضية التي كنا نعتقد بأنها النهاية. ويكون قولنا إن الزمان كالخيط والأوقات منظومة عليه كحبات المسبحة هو المثال القريب لتوضيح أحداث الماضي التي وقعت في الآن الحاضرة وأصبحت في الماضي وفق دورة الحركة والزمان فلكياً. وستكون جميعها في المستقبل قبل المساءلة والمراجعة، وتكون بالضرورة في المستقبل عند بدء المراجعة، وكل حاضر منها سيكون هو الآخر في الماضي بعد إتمام عملية المراجعة أو المساءلة. فعند دراسة الحالات الفردية من الناحية السلوكية والاجتماعية والصحية. تتطلب بالضرورة مراجعة سجل الماضي الذي يتعلق بالحالة، والذي يتضمن الأحداث والأفعال والظروف التي أثرت في السلوك أو أثرت في الحالة الصحية، أي دراسة الماضي لمعرفة الأسباب والعلل التي تحتويها الحالة مما يجعل هذه الحالة بالنسبة إلى الباحث أو الأخصائي قبل بدء الدراسة هي في المستقبل، وفي أثناء التشخيص والتحليل تكون في الحاضر، وبعد العلاج تصبح الحالة في الماضي.

ومع أن الزمان لم يكن له شكل ولا صورة كما هو حال الأجسام الأخرى المتحركة، إلاّ أنه هو الآخر في حالة حركة، فيقول الله سبحانه وتعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً}[٦٦٣]. ولو لم يكن هناك ليلاً ونهاراً ما كانت الأيام ولا كانت الشهور ولا السنون والدهور، ولا كانت هناك حركة، أي لم يكن لدينا ما نعد من الزمان ونحن على سطح الأرض، أما رواد الفضاء عندما يخرجون عن قوانين حركة الأرض فقد تناسبهم مقاييس فيزيائية أخرى لا تعتمد على حركة الأرض، ولذلك لم يقل الله عز وجل لتعلموا عدد الزمان بل قال: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ

[٦٦٣] الإسراء، ١٢.

اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[٦٦٤]، ولهذا قلنا الزمان والحركة لا يعدان، بل الذي يعد هو المتحرك الأرض والقمر والشمس وبقية الكواكب كل في فلكه، وهذه جميعها قابلة للمشاهدة والملاحظة، وهكذا حال الليل والنهار والفجر والمغرب كمواقيت تشاهد وتلاحظ وبالتالي فهي تعد. والفارق بين الأجسام والمواقيت هو أن الأجسام قابلة للمس المادي، أما المواقيت الزمنية كالليل والنهار والفجر فلا يمكن لمسها مادياً، ولهذا من الممكن الاحتفاظ بشيء ما من الأجسام المادية كالأهلة والساعات الذرية في قوارير المعامل والمختبرات، ولا يمكن الاحتفاظ بشيء ما من المواقيت الزمنية في قوارير المعامل والمختبرات. وعليه لو لم يكن الزمان في حالة حركة ما كان الليل والنهار، وما كان الفجر والمغرب، وما عرفنا عدد السنين والحساب، وما عرفنا الوقت الذي تستغرقه الكواكب والنجوم والأجسام في حركتها الذاتية في مجال فلكها الذي تسبح فيه أو تمتد إليه.

والحركة والزمان شيئان لا يمكن مشاهدتهما مع أنهما يلاحظان بسهولة ويسر، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة، الكواكب تلمس وتشاهد وتلاحظ حركتها، أما الليل والنهار والفجر والمغرب فمع أنها تشاهد وتلاحظ إلاّ أنها لا تلمس، ومع ذلك كل ما يشاهد يعد حتى لو لم يلمس كالليل والنهار، وذلك لأن لكل منهما بداية ونهاية يمكن رصدهما وتحليلهما وتسجيلهما.

الحركة والزمان كما سبق وأن وضحنا لا يمكن مشاهدتهما ولا لمسهما ولا ذوقهما ولا شمهما مع أنهما يلاحظان، ولذلك يمكننا التمييز بين الحركة والمتحرك، وبين الحركة والامتداد. فالامتداد هو مجال حركة الجسم أو الشكل، فالمثلث هو امتداد بين نقاط زواياه الثلاث، ولو لم يحدث بينها امتداد ما كان للمثلث صورة أو شكل متصل، وهكذا مجال تكوين الشكل الدائري أو الرباعي أو أي شكل من الأشكال الهندسية، فالامتداد يكون في تكوين الشكل وفي تحديد اتجاه حركة الشكل، كاتجاه حركة الأرض في دورانها حول نفسها، ودورانها حول الشمس، فهي لا تمتد إلاّ في مجالها الفلكي، ولهذا فالامتداد هو الذي يرسم شكل الدائرة، أما

[٦٦٤] يونس، ٥، ٦.

الحركة فهي الطاقة التي بها يمتد المتحركة سواء أكان المتحرك قلماً لرسم مستقيم أو منحنياً أو أي شكل، أو حركة كوكب، أو حركة كائن من الكائنات.

الزمان والحركة متناهيان حيث أنهما محصوران بين قوة الأول والآخر الذي خلقهما وجعل لهما امتداداً، ولذلك فهما المخلوقان في الأن والمكان الواحد، مما يجعل لهما أجلاً وأحداً (نهاية وأحدة) ولو لم نؤمن بأن الزمان متناه فكيف نؤمن إذاً باليوم الآخر؟ فاليوم الآخر هو الذي لا يكون فيه الليل والنهار والفجر والمغرب (المعروفات) في حساباتنا، والتي بها تعد أيامنا وشهورنا وأعوامنا ودهورنا، والتي جميعها ستنتهي ليكون اليوم الآخر، واليوم الآخر هو الذي لم يكن مثل يومنا هذا الذي نعرفه، ولأنه الآخر فهو المختلف بالضرورة عما عرفناه في يومنا الأول. وبما أن للزمان بداية وللحركة بداية إذاً ممّا لا شك فيه ستكون لهما نهاية.

حركة الزمان تماثل حركة الأجسام في قوتها وانتظام سرعتها، ولهذا تنتظم حركة المواقيت وتتزامن مع حركة الكواكب، فلا يأتي الليل مرتين في اليوم الواحد، ولا تتأخر حركة الأرض عن ميقاتها ومكانها ليتأخر الشروق عن النهار ويتضاعف زمن الليل، بل الكل في فلك يسبحون وفق سرعة ثابتة ومدارات ثابتة. فاليوم هو اليوم في كل دورة للأرض حول نفسها وحول الشمس، وذاك اليوم من العام الماضي لا يختلف عن هذا اليوم الذي يماثله من عامنا هذا، الاختلاف بينهما في المحتوى الذي تتضمنه الأيام، فمحتوى هذا اليوم قد لا يماثل محتوى العام الماضي من حيث درجة حرارته أو برودته أو من حيث الأحداث التي وقعت فيه، وعليه زمن اليوم لا يختلف وفق كل دورة سنوية، والمحتوى اليومي مختلف بين الحين والآخر، فاليوم الذي ولد فيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اليوم الذي توفي فيه، ولذلك قلنا اليوم وأحد والمحتوى مختلف.

الزمان دائرة متصلة يتواجد فيها الماضي جنباً إلى جنب مع الحاضر والمستقبل، ولو عدنا إلى الماضي البعيد إلى أن نصل إلى النقطة الأن فلا نجد ماضياً على الإطلاق، بل نجد الاثنين معاً الأن والمستقبل، ولا نجد الماضي، وذلك لعدم تكوّنه بعد، وبعد أن قُضيت الأن أصبحت ماضياً وحدها، وكل ما عداها مستقبل، ولهذا كان المستقبل هو الأكثر والأوفر الذي

لا يقارن بأي وقت آخر، لا بالماضي الذي في تعداده إلاّ الأن الواحدة، ولا بالحاضر الذي لا يمتلك إلاّ اللحظة الأنية، وعليه بداية الحياة مستقبل ونهايتها مستقبل، فالمستقبل الأول هو المتكون من الحياة الدنيا، والمستقبل الآخر هو المتكون من نهايتها، ممّا يجعل نهاية الحياة الدنيا بداية للحياة الآخرة، والتي يكون فيها كل الماضي كمحتوى هو المستقبل الحسابي لمن وجد في اليوم الأول (الحياة الدنيا)، ولهذا لا يتم الاتفاق مع أرسطو ومؤيديه بأن كل ما هو ماضٍ قد فسد، فالزمان الماضي لم يفسد بل إنه في السجل المحفوظ الذي فيه حسابنا ثقيله وخفيفه[٦٦٥].

وعليه أتساءل:

هل الزمان والحركة كيفان لا يشاهدان، أم أنهما كمَّان يشاهدان، أم أنهما شيء آخر؟

إذا كان الزمان جسماً فبالضرورة يكون كمّاً، وإذا لم يكن جسماً فماذا يكون إذاً؟ ولذلك الكم يشاهد ويلاحظ إلى جانب تداخل الحواس الأخرى في إثباته، أما الكيف المجرد فيلاحظ ولا يشاهد، وهكذا حال الحركة فهي تلاحظ ولا تشاهد على الإطلاق، ولذلك فهي كيف، حالها حال الزمان. وإلاّ هل هناك من يشاهد الحركة؟ في اعتقادنا لا يوجد من يشاهدها، ولكن قد يدّعى البعض بأنه يشاهد الحركة، وفي هذه الحالة أتساءل: هل هناك من يستطيع رسم صورة للحركة أو صورة للزمان أو حتى تصويرهما فوتوغرافياً؟ إذا لم يكن هناك من يستطيع إثبات ذلك فلا حجة لأحد علينا ولنا في ذلك حجة.

الحركة والزمان يلاحظان ولا يشاهدان، فالذي يشاهد هو المتحرك وليست الحركة، والمتحرك دائماً جسم يشاهد ويلاحظ، فالقمر كمتحرك يشاهد ويلاحظ ويلمس ولذلك يمكن تصويره أو رسمه، أما حركته فلا تشاهد ولذلك لا ترسم ولا تصور، وهكذا حركة البشر والكائنات والسيارات والطائرات وغيرها من الأجسام المتحركة هي الأخرى لا ترسم ولا تصور. وبناء على ذلك، لا يعد الزمان ولا تعد الحركة، وإلاّ هل هناك من يستطيع عد شيء لا يراه (غير

---

[٦٦٥] أرسطو طاليس، الطبيعة، ترجمة إسحاق، بن حنين. القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، الجزء الأول، ص٤٠٨.

قابل للمشاهدة)؟ فالليل والنهار والفجر والمغرب واليوم والشهر والعام هذه مواقيت يمكن عدها، والمواقيت ليست الزمان، يقول الله تعالى: {وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً}[٦٦٦]، فالليل والنهار آيتان (علامتان) في الزمان تمكِّنان البشر من معرفة عدد السنين ومعرفة الحساب الذي ييسر عملية تعاقب الليل والنهار وحركة الكواكب والنجم فلكياً، ولذلك ينبغي أن نمّيز بين المواقيت التي هي علامات دالّة على زمان وحركة، وبين الزمان المتصل الذي لا يفصله ولوج الليل في النهار وولوج النهار في الليل. فالمواقيت تشاهد (الليل والنهار والفجر والمغرب)، وهي نتاج الحركة الطبيعية للأرض حول نفسها وحول الشمس مع توازن حركة الكواكب الأخرى التي تسبح في فلكها، ولذلك يعرف اليوم بالليل والنهار، ويعرف الشهر بحركة القمر من هلال إلى هلال، وتعرف السنة من حركة الأرض حول الشمس. ومع أن اليوم، والشهر، والسنة، والدهر مواقيت إلاّ أن كلاً منها زمن يختلف عن الآخر، ومثلما تختلف المواقيت في زمانها كذلك تختلف الكواكب والأجسام في حركتها وأحجامها. وعليه لو كان الليل والنهار هما الزمان لكانا هما مقياسي الحركة، ولو لم يكن هناك حركة وزمان ما كان هناك شيء متحرك، ولهذا كل متحرك هو في حالة زمان، وكل حركة وزمان هما في حالة اتصال لا انفصام منذ البداية إلى النهاية.

الزمان والحركة تراكميّان، أي أنهما في حالة تزايد إلى النهاية، فالزمان في حالة إضافة، والحركة كذلك، ولم يكونا في حالة تناقص. ولهذا قلنا الزمان في حالة زائدة لا في حالة ناقص، ويرمز إلى ذلك بالآتي: (ن + لا_).

والحركة هي الأخرى في حالة زائد لا ناقص، ويرمز إلى ذلك بالآتي:

(ح + لا_).

ولهذا الزمان لا ناقص (ن لا−).

والحركة لا ناقص (ح لا−).

---

[٦٦٦] الإسراء، ١٢.

والذي ينقص ويزيد هو المتحرك سواء في وزنه أو طوله أو عمره أو عرضه أو مساحته أو حجمه أو سرعته، أو عدده وكمه، ويرمز إلى ذلك بالآتي: (م + أو−).

متحرك − متحرك = كم من المتحرك.

فإذا كانت سرعة كتلة المتحرك الأول ٨٠ كيلو جرام، وسرعة كتلة المتحرك الثاني ٥٠ كيلو جرام فيكون الفرق بينهما = ٣٠ كيلو جرام.

متحرك + متحرك = كم من المتحرك.

فإذا كان عدد المتحرك الأول ١٢٢ متحركاً، وعدد المتحرك الثاني ٣٢٣ متحركاً، فيكون مجموع المتحركات = ٤٤٥ متحركاً.

والوقت هو الآخر يكون في حالة زيادة ونقصان سواء في طوله أو قصره أو عدده وكمه، ويرمز إلى ذلك بالآتي:

( و + أو− )

وقت + وقت = كم من الوقت.

٣٠ ليلة + ٧ ليالٍ = ٣٧ ليلة.

وقت − وقت = كم من الوقت.

٧ ليالٍ − ٧ ليالٍ = ٠ من الوقت، والوقت ٠ هو وقت البداية أو وقت النهاية أو الاستمرارية.

**سرعة الحركة والزمان:**

سرعة الحركة = سرعة الزمان (س ح = س ن).

فعندما تكون س ح = ٠، تكون من المسلمات س ن = ٠. وعليه لا يمكن أن تكون الحركة أسرع من الزمان ولا الزمان أسرع من الحركة، ولهذا لا نسبية في الحركة المطلقة بل النسبية في الحركة الجزئية والمتجزئة.

وكذلك سرعة المتحرك = سرعة الوقت.

فلو كان المتحرك هو الأرض، والوقت هو الليل، فتكون سرعة الأرض = سرعة الليل، وإذا كانت سرعة الليل = ١٢ ساعة عندما يتعادل مع طول النهار، تكون من المسلمات سرعة الأرض وهي تتحرك حول نفسها = سرعة الليل أي أنها = ١٢ ساعة. والليل والنهار هما الزوجان المكوّنان لليوم، وأمس، وغد، وهذه جميعها مواليد التوأم (الحركة والزمان)، أما إذا تكلمنا بشكل خاص عن القطب الشمالي الذي يختلف فيه توازن الليل مع النهار، كما هو في المناطق غير القطبية، فهذا يعود إلى اختلاف مجال الحركة وسرعة المتحرك مما يجعل عدم توازن بين زمن الليل والنهار على الساكنين في المنطقة القطبية. وعليه فالأمس واليوم والغد لم تكن هي الزمان، بل هي مواقيت تقع في الزمان، فبما أن اليوم هو المتكوِّن من الليل والنهار، فإن الليل زماناً يستغرقه من الزمان العام وهو الممتد من الأن الغروب إلى الأن الشروق، وإلاّ هل هناك من يعتقد بأن الليل والنهار ليس لهما زمان؟ وبما أن لهما زماناً، إذا فهما ليسا بزمان. وبما أنهما هكذا فما هما؟ هما ولدا التوأم (الحركة والزمان)، ولهذا تكون الأيام هي الأخرى مواليد التوأم وليست من مكوناته أو مسبباته وعلل وجوده.

وعندما تكون سرعة الحركة = ٠ فمن المسلمات تكون سرعة المتحرك هي الأخرى= ٠، وقوته المتحركة = ٠، وبما أن سرعة المتحرك = ٠، إذاً سرعة الزمان بالنسبة إلى حركة المتحرك = ٠. ولذلك يكون كل شيء بالنسبة إلى الحركة العامة هو في حالة توقف، وعندما يحدث التوقف العام فلا تكون الحياة. أما بالنسبة إلى المتحرك الجزئي إذا توقف عن الحركة المتولدة أو المدفوعة بقوة فلا يمكن أن تكون الحركة العامة = ٠، وذلك لأنها سابقة ومستمرة على المتحرك الجزئي.

فإذا كانت الحركة العامة عند بدء المتحرك الجزئي في الأنطلاق من مكانه = ١٠٠٠٠٠٠ يوم من الزمان، وسرعة المتحرك الجزئي = سرعة دوران الأرض حول نفسها، وإذا توقف المتحرك الجزئي بعد قضائه ٤٨ ساعة من الزمان، فهذا يعني أن التراكم الزمني عندما يتوقف المتحرك الجزئي = ١٠٠٠٠٠٢ يوم من الزمان. ولذلك عندما كانت حركة المتحرك الجزئي = ٠ كانت الحركة العامة = ١٠٠٠٠٠٠ يوم من الزمان. وبعد دوران المتحرك

الجزئي ٤٨ ساعة بعدها أصبحت حركته = ٠، وزمان حركته هو الآخر = ٠ ، ولذلك نتيجة لتوقفه، ويكون زمانه في هذه الحالة هو زمان وجوده (فترة بدايته ونهايته) وهي الفترة التي تحتوي ما قبل صفر بداية الحركة وصفر نهايتها. فإذا كان زمان وجود المتحرك السابق سابقاً على زامن حركته المدفوعة بمائة (١٠٠) يوم، وهي فترة الزمن الصفري (زمن بداية الحركة)، واستمر مائة (١٠٠) يوم بعد زمن نهاية الحركة (بعد صفر النهاية)، ثم انتهى من الوجود (أعدم)، فتكون فترة وجوده = ٢٠٢ يوم، وهي مجموع ١٠٠ يوم قبل صفر البداية + ٢ يومين (٤٨ ساعة) فترة الحركة المحصورة بين صفر البداية وصفر النهاية + ١٠٠ يوم فترة ما بعد صفر النهاية الحركية.

وعليه لم يكن هناك زمان طويل وزمان قصير، ولا زمان سريع وآخر بطئ، بل السريع والبطيء هو المتحرك، فإذا كان المتحرك سريعاً كانت الحركة في حالة تساوٍ مع الزمان بالنسبة إلى المتحرك، وكلما كان المتحرك بطيئاً كذلك يكون حال الحركة والزمان في حالة تساوٍ بالنسبة إلى المتحرك. ولا يمكن أن يختل توازن الزمان مع الحركة، ولهذا الزمان والحركة لا يختلفان، بل الذي يختلف بين الحين والآخر هو السرعة (سرعة المتحرك الجزئي)، ولهذا الزمان لا يختصر أو يُطوى وكذلك الحركة ولا تطوى ولا تختصر، فالذي يطوى ويختصر هو المسافة بالنسبة إلى المتحرك الجزئي سواء أكانت سيارة أو طائرة أو مقذوفاً صاروخياً أو غيرها من المتحركات الجزئية والمتجزئة، وكل منها يقارن بالآخر من حيث السرعة ولا يقارن به من حيث النوع، فالنوع يقارن بالنوع نفسه، الغزال مع الغزال والزرافة مع الزرافة والذئب مع الذئب ولا يقارن الذئب مع الكلب ولا الغزال مع الزرافة. ولهذا ينبغي مراعاة عناصر المقارنة وهي الخصائص والصفات والنوع والجنس، فإذا كان الهدف من المقارنة هو معرفة عناصر الالتقاء والتقارب فهذا يختلف عن الهدف من معرفة عناصر الافتراق واختلاف. فالأولى لكثرة معطيات التفرق. فالقمر كمتحرك فلكي يقارن بكوكب المريخ كمتحرك فلكي، فكل منهما يشاهد ويلاحظ ويحس ويلمس، وبالإمكان اخذ عينات منهما للمعامل والمختبرات. والليل يقارن بالنهار لأنهما من جنس وأحد هو اليوم. إنهما يشاهدان

ويلاحظان مع أنهما يختلفان عن القمر والمريخ من حيث أنهما لا يلمسان، ولذلك لا تؤخذ منهما عينة للمعامل والمختبرات. وعليه إذاً للشمس والقمر حركة زمنية على الأرض هي في حالة حركة الليل والنهار. والليل والنهار في حالة حركة مكانية على الأرض وهي حركة الشمس والقمر. ولهذا ليس كل مشاهد ومحسوس ملموساً كما هو حال الليل والنهار اللذين يشاهدان ولا يلمسان ولا تؤخذ منهما عينة لهذا الغرض اللمسي.

**دائرة التوأم: (الزمان والحركة)**

المستقيم عبارة عن مجموعة نقاط متصلة بداية ونهاية، وتعد كل نقطة بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها، وهكذا يستمر المستقيم في اتجاهه إلى أن تتصل آخر نقاطه بأولها فيكوَّن المستقيم دائرة، ولكن لا يمكن أن تقفل هذه الدائرة ولا أي دائرة إذا لم تكن هناك حركة. وعندما تقفل الدائرة بآخر نقطة تكون هذه النقطة في منظومة تكوين الدائرة، وتصبح بعد ذلك بداية لما بعدها ونهاية لما قبلها. وعندما يكون وقتها الأن تكون الأن في حالة حركة، وتصبح كل النقاط السابقة لوقتها هي في الماضي، وبعد قفل دائرة الزمان بآخر نقطة فلا يكون لغيرها من النقاط مستقبل في تكوين هذه الدائرة التي أقفلت بها ولذلك عندما تقفل دائرة الزمان والحركة فلا يكون في هذه الدائرة مستقبل، ولهذا فمن أراد المستقبل فليعمل عليه قبل قفل دائرة التوأم التي لم يعد فيها مكان للمستقبل بعد النهاية، وأصبح اليوم الآخر. واليوم الآخر هو يوم الوقت المعلوم قال تعالى: {قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم}[٦٦٧]، ويوم الوقت المعلوم هو الذي نعلمه، ونعلم أننا لا نعلم يوم حدوثه، ولأن اليوم هو الوقت وليس الزمان، فقال الله تعالى: {إلى يوم الوقت المعلوم} ولم يقل اليوم المعلوم. إذاً اليوم هو الوقت، والليل والنهار والشروق والغروب هي أوقات، والوقت يرتبط بالمواقيت وهي العلامات الدالة على الحركة والزمان {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس}[٦٦٨]، بمعنى أن الأهلة علامات دالة على وجود الحركة والزمان. ومن خلال حركة الأهلة وفق المنظومة الفلكية

---

[٦٦٧] الحجر، ٣٧، ٣٨.

[٦٦٨] البقرة، ، ١٨٩.

نتعرف على اليوم وغد وأمس كمواقيت زمنية تلاحظ ولا تشاهد يحس بها ذهنياً ولا تلمس مادياً، وبما أنها لا تشاهد فكيف إذاً تعد؟ تعد لأن مكوناتها تشاهد وتلاحظ، فمكوّنات اليوم هي الليل والنهار والشروق والغروب، وهذه جميعها تشاهد وتلاحظ، ولذلك تعد الأيام بمواقيتها الحركية (الأهلة) ومواقيتها الزمنية (الليل والنهار). ولذلك تكون (الأن، وقبل، وبعد) مؤشرات لمواقيت حركية وزمنية، أما (أسرع، وأبطأ، ومتساوٍ) فهي مؤشرات لمتحرك.

وعليه أتساءل: هل الزمان يعد؟ لا، الزمان لا يعد، وذلك لأنه لم يقع تحت سيطرة حواسنا، فهو لا يلمس ولا يشم ولا يذاق ولا يشاهد ولا يسمع، ولكنه يدرك ويعقل مجرداً، وبما أن الزمان لا يعد، فما هو الذي يعد ونعتقد بأنه الزمان؟ الذي يعد، ويعد به هو اليوم والشهر والعام والدهر، وهذه مواقيت لها بداية ونهاية معلومة ترتبط بحركة الفلك المكونة الليل والنهار والشروق والغروب والأهلة. ولذلك نعرف كم عدد الأيام والشهور والسنين وبما تحسب أعمارنا (كم قضينا من العمر) وتؤرخ أعمالنا وتسجل ولكن هل اليوم الذي به تؤرخ أعمالنا هو اليوم المساوي لأي يوم في حركة الكواكب والنجوم؟ من المسلمات لا. فاليوم الذي نعيشه على الأرض لم يكن هو اليوم على الكوكب عطارد، فعدد أيام السنة على الأرض ٣٦٥ يوماً تقريباً، في حين عدد أيام السنة على الكوكب عطارد يساوي ٨٨ يوماً تقريباً، وهذا يعني أن اليوم على الكوكب عطارد أطول بكثير من اليوم على الأرض. والسنة على الكوكب الزهرة تساوي ٢٢٤ يوماً تقريباً، وهذا يعني أن اليوم على الزهرة أطول من اليوم على الأرض وأقصر من اليوم على عطارد. واليوم الذي يعد به الله تعالى يساوي ألف يوم ممّا نعد على الأرض وذلك لأنها أيام شدائد، وأيام الشدائد بالضرورة تكون طويلة بالنسبة إلى من خفّت موازينه وهو في الهاوية وكذلك قد يكون المعنى بأن خيرات ربك والتي لا تحصى سيكون اليوم فيها كألف سنة مما تعد على الأرض، وذلك جزاء لمن ثقلت موازينه وهي العيشة الراضية، وطبيعياً قد تختلف الحركة وذلك من حيث مجال امتدادها، أو من حيث سرعتها، ولهذا بالضرورة تختلف الأيام في الدنيا عن الأيام في الآخرة، ولا ينبغي أن ننسى أن الأيام

التي يعد بها الله هي أيام الحركة الكلية للكون، وليس أيام الحركة الجزئية للأرض حول نفسها، {وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون}[٦٦٩].

الزمان والحركة هما توأم الوجود الحي، وهذا الوجود بشكله المطلق مادي ولا مادي، ولهذا لا يكون المادي لو لم تكن هناك حركة وزمان مصاحبان له، ولا غير المادي يكون لو لم يكن هناك حركة وزمان مصاحبان له، وفي هذه الحالة لا يكون أحدهما سابقاً على الآخر {ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}[٦٧٠] فلا الحركة سابقة على الزمان ولا الزمان سابق على الحركة، والكل في فلك يسبحون.

ومن خلال دراستنا للزمان والحركة نلاحظ ما يخالف القول بنسبيتهما، فالزمان مطلق بسبب عدم تحكمنا فيه وسيطرتنا عليه، وهكذا تكون الحركة هي الأخرى مطلقة. ولتوضيح ذلك أعرض المثال الآتي على مطلق الزمان ونسبية السرعة: إذا انطلق متسابقان من النقطة ٠ صفر في وقت وأحد وليكن ٠ الصفر الافتراضي، ووصل الأول نقطة ٠ صفر النهاية بعد أن قطع مسافة ١٠٠ متر، في زمن ١٠ ثوان، ووصل المتسابق الثاني نقطة ٠ صفر النهاية بعد أن قطع المسافة السابقة نفسها في زمن ٢٠ ثانية، فماذا يعني هذا الاختلاف مع أن زمن البداية وأحد والمسافة المستهدف قطعها وأحدة؟

هذا يعني أن في الزمن الواحد قد تختلف السرعة بين المتحركات مما يؤدي إلى اختلاف المسافة المقطوعة في الزمن الواحد. فعندما قطع المتسابق الأول المسافة في (١٠ ث)، قطع الثاني نصف المسافة تقريباً في الزمن نفسه الذي وصل فيه المتسابق الأول إلى نقطة النهاية (١٠ ث)، وعندما سُلمت راية النصر للمتسابق الأول (الفائز) في الزمن (١٥ ث) بعد الزمن الصفر (زمن البداية) لازال المتسابق الثاني يجري في المضمار لعدم وصوله نقطة النهاية. وعليه فالزمن لم يتباطأ مع سرعة الثاني ولم يسرع مع سرعة الأول، فالزمن هو الزمن تراكمي متصل ولم يختلف واختلفت السرعة بين المتسابقين، وذلك باختلاف قوة الامتداد لكل منهما،

---

[٦٦٩] الحج، ٤٧.

[٦٧٠] الداريات، ٤٩.

ممّا جعل متوسط سرعة الأول تساوي ١٠ متر في الثانية، ومتوسط سرعة الثاني تساوي ٥ متر في الثانية، ولهذا قلنا الزمان مطلق وثابت، والسرعة نسبية ومتغيرة.

والفرق يكون أيضاً بين الحركة والامتداد، فالحركة مطلقة لأنها خارج سيطرتنا وتحكم أدواتنا، والامتداد نسبي حيث أنه متوافق مع قوة الجسم الممتدة، فحركة الكون متصلة طبيعياً ومنتظمة، وحركة الأرض حول نفسها حركة مطلقة، وهي جزء من الحركة العامة، وهي المقدرة باليوم المتكون من الليل والنهار، وحركتها حول الشمس هي الأخرى حركة جزئية مطلقة (خارج قدرة تحكمنا) وهي المقدرة بالنسبة المتكونة من فواصل الأهلة الشهرية. ولهذا يتصل الزمان بالحركة كاتصال التوأم بحبل المشيمة في رحم الأم، مما يجعل بينهما ثباتاً واتصالاً، فثبات الزمان بثبات الحركة، وثبات الحركة بثبات الزمان، ولهذا كل منهما مطلق.

أما الامتداد، فنسبي، فامتداد الأرض حول نفسها نسبيّ بالنسبة إلى امتدادها حول الشمس، ولذلك يكون زمن امتدادها (دورانها) حول نفسها وامتدادها حول الشمس = ٣٦٥:١ يوماً تقريباً، وقد يختلف طول اليوم عن أمس وغد، وذلك نتيجة اختلاف مجال الامتداد مما يجعله (الامتداد) هو الآخر مختلفاً باختلاف مجاله، ولهذا لا يختلف طول اليوم نتيجة اختلاف الحركة، فالحركة ثابتة ومطلقة، بل الذي يختلف هو مجال الامتداد، وعليه تكون الحركة ثابتة والامتداد متغير.

وقد يتساءل البعض: بما أننا لا نشاهد الحركة فما هو الذي نشاهده عندما يكون الجسم في حالة حركة ذاتية أو مدفوعة وهو منطلق من النقطة أ إلى النقطة ب؟ الذي نشاهده في هذه الحالة هو أولاً: المتحرك وثانياً: الامتداد، فالمتحرك هو الجسم، والامتداد هو اندفاع الجسم بين صفر البداية وصفر النهاية، فامتداد الرجل وفق خُطاها يُشاهد، وامتداد الفراشة من زهرة إلى زهرة يُشاهد، وامتداد الكرة من الهداف إلى الهدف يشاهد، وهكذا امتداد المستقيم أو المنحرف وكل ممتد بقوة دفع ذاتية أو معتمدة على قوة. وعليه الامتداد مادي وكل مادي يشاهد.

مجال الامتداد:

لا امتداد ولا حركة إلاّ في حدود الممكن، ولذلك يكون الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والزمان، ولأنه ممكن فهو متوقع الحدوث وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل وعليه فالممكن ضروري الحدوث، ولكن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض لها ثلاثة احتمالات وهي:

الاحتمال الأول: يكون الممكن مساوياً للمتوقع.

الاحتمال الثاني: يكون الممكن أقل من المتوقع.

الاحتمال الثالث: يكون الممكن أكثر من المتوقع.

وعليه لا يكون الامتداد إلاّ من مجال الممكن، ولا ممكن إلاّ في دائرة الزمان، فما نشاهده أو نلاحظه ونحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه فهو الواقع في حدود الممكن، ولذلك يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجال الممكن بالنسبة إلى مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا، فمنّا من يميز بين الأشياء أكثر من بعضنا وهذا يعني أن للبعض منّا قدرة تمييزه أقل، والبعض الآخر يساوينا.

وعندما نتحدث عن الممكن فلا ينبغي الإغفال عن غير الممكن حيث لا وجود لغير الممكن بالنسبة إلى الله تعالى: {وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون}[٦٧١]. أما بالنسبة إلى البشر فهناك الممكن، وهناك غير الممكن، الممكن في نضج القدرة، وغير الممكن في قصورها، ولهذا قد يتوقع المفكر ما هو ممكن، ولكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته. يقع الممكن في الزمان الحاضر والزمان المستقبل، ولا يقع في الزمان الماضي، وذلك لأن الممكن هو افتراض قابل للتحقق وليس افتراضاً محققاً، فالمحقق هو الكائن أو الكائنة، أما الممكن فهو الذي لم يكن بعد ولكنه سيتحقق في الأن أو في المستقبل ولهذا يكون الفرق واضحاً بين المحقق ككائن، وبين الممكن الذي سيتحقق. وعليه يمكننا الأن الحوار مع السؤال الذي طرح منذ زمن بعيد في الفكر الفلسفي وهو: ما هو الأسبق في الوجود: الممكن أم الواقعي؟ ونحن نطرح تسألا نعتقد أنه أهم: أيهما اسبق الممكن أم المستحيل؟.

---

[٦٧١] البقرة، ١١٧.

لتكون الإجابة على السؤال الأول: أنه لا واقعي إلا بممكن، أي أن الممكن يحتاج كي يوجد إلى واقعي يسبقه. والإجابة على السؤال الثاني: لو لم يكن المستحيل، ما كان للممكن وجوداً أي أن الممكن دائما فعل مترتب على فعل سابق. ولذا على مستوى القيوم لا وجود للمستحيل، فالمستحيل مخلوق من الخالق الذي لا مستحيل أمامه، وعلى مستوى العباد فلا ممكن إلا من مستحيل.

ولذا لولا وجود مصدر للأمر ما كان للأمر وجود، ولكن من ناحية أخرى فالأمر السابق غير مطلق مما يجعلنا نقول: لا يمكن أن تتواجد الأشياء ما لم تكن ممكنة. فالله سابق الوجود على الممكن، وكل ما تحقق من بعده وما سيتحقق هو الممكن بالنسبة إليه، والبشر كمحقق من هذا الممكن عندما يسعون إلى تحقيق ما هو ممكن من ناحية عقلية، يكون الممكن في هذه الحالة سابقاً على المحقق ذهنياً أو إدراكياً. وهكذا يكون حال الممكن الإلهي الذي لم يحقق بعد للمشاهدة والإدراك العقلي {وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون}[٦٧٢] بمعنى عندما يصدر الله أمراً وهو الممكن لابد وأن يتحقق في الوقت المحدد له، وفي هذه الحالة يكون الممكن سابقاً على المحقق. وعليه يكون الممكن قراراً معطياته مثبتة للتحقق، والتحقق فعل تنفيذ الممكن وهو الكائن أو الكائنة، والبشر لا يحققون إلاّ الممكن، أما الله فيحقق الممكن والمستحيل، فسبحان الله العظيم.

**الامتداد الفكري:**

هو محتوى لفظي عام في مضمونة حركة، ولهذا لا يمكن أن يكون هناك امتداد بدون حركة سواء أكان هذا الامتداد جسمياً أو فكرياً، والامتداد قد يكون طبيعياً كما هو عند حالات النمو، وقد يكون بالإرادة كما هو في حالات الاختيار، وقد يكون بالقوة عندما يكون في مقابلة انكماش بالمغالبة، ويعتبر الامتداد مساحياً سواء أكان فكرياً أو مادياً، وقد يكون ميسراً، وقد يكون بالقوة، وقد لا يكون.

---

[٦٧٢] البقرة، ١١٧.

الامتداد في الفراغ ميسر مثله مثل الامتداد المجالي المسموح به لأنه لم يشكل أي عائق ولا يمتد خارج حدوده، وامتداد المغالبة بالقوة يؤدي إلى الاستزادة والفقدان بين الأطراف الممتدة، والامتداد المساوي في الصلابة قد لا يكون. والامتداد خارج الحيز يكون على حساب حيز آخر، وعندما تتلامس الأفكار أو الأجسام الممتدة يحدث الاحتكاك بينها، وقد ينجم عنه استيعاب أو صدام يكون له تراض أو مغالبة. وهكذا تمتد الأرقام المستقلة إلى النهاية بيسر وهي متصلة، وتستقل بالآحاد وتتصل بالجموع. امتداد الواحد إلى ما بعده من أعداد يساوي جموعاً، ولهذا لا جموع إلاّ بالامتداد، امتداد الواحد خارج حدوده يشغل حيزاً من المرتب عليه والذي لا يمكن أن يكون إلاّ به (بالواحد)، ولذلك لا وجود لأي كميات إلا بالامتداد الآحاد. فلو رسمنا مستقيماً طوله ٥ سم، فإن ذلك يعني امتداد خمس وحدات متصلة بالجموع تكوّن هذا المستقيم كما في الشكل رقم (١).

أ..... ب

الشكل رقم (١)

وبما أن الوحدات الخمس منفصلة فكيف تكوِّن مستقيماً متصلاً؟ تكوّنه بالامتداد، امتداد الواحد إلى خارج قيمه (مجال حدوده)، بالإيجاب تجعله يتماس مع مجال القيم للعدد اثنين بالسلب، وهكذا تتصل بقية الأرقام الخمسة مسطرة مما يجعلها ترسم الخط المستقيم الذي أشرنا إليه. ولو لم تكن للأعداد نهايات بالسلب والإيجاب ما كانت هناك صلة بينها، ولهذا لا يمكن أن تتصل الأعداد بعضها ببعض لو كانت تمتد إلى مالا نهاية. وعليه تجمع الأعداد المستقلة، وتطرح الأعداد المتصلة، والأعداد المتساوية في الكم قد لا تتساوي في المقادير.

لقد عرفنا أن جمع ٢ + ٢ = ٤، ولكن هل الاثنان الأولى تساوي الاثنين الثانية في المقدار؟ ولتوضيح ذلك لو افترضنا أن الاثنين الأولى غزالأن والاثنين الثانية أيضاً غزالأن، ولكن الاثنين الأولى عمرها سنة وأحدة، والاثنين الثانية عمرهما أربع سنوات، فهل هم في حالة تساوٍ قيمي أو عمري؟ وحتى من الذهب قد لا تتساوى، فهل ٥٠ جراماً من الذهب تساوي

٥٠ جراماً من الذهب؟ مع أنه من حيث الكم نعم أنهما متساويتان إلاّ أنه من حيث القيمة ليس بالضرورة أن تكونا متساويتين، لأن الخمسين جراماً الأولى عيارها ١٨ والثانية عيارها ٢٢. إذاً الأعداد المتساوية في الكم ليس بالضرورة أن تتساوى في العمر أو النوع أو اللون أو المقدار. وهكذا لو تحصل أحد الطلبة في مادة الفيزياء على نسبة عالية، ولتكن ٩٠%، هل هذا يعني أن كل من تحصل على هذه النسبة هو ممتاز في مادة الفيزياء؟ ليس بالضرورة أن يكون ممتازاً في المادة مع أنه ممتاز في هذا الاختبار، ولو أعيد له الاختبار باختلاف الأسئلة فقد لا يحصل على هذه النسبة العالية، وتكون النتيجة السابقة في شك لفقدانها مصادق الثبات. وعليه ينبغي أن يهتم التحليل العلمي والتفسير العلمي بعناصر الاختلاف والاتفاق بين النتائج المتساوية في الحاصل الحسابي، وألاّ يقتصر على المجامع الإحصائية فقط، لأن اتصال الأعداد وتساوي محصلاتها لا يعني تساويها.

وعند دراسة المواضيع تتصل الأفكار وتترابط في نسج منهجي ينظم وحدة الموضوع، ويظهره في شكله اللائق ليحل محله بين البحوث الناجحة التي سبقته. وتتصل الأفكار والمواضيع من أجل اكتمالها، وتحلل علمياً عندما يتمكن الباحث من معرفة نقاط الاتصال والترابط بين تنقله من الكل إلى الجزء، ثم إلى المتجزئ، أو منه، إلى الجزء، ثم إلى الكل عند محاولته التعرف على العلل والأسباب الكامنة والظاهرة. ولا يمكن أن يكتمل الموضوع بدون امتداد أفكاره، ولا يمكن أن يحلل بدون معرفة نقاط اتصاله. والباحث كمتقص للحقائق لا يسترسل في دراسته، أو تشخيصه، أو علاجه للحالات ما لم تكن أفكاره متصلة، وإلمامه بالموضوع متكاملاً. وهكذا تتكوّن الظواهر والمشاكل المستقلة من علل وأسباب متصلة، ومن الصعب أن تحلل، أو تفسر المواضيع قيد البحث ما لم يراع الباحثون ذلك الامتداد الذي يربطها فيما بينها. فعدم التعبير عن الكبت على سبيل المثال قد يؤدي إلى الأنفجار السلوكي المتوقع وغير المتوقع، ولا غرابة في ذلك لأن الأنفجار السلوكي مرتبط بكبته المفروض، ويحدث الأنفجار برغبة الإنسان في التنفيس الوجداني الذي يحقق له الرضاء، حتى وإن ترتب عليه ثمن عقابي، وكذلك كبت الغرائز، قد يؤدي إلى عدم الأنضباط النفسي، وعدم الأنضباط

النفسي قد يؤدي إلى انحراف السلوك. إذاً هناك امتداد بين الكبت وعدم الأنضباط، فكبت الغرائز قد يؤدي إلى التمرد والثورة على أدوات الكبت، بغرض التخلص من سيطرتها، ويحدث الصراع نتيجة تواجه امتدادين بالقوة تجعل أحدهما يمتد على حساب الآخر إذا أنهزم أو ضعف، وعندما تتعادل الكفتان قد تكون بينهما مواجهة بتماس حدود اتصال القوة المتكافئة مما يجعل لامتدادهما نهاية.

لا امتداد إلاّ بحركة، وكل كائن أو جماد هو في حالة حركة كلية، أو جزئية، أو متجزئة، فالأرض على سبيل المثال ككل تتكون من أجزاء تتجزأ إلى يابسة وماء ونار وكلها تتجزأ، ولكل منها بداية ونهاية، وكلها في حركة مستمرة، وإذا تساءل أحد: بما أن الكل في حالة حركة، فهل للثبات وجود؟ نعم لكل حركة مستمرة ثبات في الاستمرار، ولكل مستمر نهاية يثبت عندها. وإذا تساءل آخر: لمن يكون الثبات؟ بالتأكيد للحركة. إذا شاهدنا أي شيء ثابت كما يعتقد المشاهد على سبيل المثال للأرض والجبال، فإن ذلك الثبات يعبر عن وجود الحركة {وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب}[٦٧٣] ولذلك لا يوجد الثابت المطلق، بل الذي يوجد السكون، والسكون دليل على وجود حركة كامنة تظهر للمشاهدة عندما تتوفر اشتراطاتها.

الحركة والسكون متلازمان، ويستوعب كل منهما الآخر، ويحمله في أحشائه، وهكذا لكل متحرك حركة، ولكل ساكن سكون، ويترتب كل منهما على الآخر، يبدأ السكون حيث تنتهي الحركة أو تتوقف، وتبدأ الحركة حيث يبدأ السكون أو يتوقف، فلا حركة إلاّ لسكون ولا سكون إلاّ لحركة، ويكمن كلّ منهما في الآخر كما تكمن البراكين في باطن الأرض، وكما تكمن الحقيقة في صدر حاملها، وكما تكمن الفراخ في البيض (كمون المتحرك في الساكن)، فالبركان لا يمكن أن ينفجر إلاّ بقوة الحركة الكامنة فيه، ولا يهدأ البركان ولا يتوقف إلاّ بقوة الحركة الكامنة فيه، ولا يهدأ البركان ولا يتوقف إلاّ بقوة السكون فيه، وهكذا تكون الحقيقة كامنة في الصدور الواعية بحركتها إلى أن يتم الإدلاء بها، وبقوة وجوبها، ولهذا يعتبر

[٦٧٣] النمل، ٨٨.

الكندي الحركة هي حالة من التبدل والتغير، ولكل حركة بداية، ونهاية[٦٧٤]. ويتم الاتفاق معه في هذا القول العلمي، بأن للحركة بداية، ونهاية، وأنها في حالة تبدل كما تتبدل الأرقام في جمعها وطرحها، وبقية حساباتها الرياضية، ولهذا لم يكن السكون عدماً للحركة، ولم تكن الحركة عدماً للسكون، بل كلّ منهما معرض للعدم، باعتبارهما وجوداً. وكما يكمن السكون في الحركة، تكمن الحركة في السكون، وكذلك تكمن الحركة في الحركة، ككمون حركة الدم في حركة القلب. ويكمن المتحرك في المتحرك، ككمون الجنين في بطن أمه، وكمون حركة الركاب في السيارة أو الطائرة، أو البالون أو السفينة، وعليه قد تكون الحركة ذاتية، وقد لا تكون (قد تكون مدفوعة، أو محمولة)، وكلها تحدث بفعل قوة.

**والحركة الذاتية تنقسم إلى جزأين:**

**الجزء الأول:**

حركة واعية بإرادة الاطمئنان، وتحقق أهدافاً شخصية، أو ذاتية أو موضوعية، دون أن تؤثر سلباً في الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته وهو راضٍ، ولا يمس حاجات الآخرين حتى ولو كان بإمكانه تناولها، وهذه الحركة تحقق الأنسجام والتراضي، وتؤدي إلى الوحدة.

**الجزء الثاني:**

حركة واعية بإرادة الخوف، وتحقق أهدافاً شخصية، أو ذاتية، أو موضوعية، وتؤثر سلباً في الآخرين، مثل إشباع الإنسان لحاجاته على حساب حاجات الآخرين، وهذه الحركة تؤدي إلى الصراع والشقاق، وتؤدي إلى الفرقة، وكل ذلك يحدث من أجل المستقبل، مما يجعل للحركة مستقبلاً، وللمستقبل حركة. وتعبر الحركة عن وجود طاقة ظاهرة أو كامنة تجعل الجسم أو الشكل في حالة حركة ثابتة، أو متغيرة، من وقت إلى آخر.[٦٧٥]

**حالتا الحركة:**

---

[٦٧٤] حسام محيي الدين الآلوسي، فلسفة الكندي وآراء القدامى، والمحدثين فيه، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، ص١٩٥، ٢٠٥.

[٦٧٥] هادي العلوي، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص٦٢-٧٥.

**أولاً: الحركة الممتدة**

وهي التي تحدث عندما تمتد القوة في مجالها الذي تتمكن من الوصول إليه كلما سنحت لها الفرصة في ذلك. وقد تكون الحركة فكرية، وقد تكون مادية.

**١- الحركة الفكرية:**

هي التي تحدث عندما تمتد الأفكار من عقول وصدور حامليها إلى عقول وصدور أخرى، فتشغل حيزاً عندهم نتيجة امتدادها إليهم، وهكذا تمتد الأخبار، والإشاعات، وتنتشر بين الناس حسب قوة تأثيرها سلباً أو إيجابا وحسب قوة الفكرة أو الحجة التي تتضمنها. والأفكار الموجبة عندما تمتد خارج المجال أو البعد الذي يمكنها التأثير فيه قد تحقق نتائج سالبة، فالمناداة بالوحدة العالمية إنسانياً موجبة، ولكن عندما تتجاوز أهمية البعد القومي في البناء والتنظيم الاجتماعي تكون على حسابه، وتكون نتيجة الجهد المبذول في التنشئة الاجتماعية تساوي صفراً في حالتين.

**الحالة الأولى:**

مهما بذل من جهد تجاه المجتمع من أجل تحقيق البعد العالمي على حساب البعد القومي لا يتحقق مما يجعل الصفر هو نتيجة الجهد المبذول.

**الحالة الثانية:**

تركيز الجهد التربوي على تنمية أو تطوير الاتجاهات العالمية لدى الناشئين يُضعف وعيهم بأهمية البعد القومي، وتكون النتيجة: مستقبل المجتمع يساوي صفراً، ويصبح سيره (مشيته) كالغراب الذي كان يعتقد أن بإمكانه أن يقلد الحمامة في مشيتها فنسي مشيته ومشية الحمامة.

وقد يُوجّه المجتمع كذلك فكرياً أو سياسياً تجاه تحقيق البعد القومي على حساب البعد المحلي، فتكون النتيجة هي الأخرى صفرية في حالتين:

**الأولى:**

عدم تحقيق الوحدة القومية نتيجة انسلاخ المجتمع عن مكوناته الأساسية للأمة وهي الأسرة والعشيرة والقبيلة.

**والثانية:**

عدم تحقيق الوحدة المحلية على المستوى الاجتماعي نتيجة إهمالها في التربية الاجتماعية. وكذلك العمل على ترسيخ التكوين الاجتماعي المحلي على حساب البعد القومي تكون النتيجة صفرية في حالتين:

الأولى: تشتت المستوى المحلي لفقدانه مجال التمدد الطبيعي (التربية القومية).

والثانية: فقدان الأمة أو فقدان الإحساس بها يجعل حياة الأفراد في خطر لفقدانهم المظلة الاجتماعية. (فالأمة تكوين اجتماعي علاقته (القومية)، والقبيلة تكوين اجتماعي علاقته (القبيلة)، والأسرة تكوين اجتماعي علاقته (الأسرة)، وأمم العالم تكوين اجتماعي علاقته (الإنسانية)، هذه بديهيات. ثم هناك تكوين سياسي يكوّن الدولة هو الذي يشكل خريطة العالم السياسية، ولكن لماذا تتغير خريطة العالم من عصر إلى آخر؟ السبب هو أن التكوين السياسي هذا قد يكون منطبقاً على التكوين الاجتماعي وقد لا يكون كذلك. فعند انطباقه على الأمة الواحدة يدوم ولا يتغير، وإذا تغير نتيجة استعمار خارجي أو تدنٍّ يعود للظهور مرة أخرى تحت شعار الكفاح القومي أو النهوض القومي، والوحدة القومية).

**٢- الحركة المادية:**

هي التي تمتد بقوّتها الملموسة أو المحسوسة والقابلة للمشاهدة والملاحظة، ويكون لها أثر إيجابي، أو أثر سلبي باختلاف المتأثرين بها، مثل امتداد السيل الجارف في الوادي الذي يقتلع بقوة امتداده كل مهتز منتهٍ عندما يقع في طريقه، وهذه قد تكون سالبة أو موجبه، حسب الموضوع، والمقيَّمين له، وباختلاف الزمان والمكان، ومع أنه قد يحدث سلبيات أو أضراراً، إلاّ أنه قد يحقق العمار، بارتوائه للأرض وإحيائه للأشجار أو للنباتات التي كادت أن تموت أو تختفي[٦٧٦]. وقد تكون الحركة نتيجة انفجار بركاني يحدث بعد تمدد القوة الكامنة في

[٦٧٦] هادي العلوي، نظرية الحركة الجوهرية عند الشيرازي، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة

بطن الأرض عندما تضعف أمامه مقاومتها، فتفتح له الطريق للخروج إلى النهاية، وحسب مجال قوته ودائرة تأثيره، وهكذا يتمدد الجنين في بطن أمه، وتتمدد النبتة من نواتها إلى النهاية، أو تنكمش إلى النهاية. وإذا سألك أحد: هل الحركة تشاهد أم تلاحظ؟ فبماذا تجيب؟ في اعتقادنا أن الحركة لا تشاهد، ولكنها تلاحظ. ولكي أجيب أتساءل: بما أن الحركة لا تشاهد، إذاً ما هو الذي يشاهد ويعتبر حركة؟ إنه المتحرك. إذاً الحركة تختلف عن المتحرك، لأن المتحرك قابل للمشاهدة والملاحظة معاً، أما الحركة فتلاحظ فقط، لأنها غير ملموسة، لافتقادها إلى المادة التي تتوحد فيها. إذاً الحركة هي الكامنة في المتحرك، وهي التي تحدث كلما حدث لها تمدد بالقوة، يجعلها في حالة ظهور بدلاً من حالة الكمون، وهي العلاقة التي تحدث بين المتحرك والمحرك، فإذا اعتبرنا على سبيل المثال كرة القدم هي المتحركة، فمن يكون المحرك لها؟ هل هو اللاعب، أم قدم اللاعب؟ بالتأكيد لو لم يكن اللاعب محركاً للقدم ما كان القدم محركاً للكرة، إذاً هناك محرك مباشر وهو القدم، ومحرك غير مباشر وهو العقل والجسم كوحدة وأحدة، وتتداخل العلاقة بين المتحرك والمحرك باتصال وانفصال، تتصل في الفكرة والدرجة، وتنفصل في الأداء والخصوصية.

تتصل حركة اللاعب وتتداخل من الفكرة التي تمتد من العقل إلى البدن، والجسد، فتحركه وفق خطة وأحدة متناسقة، وبخصوصيات كل عضو من البدن، مما يجعل لليدين وللرأس والقدم حركات مختلفة، كلٌّ حسب وظيفتها، ودورها في أداء المهمة المناطة بها. وحسب هذه الأدوار يشاهد المتفرج حركة اللاعب متسقة، ولكنه يشاهد بالتحديد حركة القدم في علاقة مباشرة ومنفصلة مع الكرة في أثناء دفعها إلى الإمام، أو الخلف، أو أحد الجانبين، فتمتد الكرة بقوة دفع المتحرك (القدم) إلى نقطة انتهاء القوة أو المسافة المقطوعة، ولهذا قوة الحركة هي التي تحدد الامتداد، وليس المتحرك هو الذي يحددها، مع أنه لولا المتحرك ما عرفنا الحركة ولا كانت تشغل حيزاً.

**ثانياً: الحركة المنكمشة:**

---

الأولى، ١٩٨٣م، ص٦٢-٧٥.

هي الحركة التي تطوي حركة الامتداد، أو هي العودة إلى الأصل، كعودة الشجرة إلى النواة التي كانت تكمن فيها، لأن كل شجرة منتهية باعتبارها شيئاً (وكل شيء منتهٍ)، ولكن هل ستنتهي الأشجار بعد موت كل ما نبت منها؟ بالتأكيد لا. في عالم الوجود الحي ستنتهي كل الأشجار الموجودة على قيد الحياة، وحسب أعمارها الممكنة لبقائها، وستنمو أشجار أخرى منكمشة في نواها. ولهذا لا امتداد إلاّ من انكماش، فالأنكماش هو أساس كمون القوة الممتدة. قوة النهار لا يمكن أن تمتد إلاّ إذا انكمش الليل، وقوة الليل هي الأخرى لا تمتد إلاّ إذا انكمش النهار، وقوة انبساط اليد لا يمكن أن تتم إلاّ إذا انتهت قوة انكماشها. ونتيجة الأنكماش، والامتداد، تسبح الكواكب في فلكها، وهكذا امتد الكون لحظة الأنفجار العظيم، وهي نقطة البداية، وسيعود الكون إلى الأنكماش عند نقطة النهاية، مصداقاً لقوه تعالى: {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب}[٦٧٧]، أي يوم أن تنكمش السماء، يكون الله قد أعادها إلى حالتها التي كانت عليها. وكما أن الامتداد لا يقتصر على المادة المشاهدة، أو الملاحظة، كذلك الأنكماش لا يقتصر على ذلك، لأن كل ممتد لابد وأن ينكمش سواء أكان مادياً، أو فكرياً، فالأفكار في أساسها منكمشة في العقول والصدور، ثم تمتد من خلال الاتصال، بالتبشير، والترشيد، والتحريض، والتنظير، وبالجدل تترسخ، أو تصحح، وتكون في حالة شك إلى أن تثبت، أو تنفي. وقد تمتد أفكار وتنتشر بقوة حجتها، ثم تعود إلى الأنكماش عندما تضعف حجتها. وكل من الأنكماش والامتداد يتضمن قوة، ففي مرجحة القدم أثناء ضرب الكرة تنكمش بقوة في حركة إلى الخلف، لتمتد بقوة إلى الأمام لضرب الكرة ودفعها إلى الهدف، وإذا انكمشت القدم بقوة إلى أعلى وإلى الأمام يتم دفع الكرة بقوة إلى الخلف، وهكذا في حالة الجانبين، لأن القوة هي التي تظهر في حالتي الامتداد والأنكماش، وهي التي لا تقاس إلاّ بعد الظهور من الكمون إلى الحركة.

[٦٧٧] الأنبياء، ١٠٤.

في الفرحة والبهجة قوة تمتد إلى أن تمتلئ الصدور بها، وتنكمش الأحزان أمامها، وإذا انكمش الفرح والبهجة امتدت الأحزان والاضطرابات. ففي حالة العلاج ينبغي أن يهتم الباحث بامتداد حركة الايجابيات، وانطواء حركة السلبيات.

وبما أننا نتكلم عن الامتداد والاتصال الاجتماعي علميّاً، فما هو الامتداد الاجتماعي؟ هل هو المتكوّن من المفرد والمثنى والجمع والمكان والزمان؟ أم هو أكثر من ذلك؟ فلو كان المتكون من امتداد الأفراد المتزايدين عن المثنى كان المجتمع في هذه الحالة كمّا، وإذا كانت الجموع من كل شيء تكوّن كمّا، فهل المجتمع هو الآخر مجرد كم؟ وهل الكمّ المجتمعي يبيّن صورة للمجتمع، أم يبين صوراً للبشر المتجمعين؟ في اعتقادنا لا تكتمل صورة المجتمع الذهنية إلاّ إذا تم اللقاء بين عناصره، وأن يكون بينهم تفاعل، وأن يكون لهم امتداد (امتداد ثقافي وحضاري) إذاً المجتمع هو التقاء وتفاعل امتداد مجموع الأفراد والجماعات المتفاهمين على أهمية المكان والزمان لكل وأحد منهم (إنه مجتمع الأمة الواحدة)، أما المجتمعات الأخرى فهي عبارة عن حشود مؤقتة تلتقي على مصلحة وتتفرق على مصلحة. إذاً امتداد الأفراد بأعداد هائلة بدون تفاعل الأهداف الخاصة والعامة عبارة عن حشود (كمية) لا تعطي معنى للمجتمع، فالمجتمع كمٌّ وكيف، كمّ من البشر، وكيف من القيم. ولهذا المجتمع كمفهوم ضروري ذهنياً ولا يرسم، لأنه لم يكن مثلثاً ولا مربعاً ولا أي شكل من الأشكال الهندسية. وهكذا التطور كالمجتمع لا يرسم مع أن دلالته ترسم بيانياً بالمنحنيات والمضلعات والأشكال الهندسية الأخرى. ويتضح التطور بمقارنة أثر المتغيرات في الموضوع عبر الزمن سواء أكان الموضوع قابلاً للمشاهدة أو الملاحظة.

**المكان:**

هو حيّز تشغله الأجسام ويمكن ملاحظته وقد يكون من الصعب مشاهدته، والمكان سابق على الجسم أو الشكل، كأسبقية القالب على المقولب فيه، وبالمشاهدة قد يصعب على المشاهد الفصل بين المكان والجسم الذي يملؤه، ولكن باستخدام وسيلة الملاحظة يمكن التمييز بينهما. إذاً المكان هو الإطار العام الذي يحتوي الأشكال والأجسام، فلولا وجود مكان

للأرض ما كانت. ولكن ما هو مكان الأرض؟ هو الإطار الخارج عنها والذي يشكل محيطها الحسابي، ولذلك فالمحيط لا يمكن أن يكون جزءاً من المحاط، محيط الأرض لا يمكن أن يكون جزءاً منها، ولا هي تكون جزءاً منه. وفي اعتقادنا لا يمكن أن يكون للمحيط شكل ثابت أو قالب محدد، بل المحيط متباين دائماً، ولا يقتصر على الأشكال المستطيلة والمربعة والمثلثة أو الدائرية، بل يتعداها إلى كل شكل وكل جسم، فللطائر محيطه وللأنسان محيطه الذي يحدد معالمه. وهكذا لكل شكل محيط خاص به. ولهذا أتساءل: هل هذا الإطار أو المحيط يمكن مشاهدته؟ في اعتقادنا من الصعب مشاهدته، ولكن بالإمكان ملاحظته، فالمشاهدة لا يمكن أن تتم إلاّ للأشياء المحددة والمحصورة كالأجسام والأشكال الهندسية، أما الملاحظة فتتعدى ذلك إلى ملاحظة الظواهر، فالمكان ظاهرة والزمان ظاهرة، والطلاق ظاهرة، والزواج ظاهرة، والحركة ظاهرة، وهذه الظواهر وغيرها لا يمكن أن تشاهد بالعينين ولا بوسائل تقنية حديثة، ولكن جميعها تلاحظ، وإلاّ هل هناك من يستطيع مشاهدة الحركة أو الزواج أو الزمان؟ إنه من غير الممكن.

الحركة لا تشاهد، ولكن الذي يشاهد هو المتحرك، فرفع القدم إلى الخلف ودفعها إلى الأمام لضرب كرة القدم تشاهد، ولكنها لم تكن هي الحركة، بل الذي يشاهد هو المتحرك (القدم)، ومن خلال مشاهدة القدم تلاحظ الحركة، حركة القدم وحركة الكرة. إذاً الحركة هي ربط العلاقة بين المتحركات من الذهن إلى الهدف وهذه كلها لا تشاهد، ولكنها تلاحظ، ولذلك يكون الفرق واضحاً بين المتحرك والحركة، والفرق بينهما هو أن المتحرك لابد وأن تكون له صورة أو شكل، ولهذا يشاهد أما الحركة فلا يمكن أن تكون لها صورة أو شكل ولهذا لا تشاهد.

كل الأشكال الهندسية لا يمكن أن تكوّن أشكالاً إلاّ ولها أماكن، فالمكان هو القالب الذي تتشكل فيه الأجسام والأشكال الهندسية. فالأرض كشكل هندسي تتكوّن في مكان ومن مادة، والمكان بالنسبة إليها هو الإطار الخارجي أو المحيط الخارجي الذي تحمل فيه، والأرض هي المادة الداخلية المحاطة بدائرة مكانية، ولهذا من الصعب على البسطاء في المعرفة والبحث

العلمي أن يدركوا الفارق أو يفصلوا بين الأرض كمادة وبين محيطها الخارجي، أما الملاحظ العلمي فيمكنه إدراك الفارق بينهما ويمكنه الفصل بينهما، حيث أنه يعرف أن المادة التي تتكوّن منها الأرض لم تكن المادة التي يتكوّن منها محيطها الخارجي. وعليه لا يتم الاتفاق مع رأي الفيلسوف ديكارت في قوله: (الأجسام لا تختلف عن المكان الذي يحتويها)[٦٧٨]. فالمكان كما سبق وان بيّنا شيء والجسم الذي يملؤه شيء آخر، فالأجسام عندما تشغل حيزاً تتحد مع المكان من حيث التماس المحيطي، فعلى سبيل المثال: كمية الماء في الخزان الذي طوله ستة أمتار، وعرضه أربعة أمتار، وارتفاعه متران، يكون حجمها يساوي ٦ × ٤ × ٢ = ٤٨ متراً مكعباً، وهو حجم الشكل الرباعي السابق الذكر، وعندما يتم تفريغ الماء من الخزان الرباعي يكون حجم المكان هو المحيط بالماء، وهو الجدران السداسية المكوّنة للشكل الرباعي، ولهذا يكون الماء هو الجسم، والمحيط ذو الستة أوجه هو المكان الذي ينفصل عنه الجسم المائي عندما يفرغ منه، فيكون حيزاً خالياً من الجسم المشاهد والملموس، فهو حيز مكاني يمكن ملؤه بأي جسم آخر يمكنه أن يحتويه بالشكل السابق. وللمكان الخارجي المشاهد مكان يحتويه هو الآخر، فمكان الخزان المائي السابق هو أعلى سطح المسكن، قاعدته السطح ومكانه في الهواء وهو الحيز الذي يشغله منه، والذي لا يمكن مشاهدة المكان إلاّ به (بالخزان كجسم)، والذي يمكن ملاحظته بدونه. فعندما يُزال الخزان من مكانه، فهل يمكن لأحد أن يشاهد المكان الذي كان فيه الخزان؟

إذاً المكان يمكن ملؤه بجسم، سواء أكان جسماً صلباً أو غير صلب، وأي جسم إذا لم ينتظم مع الحركة أو يتزن معها فلابد وأن يصيبه الخلل، ولهذا كان للهندسة ضرورة في البناء والتصميم، لأنها هي التي تجعل للمكين مكانة، ولذلك ينبغي أن تكون مكانه أي جسم متزنة على الأرض، أو في مجال حركتها الذاتية أو المدفوعة إليها، كاتزان مكانة الود في الصدور، فالمكانة حيز، والحيز قد يكون مكيناً وقد لا يكون، يكون مكيناً كحيز الجنين في بطن أمه الذي يجعل للجنين مكانة عاطفية عند أمه وهي تحمله وهناً على وهن {ولقد خلقنا الإنسان

---

[٦٧٨] الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص٧٨٠.

من سلالة من طين ثم جعلنه نطفة في قرار مكين}[٦٧٩]، وعندما يكون المكان غير مكين، يكون غير مأسوف عليه إذا ما غُيّر أو أُزيل من الوجود.

**المكان المجرد:**

المكان المجرد هو الحيز السابق على كل شكل مشاهد، والذي يمكن مشاهدته بعد انشغاله بجسم، والفرق بين المكان والمكانة، هو أن المكان يمكن أن يكون مشاهداً، ويمكن أن يكون مجرداً، أما المكانة فهي دائماً مجردة تلاحظ ولا تشاهد، مكانة الحبيب في فؤاد حبيبه، ومكانة الأبوة والأمومة بين البشر. والعلاقة بينهما (بين المكان والمكانة) هي أن المكانة مع أنها مجردة إلاّ أنها تشغل حيزاً، ممّا يجعلها تنتقل من المجرد إلى المشاهد. فعندما تكون للمؤمن مكانة بين الناس فقد تدفعهم هذه المكانة إلى الدفع به إلى مكان بينهم، فمكانة محمد عليه الصلاة والسلام هي التي جعلت له مكاناً بين المسلمين، وهكذا مكانة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من بعده رضي الله عنهم، فمكانتهم هي التي حرضت مجتمعهم على أن يجعل لهم أماكن الصدارة وتحمل المسؤولية من بينهم. {قل يقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عقبة الدّار إنه لا يفلح الظالمون}[٦٨٠]، بمعنى اعملوا على أن تكون لكم مكانة واعتبارات لكي تأخذوا حيزاً لتوجدوا فيه، ولكن أية مكانة هذه؟ هل هي مكانة عليا أم مكانة دنيا؟ ولأن هذه الآية تشير إلى الكافرين والظالمين فهي تشير إلى المكانة الدنيا. أما المؤمنون فمكانتهم عليا، ولذلك ينبغي أن يعملوا عليها لكي يكون لهم اعتبار. إذاً المكان سواء أكان مجرداً أو غير مجرد يختلف عن المكانة. المكانة اعتبار ورضا نتيجة تقدير نفسي، والمكان المجرد هو الذي لا يشاهد ولكن يحس به ويلاحظ، كمكان الخليفة والقائد والرئيس والملك في تحمل المسؤولية، ولهذا الخلافة والقيادة والرئاسة والملكية لا ترسم ولا تشاهد ولكنها تلاحظ ولها قوانين ونظم. إذاً المكانة هي المنزلة التي تشغل حيزاً، فمكان المنزل من الحديقة قد يعطيه مكانة رائعة لدى المشاهدين والملاحظين، بمعنى يشغل حيزاً

---

٦٧٩ المؤمنون، ١٢،١٣.

٦٨٠ الأنعام، ١٣٥.

من مجال تفكيرهم، ويجعل الأنشراح في صدورهم، ويخرج الكلمات من أفواههم، ولذلك قد لا يكون الفرق بين المكانة والمكان حيث أن جمع مكانة مكانات وعندما يتمكن الشيء من مكانة فهو مكين. وعليه لا مكان ولا مكين إلا والقيوم عليه وعلى من فيه، فسبحانه القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم مصداقا لقوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[٦٨١].

اللهم يا القيوم أكفنا مفتوحة، وعيوننا مرفوعة، وقلوبنا ترتجف خوفا من عقابك، وطمعا في رحمتك، أنت ولينا في الدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم يا القيوم سخر لنا الحياة الدنيا في طاعتك، واجعلها لنا داراً للإيمان وبابا ندخل منه واسع رحمتك في جنتك التي وعدت بها عبادك الذين استخلفتهم في الأرض وجعلتهم الوارثين، اللهم يا القيوم أصلح لنا شأننا كله، أنت أعلم بحالنا مالنا رب سواك، أنت القائم على كل شيء هيأ لنا أسباب المغفرة والرحمة ولا تجعلنا من القانطين.

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام حق، والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمنا وبك آمنا وعليك توكلنا وإليك أنبا وبك خاصمنا واحتكمنا فاغفر لنا ما قدمنا وأخرنا وأسررنا وأعلنا أنت القيوم جل جلالك لا إله إلا أنت

---

[٦٨١] البقرة، ٢٥٥.

# الواجد

الحمد لله الذي أوجد الموجودات، والذي بيده ملكوت الأرض والسماوات، خالق الحياة والممات، واجد بلطفه وجبروته المخلوقات، وصل الله على رسوله خير الأنام وعلى آله وصحبه أجمعين.

الواجد: "هو الذي لا يعوزه شيء وهو يوجد كل شيء، في مقابلة الفاقد ولعل من فاته ما لا حاجة به إلى وجوده لا يسمى فاقدا والذي يحضره ما لا تعلق له بذاته ولا بكمال ذاته لا يسمى واجدا بل الواجد من لا يعوزه شيء مما لا بد منه وكل ما لا بد منه في صفات الإلهية وكمالها فهو موجود لله سبحانه وتعالى فهو بهذا الاعتبار واجد وهو الواجد المطلق ومن عداه

إن كان واجدا لشيء من صفات الكمال وأسبابه فهو فاقد لأشياء فلا يكون واجدا إلا بالإضافة"[٦٨٢].

ولذا فالواجد هو الخالق ذو القوة والقدرة وهو المالك للشيء الذي أوجده ويوجد الأشياء المتعددة منه إلى مالا نهاية، والواجد المطلق هو الذي أوجد الحياة والموت والبعث والحساب والعقاب والتواب أي أنه أوجد كل شيء من لا شيء. والواجد بالإضافة هو الذي يعلم من علم الواجد المطلق ما يُمكّنَهُ من الصنعة.

الواجد هو مسبب الأسباب وخالق الشيء وواجده ظاهرا وباطنا، والواجد مكثر الأشياء التي أوجدها من لا شيء.

الواجد هو المكثر للخير، والمظهر له بما يفيد ثوابا أو عقابا (غفور رحيم) و(شديد العقاب).

الواجد "الَّذِي لا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلا يَفُوتُهُ شَيْءٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْغَنِيُّ الَّذِي لا يَفْتَقِرُ، وَالْوِجْدُ الْغِنَى"[٦٨٣]

وفي لسان العرب المحيط: "الواجدُ هو الغني الذي لا يفتقر"[٦٨٤]، واسم الواجد من أسماء صفاته وجاءت هذه الصفة لغناه عن المخلوقات وكافة الموجودات، ومن مظاهر إيجاده:

**أولا: إيجاده الحركة والتسبيح للمخلوقات:** قال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[٦٨٥]، يسبِّح له ممن هو في الأرضين والسماوات وما بينهما من المخلوقات الحية والجمادات، فالأحياء هو ما نلحظ حركته أما الجمادات فتلك التي لا نلحظ حركتها إلا من خلال قوله تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

---

[٦٨٢] المقصد الأسنى، ج ١، ص ١٣٢.

[٦٨٣] الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ١١٦.

[٦٨٤] لسان العرب، ج ٣، ص٤٤٥.

[٦٨٥] الإسراء، ٤٢-٤٤.

الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٦٨٦]، فالخشوع ناتج عن التأثر بكلام الله وهذا التأثر ناتج عن إحساس ومشاعر مرهفة، ولا يتأتى ذلك إلا عن سمع ووعي، فبالله إذا قلنا للأنسان إن الجبل لديه مشاعر وإحساس فهل يصدق وإن الصخر يلين ويخشع ويسمع؟ نقول: نجد أن الواجد قد أوجد المتحرك الناطق بلسان الجارحة اللسان وأوجد الساكن الصامت المعبر عن نفسه بلسان الحال ونعني بذلك حال التصدع والخشوع للجبل وقياسا على ذلك الدواب والأشجار فمن يفقه ويعلم أن هناك لسانين في الحي والجماد: لسان صامت، ولسان ناطق، وهذا من دلائل عظمة إيجاده، والخليفة الذي يكون في طاعة الله ويتبع منهجه يتجلى الله عليه بفهم لغة اللسانين الصامت والناطق، ويستطيع بحواسه التي ترقت في عالم اسم الواجد أن يتفاعل مع الحي والجماد، ولنا مثل في نبي الله داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، فقد قال الله تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ}[٦٨٧]، فكانت الجبال تسبِّح مع داود وتردد تسبيحه

---

[٦٨٦] الحشر ٢٤.

[٦٨٧] سبأ٩-١٤.

وحمده، وزيادة في الإيضاح موقف سيدنا سليمان مع النمل والهدهد، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالأنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ}[٦٨٨]، وقصة النمل والهدهد أظهر في البيان من أن نفسر ونحلل ونوضح فإذا قال المعترض حدثت لنبي دون غيره نقول: إن الوارد في دلائل النبوة المتعلقة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى بين يديه في جمع من الصحابة. ولأن الواجد أنعم علينا بحواس عدة منها البصر والسمع والعقل واللمس والذوق والشم، فإننا نميز بين ما نلحظه وبين ما ندركه إدراكا، ولتوضيح ذلك أميز بين المشاهدة والملاحظة؛ كيف يحدثان بتماثل وكيف يحدثان باختلاف فأقول:

**١ . الملاحظة:**

بالملاحظة يتمكن الخليفة من فهم سلوك الفرد أو الجماعة وظروفهم المحيطة مع استقراء ما يحدث من ردود أفعال، وذلك من خلال الربط بين المشاهد والمسموع والمحسوس والمدرك. وتشتمل الملاحظة على لحظة حدوث الشيء فيُلحظ في حينه (وقت حدوث الفعل) وهذه قد تكون عن رؤية، وقد تكون عن استماع مباشر واعٍ ومقصود، وقد تكون عن استقراء واستنباط، وترتكز الملاحظة على أهمية الحضور لكي تتم عملية المقابلة المباشرة للمصدر ذي العلاقة بالموضوع. كما ترتكز على المعاينة لما هو محسوس بشكل مباشر أو غير

[٦٨٨] النمل١٥-٢٢.

مباشر، فكل ما يتم عن طريق الحواس الخمس هو مباشر، أما الذي يتم عن طريق الاستنباط والاستقراء فقد يكون غير مباشر، ولهذا يجب أن لا يغفل الخليفة عن استقراء ما بين الأسطر، واستنباط المحمول في المضمون. ولهذا تعتبر الملاحظة الأداة المُمكِّنة من التمييز بين الصدق واللغو، وبين ما يجب وما لا يجب. فعن طريق المعاينة السماعية يتمكّن الخليفة من التعرف على العلاقات السالبة والموجبة بين المواضيع. فالعين لا تشاهد الكلمات المنطوقة مع أنها تشاهد المكتوبة منها. والأذن قادرة على ملاحظة المسموع وغير قادرة على التمكن من المكتوب، وبمشاهدة المكتوب يُمكن أن تَّلحظ مضامينه إدراكا واعيا. وبالاستماع يمكن أن يتعرف الخليفة على اتجاهات أو نوايا الطرف أو الأطراف المستمع إليها، وحتى فاقد حاسة البصر يُمكن أن يكون شاهدا مع أنه لم يكن قادرا على أن يشاهد شيئا بعينيه، فإذا أُنصِت إلى حديث جماعة تتحدث عن حكم التغير الاجتماعي، فيمكنه أن يُلحظ اتجاهاتهم حول هذا الموضوع، ويلحظ الوحدة التي بينهم، أو الاختلاف والتباين في وجهات نظرهم.

ولأنها الأداة المعتمدة على الحواس ودرجة سلامتها، فهي تتطلب من الخليفة كفاءات وقدرات يمكن قياسها، هي:

أ – القدرة على الأنصات الواعي للآخرين وتفهّم وجهات نظرهم.

ب – القدرة على التذكر والتصّور والتخيل، والتفكر وفقا لما هو متوقع وغير متوقع.

ج – القدرة على التمييز بين المعايير التي يحتكم الأفراد والجماعات والمجتمعات إليها.

د – القدرة على تحديد الرؤية لما يجب أن يحدث، ومتابعة ما يحدث بالفعل.

هـ – الاهتمام بجميع المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على الموضوع المدروس، وتبني التفكير في المتغيرات الجديدة ووضع معايير لها.

وللملاحظة أنواع منها:

تنقسم أنواع الملاحظة من حيث الدور إلى نوعين هما: الملاحظ غير المشارك والملاحظ المشارك .

الملاحظ غير المشارك:

إنه الملاحظ العلمي الذي لم يختلط مع الملاحظين (المبحوثين) قيد الدراسة، ويجري ملاحظته ويسجّلها دون أن تحس الجماعة بأنهم تحت المراقبة أو المشاهدة، ما يجعل تصرفاتهم تجاه الفعل الاجتماعي طبيعية، دون تكلّف في السلوك. وتجرى مثل هذه الملاحظات على الفرد وأعضاء الجماعة وعلى الأنشطة والبرامج، وعلى المواقف، وقد تكون مباشرة أو غير مباشرة. فالأولى هي التي يقوم بها الباحث العلمي مباشرة دون وسيط، وتتم عن بعد وكأن الأمر لا يعنيه في شيء، مع أنه منتبه لكل ما يجرى أو ما هو ملاحظ، كملاحظته للوحدات السكنية والحالة التي هي عليها، ومدى اهتمام السكان بنظافتها وجمالها، أو حين يلحظ سلوك جماعة من الصيادين أو الفلاحين أو المتظاهرين دون أن يشاركهم السلوك أو الفعل موضوع المشاهدة والملاحظة .

أما الملاحظة غير المباشرة فهي التي تتم عن طريق وسطاء قاموا بها في الزمن الماضي ولازال بعضهم على قيد الحياة، مع أن الموقف أو الموضع الذي اشتركوا في ملاحظته قد انتهي ولن يتكرر، فمن خلال إجراء مقابلة أو مجموعة من المقابلات معهم يتم التعّرف على ملاحظاتهم السابقة، وتعتبر ذات أهمية للمقارنة أو لإجراء ملاحظات على أفعال حاضرة أكثر تركيزا، أو اتساعا من حيث المجال، وقد تكون مصادر الملاحظة وثائق وسجلات ومذكرات عامة أو خاصة، وقد تكون مصادر الملاحظة أشرطة مسموعة أو مرئية أو أجهزة حاسوب.

إن هذا النوع مهم جدا في الدراسات الاستطلاعية والدراسات المتعمقة في طريق الخدمة الاجتماعية، إلا أن هذا النوع محفوف بخطأ النسيان أو الزيادة من قبل الناقلين، لأن العنعنة في معظم الأحيان لا دقة فيها.

الملاحظ المشارك:

هو الذي يقوم بالملاحظة مباشرة من أجل تجميع البيانات والمعلومات، وقد يكون مشاركا كاملا، وقد يكون مشاركا ملاحظا.

المشارك الكامل: هو الذي يتحدد من خلال دور الباحث أثناء ملاحظة سلوك الفرد أو الجماعة، وينبغي ألا يعرف الفرد أو أعضاء الجماعة بأن هناك من يقوم بملاحظتهم، ويكون الباحث في هذه الحالة كأنه عضو أساسي في الجماعة مما يستوجب عليه الإلمام باتجاهاتها وأهدافها والتقيد بتعاليمها وأساليب المعاملة فيما بينها ومع الآخرين، وأن يلتزم بتأدية طقوسها، خاصة إذا كانت جماعة دينية منغلقة على ذاتها، وأن يمارس مناشطها إذا كانت للجماعة مناشط توحّد اتجاهاتها، أو تهذب نفوسها، ويُفضّل أن يمتاز الباحث بمرونة عالية في تعامله مع أعضاء الجماعة خاصة وأنه قد يتعرض لمواقف استفزازية، إذا لم يتم تقبله من قِبل الجماعة، وإذا لم تثق الجماعة فيه كل الثقة. وأن الهدف من ممارسة هذا الدور من قبل الباحث، هو التعرف على الاتجاهات والأساليب التنظيمية للجماعة، والمنهج التربوي الذي تنتظم فيه أو تنتظم عليه، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها، والمخاطر المترتبة عليها، أو الفوائد المحققة لها، وذلك من أجل أخذ عبرة يستفاد منها في الحياة العامة، مع أن بعض أنواع التفاعل الاجتماعي يصعب أن يقوم الباحث بملاحظتها، وذلك مثل الممارسات الجنسية والاختلافات الأسرية، مع العلم أن هذا الدور يحتاج إلى وقت كافٍ وتدريب راقٍ حتى يتمكّن المتقصي للحقائق من الاقتراب إلى أعضاء الجماعة والتعرف على ما يكنّوه، أو يعلنوه فيما يتعلق بموضوع الملاحظة.

المشارك الملاحظ: فهو المتقصي الذي حدد وسيلة الملاحظة كأداة هامة لتجميع البيانات من أعضاء الجماعة الذين يعرفون دوره المعلن بأنه المشارك الملاحظ، وينتشر هذا النوع كثيرا في الدراسات الأنثروبولوجية.

**٢ . المشاهدة:**

يقصد بالمشاهدة الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته، بالاقتصار على العين في مشاهدة الأشكال والأفعال والصور، وتُمكّن المتقصي من الوصف لما يشاهده.

وتوجد علاقة ترابط بين المشاهدة والملاحظة تتمثل في أنَّ الملاحظة عميقة وواسعة، وتحتوي على الاستنتاج العقلي، أما المشاهدة فتحتوي على المعاينة بالعين للشيء، وذلك عن طريق

تفحّصه ككل وكجزء بنظرة نافذة. أي أن المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال والصور والأجسام، وحركتها والتعرف على مكوِّنها (الأجزاء المتكونة منها) بالتعرف على كل ما يمكن تصويره أو رسمه أو أنه في حالة حركة وامتداد.

عليه قد تكون المشاهدة وسيلة هامة للملاحظة، فمن مشاهدة جماعة نشاط فني حر من أجل دراسة اتجاهاتهم قد نجد أن أحد الأفراد يرسم وردة أو زهرة أو غزالة، ونجد آخر يرسم رجلا على صدره أو على أحدى ذراعيه إخطبوط، ونجد ثالثا يرسم فتى وفتاة بينهما مودة، أو يرسم قلبا في وسطه فتاة، أو سيارة يركبها عروسان. هذه مشاهدات يمكن أن يلحظ من خلالها، أن الأول يحب الجمال ويلحظ عليه أيضا الأنشراح والمرونة والحياة المبتهجة، وهو مبتسمُ غير عبوس، ويلحظ على الثاني الاتجاه الإجرامي والأنحرافي وعدم احترام الآخرين، ويلحظ على الثالث أن له حبيبة وقد يكون راغبا في الزواج منها وهي مركز اهتمامه. هذه الاتجاهات الثلاث قد يتم التعرف عليها بالملاحظة وبواسطة المشاهدة. ويلحظ أيضا العمق في كل حالة من الحالات الفردية السابقة، والتي ظهرت أمامنا من البداية كمشاهدات محدودة، وإذا شاهدنا مباراة لكرة القدم، نشاهد أمامنا جماعتين في وسط الملعب بنوعين من الملابس الرياضية، ومرميين للتهديف، بوسطهما حارسين وجمهور متحمس، ونشاهد حركة اللاعبين وحركة تسجيل الأهداف. هذه المشاهدات التي تترتب عليها الملاحظات، والتي تُمكّن الملاحظ من معرفة درجة التعاون بين اللاعبين، والمهارات الفنية لهم ولياقاتهم وقدرات تحمّلهم، وعلاقتهم بالجمهور وإصرارهم على الفوز، ويلحظ أيضا علامات الهزيمة، والفوز أو الإحباط في نهاية المباراة على أفراد الفريقين والمشجعين والمدربين حسب النتيجة لكل فريق.

تعتمد المشاهدة على ما تراه العين، ولكن ليس كل ما تراه العين هو حقيقة، وذلك لأن الظاهر قد لا يكون الباطن، ولهذا فالاعتماد على المشاهدة في القضايا العلمية، مسألة غير يقينية فيصعب التسليم بمصداقيتها "وترى الناس سكارى وما هم بسكارى"[٦٨٩] فمن مشاهدة سلوكهم قد تعتقد أنهم في حالة سكر، ولكن بملاحظتهم عن قرب، قد لا يكونوا سكارى مع

---

[٦٨٩] الحج ، ٢ .

أن حركتهم فيها شبه من هذا الأمر. ولذا فإن الاعتماد على العين في المقارنات العلمية غير كافٍ، وليس دقيق، لأن إجماع الناس على حكم معين بمثل هذه الوسيلة غير ممكن. مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة والمقابلة في عمليات الدارسة، سواء جمع المعلومات أو التحليل أو التشخيص أو العلاج الذي يُمكّن الأفراد والجماعات من أداء واجباتهم الاجتماعية وفق ما لهم من حقوق، وما عليهم من مسؤوليات تفاديا لعيوب المشاهدات يقول الله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}[٦٩٠]. وأيضا قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ}[٦٩١]. فمن خلال المشاهدة كان يعتقد القمر هو الرب ولما غاب لاحظ أن القمر يفتقد لصفة الرب الواحد (الله عزَّ وجل) وهي خاصيّة البقاء دون غياب بوحدانية الثبات، وأعتقد مرة أخرى بأن الشمس هي الرب فلما غابت عن المشاهدة في الليل، لاحظ أنها تغيب وهذه الصفة لم تكن من صفات الله عز وجل وذلك لأنعدام خاصية البقاء، لأنه الحي الذي لا يغيب، ويرى الناس وأفعالهم، وما تخفيه وتظهره صدورهم.

لذلك ترتبط الملاحظة بالموضوع ولا تنفصل عنه، لأنها إذا انفصلت عنه تصبح غير علمية وبدون معنى محدد لها. فإذا افترضنا أن الموضوع هو: مدى تمسك سكان مدينة من المدن العربية بارتداء الزي (الملبس) الوطني، فإن ذلك يستوجب على الملاحظ ملاحظة ومشاهدة سكان المدينة في أماكن مختلفة وأوقات مختلفة، وقت العمل وأماكنه وفي المدارس والجامعات والمناسبات الدينية والأعياد الوطنية والأعراس وحفلات الختان والمآتم وفي الشوارع العامة وأيام العطلات وأماكن الترفيه. فإذا ذهب إلى المصيف البلدي وشاهد المصطافين بدون زيهم الوطني فهذا لا يعني عدم تمسكهم به، ولكنه يعني أن طبيعة المكان لا تستوجب لبس أو ارتداء الزي الوطني، بل إنه لو شاهد أحد المواطنين يرتديه وهو مع المصطفين على الشاطئ يلحظ عليه إخلالا بالذوق العام، وعدم احترام الزي الوطني، وإذا

---

[٦٩٠] الأنعام، ٧٧.

[٦٩١] الأنعام، ٧٨.

شاهد أحد أساتذة الجامعة يرتدي ملابس البحر القصيرة وهو في الفصل الدراسي أو المدرجات الجامعية في البلدان العربية والإسلامية بشكل عام، فإنه يلحظ عدم احترام الأستاذ للمكان الجامعي ولطلبة الجامعة، وتختلف المشاهدة عن الملاحظة في المثالين السابقين، الملابس تشاهد وتميّز، أما الاحترام والتقيد بالذوق العام يلحظ ولا يشاهد. وإذا ذهب إلى مأتم وشاهد امرأة ترتدي ملابس عروسة، يلحظ أنها خارجة عن الموضوع، لأنها لم تتقيد بالظرف ألزماني والمكاني للزي الذي ترتديه، ولم تحترم المناسبة وشعور الآخرين، وإذا شاهد بعض الأفراد يسبحون بالزي الوطني بالمصيف العام يلحظ عليهم عدم احترامهم للزي الوطني الذي يجب ألا تقدم له الإهانات.

ولا تقتصر الملاحظة على الصور والأشكال بل تتعداها إلى المعاني والألفاظ، وما يحاول أن يخفيه أو يظهره الفرد هذا لا يتحقق بالمشاهدة التي تقتصر على مشاهدة الصورة (المتحرك والثابت) إن التناقض في الحديث والتلعثم والخجل والتظاهر بالبراءة والتظاهر بالخوف والخوف الحقيقي والمحبة والتظاهر بالمحبة والأنطواء والاكتئاب والتشاؤم ومحاولة إنكار الأنفعال والغضب، وإظهار الفرح والمرح كل هذا لا يمكن مشاهدتها، ولكن من الممكن ملاحظتها. المشاهدة تقتصر على رؤية المنبسط فرحة، أو الباكي حزنا، ولهذا فلباكي يشاهد، والبكاء يلحظ، وكذلك الفرحان يشاهد، والمفرح يلحظ.

وعليه ليس كل ما يلحظ يشاهد، ولكن كل ما يشاهد يمكن أن يلحظ. إن قوة العلاقات بين أفراد الأسرة أو الأمة لا يمكن مشاهدتها، ولكن بالإمكان ملاحظتها، ممارسة الحرية لا يمكن مشاهدتها، ولكن من الممكن ملاحظتها من خلال مشاهدة سلوك وأفعال الممارسين لها، ولذا مع أن للحرية أساليب لممارستها في سلوك عن طريق اللجان والمؤتمرات والبرلمانات والجمعيات، والتنظيم الاقتصادي من خلال الملكية العامة والخاصة، وديناميكية الأنتاج التي يمكن مشاهدتها كتعابير عن الحرية؛ إلا أن التعابير المعلن عنها من قبل الحكومات من خلال المشاهدة قد لا تعبر عن مصادق، ومن خلال الملاحظة قد يثبت عكس ما يقال أو يكتب، فعن طريقها قد تكون الحقيقة أن الدولة التي تدعي ممارسة الحرية عن طريق جلسات

المجالس والبرلمانات التي يمكن مشاهدتها بالنقل المباشر من خلال شاشات الإذاعة المرئية وشبكات الأنترنيت، يلحظ أنها نظاما كبحيا لا علاقة له بممارسة الحرية واحترام المواطنين.

وعليه تكون الملاحظة أكثر أداة لإثبات الحقائق والمصادق، وتتكون الملاحظة من عمليات عقلية متداخلة إلى جانب توليد المشاهدات، فالعمليات العقلية هي: تلك التساؤلات والافتراضات أو الأنتقادات والتوقعات، وكيفية تفادي المواقف، وكيفية اختيار الأساليب ومراعاة الظروف المناسبة. أي أنها الحوار الذي يتم بين المتقصي وذاته، والمبادئ العلمية حول الموضوع والأهداف مع مراعاة الفرد أو الجماعة أو المجتمع قيد الملاحظة أو المشاهدة، والأساليب الدفاعية التي قد تحول دون الملاحظة أو تعرقلها، أما توليد المشاهدات فهو: الأنتقال من المشاهد إلى الأسرار التي وراءه والعلاقات المكونة لعناصره، قال الله تعالى: {قل انظروا ماذا في السماوات والأرض}[٦٩٢]. إنه أمر لمشاهدة آياته في السماء وهي النجوم والكواكب من خلال النظر إليها، يمكن مشاهدة حركتها وضوؤها الجميل، وبالمشاهدة يلحظ أن هناك علاقة، وأن هناك قدرة ورائها، وأنها علامات يمكن الاهتداء بها في تحديد الاتجاهات ليلا ونهارا وفي البر والبحر، وهذه مشاهدات تولَّدت من خلال الملاحظة والمشاهدة، وهكذا تتولد المشاهدة من المشاهدة، وتتولد الملاحظة من الملاحظة، فمن مشاهدة الشمس يشاهد الشروق والغروب، ومن مشاهدة القمر والنجوم يشاهد الشمال والجنوب، ومن مشاهدة الجبال والمخلوقات يلحظ أن من ورائها خالق، وهكذا تتولد الفكرة من الفكرة لنلحظ أو نشاهد ما يترتب على الفكرة وتوليدها.

في كثير من الأحيان تضع المتقصي المشاهد في حالة شك، حيث خدعة الحواس، مما يجعل الشك في بعض المسموع، وبعض المشاهد، فسلامة البصر وقوته ليست وأحدة، وبالتالي يجب أن لا يثق المتقصي للحقائق في كل ما يقوله المبحوث سواء كان فردا أو جماعة. ولأن المشاهدة ترتبط بالظاهر سلوكا وحركة ومتحركا، فلا ينبغي أن يعتمد عليها في إصدار الأحكام. خاصة أثناء إجراء المقابلات مع أصحاب الحالات الشاذة أو الأنحرافية.

---

[٦٩٢] يونس، ١٠١.

فعلى سبل المثال مشاهدة الأخصائي الاجتماعي للمبحوث وهو يبكي أثناء المقابلة، فمن خلال الملاحظة يمكن إثبات أن هذا البكاء ليس على صدقٍ، ولكنه لاستدرار عطف الأخصائي الاجتماعي، نتيجة الحيل الدفاعية للمبحوث وذكائه في التأثير على الأخصائي الاجتماعي وتمييع الموضوع. كما أن مشاهدة المتسولين وهم في ثياب رثة بالية قد تظهر للوهلة الأولى ظروفهم المعوزَّة، ولكن إذا أخضعوا للملاحظة، قد يكونوا عكس ما يشاهد تماما لأنهم اختاروا أقصر الطرق للعيش بدون مقابل، ومع ذلك فإمّا السائل فلا تنهر: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[٦٩٣].

وهكذا تكون الملاحظة اختبارية للمشاهدة، وتكون المقابلة اختبارية للملاحظة، فكل ما يلحظه الباحث المتقصي للحقائق يمكن أن تختبر مصداقيته أو عدمها بالمقابلة. وتختلف الملاحظات والمشاهدات العلمية عن الملاحظة والمشاهدة العابرة التي تواجه الإنسان كل يوم، والتي قد تثيره في وقتها لاحتوائها عنصر المفاجأة أو التي تعرَّف عليها في الماضي وتتكرر من حين لآخر مثل مشاهدته السحب والأمطار، ومعرفته لها كما هي مشاهدة، ولا يعرف العلاقة بين السحب ومكوناتها والقوة التي تذيبها فتسقط مطرا، وأنه يشاهد البرق ولكنه لا يعرف القوة المولدة له، أما الملاحظات والمشاهدات العلمية المقصودة فهي تحدث وفق خطة وانتباه واع وتتبُّع دقيق، وتنطلق من موضوع وتحقق أهدافا.

**ثانيا: ومن مظاهر الإيجاد نفخه الروح التي لا تكون إلا بأمره:** ولنا في القصة القرآنية التي أثبت أن الإنسان إذا تفرغ لربه حقا ولدعوته أنعم الله عليه بنعمة إيجاد الروح في الجماد، وهذا الأمر كان ظاهرا أيام اصطفاء الرسل، ولكن بعد انتهاء ذلك الزمان وأتم الله نعمته بالرسالة الخاتمة والرسول الخاتم للكافة، فالرقي الروحي الذي هو متاح لدرجات الرسل لن يكون بعد أن قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٦٩٤]، إذن لا رقي إلى

---

[٦٩٣] الضحى ٩ . ١١.

[٦٩٤] المائدة، ٣.

مراتب الرسل بعد محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته الخاتمة، ولكن لله رجال إذا عاهدوا صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وهم على الحق عاكفون. وإذا عدنا إلى فترات تتالي الرسل فلنا في القرآن الكريم قصص من مظاهر إيجاد نفخة الروح، وسنضرب مثلا بالقصة التي يقصها علينا القرآن والتي في مضمونها أن إبراهيم عليه السلام قد أخذ من الطين وصنع منه على هيئة الطير ثم في إظهاره للحق وأن الله الواجد للروح ولا واجد سواه قال الله جل جلاله لإبراهيم انفخ في هذا الطين فسيكون طيرا متحركا بإذني وهنا قد تحول الشيء من الحي الصامت الذي يطلق عليه الجماد إلى الحي المتحرك وهو الطير، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٦٩٥]، وهذا دور الخليفة أن يبث الروح في جماعته للعمل والسعي والنماء والأنتاج وكفاية المحتاج وكأنه يوجد شيء من لا شيء. وقال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[٦٩٦]، اعلم أنه تعالى ذكر هاهنا إثبات العلم بالصّانع، وإثبات الحشر والنشر والبعث، والقصة هي مناظرة إبراهيم صلى الله عليه وسلم مع ملك زمانه نمرود بن كنعان، ولأن من المعلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعثوا للدعوة، والظاهر أن من عادة المنكرين أن يطالبوا بإثبات أن للعالم إلها، ألا

---

[٦٩٥] البقرة، ٢٥٧-٢٦١.

[٦٩٦] البقرة، ٢٥٧.

ترى أن موسى عليه الصلاة السلام لما قال: {إني رَسُولُ رَبِّ العالمين}[٦٩٧]، {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العالمين}[٦٩٨]، فاحتج موسى عليه السلام على إثبات الإلهية بقوله: {رَبّ السموات والأرض} فكذا هاهنا الظاهر أن إبراهيم دعى للرسالة، فقال نمرود: من ربك؟ فقال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت، ودليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في غاية الصحة، وذلك لا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بواسطة أفعاله التي لا يشاركه فيها أحد من يظن أنه من القادرين، والإحياء والإماتة كذلك؛ لأن الخلق عاجزون عنهما، فلا بد من خالق آخر غير هؤلاء القادرين الذين تراهم، فعلمنا أنه لا بد في الأحياء والإماتة من وجود موجد يؤثر عليها بقدرته، واختيار الإحياء والإماتة لهذه الحيوانات دليل قوي قاطع، فإنَّا في الحيوان أعضاء مختلفة في الشكل والصفة والطبيعة، وهذا الدليل المتين القوي الذي ذكره الله سبحانه وتعالى من الإحياء والإماتة قد سبق أن تكرر استشهد بذكره في مواضع مختلفة في كتابه العزيز كدليل على وحدانيته وقدرته على إيجاد الروح وكل ما من تفرد به كعلمه وقدرته، كقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِن سلالة مّن طِينٍ}[٦٩٩]، وقال تعالى: {الذي خَلَقَ الموت والحياة}[٧٠٠]، وقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رددناه أَسْفَلَ سافلين}[٧٠١] ، وتبادر لذهني سؤال لماذا قدم في هذه الآية ذكر الحياة على الموت، وقد قدم الله تعالى الموت على الحياة في آيات منها:

قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بالله وَكُنتُمْ أمواتا فأحياكم}[٧٠٢].

وقال تعالى: {الذي خَلَقَ الموت والحياة}[٧٠٣].

وقال الله تعالى: {والذي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ}[٧٠٤].

---

[٦٩٧] الزخرف٤٦.

[٦٩٨] الشعراء٢٣.

[٦٩٩] المؤمنون، ١٢.

[٧٠٠] الملك٢.

[٧٠١] التين٥،٤.

[٧٠٢] البقرة، ٢٨.

[٧٠٣] الملك٢.

والجواب: لأن المقصود من ذكر الدليل إذا كان هو الدعوة إلى الله تعالى وجب أن يكون الدليل في غاية الوضوح، ولا شك أن عجائب الخلقة حال الحياة أكثر، واطلاع الإنسان عليها أتم، فلاشك من وجوب تقديم ذكر الحياة هاهنا.

**ثالثا: إيجاده الحياة:** قال تعالى: {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٠٥]. وفي هذه الآيات ما يفوق إيجاد الشيء من الشيء كما مرَّ في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام والطير وهو إيجاد الحياة في الجسد الهامد الذي فارقته الروح وذلك ما حدث مع "عزير" أو ربما مع غيره؛ لأن سؤال الرجل بقوله وتعجبه في قوله تعالى: (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)، ربما يبعث الشك في إيمانه بالله عز وجل لاستبعاده إيجاد الحياة والإماتة من الله جل في علاه، وهو من عادة تشكيك أهل الكفر والجحود، أو ربما اعتاد ذلك الرجل أن يمر على تلك القرية فيجدها خربة مدمرة، فسأل في نفسه ذلك السؤال التعجبي، الذي كان من عادته أن يسأله، ولكن من جهة أخرى نرى أن الآيات جرت فيها محاورة بين الله جل جلاله وبين ذلك الرجل والمعتاد أن الحوار مع الله عز وجل لا يكون مع كافر؛ لأنه لا يستحق تلك المرتبة التي خص بها خلفاءه في الأرض إلا من كان أهلها، والدليل الثاني هو ذكره لله في سؤاله في قوله تعالى: (أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)، فلو كان كافرا ما ذكر اسم الله في سؤاله، وكذلك إعادة الحمار حياً بعد ما صار رميماً مع كونه مشاهداً لعودة أجزاء الحمار إلى التركيب وإلى الحياة إكرام عظيم وتشريف كريم، وذلك لا يليق بحال الكافر له. والحوار فيها يطول، وفائدة ما ذكر أن الله عز وجل قادر على إيجاد مالا يقدر الإنسان على إيجاده؛ لأنه كما قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

---

[٧٠٤] الشعراء٨١.

[٧٠٥] البقرة، ٢٥٧- ٢٥٩.

رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[٧٠٦]، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}[٧٠٧]؛ ويرجع ذلك لعظم كلماته كما قال جل وعلا في كتابه المكنون: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَأحدةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[٧٠٨]. والمنظور في هذه الآيات أن الله قادر على إكرام خلفائه في أرضه بكل الصور والأشكال، فهل الخليفة يكون قادرا على شكر هذه النعم كما يجب؟.

نعم، وذلك إذا عمل العمل الصالح، وإحياء النفوس، وعملية الإحياء بالنسبة للخليفة تكون ببث روح الأمل في من وصل به اليأس من رحمة الله عز وجل، وفي من ظن أن الله لا يغفر الذنوب، وبذلك يكون قوله: إن الله غفور لمن تاب وآمن وعمل صالحا، تبعا لقوله تعالى في علاه: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[٧٠٩]، وأن مغفرته واسعة وشاملة وقريبة من المحسنين، بعد استيفاء شروطها المذكورة في الآية الكريمة سابقة الذكر، والتي تمثلت في:

أ . التوبة.

ب . الإيمان.

ج . العمل الصالح.

د . الاهتداء إلى الطريق المستقيم.

---

[٧٠٦] الإسراء، ٨٥.

[٧٠٧] غافر١٣-١٦.

[٧٠٨] لق، مان٢٦-٢٨.

[٧٠٩] طه، ٨١، ٨٢.

**رابعا: إظهار قوة الكلمة:** ومنها ما أظهره على يد النبي عيسى بقوة الكلمة هذه القوة التي استمدها من الموجد فتحولت من السكون إلى الحركة ومن الصمت إلى النطق ومن الموت إلى الحياة، قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[٧١٠]، وقال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

[٧١٠] آل عمران، ٤٤-٥٢.

الشَّاهِدِينَ}[٧١١]. ففي هذه الآيات الكريمة تكريما لرسوله وخليفته سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بهذه المعجزات المتوالية، والتي تمثلت في:

أ . إعادة الروح في الجسد.

ب . إبراء الأكمه.

ج . إبراء الأبرص.

د . إخباره لقومه بما يأكلون وما يذخرون في بيوتهم.

ولذا فالكلمة قوة، وقوتها تستند على الحجة التي لا يدخلها الباطل أبدا، فبها يحق الحق وبها يزهق الباطل، وأصحابها لا يبدلوا تبديلا، فهل لنا أن نجعل من سير الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم نبراسا يسير عليه الخلفاء من بعدهم؟ فالخليفة إنسان محب للخير وفاعل له، متواضع في مأكله ومشربه، والهيبة تملأه، والتكبُّر عن الرذائل والمفاسد يملأه، والبساطة تملأه، وانحيازه للحق أمر بعده قاطعة.

فلنعتبر ونتعظ بذكر الله ونتقيه في أنفسنا وذريتنا، وأزواجنا، وفيما نقول ونعمل ليكون لنا القرآن رفيقا، وذكره وتسبيحه رفيقا، ومجالسة أهل العلم الحق رفيقا، والأخذ بالعبر والقصص التي كتبها الله شاهدا رفيقا. وعليه الأخذ بنصائح الأخيار من الناس الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، الابتعاد عن الأشرار وعدم مخالطتهم بالحديث والمسامرة، الابتعاد عن الشبهات، قولا وفعلا، ذلك الابتعاد يخلق لدى الخليفة في أرضه نوعا من الفطنة لدراسة المستقبل، لما أوجده فيه ذلك السلوك الحذر من الأنتباه لما حوله، فتكون نظرته المستقبلية سليمة وثاقبة؛ لأنها جاءت عن تريث ودراسة، فيكون ناجحا في دينه ودنياه بإذن الله تعالى. آمين.

**خامسا: إيجاده المتعدد في الشيء الواحد:** ونقصد بالإيجاد تنوع الوظيفة والقابلية للتشكل والتكيف لتمام الفائدة وذلك من مظاهر تعدد قدرة الموجد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحتى لا يذهب ذهن القارئ هنا وهناك نرده إلى القران الكريم في قصة العصا

[٧١١] المائدة، ١٠٩-١١٣.

المشهورة التي أوجدها الله لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام لوظائف شتى لم يكن على علم بها إلا بعد الحاجة إليها، قال تعالى: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى}[٧١٢]، وهنا لمحة لطيفة أن من أسرار الاسم الواجد أن تعدد الوظائف في الشيء الواحد فالشجرة قد يكون من فوائدها الظل والثمار والطعام للأنسان والحيوان والسكينة للطير وتعدد الصناعات التي تخرج منها كالأثاث والبناء، وهذا هو دور الخليفة الذي يتفاعل مع الاسم الواجد فيستخدم نعمة العقل في إيجاد النافع والبعد عن المضار. وعودُ على بدء فالعصا قد تستخدم في الفساد بالضرب والقتل وقد تستخدم في الإصلاح كالدفاع عن النفس والهش على الغنم ويا للفظة من جمال وتجلى رحمة الموجد في لفظة (أهش بها على غنمي) التي فيها من اللين والرأفة والرحمة هذا ما علمه موسى من عصاه وما وجده فيها، أما ما لم يعلمه فهو قدرة الواجد على إيجاد المنافع منها فقد تتشكل في صورة الحية والتي لها دلالة الحياة وشكلا من أشكالها بعد أن كانت ملتبسة في شكل آخر وهو الحياة الصامتة التي نقول عنها الجماد، والتي كان الهدف من تحولها نصرة نبيه موسى عليه الصلاة والسلام، حيث لم يختر له أي معجزة أخرى؛ لأن قومه في ذلك الوقت كانوا يشتهرون بالسحر والتعامل به، فجعل الدواء من نفس الداء، فلما رأى السحرة ما صنعته تلك العصا علم أن هذا العمل ليس بسحر بل معجزة إلهية ربانية لا يستطيع أن يأتي بها

[٧١٢] طه، ١٤-٣٧.

ساحر مهما ترقى في دروبه وفنونه، والذي كان مبنيا على كذب وتمويه لأعين الناس؛ ولأن الله جل جلاله قادر على إبطاله، كما قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}[٧١٣]. بذلك قصم ظهر عدوه وجاء على بنيانهم من قواعده، كما قال تعالى: { لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ}[٧١٤]. فلم يجدوا من بعده حجة إلا أن يعلنوا إيمانهم أمام فرعون وملائه، ويستفيد الخليفة من هذه الآيات الكريمة:

أ . أن نصر الله قريب متى كان عمله خالصا لوجهه الكريم،قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}[٧١٥].

ب . أن عدو الله مهما أدعى من الجبروت والعظمة فهو أمام الله ضعيف، قال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[٧١٦].

ج . التمسُّك بحبل الله المتين، وذلك بقيام ما أمرنا الله به من العبادات والمعاملات، والعمل وحدة صفوف المسلمين؛ لردع أي هجوم محتمل من أهل الشرك والذين بنيت عقائدهم على الفساد والخراب يظنون أنهم يحسنون صنعا، قال تعالى: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ

---

[٧١٣] يونس، ٧٩-٨٢.

[٧١٤] النحل٢٣-٢٦.

[٧١٥] البقرة، ٢١٤.

[٧١٦] النساء، ٧٦.

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}[٧١٧].

د . أن يحسن الاتكال على الله في مواجه الأخطار، وعدم الغرور عند الحصول على النتائج الطيبة، و الرجوع إلى الله عند حصول العجب والغرور، وقد حدث ذلك مع الصحابة رضوان الله عنهم في يوم حنين عندما قالوا: لن نهزم اليوم من قلة، فكان الرد عليهم في نفس المعركة كما قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ}[٧١٨].

هـ . وجَد الطالب مطلوبه: أي أَوجد الله لخلفائه مطلوبَهم وأَظفرهم بـه، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا

---

[٧١٧] الكهف١٠٢-١٠٦.

[٧١٨] التوبة٢٥، ٢٦.

بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}[٧١٩]، الآيات السابقة تبين علم الله تعالى ما في قلوب خلفائه من الصدق فأثابهم عليه بفتح خيبر، جزاء صدقهم، وإن وصفه إياهم بالصدق ليس أمرا هينا إذ لا يتأتى هذا الوصف إلا لمن خصهم بالرضا فكان الجزاء تحقيق ما في قلوبهم من النصر على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين بإذنه عليهم؛ مكافأة لهم بما قدموه من صادق العمل وخالص النية، ليكون جزاءهم كاملا ووافرا في الدارين بما قدموه من العمل الصالح، وكما وعدهم – ووعده الصدق – فكان الفتح، وكانت المغانم الكثيرة المادية والمعنوية منها كالنصر على العدو والظفر به بعد أن كان عصيا عليهم، فيجدون الناس قد دخلوا في دين الله أفواجا، وبأقل الخسائر، بل لو قورنت بما يحدث اليوم من الخسائر بما حدث ذلك الوقت فإن ما حدث ذلك الوقت لا يذكر لا من قريب ولا من بعيد فالبون شاسع بينهما، وفي ذلك رد على من يقول: إن الإسلام فتح العالم بقوة السيف وليس بقناعة ورضا الشعوب والبلدان التي تم فتحها لم تكن راضية بذلك الفتح، نقول لهم: لو كان القوة كافية لتحقيق أي نصر وحدها لكان العالم بأسره تحت وطأة الدول الكبرى التي تملك الأساطيل والجيوش الجرارة، ولننظر ما حدث لأمريكا في فيتنام وما يحدث لها في أفغانستان والعراق لهو خير دليل على أن الإسلام لم يكن دين الفتح بالقوة وبقهر الشعوب ولكن ربما كسر الإمبراطوريات في ذاتها وبنصر الله للمستخلفين فيها فك أسر شعوبهم من هيمنة الدول المتوالية والمتعاقبة عليهم بعد يأس وكرب وشدة قد وجدوا أنفسهم في حرية وعدالة الإسلام وخلفائه العدول في مسلكهم بفعلهم وقولهم فانبهروا به أيما انبهار، وهذا ما يجب أن يكون عليه خلفاؤه في أرضه اتجاه المستخلفين ليكونوا نبراسا يقتدى بهم في أرضه بما يحملوه من مكارم الأخلاق والشيم الرفيعة. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

[٧١٩] الفتح١٨–٢٨.

وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آَيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}[٧٢٠]. ففي قوله تعالى: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) في الآيات السابقة طلب طالوت ملاقاة جالوت وجنوده وخاصة بعد أن قل عددهم أمام عدوهم بمخالفة عدد كبير لأمر قائدهم، لما تراءى الجمعان قال بعض الجنود: لا قدرة لنا لنواجه عدونا ورغبوا بذلك في الشهادة التي يرونها أمامهم بحكم ما هو موجود من المعطيات دون أن ينسوا ذكر ربهم فأجابهم مجموعة أخرى منهم إن النصر من عند الله يأتي به كيف شاء ومتى شاء ودون النظر إلى عدد أو عدة، الفريقان أحدهما وطَّن نفسه للشهادة، والثاني لا يريد أن يقبل بغير النصر لأنه على يقين بأن الله لا يترك من قاتل في سبيل إحقاق الحق من غير نصرة دنيوية قبل الجزاء الأخروي، وكان الحدث كما أراده الذين يعلمون أن النصر من عند الله وليس بكثرة الرجال والسلاح، وعلى ما تقدم يجب علينا أن

[٧٢٠] البقرة، ٢٤٦-٢٥٢.

نبني هممنا وأن نعلم يقينا جازما أن النصر والنصرة تأتي من عند الله وحده وليس ذلك من غير مقابل فالمقابل في ذلك:

أ . الإيمان الصادق بأن الله وحده الذي ينصر من يشاء ويعز من يشاء؛ لأنه كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}[٧٢١].

ب . النية الخالصة لوجهه الكريم في الدفاع عن دينه في كل مكان وزمان، ولا يخشى في ذلك لومة لائم، كما قال تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}[٧٢٢].

ج . أن لا يتأخر المؤمن عن الجهاد في سبيله تعالى، وأن يبذل ما بوسعه من المال والجهد للدفاع عن دينه في البر والبحر، كما قال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٧٢٣].

د . الصدق في التعامل مع العدو ومجابهته دون تردد أو خوف وذلك بما يعمر الله به قلب المؤمن من الإيمان بأن النصر من عند الله جل جلاله، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا

---

[٧٢١] محمد٧-١١.

[٧٢٢] محمد٤-٦.

[٧٢٣] التوبة١٢٠، ١٢١.

اتَّقُوا اللَّـهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}[٧٢٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا}[٧٢٥].

هـ . ألا يضعف أمام عدوه أو يلين: كما قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين الصابرين الذين هم حقا أهل الخلافة: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٧٢٦].

و . أن يكثروا الدعاء ساعة اللقاء مع العدو ليثبت أقدامهم أمام عدوهم: كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

---

[٧٢٤] التوبة١١٩.

[٧٢٥] الأحزاب٧- ١٥ .

[٧٢٦] آل عمران، ١٤٦-١٤٨.

ع . عدم التنازع ساعة اللقاء: لأنه يذهب ريح وقوة المجموعة المحاربة في سبيل الله تعالى، قال تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[٧٢٧].

غ . عدم القتال للرياء والسمعة: كما قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٧٢٨].

ك . وجده اليسار والسَّعةُ: فليجعل الخليفة دعاءه: الحمدُ للَّه الغَنِيِّ الواجِد، الذي أَوْجَدَني بعد عدم وفقر، وآجَدَني بعد ضعف أَي (قوّاني)، وليعلم الإنسان أنه فقير إلى الله وأن الله غني عن خلقه، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[٧٢٩]، وليعلم المؤمن أن الله هو الغني الحميد هو الخالق والقادر على اليسر والعسر لمن يشاء من عباده، فجعل الغنى والفقر لحكمة يعلمها، ولكن لرحمته جعل العسر بين يسرين، قال تعالى جل في علاه في كتابه المكنون: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[٧٣٠]، وعلى الخليفة المؤمن أن لا

---

[٧٢٧] الأنفال٤٦.

[٧٢٨] الأنفال٤٧-٥٢.

[٧٢٩] فاطر١٥-١٨.

[٧٣٠] الشرح٥، ٦.

يجزع لشدة أو كربٍ مرت به فإن لكل ضائقة تمر بالمؤمن إلا ومن وراءها فرج قريب، وأن من ورائها الأجر العظيم الذي لا يعلمه إلا هو جل في علاه، وعلى المؤمن إذا مرت به ضائقة أو تعسَّر عليه أي أمر من الأمور سواء أكان في الصحة أم في المال، أم غير ذلك من حوائج الدهر أن يتبع ما يلي:

أ . أن يلتزم الصبر، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[٧٣١]، وقال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[٧٣٢]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وعلانية وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[٧٣٣].

ب . أن يهرع إلى الله ويتضرع إليه بالدعاء آناء الليل وأطراف النهار، قال تعالى: {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ}[٧٣٤]، وقال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[٧٣٥].

---

[٧٣١] البقرة، ١٥٣.

[٧٣٢] البقرة، ١٥٥-١٥٧.

[٧٣٣] الرعد٢٢-٢٤.

[٧٣٤] الأعراف٥٥-٥٧.

[٧٣٥] الأعراف٢٠٥، ٢٠٦.

ج . الكف عن المعاصي، والرجوع إلى الله، ولا أحد يقول لست مذنبا، فربما أمر يراه الإنسان صغيرا وهو عند الله عظيم، قال تعالى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٧٣٦].

د . صلة الرحم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ}[٧٣٧]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٧٣٨]، وألا نسلك مسلك اليهود الذين قطعوا أرحامهم فأصابهم ما أصابهم، بما كانوا يأمرون به من قطيعة للرحم وعدم التودد بين العباد فقد قال الله تعالى فيهم: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}[٧٣٩].

هـ . التصدق بما تيسر فإن الصدقة تدفع البلايا والرزايا، قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ

---

[٧٣٦] النور ١٥-١٨.

[٧٣٧] الرعد ٤٦.

[٧٣٨] النور ٧٤، ٧٥.

[٧٣٩] الرعد ٢٥.

بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وعلانية فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٧٤٠].

وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[٧٤١].

**سادسا: إيجاده للرحمة والمثوبة الواسعة:** قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

---

[٧٤٠] النور ٢٧١-٢٧٤.

[٧٤١] لقمان ٢٠-٢٨.

الْحَمِيدُ}[٧٤٢]، الناظر للآيات السابقة بتمعن يرى أن الله جل جلاله واسع الرحمة كما أنه واسع المثوبة، وهذا التسابق للوصول إلى هذه المغفرة الواسعة لابد من أن يسلك الخليفة أقرب الطرق وأوضحها عبر المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك – والعياذ بالله – وذلك بإتباع ما يلي:

أ . الإيمان بالله إيمانا صادقا جازما لا يتزحزح، ولا يتغير بأن الله وأحد لا شريك له في ملكوته الواسع وأنه أوجده بعزته وقدرته التي ليست لها حدود ولا كيفية، بل هي فوق كل ما تتصوره عقولنا وفكرنا المحدود، لا يوجد له نديد ومكافئ بل تصمد إليه المخلوقات في كل حوائجها كبيرة كانت أو صغيرة، قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد}[٧٤٣].

ب . الإيمان بالرسل والأنبياء جميعا دون تفريق بين رسله عليهم الصلاة والسلام وبأنهم مبعوثون من عند الله تعالى في علاه، ليبلغوا ما أنزل عليهم وأن جميعهم جاءوا بالحق الذي يشتمل على كل معاني الخير للبشرية جمعاء وأنهم لم يأتوا ليفرقوا بين شعب وآخر، كما تدعي اليهود والنصارى بقولهم إنهم الشعب الذي اختاره الله على بقية الشعوب وأن الشعوب الأخرى مسخرة لخدمتهم وأنهم في الدرجات العليا في الدنيا والآخرة، كما أوضحه الله تعالى حيث قال في حقهم: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٤٤].

ج . إيجاده الرزق الحسن: قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ

---

[٧٤٢] الحديد١٩-٢٤.

[٧٤٣] الإخلاص١-٤.

[٧٤٤] المائدة، ١٨ ،١٩..

الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[٧٤٥].

د . غناه عن المساندة والمعاضدة وانعدام الشريك والنديد: قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}[٧٤٦].

هـ . إيجاده للرحمة: قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا

---

[٧٤٥] الحج٥٧-٦٤.

[٧٤٦] يونس، ٦٢-٧٠.

كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}[٧٤٧].

و . إيجاده للمودة: قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآَتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}[٧٤٨].

ع . إيجاده للامتحان: قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}[٧٤٩].

---

[٧٤٧] الأنعام، ١٣٢-١٣٧.

[٧٤٨] الممتحنة ٦ - ١١.

[٧٤٩] محمد ٣١-٣٨.

غ . إيجاده المغفرة: قال تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَأحدةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٥٠] وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا}[٧٥١].

ف . إيجاده للسماوات والأراضين: قال تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٧٥٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[٧٥٣].

---

[٧٥٠] الشورى٣-٩.

[٧٥١] الكهف٥٧-٥٩.

[٧٥٢] البقرة، ٢٨، ٢٩.

[٧٥٣] البقرة، ٢١-٢٤.

ق . إيجاده للنفقة وأعمال البر: قال تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وعلانية فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٧٥٤]، مما لا ريب فيه أن الصدقة كبيرة كانت أم صغيرة يعلمها الله تعالى، ويجازي عليها الجزاء الأوفى، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٧٥٥] وكما مر في الآية أن الله يضاعف الصدقة وبأضعاف مضاعفة، لكن شريطة أن تكون مقبولة عنده وذلك بشروط منها:

١ . أن لا يكون العمل مصحوبا بالرياء.

٢ . أن لا يتبع ما أنفق منّاً على من تصدق به عليه. قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٧٥٦].

٣ . أن لا يتبع ما أنفق أذى سواء لصاحب الصدقة أو لغيره، قال تعالى: {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}[٧٥٧].

٤ . أن يكون المال الذي تم التصدق به من الرزق الحلال، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ

---

[٧٥٤] البقرة، ٢٧٠-٢٧٤.

[٧٥٥] البقرة، ٢٦١.

[٧٥٦] البقرة، ٢٦٢.

[٧٥٧] البقرة، ٢٦٣.

بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٧٥٨].

٥ . إخفاء الصدقة، الصدقة في ذاتها لا تُخفى فهي بطبيعة الحال بما أنها صدقة ستكون ظاهرة ولكن النية ينبغي أن تكون خالصة لوجه الله تعالى وهذا الأمر لا يكشفه ولا يعرفه إلا هو جل جلاله، قال تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)، إذن إظهار الصدقة مُفضَّل، والتفضيل لا يخفى، ولأن إظهار الصدقة خير، فالخير من الأفضل نشره ليقتدي الناس بسلوك فاعله، ولكن إن كان الإظهار غاية في ذاته فلن يكون فيه خير، ولذا فمن الأفضل أن يُسر بالصدقة للفقراء، وذلك لطبيعة أخلاقهم في نيل التقدير من قبل الآخرين دون الإحساس بشعورالتقليل.

٦ . أن يكون المتصدق عليه ممن يجب عليهم الصدقة، قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[٧٥٩].

ومصداقا لما ذكر قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[٧٦٠]، كل ذلك على الخليفة أن يوضحه للمستخلفين في الأرض ليكون عملهم متقبلا ومجازى عليه بإذنه تعالى، وليعلمهم أن الله تعالى بوجده أوجد هذا الرزق لهم لا ليخفوه بل ليتصدقوا به على المحتاجين، وكل ذلك مثابا عليه، ويبارك الله في الصدقة المتقبلة ويضاعفها أضعافا مضاعفة، ويجازي

---

[٧٥٨] البقرة، ٢٦٧، ٢٦٨.

[٧٥٩] التوبة٦٠.

[٧٦٠] البقرة، ٢٦٤.

عليها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[٧٦١].

**سابعا: إيجاده للسر والنجوى:** قال تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٦٢]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٧٦٣].

**ثامنا: إيجاده للغيب:** قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ

---

[٧٦١] البقرة، ٢٤٥.

[٧٦٢] آل عمران، ٢٨، ٢٩.

[٧٦٣] المجادلة٧-١١.

تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[٧٦٤]، وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[٧٦٥]، وقال تعالى: {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[٧٦٦].

**تاسعا: إيجاده للجزاء الجزيل:** قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}[٧٦٧]. وقال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا

---

[٧٦٤] آل عمران، ١٧٧-١٨٠.

[٧٦٥] الأنعام، ٥٧-٥٩.

[٧٦٦] الأنعام، ٧٢، ٧٣.

[٧٦٧] آل عمران، ١٤-١٧.

مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٧٦٨]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[٧٦٩].

**عاشرا: إيجاده للعذاب الأليم:** ليكافئ به أهل الكفر على عنادهم وكفرهم وجحودهم لأنعم الله، لأنه تعالى في علاه قبل أن يعذب لابد من أن يقطع الحجة على الكافرين بإرسال الرسل والأنبياء والمنذرين إلى تلك الأقوام، ومع ذلك نجدهم يكررون ذلك كما جاء في كتابه العزيز، قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٧٧٠]، وقال تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}[٧٧١]، قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

---

[٧٦٨] آل عمران، ١٩١-٢٠٠.

[٧٦٩] المؤمنون، ٥٧-٦٢.

[٧٧٠] المائدة، ١٩.

[٧٧١] الملك٦-١١.

دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأجل مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[٧٧٢]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحد لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[٧٧٣]، وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[٧٧٤].

---

[٧٧٢] هود٩٤-١٠٨.

[٧٧٣] البقرة، ١٦١-١٦٣.

[٧٧٤] البقرة، ١٦٥-١٦٩.

**حادي عشر: إيجاده الرسل والأنبياء:** قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آَيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٧٧٥]، وقال تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[٧٧٦].

اللهم يا الواجد يا من أوجدت الوجود من لا شيء اجعل لنا في كل شيء أوجدته خير، واحفظنا من كل الشرور، اللهم إنك أنت الواجد للرحمة فارحمنا بفضائها، وأنت الواجد للمحبة فاجعلنا على حبك كما احبك نبيك محمد عليه الصلاة والسلام، وأنت الواجد للمغفرة فاغفر اللهم خطايانا وذنوبنا وأنت الواجد للأرزاق فارزقنا من نعمك الكثيرة، وأنت الواجد للأرض التي أوجدتنا منها فاجعلنا من المستخلفين فيها والمصلحين ولا تجعلنا من العابثين والمفسدين.

---

[٧٧٥] الجاثية٢٧-٣٧.

[٧٧٦] الأحقاف، ٩-١٤.

اللهم يا الواجد إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم يا الوجد للخلق احشرنا مع أحب الخلق إليك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، واجعلنا من الفائزين بالجنة بجودك ولطفك وكرمك ورحمتك يا الله.

# الماجد

الاسم الماجد من الأسماء التي لم تذكر في القرآن الكريم وله علاقة قوية بالاسم المجيد وقيل هو بمعناه[٧٧٧]. والماجد هو الذي بلغت ذاته غاية الشرف، والماجد الذي له الكمال المطلق وسمت مكانته عظمة مطلقة.

الماجد الذي لا يساويه أحد في المجد وهو الغني بذاته عن الآخرين لأنه لا ينتظر أن يمجده مخلوق أنه الماجد الذي خلق المجد ويهبه للآخرين من كمال عطائه وفيض كرمه ولا يفعل ذلك إلا الماجد ذو الشرف الواسع الغني العزيز بذاته المستغني بمجده عمن سواه.

[٧٧٧]– انظر ،في ملكوت الله مع أسماء الله .للشيخ عبدا لمقصود محمد سالم ص ٩٦

والماجد في اللغة على وزن فاعل والفاعل الذي يفعل، وفعل الله خلقه للشيء مع فائق القدرة المطلقة في الخلق، وعليه فهو فاعل المجد وخالقه ومانحه قبل أن يمجده أحد فبتمجيد الخلق له يتحول من ماجد إلى مُمَجّدٍّ، وبكثرة مجده يكون مجيدا بمعنى مغني، أما ماجد بمعنى غني، ومن هنا فإن كان الماجد في الترتيب المذكور في أسماء الله الحسنى قد ورد بعد المجيد فهذا له دلالة إنه يحتويه ويشمله لذا فقد ورد بعد الاسم الماجد الاسم الواجد ثم الواحد وكلها على وزن فاعل أي لا واجد غير الماجد ولا واحد غير الماجد ولا ماجد غير الواحد الأحد، والأحد الذي يؤكد الواحدية بالأحدية، فالماجد يشمل المجيد لأن الماجد سبق المجد وخلقه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا وأحدة إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم .....الماجد، الواجد، الواحد، الأحد"[٧٧٨].

الماجد: "وله معان منها الارتفاع، والعلو على المبالغة، ومنها التقريب على حسب المشيئة، ومنها الاختصاص بالولاية والتولية"[٧٧٩].

الماجد هو العلي في إحسانه ورحمته وهو محصي كل كبيرة وصغيره، وهو الذي يضاعف الحسنات ولا يجازي السيئة إلا بأختها، قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٧٨٠]، وهكذا يضاعف الله الحسنات لمن تصدق وأنفق من أمواله في سبيل الله، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

---

[٧٧٨] شعب الإيمان للبيهقي، ج ١ ، ص ١١٣.

[٧٧٩] المصدر السابق، ص ١١٤.

[٧٨٠] يونس، ٢٦، ٢٧.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[٧٨١].

الماجد هو الذي تستمد منه الأمجاد العظام، والأمجاد العظام لا تكون إلا في سبيل الله ومنها:

**الجهاد في سبيل الله:** الجهاد حق على كل قادر بماله أو نفسه أو لسانه محرضا ومرشدا ونصيرا للحق بلا تردد وهو متحمل لكل ما يترتب على ذلك في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٧٨٢]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}[٧٨٣].

وعليه فالجهاد عمل تطوعي مؤسس على الرغبة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ

---

[٧٨١] البقرة، ٢٦٢ . ٢٦٤.

[٧٨٢] الأنفال ٧٢ . ٧٥.

[٧٨٣] الحجرات ١٥.

شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٧٨٤]. والجهاد لا يخوضه إلا الواعون بالمترتب عليه، عاجلا أم أجلا، عاجلا قبول الاستشهاد (الموت) الاستشهاد تعني أن الشهيد قد كان شاهدا على المظالم وأقدم على مقاومتها بكل ما يملك من المال والنفس، لم يجبره أحد على ارتكاب الفعل الاستشهادي وبدون مقابل، وإذا كان بمقابل كان قتالا أو حربا، {انفروا خفافا وثقالا وجاهد بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله}[٧٨٥] أي ادفعوا مما تمتلكون أو تكتنزون، وادفعوا بأرواحكم في سبيل إحقاق الحق، إذن الشهيد هو الذي يدفع لا أن يدفع له مقابل الشهادة.

الجهاد وعي بالفعل وبمخاطره، وبعناصره، وبالمترتب عليه، وهو آخر وسيلة يتم استخدامها، بعد أن ينفذ منطق الحوار مع الظالم، فلا بد من المواجهة العلنية، التي تقصي المعتدي، والذي يقدم على الفعل الاستشهادي يكون راضيا على ما يقوم به، وفي معظم الأحيان يكون فرحا بما يقدم عليه، وتكون أسرته راضية على استشهاده إلى درجة المفاخرة به، ويسجله المجتمع الذي ينتمي إليه في سجلات أبطال التاريخ، ويكتب عند الله شهيدا.

في المجاهدة مكابدة، وتحمّل مسؤولية، الوطن الذي تمتلك فيه الحقوق وتؤدى فيه الواجبات وتتحمل فيه المسؤوليات، الجهاد في سبيله ضرورة قيمية، المساس بالدين الذي من عند الله تعالى، أو الاعتداء عليه، ليس بالأمر الهين كما يعتقد البعض، في سبيله يجاهد المؤمنون بأموالهم وأنفسهم، وذلك لأنه مصدر التمييز بين أحكام إحقاق الحق وأحكام إبطال الباطل. من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك من جاهد بربع ماله وهناك من جاهد بثلث ماله، وهناك من جاهد بكل ماله، وهناك من جاهد بنفسه، ومنهم من جاهد بماله ونفسه،

---

[٧٨٤] التوبة ٣٨ . ٤٠.

[٧٨٥] التوبة، ٤١.

هؤلاء القدوة الحسنة يعدّون مثالا حيا في أذهان المؤمنين ويعد الشهداء أحياء عند الله وعند المؤمنين.

المجاهد لا يظلم، ولا يعتدي ظلما، ولا يسعى من وراء الفعل الجهادي لأي مصلحة آنية، بل في حاجة للجزاء الأوفر الذي لم يكن من البشر الذين قد يمنون عليه في يوم من الأيام. لقد أتضح الفارق بين من يَقدِم على الأنتحار وفي كثير من الأحيان ينتهي وهو غير مأسوفا عليه، وبين الذي يموت في ميادين التفضيلات، وبين الذي يموت في مواقف الرذيلة، وبين الذي يموت بانتهاء أيام الحياة، وبين المجاهد الذي كان له الاختيار وكانت له الإرادة الواعية، وكان بيده القرار، وهزم الموت الذي يخيف الغالبية، وانتصر عليه في معركة التحدي بالاستشهاد.

الحجّة، المال، النفس، ثلاثة عناصر في منطق الحوار، من يلم بها ويعرفها يعرف معنى الجهاد، ومن لم يعرفها، لن يعرف معنى الجهاد. قال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}[٧٨٦]، وقال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}[٧٨٧].

عندما تكون هناك قضية دينية وإنسانية، أو قضية اجتماعية ووطنية، يكون هناك موضوع للحوار، وقبل أي اعتداء أو قتال ينبغي أن يكون اللقاء الذي تُعرض فيه الحجج المنطقية، دون إعلأن عداء من طرف على آخر، وإذا لم يتم ذلك مباشرة لا عيب في تدخل وسطاء المنطق، لا وسطاء اللغة، وسطاء الحكمة لا وسطاء السياسة، وعلى الجميع توخي الحذر، {جادلهم بالتي هي أحسن} قال تعالى جادلهم ولم يقل حاورهم، فالمجادلة فيها مكابدة ودرجة

---

[٧٨٦] التوبة ٢٠.

[٧٨٧] الحج ٧٨.

عالية من التحمل، وعدم الإسراع في الخروج من الموضوع، إلى أن تتحقق القناعات بعد مكاشفات، وحجج دامغة، ليس فيها تزوير أو تهرّب من إحقاق الحق، وعلى المحاور أن لا يُستفز من قبل المحاور الآخر، فالاستفزاز قد يُنهي زمن المجادلة التي لا ينبغي أن تُهزم بالاستفزازات غير المسؤولة من قبل الآخر. أما حاورهم فيها شيء من التخفيف إذا ما قورنت بالمجادلة، في المجادلة إصرار، وعدم إعطاء الفرصة لمن يريد أن ينهي الجدل قبل الوصول إلى نتائج مقنعة، وفيها التحذير والأنذار، وفيها التوعد إذا لم يتم الاتفاق، وفيها معرفة العواقب. أما الحوار فقد لا تكون فيه مكابدة، يعتمد على قوة الحجة، التي لا تستوجب الوعيد والتهديد، وفي الحوار شفافية ومنطق اعتبار الأنا والآخر.

في حالة التعنّت وفشل المجادلة، يتم تسخير الإمكانات لكف من يمتلك القوة المهددة للحق عما يهدف إليه من مشاكل أو مآسي، والإمكانات في كثير من الأحيان وقائية، وفي البعض الآخر قتالية حيث يتم استخدامها إذا ما اشتعلت نار الحرب، وعندما تشتعل نار الحرب يصبح استخدام السلاح مبررا، ولأجل الحق وإعلائه يستوجب مواجهة من يريد للباطل أن يسود، فالذي يحارب من أجل إبطال الحق لا يعد شهيدا، والذي يحارب من أجل إعلاء كلمة الحق يعد شهيدا.

يعتبر المال والنفس العنصران التاليان في الاستخدام بعد عدم التفهم لِما دار من حوار بين المتجادلين بالحجة، والمتجادلون عندما يفقدون قواعد الركون إلى المحاجة المنطقية، قد يضطروا إلى الخصام الذي لا طائل من ورائه إلا الاختلاف. إذن الأساس أن يتم التجادل والحوار بالتي هي أحسن، وعندما يصل الحوار والمجادلة إلى طريق مسدود فلا بدا من المواجهة العلنية بما هو أسوى حيث ينقسم الناس إلى فئتين، فيئه مع الحق ، وفيئه مع الباطل. وعندما يحدث الصراع قد يمتد من أصحاب الحق إلى المناصرين لهم من جهة، وبين أصحاب الباطل والمناصرين لهم من جهة أخرى. فحدود الحرب عندما تبدأ قد تكون معروفة ولكن عندما تستمر قد لا تُعرف حدودها، ولذا فعلى المتحاورين أن يضعوا في

اعتباراتهم في الحوار المنطقي حدوث المتوقع وغير المتوقع حتى لا يتم الاستغراب بعدما تحدث المفاجأة.

إذن القبول بالمحاجة قبول بالسلام، والخروج عنها خروج عن السلام، وعندما يخرج أطراف الحوار عن حدود المجادلة دون تفهّم لبعضهم البعض، أو دون تفهّم لقضاياهم ولِما يجب وما لا يجب تجاهها، فقد يحدث بينهم الصدام الذي تُسخّر له كل الإمكانات والقوة اللازمة للمواجهة أو للتصدي، وبطبيعة الحال المواجهة لن تكون إلا بالأنفس المؤيدة والمعارضة للفكرة (موضوع الاختلاف). قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}[٧٨٨].

عندما تغيب الحجة يُفسَح المجال للخصام والصدام، الذي يتطلب حشد الإمكانات المادية من مال وعتاد، ثم بعد ذلك تحشد الأنفس القادرة على خوض الحرب، وعندما تشتعل نار الحرب، تقدم الأنفس فداء للفكرة التي تم الاعتراض عليها، أو فداء ضد الفكرة التي لا يود لها أن تنتشر وتسود بين الناس. وبرغم ذلك لابد للحرب أن تتوقف بالمغالبة أو بالتحاور لوقف سفك الدماء، ولأجل ذلك ينبغي أن يعود أطراف الحوار إلى طاولة التفاوض، ولن يُنهي الصدام إلا الحوار المنطقي الذي يستوجب التعرف على القيم التي تحرك كل طرف من الأطراف أو التي يدافع عنها كل طرف من الأطراف المتصادمة، ووضع معايير ومقاييس للتحكيم المنطقي والموضوعي.

**الأنفاق في سبيل الله:** الأنفاق حق وهو عطاء من رزق حلال دون انتظار رد آني مقابل، ولكنه انتظار لنيل حسنة تفيد صاحبها يوم القيامة، وهذه لا تكون إلا في مرضات الله عز وجل، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ

[٧٨٨] النحل ١٢٥ . ١٢٨.

شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}[٧٨٩]، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}[٧٩٠]

**القتال في سبيل الله:** القتال فعل قد يُكتب على الناس وهو كرهُ لهم، وعندما يكتب كرهُ، يصبح الإقدام عليه ليس باختيار، {وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين}[٧٩١] إذن عندما يقاتلونكم كرها فلا بد من مقاتلة من يقاتلونكم، ولا خيار في ذلك فالقتال هنا دفاع عن النفس، أو عن البلد، أو عن الدين والشرف، فالقتال وأحد والدفاع مختلف، والأسباب هي التي تحدد نوع الدفاع، الاعتداء على الوطن يستوجب الدفاع عنه، والاعتداء على الشرف والكرامة يستوجب الدفاع عنهما، وهكذا. عندما تتعرض للسرقة، قد تدفعك الأسباب إلى مقاتلة المعتدي، وعندما يستنجد بك مستنجد هي الأخرى قد تجعلك في حالة مقاتلة من لا تعرفه على الإطلاق، وتجد نفسك في مواجهة قتالية لم تكن في الحسبان، وذات نتائج لا تحمد عقباها.

القتل قد يكون عقاب على فعل، القاتل يُقتل، إذن عندما تَقتل ظلما ليس لك من مفر من أن تُقتل كعقاب على ارتكابك الفعل المحرّم، فالمقاتلة قد تكون واجبة عندما تكون لأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وقد تكون تنفيذ حكم المعاقبة، وقد تكون هكذا أمر واقع. وعلى المتحاورين أو القضاة أن يميزوا بين هذا وذاك، لكي يكون الحكم عادلا.

وهناك فرق بين القتال والحرب فعندما يتم الاعتداء على الحقوق والواجبات والمسؤوليات، تصبح حالة البلد بكامله حالة حرب، إي محاربة الناس في ما يجب أن يكون لهم، والحرب عادة تعد لها العدة، وتُسخّر لها الجيوش، وينفروا الناس للمواجهة، لإيقاف عجلة تقدم المعتدين التي قد تداهم الأخضر واليابس، والمحاربون في كثير من الأحيان يُدرّبون على

---

[٧٨٩] سبأ ٣٩.

[٧٩٠] البقرة، ٢١٥.

[٧٩١] البقرة، ، ١٩٩.

خوض المعارك، ويتقاضون المعاشات والمرتبات مقابل ذلك، إي أن الجيوش النظامية في جميع أنحاء العالم هم معدون ومدربون على خوض المعارك التي تُرسم وتخطط مسبقا من قبل المعتدي، والتي تواجهها خطط الدفاع من قبل المعتدي عليه. أجرة تدفع للمحارب أيام السلم وأيام الحرب، ولهذا لم يكن المحارب في حالة اختيار، بل أنه في حالة تنفيذ أوامر عسكرية، ومن يتأخر عن أداء المهام الحربية قد يجد نفسه في مواجهة العقاب بالموت. وقد يتساءل البعض: لماذا في معظم المعارك الحربية يحدث الاستسلام؟ المحارب في ميدان المعركة، إذا لم يكن شريكا في اتخاذ قرار الحرب ومقتنع بأنه الحق، لا يمكن أن يكون محاربا، فإذا عرف أن خوض الحرب من أجل الحرية، ومن أجل الجميع سيخوضها ببسالة، ولكن إذا عرف أن خوض الحرب سيطيل عمر الحاكم الدكتاتور، أو الحاكم غير الديمقراطي أو غير الإنساني، فليس له بد من أن يستسلم للآخر حتى لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، وفي هذه الحالة يعتبر نفسه قد هزم الحاكم في عقر داره دون أن يعلن عن ذلك.

في الحروب تنشط وسائل الإعلام في تناقل أخبار المعارك، وفي تزويرها وتشويهها، وفي كثير من الأحيان تُطمس الحقيقة، وذلك نتيجة اعتمادها على اللغة وليس على المنطق، فالمنطق من مسؤولياته إظهار الحقيقة وتبيانها من أي زيف، أما اللغة في مثل هذه الظروف تتجرد من كل منطق، لأجل أن تؤجج نار الحرب التي في كثير من الأحيان تتخذ بقرارات سياسية ووجهات نظر السياسيين وليس بقرارات موضوعية، اللغة تعتمد على المغالطة وتزوير الحقائق، والمنطق يعتمد على التصحيح والتصويب إلى ما يجب أن يكون. إذن اللغة الإعلامية تهدف إلى إيقاد نار الحرب ومنطق الحوار يسعى إلى إطفاءها.

قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[٧٩٢]، وقال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ

[٧٩٢] البقرة، ١٩٠.

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٧٩٣]

**التسامح في سبيل مرضاة الله:** التسامح قيمة خيرة ومفضلة في القيم الإنسانية وهي أساس أخلاقي يُقدَّر بين الأنا والآخر من يكون هذا الآخر في دائرة النسبية، والخليفة دائما هو خير متسامح، يعفو ويغفر من مغفرة ربه وعفوه، فهو لا يظلم أحد ولكن الأخطاء تقع بين الناس ولهذا كان التسامح واجب بينهم، ولأن الله غفور رحيم فالخليفة الذي يستمد قيمه من خالقة بطبيعة الحال أن يكون متسامحا ومحبا للخير، وهذه من استجاباته للواجد جل جلاله. قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[٧٩٤]، وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالأنس إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ

---

[٧٩٣] البقرة، ٢١٦ . ٢١٨.

[٧٩٤] الأنعام، ٥٤.

أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ}[٧٩٥].

**مناصرة المظلوم:** المظلوم في كثير من الحال يحس بالغلبة والقهر والذل، في مقابل ظالم جبار لا رحمة في قلبه، والمظالم كثيرة ومنها ما يعود على مظلمة النفس مصداقا لقوله تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٧٩٦]، وقال تعالى: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}[٧٩٧]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأنثَى بِالأنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[٧٩٨]، ولذلك فالمظلوم في حاجة لمن يقدم إليه يد المساعدة وهو في حاجة للتسامح، والتسامح هو إعلأن المودة والمحبة بين الناس وتجنب الفتن معهم من أجل علاقات مرضية وطيبة. يقول فولتير "أنا أكره ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله" ولهذا من الفضائل الإنسانية، وجوب التسامح مع كل الآخر في الثقافة، والدين، والمعتقد والعرف. ولذا إذا لم تَسُدْ قيمة التسامح بين الأفراد والجماعات والمجتمعات لا يمكن أن يسود الاحترام والتقدير بينهم.

أما المظالم فتستوجب تدخل من مناصر للحق، والتدخل استدعاء للضرورة والوجوب، لإنقاذ حالة أو اتخاذ موقف أو إجراءات من أجل دين أو قيم أو شخص أو مهنة أو حرفة بغرض الإنقاذ من الخطر أو الخسارة الملحقة الضرر إن لم يحدث التدخل. وبه تسوى العلاقات أو

---

[٧٩٥] الأحقاف، ١٥ . ٢٠.

[٧٩٦] البقرة، ٢٣١.

[٧٩٧] الكهف، ٨٧، ٨٨.

[٧٩٨] البقرة، ١٧٨.

تُستكمل الإجراءات وتُحل المشاكل وينتظم العمل عندما يكون المتدخل على درجة من الإيمان والحرص والمسؤولية. أما إذا كان المتدخل ليس كذلك فقد يؤدي فعل التدخل إلى الفرقة والخصام أو الصدام. ولذا فالتدخل من قبل الخليفة من ورائه غايات إنسانية من خلالها يتم التوصل إلى الحلول والمعالجات البناءة للحالة التي من أجلها تم فعل التدخل الإنساني في مرضاة الله تعالى، وبالتدخل يمكن أن يتم تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة فتعود الأمور إلى مجاريها بحمد من الواجد جل جلاله. قال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[٧٩٩]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٨٠٠].

**كيد الكائدين:** الكيد محاولة لمغالبة بغير حق، ووضع البلايا على الآخرين عوائق أمام بلوغهم الغايات التي يؤملونها، والمكايد من أعمال شياطين الجن والأنس قال تعالى: {الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[٨٠١]. والكيد يأتي بصور منها الخيانة ومنها السحر ومنها صب

---

[٧٩٩] آل عمران، ١٢٣ ـ ١٢٦.

[٨٠٠] الأنفال ٧٢ ـ ٧٥.

[٨٠١] النساء، ٧٦.

البلايا على رؤوس الأبرياء ومنها الكثير قال تعالى: {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى}[٨٠٢].

**المكر بالماكرين:** المكر عمل خبيث، فمن عمله لإفساد إصلاح فهو من المفسدين الذين استوجبت عليهم لعنة الله والناس أجمعين، ومن عمله لإزالة مكر فيكون خيرا من أجل إصلاح وسلامة وطمأنينة ولهذا فالمكر له صفتان:

**الأولى:** صفة إفساد: وسفك دماء بغير حق، وظلم للناس واعتداء على حقوقهم وهذا الذي يوصف بالمكر السيئ. قال تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ أحدى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}[٨٠٣].

---

[٨٠٢] طه، ٦٨ . ٧٦.

[٨٠٣] فاطر ٤٢ . ٤٤.

**الثانية:** صفة إصلاح: إفساد الإفساد عمل صالح، ولهذا قال تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}[٨٠٤]، بمعنى ما يعملوه من مكر (فساد) يفسده الله أي يفسد المفسد فيكون الإصلاح باقيا ولهذا فإن مكر الله خير، وهكذا الخليفة الذي يفسد الأعمال المفسدة للقيم الحميدة ومكارم الأخلاق فهو يعمل عملا مصلحا في سبيل مرضاة الله تعالى.

قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}[٨٠٥]

بقراءة الأسماء الحسنى نستمد من الماجد وجودا، أي هو الذي مِنْ مجده أوجد الوجود وخلق الخلق ومنح الملائكة والجن والأنس شرف عبادته، ومن مجده خلق السموات والأرض ورزق الكائنات التي أوجدها بها وهذا الإيجاد للبلاء أي الاختبار ليرى هل نستحق الخلافة ؟ أم بسوء أعمالنا وفشلنا في تحقيق لخلافة نرتد إلى درجة الدواب، فيقول الله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[٨٠٦].

وقوله سبحانه وتعالى : (وما من دابة في الأرض) الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الأرض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الإطلاق فيدخل الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (إلا على الله رزقها) يعني هو المتكفل برزقها فضلاً منه لا على سبيل الوجوب فهو إلى مشيئته إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق وقيل إن لفظة على بمعنى أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعاً (ويعلم مستقرها ومستودعها) قال ابن عباس: مستقرها المكان الذي تأوي في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت، وقال ابن مسعود:

---

[٨٠٤] آل عمران، ٥٤.

[٨٠٥] فاطر ١٠.

[٨٠٦] هود – ٦-٧.

مستقرها أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة أو النار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ الذي لا تفلت منه فالتة فهو الماجد بفعاله وأقواله المنفذة لأمر الكينونة (كن) ولهذا كان عرشه قائما على الحق قال عز وجل: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[٨٠٧]. إن الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء الذي جعل منه كل شيئا حيا، {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}[٨٠٨] وهذا يدل على أسبقية عرشه على ما خلق، ثم خلق السموات والأرض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه يعلم السر والظاهر سبحانه لا إله إلا هو.

وعليه فالماء أساس الخلق والحياة معا فهو الذي خلق منه كل شيء وهو الذي به ينبث كل شيء شاءه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أجل مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[٨٠٩].

إن الماء اللين هو القوة التي عليها رفع عرش اللين والقوة فكان رحمناً ورحيماً وجباراً وشديد العقاب، وفي هذا الأمر الماء خير مثال للين والقوة، فهو بين اليدين لين، وهو عندما يسقط من الشلالات يولد القوة (الطاقة) وكذلك عندما يثور من البحيرات ويجري في الأنهار يصبح القوة الحاملة للسفن والمقلعة لأي قوة جاءت في سبيله.

---

[٨٠٧] هود – ٦-٧.

[٨٠٨] الأنبياء، ٣٠.

[٨٠٩] الحج ٥.

وعليه، فإن الماجد قد أفاض من مجده وشرفه وسخائه فخلق الخلق وأوجدهم وأخرجهم من طور الشيء إلى طور الوجود ولم يترك خلقه عبثا فقد أفاض عليهم من رحمته وهو الغني عنهم بأن رزقهم وتكفل بهذا الرزق.

ولذا فالمجد لله الذي خلق السموات والأرض والعرش والأكوان المعلوم منها وما هو غيب بالنسبة لنا، ومن الغيب الذي لا نستطيع رده ما ذكره الله تعالى بأن عرشه كان على الماء، وهنا يمكن أن نخرج بمعنى رقيق أن عرشه قد يعني قدرته التي جعلت من الماء أصل لكل ألوان الحياة لهذا لا نتعجب من إن الماء سبب الحياة على البسيطة لأن الدواب قد خلقوا من الماء وصدق الله الماجد حين يبرز مجده في مظاهر عدة ويسوق لنا مظهر مجده في الماء ثم في مخلوقات تدل على مجده الشامخ فيقول تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}[٨١٠]

فمن مجده:

أ-إنه الواحد الذي لا إله غيره وفي هذا المجد يكمن كل شرف يختص بفرديته واستحقاقه العبادة دون شريك ولا منازع، وهذا الأمر يظهر بارزا في قوله تعالى: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)

[٨١٠] الأنبياء، ٢٥-٣٥

وهذا ما أرسل الله به أنبيائه، ومن سار على نهجهم في خلافة الله في أرضه وإظهار مجده الكامل في فرديته وهذا هو سر خلق الأنس والجن قال الله تعالى:

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[٨١١].

فمهمة التذكير هي مهمة الخليفة الذي يتبع النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الخليفة من الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) فالخليفة الذي يدعو إلى عبادة الله الماجد، ويعمر الأرض، ويصلح حال البلاد والعباد بتذكيرهم بمجد الماجد، وقلنا :إن من مجده عدم منازعته و مشاركته العبودية ومن هذه المنازعة والمشاركة التي لا أصل لها القول الباطل بوجود زوجة وولد له تعالى الله على ذلك علوا كبيرا:

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}[٨١٢].

فلله المجد في السموات والأرض، إنه المجد الحق، لما نشاهد من مخلوقات ومن خلق عظيم، ولما لا نشاهد من حركة وسكون مع أننا نلحظ كل شيء ملاحظة، فله الحمد على أمجاده التي منها خلقنا ومنها نشرب ونأكل ونشبع كل حاجة في نفوسنا بالحق ومن الحق الذي أحقه لنا الماجد جل جلاله.

ولأنه الماجد جعلنا بمجده نعتز بأننا من المستخلفين فيها ومن المصلحين، وجعلنا بمجده على الكبرياء فلا نركع ولا نسجد إلا له ولا نسجد لسواه، قال تعالى: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ

---

[٨١١] الذاريات ٥٦-٥٨.

[٨١٢] الذاريات ٢٦-٢٩ .

خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ}[٨١٣]، وقال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[٨١٤].

الماجد جل جلاله هو الواحد الأحد الذي لم يكن له كفوا أحد ولم تكن له صاحبة ولا شريك في الملك، ينال الاعتراف به وهو على هذا الصفات الحسان ويقبل بعبوديته لأجل رفض عبودية الآخرين الذين هم جميعا من دونه، ولذا فمن يؤمن به ربا ويطيعه عابدا حامدا وشاكرا يجد نفسه على أمجاد عظيمة من أمجاده العظيمة، وهو في طاعته بالمطلق يجد نفسه حرا لا يركع ولا يسجد إلا له وأحد أحد لا شريك له سبحانه جل جلاله، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[٨١٥]

نعم قد اتخذ فريق الكفر والضلال من دون الله أربابا ليحصلوا على مجد زائل، بل ليحصلوا على ذل دائم مصداقا لقوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}[٨١٦] وهنا سينقلب السحر على الساحر ويلقون الذل الذي توهموا توهموا أن فيه العز والمجد والشرف، ويا لهول ما قالوا وما فعلوا وما أجرموا!! فتبعهم الشياطين من الأنس والجن ليصرفوهم عن المنهج القويم وعن الرسالة السامية التي خلقهم الله عز وجل من أجلها ألا وهي عبادة الله وحده دون شريك وهنا نذكر قصص فرعون وثمود

---

[٨١٣] آل عمران، ١٣ . ١٥.

[٨١٤] البقرة، ١٢٥.

[٨١٥] مريم ٨٣–٩٥ .

[٨١٦] مريم ٨١ –٨٢ .

والمكذبين من قبلهم ومن بعدهم وكيف كان مكرهم وكيدهم وكيف حق الماجد بقوته وقدرته وحكمه وعدله الحق عليهم فقال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}[٨١٧].

فهذا الفرعون ومن شاكله من قوم ثمود الذي لم يعلم أن المجد لله وحده فكانت عاقبته معنوية، ومادية:

– العقاب المعنوي: بالخروج على سلطانه الوهمي الذي فيه الذل لا العز بخروج السحرة من ربقة سيطرته وهيمنته فقالوا له كما يقص علينا الكتاب المجيد من خلال سياق قصة المجرم المتكبر الذي يناوئ الله في مجده بمحاربة نبيين من أنبياء الله عليهما الصلاة والسلام: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى}[٨١٨]

نعم هذا قول الذي يريد الخلافة المثلى برد المتكبر عن كبره بدعوته للعدول عن الباطل إلى الحق والاعتراف بأن المجد لله وحده ولا ينبغي أن يشاركه فيه أحد وفي هذا عقاب معنوي له لعله يرجع إلى الصواب وهذا هو المراد من الدعوة اللينة التي استخدمها نبي الله

---

[٨١٧] البروج، ١٧ . ١٩.

[٨١٨] طه، ٦٥ . ٧٦.

موسى عليه السلام وأخيه النبي هارون حين قال الله لهما: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}[٨١٩]. وقال النبيَّان موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: {قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ}[٨٢٠].

فقال المجرم كما يحكي لنا الله تعالى: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}[٨٢١].

فقال النبي موسى عليه لصلاة والسلام: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[٨٢٢].

- العقاب المادي: فلما أراد النبي موسى الخروج بعيدا عن هذا الكافر الفاجر المتكبر: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[٨٢٣].

وهذا العقاب المادي نجده في قوله تعالى: {فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا}[٨٢٤].

ولذا فتحقيق الخلافة المثلى على الأرض يكون برد المتكبر عن كبره إلى عبادة الله الواحد الماجد وهذا العمل مناط بالخليفة وهو جزء رئيس من إظهار مجد الماجد، لأن الله الماجد الذي له الكبرياء في ملكه، لأنه واجده ومالكه قال الله تعالى: {فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٨٢٥].

فهو سبحانه وتعالى الماجد الذي خلق أسباب المجد التي نعرفها من سماء وأرض وغيرهما وما نعلمه وما لا نعلمه، وهو الغني عن هذه المخلوقات لإظهار مجده لأنه الغني بذاته عن

---

[٨١٩] طه، ٤٢ . ٤٤.

[٨٢٠] طه، ٤٥ . ٤٧.

[٨٢١] طه، ٤٩.

[٨٢٢] طه، ٥٠.

[٨٢٣] يونس، ، ٩٠ . ٩٢.

[٨٢٤] الإسراء، ١٠٣.

[٨٢٥] الجاثية ٣٦ -٣٧.

الخلق الذي خلقه لذا فهو المستحق للحمد بكل الوجوه في جميع الأوقات والأماكن وعلى جميع الأحوال.

فللّه الحمدُ ربّ السماوات وَربّ الأرض ربّ العالمين، فلا يستحق الحمد أحد سواه ، أي: فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء، فإن مثل هذه، توجب الحمد والثناء. (وله الكبرياءُ في السماوات والأرض) أي: وكبّروه، فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته في السموات والأرض، وإظهارهما في موضع الإضمار لتخفيف شأن الكبرياء، إنه الماجد العزيزُ الذي لا يُغلَب، وهو الحكيم في كل ما قضى وقدّر، فاحمدوه وكبّروه، وأطيعوه، إنه الله الواحد القهار.

وكبرياء الماجد ظاهر في كل شيء من الذرة إلى العرش العظيم، إنه معز الأولياء والوارثين المستخلفين على الحق بالحق، في مقابل ذلك المقهورين بما يفعلون من مفاسد وكيد ومكر، إنه الحكيم في عدله وإبداعه الخلق وإلزام العباد بعبوديته.

ومن مظهر مجده الفصل بين السماء والأرض وخلق الكائنات التي أسكنها السماء وكذلك الأرض، وجعل الله بقدرته من الماء سببا للحياة ومصدرا لكل شيء حي على وجه البسيطة، ولا يفعل ذلك إلا الله الماجد الذي له المجد في السموات والأرض، ولكن فريق الباطل من المجرمين الكافرين قد توهموا أن هذا المجد لغير لله ونسبوه لأوثان لا تملك لنفسها ولا لغيرها ضررا ولا نفعا فيخاطب الله الذين كفروا بأن يروا مظاهر مجده في ما هو واضح للعيان {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} وهذا البيان الواضح لكل ذي لب ليس لديه إلا خيار واحد أن يؤمن بالله الواحد الماجد {أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} أم على قلوب أقفالها؟!.

أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بربهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية، ما يدلهم دلالة مشاهدة على أنه الرب المحمود الكريم المعبود، فيشاهدون السماء والأرض فيجدونهما رتقا، هذه ليس فيها سحاب ولا مطر، وهذه هامدة ميتة، لا نبات فيها، ففتقناهما: السماء بالمطر، والأرض بالنبات، أليس الذي أوجد في السماء السحاب، بعد أن كان الجو صافيا لا قزعة فيه، وأودع فيه الماء الغزير، ثم ساقه إلى بلد ميت، قد اغبرت أرجاؤه، وقحط عنه ماؤه،

فأمطره فيها، فاهتزت، وتحركت، وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج، مختلف الأنواع، متعدد المنافع، أليس ذلك دليلا على أنه الحق، وما سواه باطل، وأنه محيي الموتى، وأنه الرحمن الرحيم؟ ولهذا قال: {أَفَلا يُؤْمِنُونَ} إنه الاستغراب، إنهم ينظرون الآيات والإعجاز فيها ومع ذلك هم يكفرون ويظنون ويفسدون ويسفكون الدماء في الأرض بغير حق.

ومن مظاهر مجده البارزة للعيان تثبيت الأرض بالجبال الرواسخ حتى تحفظ توازنها، وشق الله الطرق في الأرض لهداية الناس في أسفارهم مصداقا لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}[٨٢٦].

وَجَعَلْنَا في الأرض رواسي، يعني: الجبال الثقال الثوابت. كيلا تميل؛ ويقال: كراهية أن تميل بكم. وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً، يعني: في الأرض وفي الجبال مسالك وأودية. والفجاج: جمع فج وهو كل شيء مخترق بين جبلين والسُبُل هي الطرق لكي يعرفوا ويرشدوا إلى الممشى السليم الذي يهديهم إلى حيث يبتغون.

وهذه الجبال الثوابت الرواسخ الشوامخ التي تأخذ الأبصار وتلفت الإنتباه التي هي مظهر من مظاهر المجد والعظمة لها من الخشوع والرقة التي تثير عواطف ومشاعر عباد الله الذين يريدون تحقيق الخلافة لله ولا سيما في اسمه الماجد، ومن هذه الرقة والخشوع قول الله تعالى عن الجبال في عدة مواضع منها: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[٨٢٧].

---

[٨٢٦] النحل ١٥.

[٨٢٧] الحر، ٢٠ . ٢٤.

قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[٨٢٨] إنها قوة الماجد المطلق الذي يقدر على الفعل المطلق متى شاء وكيف يشاء، فلَوْ أَنزَلْنَا هذا القرآن المعجزة الذي فيه أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحرامه وحلاله على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ يا محمد خَاشِعاً خاضعا مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ الله، فيكف لا يرق هذا الإنسان ولا يخشى الله فأمر الله الناس الذين هم أضعف من الجبل الأصم الذي عروقه في الأرض ضاربة ورأسه في شموخ السماء وكأنه مجدا بذاته أن يأخذوا القرآن بالخشية والشدة، والخشوع، فضرب الله لذلك مثلا، فقال: (وَتِلْكَ الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، والتفكر غير التذكر، التفكر مستقبلي المطلع، والتذكر ماضي التاريخ والعبر والقصص، ولهذا عليهم بالتفكر الذي فيه تتحقق المدركات العظيمة بما يدل عليها، قال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لما طلب منه أن يراه: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}[٨٢٩].

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً) القرآن قوة تركع به المخلوقات الراكعة والساجدة، وتسبح به لله تعالى كل المخلوقات التي منها الجبال المسبحة باسم الماجد العظيم، الذي جعلها ظاهرة للأعين شامخة في اتجاه السماء لله رب العالمين، فلو أنزلنا القرآن الكريم على جبل لرأيت الجبل من الراكعين والساجدين وهو على مدركات العقل التي تستوجب مخلوق مدرك يتذكر ويتفكر ويعقل ما يقول وما يفعل، ولكن القرآن نزل على الخليفة وإليه وذلك لحسن خلقه في أحسن التقويم، وبذلك لو نزل على الجبل لكان حاله حال الخليفة.

(من خشية الله) أي من خوف الله خشية أن يكون ما أدى حقه من التعظيم.

---

[٨٢٨] الحشر ٢١.

[٨٢٩] الأعراف ١٤٣.

(وتلك الأمثال نضربها للناس) التشبيه بالجبال الصامدة الشامخة العصية الصماء وكل الصفات التي هي فيه لو أنزلنا عليه القرآن لرأيته خاشعا لله تعالى، ولذا فلا قوة بالمطلق إلا لله الماجد عز وجل.

(لعلهم يتفكرون) التفكر عملية عقلية مستقبلية تأمل وتخطط لأجل تحقيق الأمل، والتفكر يؤدي إلى الإدراك الواعي بالعلل والأسباب الكامنة خلف كل ظاهر قال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٨٣٠]، في التفكر اتعاظ بقصص سابقة من أجل مستقبل أفضل، أو إظهار ما في الحاضر لأخذ العبر ولأجل التقصي والبحث في سبيل الاستفادة. فما سخره الله للمخلوق في السماوات والأرض إلا ليستثمره فيما يفيد حياته الحاضرة والمستقبلة، وإذا ما تفكر عرف الحق وتدبر أمره بالإيمان لله ربا وأحدا لا شريك له سبحانه جل جلاله. قال تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[٨٣١].

(هو الله الذي لا إله إلا هو) الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولم تكن له صاحبة سبحانه لا إله إلا هو. إنه الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عز وجل.

{عالم الغيب والشهادة} الغيب علم ولكن لا أحد يعلم هذا العلم العظيم غير الله الذي بعلمه له وصف بأنه الماجد جل جلاله، إنه عالم السر والعلأنية. قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[٨٣٢].

---

[٨٣٠] الجاثية ١٣.

[٨٣١] الحشر ٦٨، ٦٩.

[٨٣٢] غافر ١٩ . ٢٢.

{هو الرحمن الرحيم} أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. قال الله تعالى: {قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى}[٨٣٣] بما أنكم تدعون الله أيها المؤمنون، فبأي اسم من أسمائه ادعوه، سواء دعوتم الله تعالى أو دعوتم الرحمن لا فرق في ذلك، فدعاؤكم لم يخرج عن أسمائه الحسنى. وفي جميع الحالات أنتم تدعون الله. فلا تدعوا آخر من دونه. وهذا لا يعني وجود ازدواجية، بل يعني أن الله وأحد لا يُثنى ولا يُجمع ولا يُعد بأي متوالية حسابية. نزلت هذه الآية الكريمة حسبما رواه الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما بعد ما سمع بعض من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا ربه بقوله (يا الله يا رحمن) فقالوا: "إنه ينهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إله آخر"[٨٣٤]. وكما يبدو أن لضعف اللغة أثر سالب على معرفة الدلالة بالدعاء السابق، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل في دعائه (يا أله ويا رحمن) بل قال (يا لله يا رحمن) فانعدام حرف الواو من دعاء رسول الله تأكيد لا يصاحبه الشك في أن المدعو هو وأحد لا شريك له، ولأن الداعي يتضرع إلى ربه بالرحمة، فلا أفضل له إلا أن يدعوه بالرحمن، ولهذا قال: (يا أله يا رحمن). وفي الدعاء الافتراضي جاء (يا الله ويا رحمن) وفي هذا الدعاء دخل حرف الواو الدال على إثبات وجود الآخر، الذي ورد في عقول أولئك المشركين وهو ما لم يقله الرسول في دعائه المبارك.

الرحمة لا يمكن أن تتم إلا بوجود طرفين، طرف يمتلك مسببات الرحمة، وطرف في حاجة ماسة لهذه المسببات التي تطعمه من جوع وتأمنه من خوف {الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف}[٨٣٥] فالرحمة من الذي يمتلكها (الرحمن) على الذي هو في حاجة إليها (الخليفة). ولأن الخليفة استمد خاصية الرحمة من خالقه الرحمن، ولأن الخَلقُ بينهم فروق فردية من حيث القدرات والاستعدادات والإمكانات والمستوى الإيماني، لذا فهم يترتبون على السلّم القيمي للرحمة من حيث درجات الاقتراب والابتعاد عن (الرحمن) قال تعالى: {فمن يعمل

---

[٨٣٣] الإسراء، ١١٠.

[٨٣٤] تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل. محمد أحمد كنعان،بيروت، دار لبنان ودار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ص ٣٧٩.

[٨٣٥] . قريش، ٤.

مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[٨٣٦] فعمل الخير رحمة مطلقة من الله بين الناس، وعمل الشر لا مطلقة فيه بينهم. لذا تتوزع الرحمة بين الناس تناسبيا وبتماثل مع ما يُقدم من أفعال الخير كبيرة كانت أم صغيرة، ما يجعل لها أثر موجب على كفة التماثل في ميزان الحسنات. ولهذا بني الإنسان (الخليفة) في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم لم يكونوا على حالة من المساواة على السلم القيمي للرحمة. مما يجعلهم على درجات من التفاوت من حيث الاقتراب والابتعاد من الرحمن عز وجل. ولأن الخليفة يتعرض في حياته لظروف قد تجعله في حاجة لمن يُقدم له المساعدة، نتيجة عوزه وفقره وبما هو عليه من ظروف، أو نتيجة لِما ألم به من كوارث، حتى يتمكن من النهوض ومن مغالبة الصعاب. وفي المقابل هناك من تهيئة له الظروف حتى أصبح قادر على العيش السعيد وقادر على مد يد العون للمحتاجين بدون منة، ما يجعله على الكفة التي تستطيع أن تُقدِم المساعدة، في مقابل الطرف الذي يستلمها أو يأخذها. وهذه من دلائل الرحمة بين الناس.

إذن الخليفة هو الذي تتجسد الرحمة في أقواله وأفعاله، حتى يكون رحيما على نفسه وعلى الذين تربطه بهم علاقات الأبوة والأمومة والأخوة وذي القربى والجيرة حتى تسود الرحمة بينهم {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٨٣٧]. فمحمد صلى الله عليه وسلم والذين معه هم الذين يؤمنون بمن استخلفهم وقبلوا أن يكونوا خلفاء بحملهم الرسالة (رسالة الخليفة) أما الذين خُلفوا ولم يقبلوا بأن يكونوا الخليفة فهم أولئك الذين كفروا جحودا ونكرانا لفضل من استخلفهم في الأرض. هؤلاء هم الذين أعطاهم المستخلف العقل فكفروا بما أعطي لهم، وهم الذين عرض عليهم الأمانة وقبلوها ثم بعد ذلك تخلوا عن حملها، وهم الذين أنعم الله عليهم بنعم لا تحصى ولم يُقدِّروها أحسن قدرها هؤلاء هم المعنيين بالكفرة الذين لا يمكن أن يكونوا الخليفة.

---

[٨٣٦] . الزلزلة، ٧، ٨.

[٨٣٧] الفتح، ٢٩.

الخليفة هو الرحيم الذي يلين قلبه ويرق لقول الحق وفعل الخير، ومساعدة المحتاج، ورعاية اليتامى، ومناصرة المغلوب ظلما، ورفع الضيم عن المضيوم.

وبما أن من أسماء الله تعالى وصفاته الرحيم، إذن بطبيعة الحال من يخلفه يجب أن يكون رحيما، حتى تُستخلف الرحمة بين الناس، لتعم بينهم ويتوادون بأعمال الخير. ولهذا كانت عواطفنا ترق بحالنا حتى نرق على غيرنا بإحسان، ويعطف الصغير على الكبير مثلما يعطف الكبير على الصغير وإلا هل هناك من يخلف شيء ولا يترك فيه شيئا من صفاته، ولهذا جميع الكائنات تخلف بعضها البعض بصفاتها وخصائصها، وعلم الجينات يثبت ذلك بكل وضوح.

{هو الله الذي لا إله إلا هو} أي لا معبود بحق إلا هو لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.

{الملك القدوس} أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء القدوس الطاهر المنزه عما لا يليق به.

المَلِك هو الذي له المُلك وله السيطرة الكاملة عليه. والمَلِك الحق، هو الملك غير المزيَّف {فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم}[٨٣٨] فرب العرش الكريم هو الملك الذي لا إله إلا هو جل جلاله، والعرش الكريم هو الذي منه تُستمد المكارم (مكارم الأخلاق ومكارم العطاء). ولذا فهو الغني في ذاته وصفاته ويحتاج له كل أحد وهو لا يحتاج لأحد {ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربُّ العالمين}[٨٣٩]. ألا له الخلق، تعني مما تعني ألا تعود له ملكية الخلق والأمر، والأمر جاءت مطلقة فهي تعني أي أمر، سواء الحياة أم الممات، أم البعث والثواب والعقاب، وله أمر الحركة والزمان فتبارك الله ربُّ العالمين.

فله الخلق والأمر: إنه مالكهم ومالك أمرهم، فالشعوب التي من بينها سادة وعبيد، هم شعوب المالك والمملوك، وبناء على الآية السابقة فإن الملك الحق، هو الذي يملك المالك والمملوك،

---

[٨٣٨] . المؤمنون ، ١١٦.

[٨٣٩] الأعراف، ٥٤.

وأمر التصرف فيهم، كجزئية من مُلكٍ عام لكل ما في السماوات والأرض، ولهذا فإن المَلِك يملك الخليفة وما يمتلكه الخليفة من مال وثروة وقوة ومنافع ومغانم وعلوم ومعارف، ويملك ما لم يتمكن الخليفة من معرفته، {وسع كرسيه السماوات والأرض}[٨٤٠]. هناك من يعتقد إن الكرسي هو العرش ولكن الصحيح هو: "أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه"[٨٤١] الكرسي هو المحفوظ بالعرش، والكرسي هو الذي وسع كل السماوات والأرضين، ولذا فالعرش يسع الكرسي، والكرسي يسع السماوات والأرض، إنه المُلك الواسع الذي وسع كل شيء خلقه، فلك الحمد ربّ لا إله إلا أنت الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فسبحان الله عما يشركون.

ولأن المَلِك هو الذي بيده أمر المُلك {لله مُلك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لِمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير}[٨٤٢] بما أنه هو مالك المُلك الحق، إذن له الحق في أن يتصرف فيه كيفما يشاء ومتى ما يشاء، دون أي اعتراض على مشيئته. وعليه فإن المَلِك الحق هو الذي يملك ويتصرف، والتصريف هو حُسن التسيير للحركة والسكون عبر الزمن، ما جعله يخلق كل شيء بميزان {وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان}[٨٤٣]هذه الآية موجهة للخليفة لكي يعدل فيما يملك بالحق، هذا ما يراد له أن يكون أما ما هو كائن فالمفسدون في الأرض كثيرون، ولو لم يكن الإفساد في الأرض ما نزلت الآيات الدالة على العدل والوزن بالقسط والتراحم بين الناس وقول الحق وفعل الحق.

المَلِك الحق هو الذي يملك المُشَاهد والمُجرد، يملك الكائنات والمادة القابلة للمشاهدة، ويملك فوق ذلك السمع والأبصار غير القابلة للمشاهدة. {قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميت من الحيَّ ومن يُدبِّر الأمر

---

[٨٤٠] . البقرة، ٢٥٥.

[٨٤١] تفسير ابن كثير، ج ١ ، ص ٦٨١.

[٨٤٢] الشورى، ٤٩، ٥٠.

[٨٤٣] الرحمن، من، ٩.

سيقولون الله فقل أفلا تتقون}[٨٤٤] وإلا هل هناك من يرى السمع والبصر؟! نحن بني الإنسان الذين خُلقنا في أحسن تقويم، لا نرى ذلك، مع أننا نرى العيون المبصرة والآذان المُنصتة، والفرق كبير بين السمع وبين الحاسة السمعية، وبين البصر والعيون المبصرة، فالحواس تشاهد ووظائفها لا يمكن أن تشاهد، ولهذا من حيث التقريب فالذي يمتلك الحواس هو من خلقت له، والذي يملك السمع والأبصار هو خالقها، ولهذا فأمر مشاهدتها لم يكن على المستوى الحسي الذي عليه خُلقنا. ومن هنا بدأ القصور يُرفقنا حتى النهاية، ولذا فمن الممكن لنا أن نكون ملوكا، ولكن من الصعب علينا أن نكون ملوك الحق. فالملك الحق هو الذي لا يرافقه القصور، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يأخذه خوفا ولا طمعا.

المُلكُ خير، والمَلِك مالك الخير، وجاء على رأس المُلك الخير: الحياة والممات والجنة والنار ويوم البعث العظيم. وجاء داخل الحياة والممات خيرات حِسان، وجاء داخل الجنَّة والنار خيرات كثار، وجاء يوم البعث خير سرمدي. وبما أنّ المَلِك هو مالك الخير، إذن هو الذي بيده المُلك، ومع أنَّ المُلك بيده، ولا تصرف فيه إلا بأمره، إلا أنه جعلنا الوارثون {إنَّ الأرض لله يُورِثُها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين}[٨٤٥]. العاقبة هي الأفعال المترتبة على ما تم فعله على الأرض، فإن كان عمل خير تكون العاقبة ثواب، وإن كان عمل شر تكون العاقبة عقاب. ولأن كل فعل يترتب على فعلٍ، جاء التوريث مترتبا على وجود الخليفة، ومن هذه الآية الكريمة ندرك وجود غاية وأحدة من وراء جعل الخليفة في الأرض وفعل التوريث فيها.

القدُّوس اسم من أسماء الله الحسنى، والقداسة تعني الطهارة، والتقديس يعني التطهير، {وإذ قال ربُّكَ للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يُفسدُ فيها ويسفك الدماء ونحن نُسبح بحمدك ونُقدِّسُ لك قال إني أعلم ما لا تعلمون}[٨٤٦]يُفهم من هذه الآية الكريمة الاستغراب الملائكي على جعل الإنسان خليفة في الأرض، ولهذا قال الملائكة: (أتجعل فيها

---

[٨٤٤] . يونس، ٣١.

[٨٤٥] الأعراف، ١٢٨.

[٨٤٦] البقرة، ٣٠.

من يُفسد فيها ويسفك الدماء)، جاءت هذه الآية على لسان الملائكة بأسلوب تساؤلي، استغرابي، وذلك لِما أدهشهم من مفاجئة. كيف يمكن أن يكون خليفة ليقدِّس الله تعالى ومن أعماله وأفعاله الفساد في الأرض التي يود له أن يكون خليفة فيها. وذلك لأن الملائكة يؤمنون بالإصلاح في الأرض ولا يُفسدون فيها. قال (إني أعلم ما لا تعلمون) هذه لم تكن الإجابة، بل أنها تحمل في مضمونها أنَّ هناك ما يبرر ذلك، وهو علم الغيب الذي لا تعلمه الملائكة، وهذا المبرر هو الذي يستوجب استخلاف الإنسان في الأرض. على ضوء ذلك علَّم آدم الأسماء كلها، {وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم قال ألم أقل لكم إني أعالم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون}[٨٤٧]. فالذي كان عِلمُ غيب، هو الذي أصبح معرفة تامة بعد أن تعلَّمه آدم من الله العليم الحكيم، الذي بدوره أنباء به الملائكة الذين كانوا به يجهلون، ولأن الملائكة يُسبِّحون الله ويقدسوه، فلمَّا أنبئهم به آدم (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) هذه الآية هـ دليل مباشر للتسبيح والتقديس لله تعالى.

والتقدُّس في اللغة يعني التطهُّر. والتطهُّر يعني التخلص من الشوائب التي تعلق بما ينبغي أن يكون نظيفا. ولذا من خُلقَ أن يكون نظيفا يجب أن يحافظ على نظافته، حتى لا يتعارض مع ما يراد له أن يكون عليه من قبل خالقه. وإذا لم يحافظ على ذلك فسيجد نفسه أمام مخالفات ليس له بدا من المسائلة عليها، والمحاسبة على الأعمال والأفعال التي تستوجب تصنيف السالب مع السالب مع العقاب أو العفو، والموجب مع الموجب مع الثواب والجزاء الأوفر.

إن تقديس الملائكة لله تعالى، دليل إثبات قوة الارتباط الروحي والتعلُّق بصفاء مع الخالق، ولهذا فالتقديس تعبُّد وعبادة، تعبُّد بما يرضي الله، وعبادة لله وحدة.

---

[٨٤٧] البقرة، ٣١ . ٣٣.

جاء في لسان العرب المحيط، قدُّوس على وزن فعول، وهو من أبنية المبالغة، ويعني الطهارة.

وفي معجم مقاييس اللغة لأبن فارس القدس البركة، والأرض المقدسة أي المباركة. ولذلك عندما يقال البيت المقدس، والأرض المقدسة، يعني بذلك الأماكن المباركة التي خصها الله تعالى بهذه الصفة. ولأنها كذلك تهوي أفئدة الناس إليها، وتلتقي فيها لتسبح الله وتقدسه، وهي تتبرك في أماكن التخصيص بالبركة. ولأجل ذلك فالذين تهوى قلوبهم لهذه الأماكن المطهرة هم الذين يسارعون في إعلأن الطاعة، وإظهار أفعال التقديس في القول والفعل، ليكون المكان المقدس شاهدا عليهم إلى الأبد الذي يُسبحوا إليه.

{السلام المؤمن المهيمن} : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه النقص، المصدق رسله بالمعجزات . المهيمن : الرقيب الشهيد على عباده بأعمالهم.

وورد أسم (السلام جل جلاله) في كتاب (ولله الأسماء الحسنى) للسيد أحمد عبد الجواد أنه "هو الذي سلمت ذاته وصفاته وأفعاله من كل ما لا يليق بكماله. وكذلك من أسم السلام اشتق الإسلام وهو دين الله"[٨٤٨] مصداقا لقوله تعالى {إنَّ الدين عند الله الإسلام}[٨٤٩].

ويقول الإمام ابن القيم في أسم السلام جل جلاله قولأن: "أحدهما أنه مصدر وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنى أنه ذو السلام وذو العدل على حذف المضاف، والثاني أن المصدر بمعنى الفاعل أي السالم كما سمّيت ليلة القدر سلاما أي سالمة من كل شر، بل هي الخير لا شر فيه"[٨٥٠].

قال تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو المَلِك القدُّوس السَّلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر}[٨٥١] في هذه الآية كل أسم من أسمائه الحُسنى يؤكد على الصفة التي تسبقه

---

[٨٤٨] أحمد عبد الجواد، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها. الدار البيضاء، دار الثق، افة، ص ٣٧.

[٨٤٩] آل عمران، ، ١٩.

[٨٥٠] مشرف على عبد الله، هج أبن الق، يم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى. الدمام، دار ابن الجوزية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص٢٧٩.

[٨٥١] الحشر، ٢٣.

ويحتويها، فالمَلِك هو الله، والقدوس هو الله، والسلام هو الله، ولذا فإن جميع الأسماء الحُسنى هي الله جلا جلاله. ولأنها هي الله تعالى فهي بطبيعة الحال تحتوي كل صفات الكمال فيها. ولذلك فإن أسم الله تعالى يحتويها.

ومع أنَّ هذه الآية ثلاثية الأبعاد إلا أنها نزلت وحدة وأحدة متماسكة بنيانا مرصوصا فالبعد الأول: (هو الله الذي لا إله إلا هو). في هذا البعد ينفى وجود إله غيره، ويتم التأكيد على انه الله الذي لا شريك له في الأمر، إنه الله وأحد أحد ولا وجود لغيره. وهذا يعني إذا كان هناك من يعتقد بوجد لغير الله تعالى فلن يجده، ولن يجد له مكان، ولن يجد له صفات. ولذلك لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة {لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله وأحد وإن لم ينتهوا عمَّا يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابُ اليم}[٨٥٢]

والبعد الثاني (المَلِك القدُّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر). هذه الأسماء جميعها هي الله الذي تم التأكيد عليه بالبعد الأول، بأنه لا إله إلا هو. وهذا يعني أن هذه الأسماء وغيرها من ألأسماء الحُسنى هي غير متعددة، بل هي صفات تتعدد، أي أنها صفات لوأحد لا يتعدد. ولذلك فإن القاعدة هي: تتعدد الصفات للوأحد ولا يتعدد الواحد في صفاته. فالكريم عندما يكون صادقا، وعادلا، يظل هو مفردة وأحدة وصفاته متعددة، ولهذا فإن الله وأحد أحد وصفاته متعددة فالحمد لله الواحد المتعدد الصفات الحسان.

والبعد الثالث (سبحان الله عما يشركون) هذا البعد يؤكد بالتمام مقاصد البعدين السابقين بأن الله وأحد أحد، وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر أي هو الذي له الأسماء الحُسنى، ولذلك جاء قوله تعالى (سبحان الله عمَّا يشركون) لينفي وجود الشريك ويؤكد على الواحد الأحد متعدد الصفات.

السلام: هو السالم من كل علة، وهو الكامل غير المنقوص، وهو الظاهر الذي لا تراه الأبصار، وهو الكامن الذي تدركه العقول، وهو الحي الذي لا يموت، وهو الحق الذي تؤمن به القلوب.

---

[٨٥٢] المائدة، ٧٣.

السلام الحق هو الله تعالى، والسلام بالإضافة هو الخليفة. ولذا فإنه السلام الحق لكمال صفاته، أمَّا السلام بالإضافة (الخليفة) فيرتبط بدرجة الالتزام بما يأمر السلام الحق. ولذلك السلام الحق جاء مطلقا بلا شروط، والسلام بالإضافة لا يتم إلا بالتزام شرطي وفقا لنص من السلام الحق، وهي (الشرعة). التي إن التزم بها قولا وفعلا كان الخليفة في الأرض، وإن لم يلتزم قولا وفعلا فلن يكون الخليفة، وذلك لنقصه عمّا يراد له أن يكون عليه من شِرعة. {شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يُنيب}[٨٥٣]. شرع لكم تعني بيَّن لكم كل شيء في الدين، والدين عند الله هو الإسلام، والإسلام لا يعني الرسالة المحمدية فقط، بل كل الدين من عند الله وأحد، وهو الإسلام الذي كان خاتم أنبيائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولهذا لا نفرق بين أحد من رسله {لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير}[٨٥٤]. وقال خير قائلا {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون}[٨٥٥].

بناء على ما تقدم فإن السلام الحق، شرَّع شريعة تستوجب الإتباع من قبل من يراد له أن يكون الخليفة، ولهذا التزم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما التزم من قبله الرسل الذين اصطفاهم الله لِيُبلغوا رسالاته، والذين برسالاتهم اسلم المسلمون وأمنوا، حتى أصبحوا هم السلام بالإضافة. وفي مقابل ذلك كان غيرهم خوالف، ولهذا أصبح المؤمنون هم الخليفة، وأصبح غيرهم، هم الخوالف.

في سورة الحشر الآية ٢٣ سابقة اذكر جاء أسم السَّلام مرتبا في الموضع السادس، هذا الأمر جعله في وضع التأكيد على ما سبقه من صفات، ويجعله في وضع الاحتواء لِما يأتي

---

[٨٥٣] الشورى، ١٣.

[٨٥٤] البقرة، ، ٢٨٥.

[٨٥٥] الجاثية، ١٨.

من بعده من صفات الله تعالى، وهي التي بدورها لا تأتي إلا لتؤكد على كل صفة سابقة عليها.

(العزيز الجبار المتكبر) العزيز هو الشديد في انتقامه ممن انتقم من أعدائه،والْجَبَّارُ هو الذي جَبَرَ خلقه على ما يشاء، والْمُتَكَبِّرُ هو المتكبر عن كلّ شرّ"[٨٥٦]. العزة رفعة لا تُستمد إلا من رفيع يمتلك القوة الساندة والداعمة والدائمة، والقوة مدد تمتد من مصدر انبعاثها إلى حيث تكون وتترك أثرا موجبا على من يستغيث بمالكها بتقويته ومناصرته فيما هو حق، وتفاجئ الخصم بإضعافه حيثما أصابته.

العزة لله في ذاته وصفاته وملكوته، ولمن استمد القوة منه مصداقا لقوله تعالى: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون}[٨٥٧] فلله العزة يقول ابن منظور في لسان العرب المحيط: "له القوة والغلبة"[٨٥٨].

قال العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي: "نزلت هذه الآية بعد أن صار بين بعض المهاجرين والأنصار بعض كلام كدَّرَ الخواطر؛ ظهر حينئذٍ نفاق المنافقين وتبيَّن ما في قلوبهم، وقال كبيرهم عبد الله بنُ أبي بنُ سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء . يعني: المهاجرين . إلا كما قال القائل سمِّن كلبك يأكلك. وقال: لأن رجعنا إلى المدينة لَيُخرِجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ؛ بزعمه أنه هو ومن معه من المنافقين الأعزُّون، وأنَّ رسول الله ومن تبعه هم الأذلُّون"[٨٥٩].

وأخرج البخاري عن زيد ابن أرقم رضي الله عنه، قال: سمعت عبد الله ابن أُبي بنُ سلول المنافق يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فلئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر ذلك عمي للنبي صلى الله عليه وسلم، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته، فأرسل رسول الله إلى عبد الله ابن أُبي

---

[٨٥٦] تفسير الطبري، ج ٢٣ ، ص ٣٠٤.

[٨٥٧] المنافقون، ٨.

[٨٥٨] لسان العرب المحيط. المجلد الثاني، ص ٧٦٤.

[٨٥٩] عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥، ص١٠٢٧.

وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذَّبني وصدقه، فأصابني شيء من الحزن لم يصبنِ مثله، فجلست في البيت، فقال عمي: ما أردتَ إلا أن كذَّبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى قوله: (إذ جاءك المنافقون) فبعث إليَّ رسول الله وقال: (إنَّ الله قد صدَّقك) بقوله تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون) "[٨٦٠].

العزة مناصرة، بها يُعزَّز الحق ويضعف الباطل، وفي الآية السابقة يُضرب المثل لذلك حيث إظهار الحقيقة بصدق زيد ابن أرقم، وكذب من حلفوا على صدقٍ وهم كاذبون، فزيد الذي كان على حقٍ جاءته العزة من الله تعالى تناصره، وعبد الله بن، أبي بنُ سلول جاءته الهزيمة نِتَاجَ كذبه ضعفا.

الجبار أسم من أسماء الله الحسنى، وصفة من صفاته الحسان مصداقا لقوله تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار}[٨٦١].

وفي لسان العرب المحيط، الجبار: "الله عز أسمه القاهر خلقه على ما أراد من أمر ونهي، وهو المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا"[٨٦٢].

الجبار صفة مطلقة لله تعالى، الذي بجبروته فعَّال لما يُريد. وصفة نسبية للعباد، والصفة النسبية تنقسم إلى قسمين:

الأول: صفة إيمانية: حيث اتصاف المؤمن بصفات من يؤمن به وهو الجبار الحق جلا جلاله. وهؤلاء هم الذين يستمدون جبروتهم من الجبار العظيم، ولا يظلمون أحدا. وهم الخلفاء في الأرض الذين سيجازون الجزاء الأوفى.

والثاني: صفة إنكار وجحود وكفر، وهي من نصيب الذين يظنون أنهم مصدر للقوة والجبروت، وكأنه لا خالق من ورائهم، أي وكأنهم وُجِدوا هكذا ضربة عشواء. وهؤلاء هم الخاسرون الذين لو اجتمعوا لن يخلقوا ذبابة وأحدة. وهؤلاء هم الظالمون، الذين ظلموا أنفسهم

---

[٨٦٠] تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ص ٧٤٤.

[٨٦١] الحشر، ٢٣.

[٨٦٢] لسان العرب المحيط، ج ١، ٣٩٤.

ويظلمون الآخرين، وبأعمالهم هذه هم الذين سيجازون العذاب العظيم من الجبار الحق جل جلاله.

الجبار كما ورد في لسان العرب المحيط هو: "العالي فوق خلقه، وجبَّار على وزن فعَّال من أبنية المبالغة"[٨٦٣].

والجبار بغير حق، هو العاتي المتكبر الذي لا يلتفت لمن يجب الالتفات إليه، وهو كما يظن لا أحد من قبله ولا من بعده، وهذا ما نهى الله تعالى عنه بقوله: {ولا تمشي في الأرض مرحا إنَّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا}[٨٦٤]. وفي الحديث: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حضرته امرأة فأمرها بأمر خير فتأبت أن تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: "دَعوها فإنها جبَّارة"[٨٦٥] أي أنها عاتية متكبرة. وفي ذلك يقول الشاعر:

ولا تمشي فوق الأرض إلا تواضعا فكم تحتها قوم هم منك أرفعُ

وإن كنت في عزٍّ وحِرز ومَنعة فكم مات قوم همو منك أمنعُ

والجبار من غير حق هو الذي يملئ قلبه التجبُّر والقسوة ولا تدخله الرحمة ولا يقبل موعظة، وهو ما نهى الله عنه، بقوله تعالى: {نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبَّار}[٨٦٦] الآية موجهة لتأييد الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجيهه إلى عمل الخير دون إجبار أو إكراه، فالله يعلم بما يقولونه عن الرسول والدين الذي أرتضى، فالله لا يود لرسوله أن يستعجل، إنه يمهل ولا يهمل، فيريده أن يقول لهم قولا لينا، حيث لا إكراه في الدين {لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم}[٨٦٧]. فبالين والتسامح تسود العزة والمناصرة للدين، وبالتجبُّر والتكبُّر يسود

---

[٨٦٣] المصدر السابق، ج١، ص ٣٩٥.

[٨٦٤] الإسراء، ، ٣٧.

[٨٦٥] لسان العرب المحيط، ج١، ٣٧٥.

[٨٦٦] ق، ٤٥.

[٨٦٧] البقرة، ٢٥٦.

الإكراه له. وحتى لا يسود التجبر والتكبر قال عز وجل: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي).

والجبر خلاف الكسر، وهو الربط والاتصال والتماسك والمتانة، والجبر يُستمد من الجبَّار تعالى، الذي يجبر المكسور بقوته، ويجبر الخواطر بعد خوفٍ أو شقاق ونزاع أو تباين واختلاف أو صراع وصدام مصداقا لقوله تعالى: {هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما}[٨٦٨].

(سبحان الله عما يشركون) أي تنزيها لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة.

(هو الله الخالق البارئ المصور) هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصوّر خلقه كيف شاء، وكيف يشاء أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة[٨٦٩].

(له الأسماء الحسنى) أسماء الجمال والكمال والقوة والقدرة ذات الصفات التي لا تحصى، ولذا فالتسعة والتسعون اسما ليست هذه النهاية فصفات الله الحسنى جل جلاله لا تحصى.

(يسبح له ما في السموات) أي ينزهه ويعبده حتى وإن لم نفقه تسبيحه، والحال جميع ما في السموات والأرض.

(وهو العزيز الحكيم) العزيز "هو الذي لا يمتنع مما أراده والغالب على أمره، والحكيم، في توفيقه للإيمان من وفَّقه له، وهدايته له من هداه إليه، وفي إضلاله من أضلّ عنه، وفي غير ذلك من تدبيره"[٨٧٠].

معنى الآيات:

وعليه فلو أنزل هذا القرآن العظيم على جبل بعد أن خلق فيه إدراكاً وتمييزاً كما خلق ذلك في الإنسان لرؤي ذلك الجبل خاشعاً متصدعاً متشققاً من خشية الله أي من الخوف من الله

---

[٨٦٨] الفتح، ٤.

[٨٦٩] تفسير الطبري – ج ٢٣ ، ص ٣٠٥.

[٨٧٠] تفسير الطبري – ج ١٦ ، ص ٥١٦.

الماجد لعله قصّر في حقه وحق كتابه ما أداهما على الوجه المطلوب، وفي هذا موعظة للمؤمنين ليتدبروا القرآن ويخشعوا عند تلاوته وسماعه. ثم أخبر الله تعالى أنّ ما ضرب من أمثال في القرآن ومنها هذا المثل المضروب بالجبل. يقول نجعلها للناس رجاء أن يتفكروا فيؤمنوا ويهتدوا إلى طريق كمالهم وسعادتهم ثم أخبر تعالى عن جلاله وكماله بذكر أسمائه وصفاته فقال: {هو الله الذي لا إله إلا هو} أي لا معبود بحق إلا هو الماجد المطلق، عالم الغيب والشهادة أي السر والعلن والموجود والمعدوم والظاهر والباطن. هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء والرحيم بعباده المؤمنين المستخلفين فيها.

لذا يتوجه الله الذي له المجد في السموات والأرض للأنسان الذي يطغي ويتكبر ويتجبر بمظهرين من مظاهر مجده هما الأرض والجبال فيقول الله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}[٨٧١] فهو نداء لمن أراد أن يتكبر بأن يرجع إلى الصواب فلا يتكبر في نفسه باطنا ولا في هيئته ظاهرا بالمشي كبرا وغرورا لأنه لن يخرق الأرض بقدمه ولن يبلغ الجبال طولا مهما حاول أن يتطاول في مشيته كبرا وغرورا.

ولماذا الكبر هل لشرف زائل أم لمجد غير مستحق لأن طالبه لا يملك أسبابه، وقد أرشدنا معلم البشرية صلى الله عليه وسلم إلى أن الله لا يرضى عن المتكبر ولو كان في قلبه ذرة من كبر فقد قال الله في الحديث القدسي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعْنِي قَالَ اللَّهُ "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَأحدا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ جَهَنَّمَ"[٨٧٢]

فكيف بمن نازعه الربوبية طلبا لمجد غير مستحق مثل الذي قال كما روى لنا القرآن الكريم قصة فرعون مع موسى وسنأخذ الآيات كاملة التي تقص لنا قصة طالب المجد فيقول الله تعالى: {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ

---

[٨٧١] الإسراء، ٣٧ – ٣٨.

[٨٧٢] مسند أحمد ، ج ١٨ ، ص ٨١.

تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإنسان مَا سَعَى وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}[٨٧٣].

**ومن مظاهر مجده جل وعلا:**

* قال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}[٨٧٤].

تضمنت هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إن الله جل وعلا جعل السماء سقفاً.

والمسألة الثانية: إنه جعل ذلك السقف محفوظاً.

والمسألة الثالثة: إن الكفار معرضون عما فيها من الآيات، لا يتعظون ولا يتذكرون.

أما كونه جعلها سقفاً فقد ذكره في سورة « الطور » أنه مرفوع وذلك من قوله: {والطور وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ والبيت المعمور والسقف المرفوع}[٨٧٥].

وأما كون ذلك السقف محفوظاً فقد بينه في مواضع من كتابه، فبين أنه محفوظ من السقوط في قوله تعالى: {وَيُمْسِكُ السماء أَن تَقَعَ عَلَى الأرض إِلاَّ بِإِذْنِهِ}[٨٧٦] وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السماء والأرض بِأَمْرِهِ}[٨٧٧]، وقوله تعالى: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السماوات والأرض وَلاَ يَؤُودُهُ

---

[٨٧٣] النازعات ١٦ . ٢٦.

[٨٧٤] الأنبياء، ٣٢.

[٨٧٥] الطور ١ . ٥.

[٨٧٦] الحج ٦٥.

[٨٧٧] الروم، ٢٥.

حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلي العظيم}[٨٧٨] وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طرائق وَمَا كُنَّا عَنِ الخلق غَافِلِينَ}[٨٧٩]. أمجاده لا تحصى فقط للتذكير بما هو مشاهد وملاحظ ليتقي العباد خالقهم ولا يشركوا به أحدا.

ومن مظاهر مجده قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[٨٨٠]

خلق الليل للنوم والراحة والنهار للعمل والسعي، وخلق الشمس وما فيها من فوا ئد للكون وتسخيرها للخليفة لتعمير الأرض، وخلق القمر نورا مع النجوم لتزين السماوات والأرض وتهدي إلى السبيل، وكذلك لمعرفة السنين والحساب وهذا الخلق الذي لا يشاركه فيه أحد هو من الماجد وصدق ربنا الماجد إذ يقول: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ[٨٨١].

ومن مجده في الشمس والقمر ما يوضحه قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأنهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[٨٨٢].

والماجد المطلق الله سبحانه وتعالى والماجد بالإضافة هو الذي يمجد الماجد والذي يحوي صفات المجد والتي منها ما ينطوي تحت تعريف المجد، فالمجد المُرُوءةُ والسخاءُ والمَجْدُ الكرمُ والشرفُ، المجد نَيْل الشرف.

---

[٨٧٨] البقرة، ٢٥٥.

[٨٧٩] المؤمنون، ١٧.

[٨٨٠] الأنبياء، ٣٣.

[٨٨١] يونس، ٥-٦ .

[٨٨٢] إبراهيم، ٣٢- ٣٤.

وهذا هو مدار البحث في الصلة بين خليفة الله في أرضه الذي يتخلق بأخلاق الله وصفاته اقتداءً بالرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي تخلق بأخلاق الله المشمولة في منهجه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد كان خلقه القرآن وفي هذا الخلق المجد كله والشرف كله ولمّا سئلت السيدة عائشة أم المؤمنين عن خلق الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم قالت كان خلقه القرآن وهذا نص الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: "أَتَيْتُ السيدة عَائِشَةَ فَقُلْتُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} قُلْتُ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتَبَتَّلَ قَالَتْ: لَا تَفْعَلْ أَمَا تَقْرَأُ {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} فَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ وُلِدَ لَهُ"[٨٨٣].

١ – (كان خلقه) أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك وقال القاضي : أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه فكان القرآن بيان خلقه انتهى. والعمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبيره وحسن تلاوته وبذلك عرف أن كمالات خلقه لا تتناهى كما أن معاني القرآن لا تتناهى وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر[٨٨٤].

فالمجد لله مطلقا وللنبي صلى الله عليه وسلم فيضا وفطرة من الله لنبيه وعصمة وللخليفة اقتداءًا وإتباعا، لذا يجب على الماجد بالإضافة أن يتخلق بأخلاق القرآن الكريم حتى يكون كريما ماجدا وبأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو على خلق عظيم ولا أعظم من كلام الله وصفاته وسنة رسوله الكريم خير خليفة استخلف للكافة.

قال الشيخ القاسمى نقلا عن الإمام ابن القيم في كتاب "طريق الهجرتين" : أكمل الخلق أكملهم عبودية لله تعالى، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أقرب الخلق إلى الله تعالى

---

[٨٨٣] مسند أحمد – ج ٥٠ ، ص ١١٦.

[٨٨٤] عون المعبود – ج ١ ، ص ٤٣.

وأعظمهم عنده جاها، وأرفعهم عنده منزلة، لكماله في مقام العبودية. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "أيها الناس ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي. إنما أنا عبد وكان يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله.

وذكره سبحانه بسمة العبودية في أشرف مقاماته: آلا وهو في مقام الإسراء حيث قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}[٨٨٥] .

وفى مقام الدعوة قال تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أحدا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أحد وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحدا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}[٨٨٦].

وفى مقام التحدي قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[٨٨٧].

ولأنه الماجد جل جلاله، فأمجاده لا تعد ولا تحصى وجميعها قائمة على الفضيلة والقيم الخيرة بين الناس.

---

[٨٨٥] الإسراء، ١ . ٣.

[٨٨٦] الجن ١٩ . ٢٨.

[٨٨٧] البقرة، ٢٣، ٢٤.

والماجد هو الذي يُظهر أقواله وأفعاله آيات إعجازية، تستمد منها القوة ولا يؤتي بها غيره، ولأنه الماجد يظهر أقواله وأفعاله ولا يظهر ذاته للناظرين إلا في الجنة، ولذا فالخليفة هو الذي يفعل ما يقول حقا، أما أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون فهم البشر الذين يُحصوا ولا يُعدوا من ضمن المستخلفين في الأرض أي لا يعدوا مع الذين يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الماجد الأعظم الذي استمدوا منه أمجادهم. قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}[٨٨٨].

الماجد هو المضاعف للأعمال الحسان التي منها مضاعفة الأجر والحسنات: قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[٨٨٩]، وقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٨٩٠].

ولأنه الماجد فهو رفيع الدرجات قال تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ

---

[٨٨٨] الشعراء ٢١٧ . ٢٢٧.

[٨٨٩] البقرة، ٢٦١ . ٢٦٤.

[٨٩٠] الزمر ١٠.

الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}[٨٩١]، ومن حسناته يضاعف الحسنات ولا يجازي بالسيئة إلا بمثلها وفي ذلك قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[٨٩٢]، وقال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ}[٨٩٣].

ومن صفات الماجد بالإضافة المستخلف في الأرض العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع وافر الصدقات في وجه الماجد عز وجل، ولذا فالخليفة يصنع الأمجاد بكرمه وتكبره عن القول غير الطيب، وتكبره عن أداء الفعل غير الطيب، وهو الذي يعمل ليصلح ويفلح ويُعمِّر ما استطاع إلى ذلك سبيلا. وبهذا يكون كريم الأصل وطيب المنبت والكرم والشرف وهي صفة جامعة لخصال الرفعة والسيادة، وهذا حتى يكون مقبولا من جماعته فلا ترده إن أمرهم بمعروف أو نهاهم عن منكر فلا يتوهموا إنه يسعى للحصول على شيء ليس لديه فهو غني عن مجدهم بمجده وعن فضلهم بفضله وهنا نعود لسيرة الحبيب صلى الله عليه وسلم ونستلهم موقف من مواقف المجد حين رفض تهديد قريش له ونرى ماذا روت السيرة النبوية لما شرا الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتأمروا عليه وحض بعضهم بعضا عليه ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد إستنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يملك أحد الفريقين أو كما قال ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلأنه[٨٩٤].

---

[٨٩١] غافر ١٥ ، ١٦.

[٨٩٢] الأنعام، ١٧٠.

[٨٩٣] الحديد ١١ .

[٨٩٤] عيون الأثر – ج ١ ، ص ١٣٢.

وذكر أن أبا طالب لما قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له "يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له فابق على وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوا لله لا أسلمك لشيء أبدا"[٨٩٥].

وقيل في سيرة ابن هشام: "اجتمع رؤساء قريش مَعَ الرّسُولِ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم بَعْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ابْعَثُوا إلَى مُحَمّدٍ فَكَلّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتّى تُعْذِرُوا فِيهِ فَبَعَثُوا إلَيْهِ إنّ أَشْرَافَ قَوْمِك قَدْ اجْتَمَعُوا لَك لِيُكَلّمُوك ، فَأْتِهِمْ فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللّهِ – صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّم – سَرِيعًا ، وَهُوَ يَظُنّ أَنْ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِيمَا كَلّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءٌ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبّ رُشْدَهُمْ وَيَعِزّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ حَتّى جَلَسَ إلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمّدُ إنّا قَدْ بَعَثْنَا إلَيْك لِنُكَلّمَك، وَإِنّا مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِك، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ وَعِبْتَ الدّينَ وَشَتَمْت الْآلِهَةَ وَسَفّهْت الْأَحْلَامَ وَفَرّقْت الْجَمَاعَةَ فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إلّا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَك – أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ – فَإِنْ كُنْتَ إنّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إنّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشّرَفَ فِينَا، فَنَحْنُ نُسَوّدُك عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْك – وَكَانُوا يُسَمّونَ التّابِعَ مِنْ الْجِنّ رِئْيًا – فَرُبّمَا كَانَ ذَلِكَ بَذَلْنَا لَك أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطّبّ لَك حَتّى نُبْرِئَك مِنْهُ أَوْ نُعْذِرَ فِيك. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّه – صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ – مَا بِي مَا تَقُولُونَ مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشّرَفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ

[٨٩٥] عيون الأثر – ج ١ ، ص ١٣٢.

رَبّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِنّ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَوْ كَمَا قَالَ – صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلّمَ"[٨٩٦].

وفي أسماء الله تعالى الماجدُ، والمَجْد في كلام العرب الشرف الواسع والشرف الواسع لله تعالى هو المجِيدُ تَمَجَّد بِفعاله ومَجَّده خلقه لعظمته في قوله تعالى (ذو العرش المجيدُ) وقوله تعالى (ق والقرآن المجيد) يريد بالمجيد الرفيعَ العالي وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (ناوِلِيني المجيدَ) أَي المُصْحَف هو من قوله تعال: (بل هو قرآنٌ مجيدٌ) وفي حديث قراءة الفاتحة مَجَّدَني عَبْدي أَي شرَّفني وعَظَّمني، وهكذا يخلق الماجد امجادا.

ومن المعاني الدالة على الاسم الماجد الارتفاع، والعلو على المبالغة في الصفات والأفعال الحسان التي لا تحصى، ومن تمجيد الماجد الإقرار لله بأنه مالك يوم الدين وهذا يؤكده قوله صلى الله علي وسلم في الحديث الشريف" عن أبي هريرة، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قال العبد: الحمد لله ربّ العالمين، قال الله: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال: مالكِ يوم الدين، قال: مجَّدني عبدي. فهذا لي. وإذا قَال: إيّاك نَعبُد وإيّاكَ نستعين إلى أن يختم السورة، قال: فذاكَ لهُ"[٨٩٧].

الماجدُ الحَسَن الخُلُق السَّمْحُ ورجل ماجد ومجيد إذا كان كريماً مِعْطاءً وفي حديث عليّ رضي الله عنه أَمَّا نحن بنو هاشم فأَنجادٌ أَمْجادٌ أَي أشراف كِرام جمع مجِيد أَو ماجد كأَشهاد في شَهيد أَو شاهد[٨٩٨].

ومن صفات الخليفة المتخلق بالاسم الماجد:

– حسن الخلق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة[٨٩٩].

---

[٨٩٦] سيرة ابن هشام – ج ١ ، ص ٢٩٥.

[٨٩٧] تفسير الطبري – ج ١ ، ص ٢٠٠.

[٨٩٨] لسان العرب، ج ٣، ١٢٧.

[٨٩٩] مجمع الزوائد وبع الفوائد – ج ٣ ، ص ٣٧٠.

وسمح الخلق أي سهل غير متشدد ولا فظ ولا غليظ. وصدق الله إذ يقول: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[٩٠٠].

–كريم سخي جواد: وأصل المجد في كلامهم: السعة يقال رجل ماجد إذا كان سخياً كريماً واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم[٩٠١].

– معطاء مفضال: الماجد المفضال الكثير الجود، أو الحسن الخلق السمح، وهو الذي يتأبى أن يعمل رذيلة أو يخون أمانة أو يسرق أو يزنا أو يكذب أو يفعل فاحشة ولهذا فالمفضال شريف طاهر القول والفعل والمظهر والجوهر.

وعليه فالماجد هو:

الشاكر: قال تعالى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَأحد لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[٩٠٢]، والخليفة الماجد بالشاكر للماجد المطلق يزده من فضله وواسع رحمته، ولهذا فإن الله شاكر بالزيادة على من شكره على ما آتاه من أمجاد. قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}[٩٠٣].

الحامد: هو الخليفة الذي لا يرى غير الله ربا مطلقا، والحمد طمأنة على حالٍ وأمن من خوف وتعلق بالماجد الذي كان سببا في كل ما من شأنه كان محقق للطمأنينة. قال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ

---

[٩٠٠] آل عمران، ١٥٩.

[٩٠١] تفسير الخازن – ج ٣ ، ص ٤٦٩.

[٩٠٢] البقرة، ١٥٨ . ١٦٣.

[٩٠٣] إبراهيم، ٧، ٨.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا}[٩٠٤]، ولذا فالحمد لله رب العالمين على مجده وجوده وكرمه وفضله الذي استخلف به المؤمنين في الأرض ونزع ما في صدورهم من غل وهم في الجنة من الوارثين. {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[٩٠٥].

ذو المغفِرة: لا مُغفر لذنب بالمطلق إلا هو الماجد جل جلاله، قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[٩٠٦]

الغفار: الغفار كثير الغفران، من استغفر من عباده غفر له، ومهما أخطأ إذا استغفر عن نية طيبة غفر له، ولهذا فمن صفاته وأفعاله الغفران، ولهذا فالماجد كريم غفار للذنوب والخطايا كلما أدركه الداركون. قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[٩٠٧].

---

[٩٠٤] الفرقان، ٥٨ . ٦٧.

[٩٠٥] الأعراف ٤٣.

[٩٠٦] آل عمران، ١٣٥ . ١٣٧.

[٩٠٧] طه، ٨٢.

الراحم: الراحم هو الذي بيد الرحمة وهو رحمان رحيم، والراحم هو الله الماجد، الذي يتصف في أمجاده بالمرحمة. قال تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا}[٩٠٨]، وقال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}[٩٠٩].

المرحم: المرحم هو العفوو، وهو الذي يلين كلما التجأ عباده إليه، وهو كثير المرحمة قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}[٩١٠]. إذن الماجد هو الله الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. ولهذا فالخليفة الماجد بالإضافة هو العابد للرحمن الرحيم، وهو الذي يستعين به على كل أمر من أمر دنياه فيما يرضيه وحده جل جلاله، وهو الذي يأمل دائما أن يكون في أمجاده على الصراط المستقيم.

وقال تعالى: {فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[٩١١].

والشواهد على صفات التخلق بالمجد أكثر من أن تحصى وهي من صفات الخليفة المتخلق بصفة الماجد جعلنا الله وإياكم ممن يتصفون بها ويعملون بها.

اللهم يا الماجد اجعل حياتنا على أمجاد ولا تجعلها ساكنة مذلة، واجعلها على الرفعة والرضا ولا تجعلها في هاوية مهانة حزنه، اللهم إننا نشهد لا مجد إلا بك، ولا عزة إلا بك، ولا علم إلا بك، ولا حكمة إلا بك، ولا غنى إلا بك، ولا قوة ولا قدرة إلا بك، ولا شيء يمكن أن يكون إلا بك، فارحمنا.

---

[٩٠٨] مريم ٦١ . ٦٤.

[٩٠٩] الإسراء، ١١٠ ، ١١١.

[٩١٠] الفاتحة ٢ . ٦.

[٩١١] البقرة، ٣٧.

اللهم يا الماجد أكرمنا المنزلة الرفيعة والدار الآمنة في الدنيا والآخرة، واحشرنا مع عبادك أصحاب الدرجات العالية من النبيين والشهداء والصالحين.

اللهم يا الماجد إنّا نسألك رضاك والجنة وما يقرّب إليهما من قول وعمل، ونعوذ بك من سخطك والنار وما يقرّب إليهما من قول وعمل، اللهم زين قلوبنا بزينة الإيمان، وطمئن نفوسنا بزنة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم أكرمنا حبك وحب من يحبك يا ارحم الراحمين.

# الواحد

معنى الواحد في اللغة يفيد الانفراد في الذات أو الصفة، فتقول هو واحد أهل عصره تريد أنه قد انفرد بصفة ليس لهم مثلها وتقول الله واحد تريد أن ذاته منفردة عن المثل والشبه.

الواحد: "اسم الله تعالى، ولفظ (واحد) يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد ومن تتبع مواقعه في القرآن و غيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفاً لموصوف ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف"[٩١٢].

وقال علي بن عيسى رحمه الله تعالى: الواحد ما لا ينقسم في نفسه أو معنى في صفته دون جملته كإنسان واحد ودينار واحد، وما لا ينقسم في معنى جنسه كنحو هذا الذهب كله واحد وهذا الماء كله واحد، والواحد في نفسه ومعنى صفته بما لا يكون لغيره أصلا هو الله جل ثناؤه[٩١٣].

والله هو الواحد في ذاته، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ}[٩١٤]، الذي لم يلد ليكون أكثر من واحد أو أن يكون بعده واحد، وهو الذي لم يولد فلم يسبقه واحد، {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}[٩١٥].

الواحدُ بُني على انقطاع النظير وعَوَزِ المثل[٩١٦]، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[٩١٧]، فلا أحد يعدل الله الواحد ليصل إلى درجة التكافؤ وهي التساوي المطلق بين طرفين[٩١٨]، أي أن يكون مقابل للواحد يساويه بالمطلق، وهذا معدوم، وإذا حل العدم اختص بالواحدية فهو الواحد الأحد سبحانه وتعالى، فهل من إله ادّعى الخلق؟ والإجابة لا، هنا تأتي الآية المفحمة لكل كفار أثيم، {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[٩١٩]، ثم أن ربنا الواحد خلق ثم هدى فأين المنكر من هذا الفعل العظيم، {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}[٩٢٠]، "أي

---

[٩١٢] القائد إلى العقائد، ج ١، ص ١٣٦.

[٩١٣] الفروق اللغوية ج ١، ص ٤٠٠.

٩١٤ الإخلاص ١-٢.

٩١٥ الإخلاص ٣.

٩١٦ تهذيب اللغة، ج ٢، ص ١٧٠.

[٩١٧] الإخلاص ٤.

[٩١٨] الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري، ج ١، ص ٣٩٥.

[٩١٩] النحل ١٧.

[٩٢٠] طه ٥٠.

أعطى كل شيء من الأشياء الأمر الذي طلبه بلسان استعداده من الصورة والشكل والمنفعة والمضرة وغير ذلك أو الأمر اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع المطابق له كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الأبصار والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الأنف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه"[٩٢١].

كما انعدمت درجة التماثل، يقول الواحد سبحانه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٩٢٢]، "حكم الله تعالى بأن مثل مثله ليس بشيء، ولا شك أن كل شيء مثل لمثل نفسه، وثبت بهذه الآية أن مثل مثله ليس بشيء ينتج أنه تعالى غير مسمى بالشيء، فإن قالوا إن الكاف زائدة، قلنا هذا الكلام معناه أن هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل، ومعلوم أن هذا الكلام هو الباطل، ومتى قلنا إن هذا الحرف ليس بباطل صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال .

كما إن لفظ الشيء لا يفيد صفة من صفات الجلال والعظمة والمدح والثناء، وأسماء الله تعالى يجب كونها كذلك ينتج أن لفظ الشيء ليس اسماً لله تعالى، أما قولنا إن اسم الشيء لا يفيد المدح والجلال فظاهر، وذلك لأن المفهوم من لفظ الشيء قدر مشترك بين الذرة الحقيرة وبين أشرف الأشياء، وإذا كان كذلك كان المفهوم من لفظ الشيء حاصلاً في أخس الأشياء وذلك يدل على أن اسم الشيء لا يفيد صفة المدح والجلال، وأما قولنا: إن أسماء الله يجب أن تكون دالة على صفة المدح والجلال ، فالدليل عليه قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الأسماء الحسنى فادعوه بِهَا وَذَرُواْ الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه}[٩٢٣]، والاستدلال بالآية أن كون الأسماء حسنة لا معنى له إلا كونها دالة على الصفات الحسنة الرفيعة الجليلة، فإذا لم يدل الاسم على هذا المعنى لم يكن الاسم حسناً ثم إنه تعالى أمرنا بأن ندعوه بهذه الأسماء ثم قال بعد ذلك وَذَرُواْ

---

٩٢١ تفسير الالوسي، ج ١٢، ص ١٧٠.

٩٢٢ الشورى ١١-١٢.

٩٢٣ الأعراف ١٨٠.

الذين يُلْحِدُونَ في أسمائه، وهذا كالتنبيه على أن من دعاه بغير تلك الأسماء الحسنة فقد ألحد في أسماء الله ، فتصير هذه الآية دالة دلالة قوية على أنه ليس للعبد أن يدعو الله إلا بالأسماء الحسنى الدالة على صفات الجلال والمدح، وإذا ثبت هاتان المقدمتان فقد حصل المطلوب"[٩٢٤].

وانتفاء التماثل علته تعالي الواحد عما سواه، فالواحد أكبر من كل شيء فتعالى الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو المراد من قوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، وأما تعاليه عن كل شيء في ذاته، فيحتمل أن يكون المعنى جل بوجوب وجوده وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه، وأن يكون المعنى جل بفردانيته ووحدانيته عن مشابهة شيء من الممكنات، وأما تعاليه عن كل شيء في صفاته فيحتمل أن يكون المعنى جل أن يكون علمه ضرورياً أو كسبياً أو تصوراً أو تصديقاً وفي قدرته أن يحتاج إلى مادة ومدة ومثال وجلب غرض ومنال، وأما في أفعاله فجل أن يكون الوجود والبقاء وصلاح حال الوجود إلا من قبله[٩٢٥].

فالواحد له أحدية الوجود، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر إنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة.

وهي من ثم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعلاً لشيء، أو فاعلاً في شيء، فإذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه اللذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية[٩٢٦].

فالواحد المطلق هو المتمكن من الأحدية لعدم التماثل مع الغير لانتفاء وجود من يماثله جل في علاه لدواعي هي:

---

٩٢٤ تفسير الرازي، ج ١، ص ١٠٦.

٩٢٥ تفسير الرازي، ج ١١، ص ٣٨١.

٩٢٦ في ظلال القران ، سيد قطب، ج ٨، ص ١٢٧.

١ . التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف وهو الذات[٩٢٧]. ولفهم هذا الافتراض يجب أن نعرف عن الذات ما يؤكد عدم التماثل مع ذات أخرى، يجب أولا البحث في ماهية الذات، ولابد لهذا النمط المعرفي من سلسلة افتراضات هي:

هل الذات جزء لكل ؟

هل الذات كل لأجزاء ؟

هل الذات مطلق؟

لمناقشة الافتراض الأول نقول لا يمكن أن تكون الذات جزءاً لكل لأن ذلك يقتضي وجود كلٍّ يتجزأ منه بفعل إرادي أو لا إرادي و بزمن استغراقي يتمخض لا محالة عن وجود أجزاء مكملة .

والذات منتفٍ عنها هذا، فلا توالد أوجدها ولا أوجد لها، { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}[٩٢٨]، فالإيجاد (لم يولد) معناه حدوث وإقرار بأسبقية سواه عز وجل، والتوالد(لم يلد) معناه الاشتراك في الصفة والحكم والفعل وهو ما ذهب إليه أصحاب الثالوث، {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[٩٢٩]. أي أنهم جعلوا لله جزءاً كما يقول سبحانه وتعالى: {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ}[٩٣٠].

وهذا كفر مبين وادعاء مج لا يقبله العقل لان الاشتراك يوجب أن تكون الأجراء المكونة للكل بذات القدرة على الإتيان بفعل واحد في برهة واحدة وبجودة متطابقة كليةً، وهذا وهم وقع فيه أصحاب هذا الادعاء لأن الله سبحانه وتعالى يفوق عيسى عليه الصلاة والسلام بالمطلق، ويعجز عيسى عن أن يكون بعض ذات الله بالمطلق وهو ما أقر به لسانه صلى الله عليه

---

٩٢٧ الفروق اللغوية، ج ١، ص ٤٨١.

٩٢٨ الإخلاص ٣.

٩٢٩ النساء ١٧١ .

٩٣٠ الزخرف ١٥.

وسلم كما يخبرنا العليم عز وجل فيقول: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[٩٣١]، ولذا فإن الخالق لا يقارن بالمخلوق وذلك لانعدام التماثل، وهذا مرتبط بخلق عيسى صلى الله عليه وسلم فهو يمرض ويجوع ويغضب ويهلع ويضعف ثم بعد ذلك هو يموت، فمن أين جاء الاشتراك مع الله في صفة أو حكم أو فعل؟.

فالذات ليست جزءاً، فهل تكون كلا لأجزاء كما في الافتراض الثاني؟

هذا غير ممكن أيضا لأن الكل قابل للتجزئة بكل حال من الأحوال، مما يفضي إلى وجود أجزاء متحدة للتكوين، وهو يستلزم وجود قوة رابطة للأجزاء وكل ذلك محتاج ولابد من استغراق الزمن للتكون والاتحاد، ثم بعد ذلك يتوجب اتفاق الأجزاء، وهو أمر مستحيل كما يخبرنا الخبير عز وجل: {أَمِ اتَّخَذُوا آَلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ}[٩٣٢].

بقي الفرض الثالث (المطلق) وهو يليق بوصف الذات لأن المطلق يدل على الماهية بلا قيد[٩٣٣]، أي ينتفي عن الوصف بالمطلق البداية والنهاية، والزمن واستغراقه، كما أن المطلق لا يحتويه الحيز وهو محتويه.والمطلق يوجب اتصاف الذات بإطلاقية الفعل، فإذا عرفنا هذا نسأل هل هناك ذوات تماثل ذات الله في مطلقية الفعل؟ الجواب بالطبع موجود في بقية

---

[٩٣١] المائدة ١١٦-١١٧.

[٩٣٢] الأنبياء ٢١-٢٤.

[٩٣٣] محمد عبد الرءوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ج ١، ص ٦٦٣.

الذوات فلا يوجد مماثل قادر على إقامة المماثلة مع ذات الله سبحانه وتعالى . ونقول الجواب في بقية الذوات لان ذات الله باقية من قبل ومن بعد فهو الباقي، أما الذوات فإنها متغير ة ومتجددة ولكن مع تغيرها ومع تجددها فهي غير قادرة على أن تماثل ذات الله وإن سعت كل السعي.

٢- التماثل هو التعادل في تناظر وتناسب[٩٣٤]. {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}[٩٣٥].

يَعْدِلُونَ من العدل بمعنى العدول أو منه بمعنى التسوية ، والكفر يحتمل أن يكون بمعنى الشرك المقابل للإيمان أو بمعنى كفران النعمة ، والباء يحتمل أن تتعلق بكفروا وأن تتعلق بيعدلون والمعنى أنه سبحانه خلق هذه النعم الجسام والمخلوقات العظام التي دخل فيها كل ما سواه ، ثم إن هؤلاء الكفرة أو هؤلاء الجاحدين للنعم يسوون به غيره ممن لا يقدر عليها وهم في قبضة تصرفه ومهاد تربيته[٩٣٦].

والعقل البشري مهما توسع ونضج وارتقى فإنه عاجز عن إيجاد مُعادل يناسب ويناظر الله جل تعالى عما يشرك المشركون، لأنه الله الذي لا إله إلا هو، ولان ما سواه مطوق بالعجز عن معادلة الله في فعل أو قول أو اسم أو صفة، لذا فإن بعض الكفار عندما أرادوا إقامة المعادلة أعيتهم الحيلة فأقاموا المعادلة بين أرضي وأرضي لأنهم يعلمون علم اليقين أن ما من أرضي يعدل الله في عرشه فقالوا للرسول وكما يخبرنا عنهم العليم الخبير جل في علاه: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}[٩٣٧] ، فالكفار لما سمعوا أن النصارى يعبدون عيسى قالوا إذا عبدوا عيسى فآلهتنا خير من عيسى ،

---

[٩٣٤] معجم لغة الفقهاء، ج ١، ص ١٤٥.

٩٣٥ الأنعام ١.

٩٣٦ تفسير الالوسي، ج ٥، ص ٢٢٠.

٩٣٧ الزخرف ٥٧-٥٩.

روي أنه لما نزل قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ}[٩٣٨]، قال عبد الله بن الزبعري: هذا خاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بل لجميع الأمم فقال خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى ابن مريم نبي وتثني عليه خيراً وعلى أمه، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما واليهود يعبدون عزيراً والملائكة يعبدون، فإذا كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وفرح القوم وضحكوا وضجوا، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الذين سَبَقَتْ لَهُمْ مّنَّا الحسنى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}[٩٣٩]. وهكذا فإن الكفار لم يستطيعوا إيجاد من يقوموا بمعادلته بالله فكان مثالهم أن عادوا عيسى عليه الصلاة والسلام بآلهتهم وهي معادلة فارغة من المعنى والمضمون لأنها تفتقر إلى مساحة علائقية تربط أطراف المعادلة.

٣- التماثل هو المشاركة في النوع والماهية لا مطلق المشاركة، فالفرس الكيس وإن كان بالغاً في الكياسة ما بلغ لا يكون مماثلا للإنسان لمخالفته له بالنوع وإن شابهه بالكياسة التي هي عارضة خارجة عن المقومات للإنسانية؛ وأنت تعلم بأدنى التفات أنه لا يتصور الشركة بين الله تعالى الحي العليم المريد القادر المتكلم السميع البصير وبين العبد المتصف بالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر إلا في إطلاق الاسم لا غير[٩٤٠].

وهذه مسألة في غاية الأهمية لمن يريد معرفة الواحد سبحانه، لان النظير والشبيه منتفٍ للنقص الحاصل في الكل سواه سبحانه وتعالى عما يشركون.

ولنأخذ المخلوقات أولا بأول لنعرف طبيعة النقص الحاصلة فيها مما يفقدها صفة الواحدية، ولنبدأ بالإنسان الذي خصه الواحد سبحانه بأن كرمه فقال عنه: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[٩٤١]، لكنه متبدل غير ثابت على هذه الحال، {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[٩٤٢]، فالإنسان له

---

٩٣٨ الأنبياء ٩٨.

٩٣٩ الأنبياء ١١٠.

٩٤٠ تفسير الالوسي، ج ٦، ص ٤٦٥.

٩٤١ التين ٤.

٩٤٢ التين ٥.

من الفضائل على المخلوقات الكثير الكثير لكن نقصا حاصلا في ذاته تمنعه من التفرد بالواحدية، فهو يمرض فيحتاج إلى طبيب يداويه وهو يجوع ويحتاج من يطعمه، وهو محتاج من كل بد إلى شريكة (زوجة) يسكن إليها ويقضي معها رفثه الذي يؤدي به إن لم يُقض إلى الخيانة ، {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآَنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}[٩٤٣]، فموجبات الواحدية منتفية عند الإنسان.

وكذلك هي عند الحيوان فهو عالة على مالكه يطعمه ويسقيه ويحميه ثم بعد ذلك يشفر عليه مديته إن هو احتاج إلى لحمه أو جلده أو غير ذلك.

أم الجمادات وكلها تمتلك روحاً تمتثل لأوامر الله سبحانه، فالجبال تنسف نسف بأمر ربها ولا نقول هذا عن يوم الوقت المعلوم عنه سبحانه إنما نقول في حياتنا الحاضرة ، فمن قبل أمتثل الجبل لأمر الله سبحانه فكان دكا امتثالا لأمر الله، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}[٩٤٤]، والبحر انفلق بأمر ربه، {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[٩٤٥]، والأرض تنقلب بأمر بها، {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[٩٤٦].

والجمادات بعد ذلك تسجد لله، {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

---

[٩٤٣] البقرة ١٨٧.

[٩٤٤] الأعراف ١٤٣.

[٩٤٥] الشعراء ٦٣.

[٩٤٦] هود ٨٢-٨٣.

وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}[٩٤٧]، وتسبح له تسبيحا لا نفقهه للنقص الحاصل فينا، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[٩٤٨].

وهذه الجمادات كلها لا تملك مقومات الوحدانية للنقص الحاصل فيها فهي قابلة للإزالة والتغيير، فالجبل يمكن للبشر إلغاء وجوده لأي سبب كالاستفادة من أحجاره أو من موقعه، وبعض البحار جفت بفعل انقطاع التغذية من مصادرها وهي كثير، وغير ذلك، فطبيعة النقص تتلخص في عدم الثبات وانتفاء الخلود.

وكذلك النباتات، ويمكن استجلاء النقص الحاصل في هذه الفئة من خلال معرفة دورة حياتها، فكل النباتات يعتمد على عدة أمور لتستمر حياتها لفترة محددة فقط، فهي بحاجة إلى الماء فإذا غاب الماء فقدت القدرة على الديمومة، وهي بحاجة إلى الهواء، والى الضوء (الشمس)، ولا يكفيها مطلقاً ما تملكه بذاتها وهو المادة الخضراء (الكلورفيل)، فالنقص الحاصل فيها واضح جلي. لذلك كله قال الواحد عز وجل ( ليس كمثله شيء) هنا يجب أن نعرف ما هو المثل للمثل ، يقول الإمام الرازي: "المثلان هما اللذان يقوم كل واحد منهما مقام الآخر في حقيقته وماهيته، وتحقيق الكلام فيه مسبوق بمقدمة أخرى فنقول: المعتبر في كل شيء، إما تمام ماهيته وإما جزء من أجزاء ماهيته وإما أمر خارج عن ماهيته، ولكنه من لوازم تلك الماهية، وأما أمر خارج عن ماهيته ولكنه ليس من لوازم تلك الماهية وهذا التقسيم مبني على الفرق بين ذات الشيء وبين الصفات القائمة به وذلك معلوم بالبديهة، فإنا نرى الحبة من الحصرم كانت في غاية الخضرة والحموضة ثم صارت في غاية السواد والحلاوة، فالذات باقية والصفات مختلفة والذات الباقية مغايرة للصفات المختلفة، وأيضاً نرى الشعر قد كان في غاية السواد ثم صار في غاية البياض، فالذات باقية والصفات متبدلة والباقي غير المتبدل، فظهر بما ذكرنا أن الذوات مغايرة للصفات. إذا عرفت هذا فنقول: اختلاف الصفات

---

[٩٤٧] الحج ١٨.

[٩٤٨] الإسراء ٤٤.

لا يوجب اختلاف الذوات البتة، لأنا نرى الجسم الواحد كان ساكناً ثم يصير متحركاً، ثم يسكن بعد ذلك، فالذوات باقية في الأحوال كلها على نهج واحد ونسق واحد، والصفات متعاقبة متزايلة، فثبت بهذا أن اختلاف الصفات والأعراض لا يوجب اختلاف الذوات ، إذا عرفت هذا فنقول: الأجسام منها تألف وجه الكلب والقرد مساوية للأجسام التي تألف منها وجه الإنسان والفرس وإنما حصل الاختلاف بسبب الأعراض القائمة وهي الألوان والأشكال والخشونة والملاسة وحصول الشعور فيه وعدم حصولها ، فالاختلاف إنما وقع بسبب الاختلاف في الصفات والأعراض، فأما ذوات الأجسام فهي متماثلة إلا أن العوام لا يعرفون الفرق بين الذوات وبين الصفات، فلا جرم يقولون إن وجه الإنسان مخالف لوجه الفرس، ولقد صدقوا فإنه حصلت تلك بسبب الشكل واللون وسائر الصفات، فأما الأجسام من حيث إنها أجسام فهي متماثلة متساوية ، فثبت أن الكلام الذي أورده إنما ذكره لأجل أنه كان من العوام وما كان يعرف أن المعتبر في التماثل والاختلاف حقائق الأشياء وماهياتها لا الأعراض والصفات القائمة بها، فقوله (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) معناه ليس مثل مثله شيء وذلك يقتضي أن لا يكون هو مسمى باسم الشيء، وعندي فيه طريقة أخرى، وهي أن المقصود من ذكر الجمع بين حرفي التشبيه الدليل الدال على كونه منزّهاً عن المثل، وتقريره أن يقال لو كان له مثل لكن هو مثل نفسه، وهذا محال فإثبات المثل له محال، أما بيان أنه لو كان له مثل لكان هو مثل نفسه فالأمر فيه ظاهر، وأما بيان أن هذا محال فلأنه لو كان مثل مثل نفسه لكان مساوياً لمثله في تلك الماهية ومبايناً له في نفسه، وما به المشاركة غير ما به المباينة. فتكون ذات كل واحد منهما مركباً وكل مركب ممكن، فثبت أنه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان هو في نفسه واجب الوجود، إذا عرفت هذا فقوله ليس مثله مثله شيء إشارة إلى أنه لو صدق عليه أنه مثل مثل نفسه لما كان هو شيئاً بناءً على ما بينا أنه لو حصل لواجب الوجود مثل لما كان واجب الوجود، فهذا ما يحتمله اللفظ"[٩٤٩].

[٩٤٩] تفسير الرازي، ج ١٣، ص ٤١٩.

هنا على الخليفة أن يفهم معنى الواحد وأن يتمثل المعنى في سلوكه، فيتخذ لنفسه منهجاً متميزاً يجعله واحداً بين الآخرين متميزا بقدرته على الفعل المميز والمتفوق والواعي دون أن يغفل عن أنه الواحد بالإضافة وأن الواحد المطلق هو الله جل في علاه.

فالواحد له الكمال المطلق الذي لم يرتق إلى قدرته أحد لأنه يملك القدرة المطلقة، فهو القادر على كل شيء، {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[٩٥٠]، وهو القادر على فعل الأشياء بما يفوق أي فعل لقادر آخر لان قدرة الآخر ناقصة لا محالة وقدرته مطلقة فهو واحد في قدرته، ويجب على الخليفة أن يكون واحد في قدرته أي أن يمتلك من الوسائل ما تجعله واحدا في قدرته، شرط أن تكون هذه الوسائل مما علمه الواحد المطلق سبحانه ، فبعض الوسائل غير المشروعة تمنح مستخدمها قدرة مميزة لكنه عند ذاك يخرج من موقع الخلافة إلى موقع المفسد في الأرض.

وهو واحد في قوته، ومما يثير النفس ويشغلها قصور الفهم عند المنكر، فلو تأمل ولو لبرهة مَنْ مِنَ الأقوياء من يملك القوة المطلقة؟ ومن منهم يملك ديمومتها؟ لعرف أنه يهيم في سراب الإنكار بغير هدى، إلا يرى أن أي قوي لابد أن يهزمه شيء! إلا يرى أن القوي يمرض، ويهرم، ويمضي به العمر إلى أرذله!

ثم إلا يرى أن القوي يُسلب القوة متى شاء الواحد في قوته سبحانه دون أن يكون لأحد قوة على رد ذلك ولا حتى المخلوق القوي نفسه، {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[٩٥١]، وعلى الخليفة أن يعرف أن القوة من مستلزمات الخلافة المهمة فلابد أن يتحلى به، فقد أمر الواحد سبحانه بالبحث عن أسبابها فقال عز من قائل: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ

---

[٩٥٠] آل عمران ١٨٩.

[٩٥١] الواقعة ٨٣-٨٧.

لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[٩٥٢]، وقد تحلى بالقوة قبله كثير من الخلفاء، فقد كان موسى عليه الصلاة والسلام قويا، {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[٩٥٣]، واكتسبها بفضل الله طالوت، {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[٩٥٤]، عليه يجب أن يبحث الخليفة عن السبل التي تجعل منه قويا بالإضافة وليس من سبيل أوثق من الحق فإذا كان على الحق ويعمل للحق وبالحق فهو قوي لا محالة لان الحق قوة والباطل ضعف ووهن.

والْوَاحدُ هو المنفرد، والتفرد بالألوهية ليس حكما إنسانيا يطلقه بني البشر لأنهم لا يملكون قدرة تأكيد هذا النعت إلا من خلال اليقين القلبي الذي لا يؤمن به البعض، ولكنه سبحانه خلق من آيات ودلائل تفرده سبحانه وتعالى ما يعجز عن رده أصحاب المنهج التجريبي المادي (الحسابات والتجارب العلمية)، فقد خلق القوانين المسيرة للأكوان كالجاذبية وغيرها وحده سبحانه وتعالى، ومن الجدير بالذكر أن عالم البحار الفرنسي جاك كروستوف عندما وصل نقطة التقاء الماء بين المحيطين فوجد أن الماء لا يختلط وهو خلاف ما يؤمن به من قوانين مادية فسأل عن ذلك وبحث فقيل له إن هذا مذكور في القران بقوله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٩٥٥]، أدرك العالم الإيمان بالله سبحانه بعد أن كان عالما ماديا، ومعنى هذه الآية أثر في عقل في هذا العالم فحصل إيمانه، وهو أن الله – تعالى – خلق البحرين، وأرسلهما بقدرته في مجاريهما، بحيث يلتقيان ويتصل أحدهما بالآخر، ومع ذلك لم يختلطا، لأن حكمة الله قد اقتضت أن يفصل بينهما، بحواجز من أجرام الأرض، أو بخواص في كل منهما، تمنعهما هذه الخواص وتلك الحواجز،

---

[٩٥٢] الأنفال ٦٠-٦١.

[٩٥٣] القصص ٢٦.

[٩٥٤] البقرة ٢٤٧.

[٩٥٥] الرحمن ١٩-٢١.

من أن يختلطا، ولولا ذلك لاختلطا وامتزجا، وهذا من أكبر الأدلة على قدرة الله تعالى، ورحمته بعباده، إذ أبقى الله – تعالى – الماء كل بخصائصه ودود اختلاط مما ينتج عنه ولاشك احتفاظ الماء بكل المكونات البيئة الخاصة به مما يعطي حياة الأحياء في هذا المحيط وهذا المحيط ديمومة.

فالماء العذب ينتفع به في الشراب للناس والدواب والنبات والماء المالح ينتفع به في أشياء أخرى ، كاستخراج الملح منه، وفى غير ذلك من المنافع .

ومن بديع صنع الله في هذا الكون ، أنك تشاهد البحار الهائلة على سطح الأرض، والأنهار الكثيرة، ومع ذلك فكل نوع منهما باق على خصائصه، مع أن كلا منهما قد يلتقي بالآخر[٩٥٦].

فهو الواحد المتفرد بالإلوهية، ولو تأمل مقال كل المدعين لما وجدت فيهم من يدعي خلق السموات والأرض، فالله جل وعلا هو المنفرد بالخلْق، ولا أحد نازعَ الله في ذلك من الجبابرة والمتكبِّرين والكَفرة والملحدين، لا أحد ادّعى أنه خلق بعوضة: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}[٩٥٧]، هذا تحدٍّ من الله سبحانه وتعالى، تحدِّ لجميع الخلق بمن فيهم المَهَرة والمهندسون والخُبراء أن يخلُقوا ذباباً، ولا يزال التحدِّي قائماً إلى يوم القيامة، فهذا دليل على أنّ الخالق هو الله.

ولان الخلْق لابدّ له من خالق، وما من أحد ادّعى أنّه خلق شيئاً من السموات ولا من الأرض، فالله هو الواحد الخالق سبحانه وتعالى.

وكذلك المشركون الذي أقرّوا أن الخالق الرّازق المحيي المدبِّر هو الله سبحانه وتعالى، واعترفوا بتوحيد الرّبوبية، ولكنّهم خالفوا في العبادة، وخالفوا في توحيد الإلوهية، فعبدوا مع الله غيره من الأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة، هؤلاء ما قدروا الله حقّ قدره، حيث

---

[٩٥٦] التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي، ج ١، ص ٤٠٤٤.

[٩٥٧] الحج ٧٣.

إنّهم أشركوا معه غيرَه في عبادته، ممن لا يخلُق ولا يرزق ولا يملك نفعاً ولا ضرًّا ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشوراً، هؤلاء ما قدروا الله حقّ قدره، حيث سوّوا به خلقاً من خلقه، وجعلوهم معبودين معه، يذبحون لهم، وينذُرون لهم، ويتبرّكون بهم، ويطوفون بقبورهم، ويتبرّكون بالأحجار والأشجار، ويعبدون الأصنام، جعلوا هذه الأصنام والجمادات، وجعلوا هؤلاء الأموات الرُّفات في القبور جعلوهم شركاء لله في العبادة، هؤلاء ما قدَروا الله حقّ قدره سبحانه وتعالى[٩٥٨].

ولفظ (واحد) يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد ومن تتبع مواقعه في القرآن و غيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفاً لموصوف ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف، قال الله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}[٩٥٩]، حكم على الناس فيما كانوا عليه بقوله (أمة واحدة) فعدم التعدد ثابت للناس باعتبار (أمة) أي لم يكونوا أمتين أو أكثر، و قد يصرح في الكلام بالمحكوم عليه و بالموصوف كما رأيت، و قد يطوى ذكر أحدهما فيعرف بالتدبر.وعلى كل حال ، فإنه يأتي على أحد معنيين:

الأول: نفي التعدد في المحكوم عليه نفسه كالمثال السابق: نفي أن يكون الناس أمتين أو أكثر.

المعنى الثاني : نفي أن يكون مع المحكوم عليه مثله أو مثلاه أو أمثاله باعتبار الموصوف فيكون المجموع متعدداً، ومن ذلك قوله تعالى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}[٩٦٠]، أي ليس معه آله آخر أو أكثر فيكون المجموع متعدداً، ومن هذا الثاني قولهم: فلان واحد في فنه . واحد زمانه ، أي لا نظير له في ذلك .

---

[٩٥٨] إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ج ٤، ص ٦٠.

[٩٥٩] البقرة ٢١٣.

٩٦٠ البقرة ١٦٣.

وفي كل الآيات جاء الواحد مع القهار في السياق، (الواحد القهار) في القرآن مقترنين معرفتين في المواضع كلها، و كل ذلك في سياق إقامة الحجة على المشركين في الإلوهية، الزاعمين أن لله شركاء في استحقاق العبادة[٩٦١].

وقد ورد اسم الواحد في كل آيات القران الكريم مقترنا باسم القهار وفي ذلك آيات ودلائل عظيمة نذكر ما مكننا الواحد من تلمسها من الآيات، فهو الواحد في الإلوهية، ودلت الآيات ذكر فيها اسم الواحد على أن الله الواحد واحد في إلوهيته مستحق للعبادة وحده دون سواه لأنه الواحد الذي يقهر كل واحد، وعليه فإذا قُهر الكل إلا الواحد استحق سبحانه وتعالى أن يعبد إلها واحداً جل في علاه، {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٩٦٢]، "فكونه تعالى واحداً يوجب عبادته، لأنه لو كان له ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والآفات عنا، فيقع الشك في أنا نعبد هذا أم ذاك ، وفيه إشارة إلى ما يدل على فساد القول بعبادة الأوثان وذلك لأن بتقدير أن تحصل المساعدة على كونها نافعة ضارة إلا أنها كثيرة فحينئذ لا نعلم أن نفعنا ودفع الضرر عنا حصل من هذا الصنم أو من ذلك الآخر أو حصل بمشاركتهما ومعاونتهما ، وحينئذ يقع الشك في أن المستحق للعبادة هو هذا أم ذاك أما إذا كان المعبود واحداً ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق للعبادة إلا هو ولا معبود للمخلوقات والكائنات إلا هو"[٩٦٣].

وليس الأصنام فقط بكل كل مدعي الألوهية، عاجزون عن استحقاق العبادة لأنهم وعلى تعدد أصنافهم واختلاف دعواهم تحت قهر الواحد جل في علاه، فهو الخالق الذي يملك الضر والنفع والموت والحياة، {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي

---

٩٦١ القائد إلى العقائد ، عبد الرحمن اليماني ، ج ١، ص ١٣٦-١٣٨.

[٩٦٢] يوسف ٣٩.

٩٦٣ تفسير الرازي، ج ٩، ص ٤٤.

الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٩٦٤] .

فالقهّار "هو الواحد الَّذي لا نظير له ولا ندّ ؛ لأنّ القهر ملازم للوحدة ، فلا يكون اثنان قهّاران متساويين في قهرهما أبدًا ؛ يقول ابن القيّم: القهر المطلق مع الوحدة متلازمان؛ فلا يكون القهّار إلاّ واحدًا؛ إذ لو كان معه كفؤ له؛ فإن لم يقهره لم يكن قهّارًا على الإطلاق، وإن قهره لم يكن كفؤًا، وكان القهّار واحدًا. فالَّذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الَّذي لا نظير له، وهو الَّذي يستحقّ أن يعبد وحده كما كان قاهرًا وحده ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٩٦٥]، فأبطل الشّرك، وقرّر إلوهيته بوحدته، وقهره لكلّ شيء[٩٦٦] .

وهو الواحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فأما ذاته فهو الواحد الفرد الصمد كما يصف نفسه سبحانه وتعالى فيقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[٩٦٧]، فالذات المتفردة ذات تأبى أن يكون لها شريك في أفعالها أو صفاتها، {إِنَّ إلهكم لَوَاحِدٌ}[٩٦٨]، {وإلهكم إله واحد}[٩٦٩]، أطلق المتصف بالواحدية التي لا يمكن أن يكون أزيد منها ولا أكمل فهو ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد خارجاً وذهناً وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للإلوهية وهو مأخوذ من كلام الرئيس أبي علي بن سينا في تفسيره السورة الجليلة حيث قال إن أحداً دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلاً لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والأجناس والفصول وكثرة الأجزاء الخارجية المتمايزة عقلاً كما في المادة والصورة والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم وذلك

---

٩٦٤ الرعد ١٦.

٩٦٥ ص٦٥.

٩٦٦ دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه ، ابن تيمية، ج ١، ص ١٠٩.

٩٦٧ الإخلاص ١-٤.

٩٦٨ الصافات ٤.

٩٦٩ البقرة ١٦٣.

يتضمن لكونه سبحانه : منزهاً عن الجنس والفصل والمادة والصورة والأعراض والإبعاض والأعضاء والأشكال والألوان وسائر ما يثلم الوحدة الكاملة والبساطة الحقة اللائقة بكرم وجهه عز وجل عن أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه[٩٧٠].

وهو واحد في القهر، والقهر فعل عظيم، فهو الذي" قهر الكل ولم يدخل في القهر ذاته وصفاته"[٩٧١]. والآيات الدال على هذا المعنى جاء في سياق عرض لحظة القهر الأعظم حيث لا حول ولا قوة لمخلوق إلا للواحد القهار، فقد جاءت في قوله تعالى : { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[٩٧٢] ، ذكر الواحد القهار ههنا، لأن الملك إذا كان لمالك واحد غلاب لا يغالب قهار لا يقهر فلا مستغاث لأحد إلى غيره فكان الأمر في غاية الصعوبة، ولما وصف نفسه سبحانه بكونه قهاراً بين عجزهم وذلتهم[٩٧٣]. ومن صور القهر المطلق للواحد سبحانه أنهم بارزون له جل وعلا بكل خطاياهم وبكل ما أسروا وأعلنوا، {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[٩٧٤]، فهو الواحد القهار، واحد في ذاته واحد في صفاته، فلا توجد ذات تجمع بين إطلاقية الصفة وبين مطلق الصفات في آن واحد إلا الله، فكل صفة لله الواحد مطلقة ليس لها بدءٌ معلوم ولا يحدها حد مُدرك فهي مطلقة، ولو نظرت إلى أي من صفاته الحسان جل وعلا وتأملت في مطلقيتها لعرفت أن لا بدء ولا انتهاء لأي من صفاته ويكفي لك أيها المؤمن أن تتذكر قول الله جل في علاه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[٩٧٥].

---

٩٧٠ تفسير الالوسي، ج ٢٣، ص ١٧٩.

٩٧١ الإنصاف للباقلاني، ج ١، ص ٥٦.

٩٧٢ إبراهيم ٤٨.

٩٧٣ تفسير الرازي، ج ٩، ص ٢٧٢.

٩٧٤ غافر ١٦.

٩٧٥ النحل ١٨.

ثم أن الله سبحانه له مطلق الصفات الحسان التي تدل عليها الأسماء الحسنى، والجمع بين مطلقية الصفة ومطلق الصفات تختص به ذات الله فقط ولا يشاركه فيه أحد ، فإذا عرفت ذلك لابد أدركت أنه الواحد، وعلى الخليفة أن يسعى إلى أن تكون صفاته مطلقة في امتثال صفات الواحد المطلق سبحانه، وأن يكون مطلق الصفات الحسنة قد ما يستطيع فلا يكتفي بصفة وينسى أخرى، أو أن يفضل صفة ويترك أخرى بل عليه كونه خليفة تحري الصفات الحسان بتحري الصفات الحسان للواحد جل وعلا ثم انتهاج نهجها والعمل بمضامينها.

والواحد واحد في أفعاله قهار لجميع خلقه داخلون تحت قدرته والسماوات مطويات بيمينه ومقهورون في قبضته وتحت سلطانه قهر اقتدار لا إله إلا هو الواحد القهار[٩٧٦].

ولأنه هو الواحد القهار فلا يحتاج إلى من يتعزَّز به، فهو واحد في قهر الحاجة إلى ما سواه فكان الاستغناء منه سبحانه وتعالى، حتى أن الأنبياء والرسل أعلنوا ذلك للناس في أول دعواهم وكما علّمهم الله الواحد سبحانه، {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٩٧٧]، ولذلك حكمة عظيمة غرضها دفع التوهم عن عقول الناس بأن هؤلاء الأنبياء والرسل ليس لهم من الأمر إلا إنذار الناس وتوجيههم إلى طريق الحق والصراط المستقيم.

كما تنزه الواحد جل في علاه عن الولد، فقال تعالى عز من قائل: {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٩٧٨]، {وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[٩٧٩]، أو الولي المشترك في الحكم، {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[٩٨٠].

---

٩٧٦ حز الغلاصم ، ج١، ص ٦٩.

٩٧٧ ص٦٥.

٩٧٨ الزمر ٣-٤.

٩٧٩ النساء ١٧١.

٩٨٠ الزمر ٣.

أو الشريك، {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[٩٨١]، فهو الله الواحد الذي لم يشرك معه أحد في حكمه، لأنه قوي عليه حكيم فيه، عليم بأسراره ودواهيه .

أو الصاحبة، {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}[٩٨٢] ، فهو الذي توحَّد بالكمال، فلم يشاركه في أفعاله وصفاته أحد.

وقد ورد في النص القرآني اسمه (الواحد) بالنص في عدة آيات، ثم ذُكر (الأحد) في آيات أخر، ولاشك أن لكل اسم منهما دلالته الخاصة مع تقارب بينهما بفعل الامتداد المطلق لدلالة كل اسم وصفة ، فما من اسم وصفة إلا وجدت أنه يلتقي بكثير من الأسماء والصفات بفعل هذا الامتداد المضموني، بل أن بعض الأسماء كاسمه الأعظم (الله) يشترك يلتقي مع جميع الأسماء والصفات ، كذلك الأحد فهو بمعنى الواحد ، أي الأحد لا يوصف به إلا الله سبحانه و تعالى ، و هو الفرد الذي لم يزل وحده و لم يكن معه آخر، و قيل: أحديته معناها انه لا يقبل التجزي لنزاهته عن ذلك، والأحد الذي لا ثاني له في ربوبيته، و لا ذاته، و لا في صفاته[٩٨٣].

والفرق بين واحد وأحد: أن معنى الواحد أنه لا ثاني له فلذلك لا يقال في التثنية واحدان كما يقال رجل ورجلان، ولكن قالوا اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر، وأصل أحد أوحد مثل أكبر وإحدى مثل كبرى فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا في إحدى إلى الكبرى ليخف وحذفوا الواو ليفرق بين الاسم والصلة وذلك أن أوحد اسم وأكبر صفة والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد مثل وعد يعد وهو واعد، والواحد هو الذي لا ينقسم في وهم ولا وجود، وأصله الانفراد في الذات ، وذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أن الواحد أول العدد، وحد الاثنين ما يبين أحدهما عن صاحبه بذكر أو عقد فيكون ثانيا له بعطفه عليه

---

٩٨١ الفرقان ٢.

٩٨٢ الجن ٣.

٩٨٣ القائد إلى العقائد، عبد الرحمن المعلمي، ج ١، ص ١٥٣.

ويكون الأحد أولا له ولا يقال إن الله ثاني اثنين ولا ثالث ثلاثة لان ذلك يوجب المشاركة في أمر تفرد به فقوله تعالى: {ثاني اثنين إذ هما في الغار}[٩٨٤] "، أنه ثاني اثنين في التناصر، وقال تعالى: {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة}[٩٨٥]، لأنهم أوجبوا مشاركته فيما ينفرد به من القدم والإلوهية.

كذلك فإن من أوجه الفرق بين الواحد والأحد، أن الواحد: الفرد الذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر. والأحد: الفرد الذي لا يتجزأ، ولا يقبل الانقسام. فالواحد: هو المتفرد بالذات في عدم المثل. وقيل: المراد بالواحد: نفي التركيب والأجزاء الخارجية والذهنية عنه تعالى، وبالأحد: نفي الشريك عنه في ذاته وصفاته[٩٨٦].

وقال بعض أصحاب المعاني الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط والأحد يفيده بالذات والمعاني، وعلى هذا جاء في التنزيل قل هو الله أحد أراد المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته تعالى الله علوا كبيرا[٩٨٧].

"ومَعْنَى الْوَاحِدِ يَحْتَمِلُ وُجُوهًا:

الأول: أَنَّهُ لا قَدِيمَ سِوَاهُ وَلا إِلَهَ سِوَاهُ ، فَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ، فَيَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ الْعَدَدِ ، وَتَبْطُلُ بِهِ وَحْدَانِيَّتُهُ.

وَالثاني: أَنَّهُ وَاحِدٌ بِمَعْنَى أَنَّ ذَاتَهُ ذَاتٌ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّكَثُّرِ بِغَيْرِهِ، وَالإِشَارَةُ فِيهِ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلا عَرَضٍ، لأَنَّ الْجَوْهَرَ قَدْ يَتَكَثَّرُ بِالانْضِمَامِ إِلَى جَوْهَرٍ مِثْلِهِ ، فَيَتَرَكَّبُ مِنْهُمَا جِسْمٌ ، وَقَدْ يَتَكَثَّرُ بِالْعَرَضِ الَّذِي يُحِلُّهُ، وَالْعَرَضُ لا قِوَامَ لَهُ إِلاَّ بِغَيْرٍ يُحِلُّهُ وَالْقَدِيمُ فَرْدٌ لا يَجُوزُ عَلَيْهِ حَاجَةٌ إِلَى غَيْرِهِ، وَلا يَتَكَثَّرُ بِغَيْرِهِ، وَعَلَى هَذَا لَوْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى الْوَاحِدِ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ لَكَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا وَلَرَجَعَ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ وَلا عَرَضٍ ، لأَنَّ قِيَامَ الْجَوْهَرِ بِفَاعِلِهِ وَمُبْقِيهِ، وَقِيَامُ الْعَرَضِ بِجَوْهَرِهِ يُحِلُّهُ .

---

٩٨٤ التوبة ٤٠.

٩٨٥ المائدة ٧٣.

٩٨٦ الفروق اللغوية ١، ٥٦٦.

٩٨٧ تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ج ١، ص ٥٨.

وَالثَّالِثُ : أَنَّ مَعْنَى الْوَاحِدِ هُوَ الْقَدِيمُ ، فَإِذَا قُلْنَا الْوَاحِدُ، فَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ، هُوَ الْقَدِيمُ لأَنَّ الْقَدِيمَ مُتَّصِفٌ فِي الأَصْلِ بِالإِطْلاقِ السَّابِقَ لِلْمَوْجُودَاتِ ، وَمَهْمَا كَانَ قَدِيمًا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَيْرُ سَابِقٍ بِالإِطْلاقِ، لأَنَّهُ إِنْ سَبَقَ غَيْرَ صَاحِبِهِ فَلَيْسَ بِسَابِقٍ صَاحِبَهُ، وَهُوَ مَوْجُودٌ كوُجُودِهِ"[٩٨٨].

والواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى، أما الذي لا يتجزأ فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال إنه واحد بمعنى أنه لا جزء له وكذا النقطة لا جزء لها والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام في ذاته، وأما الذي لا يتثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلا فإنها وإن كانت قابلة للانقسام بالوهم متجزئة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير فإن كان في الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا لا يتصور أن يشاركه غيره فيه أصلا فهو الواحد المطلق أزلا وأبدا.

والعبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى[٩٨٩].

والواحد هو المتعالي عن الغير، فهو "الواحد الذي يمتنع أن يحصل له ضد وند وشريك ونظير، وأقول: الحق سبحانه له صفتان أحدهما : استغناؤه في وجوده وفي جميع صفات وجوده عن كل ما سواه الثاني : افتقار كل ما سواه إليه في وجوده وفي صفات وجوده"[٩٩٠]، فلا أثر للغير فيه بل الواحد يؤثر في الكل، وهذا ليس على وجه الافتراض وإنما من طبيعة العلاقة بين الواحد وبين ما سواه، فالواحد له الكمال المطلق، أي انتفاء النقص فيه بالمطلق. فالواحد هو المتفرّد بمعاني الكمال؛ فليس له مثل في ذاته، ولا نظير في صفاته ، ولا شريك في أفعاله ؛ ولهذا فإنّه المستحقّ وحده لجميع معاني الإخلاص ؛ فلا شريك له ولا ندّ في

---

٩٨٨ الأسماء والصفات ، البيهقي، ج ١، ص ٥٠.

٩٨٩ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، الغزالي، ج ١، ص ١٣٣

٩٩٠ تفسير الرازي، ج ١٣، ص ٣٢١.

عبادة ظاهرة أو باطنة، يقول ابن تَيْمِيَّة: الله سبحانه منزّه عن أن يوصف بشيء من الصّفات المختصّة بالمخلوقين، وكلّ ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله منزّه عن كلّ نقص ، ومستحقّ لغاية الكمال ، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزّه عن النّقص مطلقًا ، ومنزّه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[٩٩١] ؛ فبيّن أنّه أحد صمد ، واسمه الأحد يتضمّن نفي المثل ، واسمه الصّمد يتضمّن جميع صفات الكمال[٩٩٢].

وهذا الكمال لا عن إضافة ولاعن اتحاد، فالكمال كامن في الذات، منعدم فيها العجز عن فعل أو قول، وكل ذات لا يعجزها فعل أو لا يعيها قول تتصف بالكمال، وما من ذات لها هذه الصفة إلا ذات الله فهو الواحد.

وكمال الواحد لم يكن عن إضافة، فما من مخلوق وإن عظم شأنه قادر على أن يضيف لهذه الذات شيئا، يقول الواحد: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}[٩٩٣]، {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[٩٩٤]، فالكفر لا يؤثر في الذات ولا يسلب منها شيء، وكذلك الإيمان الذي هو مطلب الذات فليس له أثر فيها ولا يضيف لها شيء وإنما يكون أثره في المؤمن: {إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}[٩٩٥].

ولا عن اتحاد، فكمال الواحد سبحانه لم يكن عن اتحاد مع ذوات أخرى لانتفاء مقومات الاتحاد، وذلك لانعدام وجود ذات مطابقة ومماثلة لذات الواحد جل في علاه، وهو أمر حاول

---

٩٩١ الإخلاص ١-٤.

٩٩٢ دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، ابن تيمية، ج ١، ص ١٠٨.

٩٩٣ آل عمران ١٤٤.

٩٩٤ آل عمران ١٧٦.

٩٩٥ الزمر ٤١.

بعض من تولى الشرك على عقولهم أن ينسبوه للواحد سبحانه وكما يقول عنهم جل في علاه: {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ}[٩٩٦]. ثم قال تعالى: {لَّوْ أَرَادَ الله أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاصطفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سبحانه هُوَ الله الواحد القهار}[٩٩٧]، والمراد من هذا الكلام إقامة الدلائل القاهرة على كونه منزهاً عن الولد وبيانه من وجوه الأول : أنه لو اتخذ ولداً لما رضي إلا بأكمل الأولاد وهو الابن فكيف نسبتم إليه البنت الثاني: أنه سبحانه واحد حقيقي والواحد الحقيقي يمتنع أن يكون له ولد، أما أنه واحد حقيقي فلأنه لو كان مركباً لاحتاج إلى كل واحد من أجزائه وجزؤه غيره، فكان يحتاج إلى غيره والمحتاج إلى الغير ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يكون واجب الوجود لذاته، وأما أن الواحد لا يكون له ولد فلوجوه الأول: أن الولد عبارة عن جزء من أجزاء الشيء ينفصل عنه، ثم يحصل له صورة مساوية لصورة الوالد. وهذا إنما يعقل في الشيء الذي ينفصل منه جزء والفرد المطلق لا يقال ذلك فيه الثاني: شرط الولد أن يكون مماثلاً في تمام الماهية للوالد فتكون حقيقة ذلك الشيء حقيقة نوعية محمولة على شخصين ، وذلك محال لأن تعيين كل واحد منهما إن كان من لوازم تلك الماهية لزم أن لا يحصل من تلك الماهية إلا الشخص الواحد، وإن لم يكن ذلك التعيين من لوازم تلك الماهية كان ذلك التعيين معلوماً بسبب منفصل، فلا يكون إلهاً واجب الوجود لذاته. فثبت أن كونه إلهاً واجب الوجود لذاته يوجب كونه واحداً في حقيقته، وكونه واحداً في حقيقته يمنع من ثبوت الولد له، فثبت أن كونه واحداً يمنع من ثبوت الولد الثالث: أن الولد لا يحصل إلا من الزوج والزوجة والزوجان لا بد وأن يكونا من جنس واحد ، فلو كان له ولد لما كان واحداً بل كانت زوجته من جنسه، وأما أن كونه قهاراً يمنع من ثبوت الولد له ، فلأن المحتاج إلى الولد هو الذي يموت فيحتاج إلى ولد يقوم مقامه، فالمحتاج إلى الولد هو الذي يكون مقهوراً بالموت ، أما الذي يكون قاهراً ولا يقهره غيره كان الولد في حقه

---

٩٩٦ الزخرف ١٥.

٩٩٧ الزمر ٤.

محالاً ، فثبت أن قوله (هُوَ الله الواحد القهار) ألفاظ مشتملة على دلائل قاطعة في نفي الولد عن الله تعالى[٩٩٨].

ولم يكن الكمال عن طلب لان الواحد غني وغيره من المخلوقات فقراء إليه، وهذه حقيقة لم يستطع ضعفاء الإيمان تقبلها فقالوا بهتاناً كما يخبرنا عنهم الواحد جل في علاه: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّـهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}[٩٩٩].

"إن هذا الإله الواحد لا بد وأن يكون كاملاً في صفات الإلهية ، فلو فرضنا إلهاً ثانياً لكان ذلك الثاني إما أن يكون مشاركاً للأول في جميع صفات الكمال أو لا يكون، فإن كان مشاركاً للأول في جميع صفات الكمال فلا بد وأن يكون متميزاً عن الأول بأمر ما، إذ لو لم يحصل الامتياز بأمر من الأمور لم يحصل التعدد والإثنينية، وإذا حصل الامتياز بأمر ما فذلك الأمر المميز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون. فإن كان من صفات الكمال مع أنه حصل الامتياز به لم يكن جميع صفات الكمال مشتركاً فيه بينهما، وإن لم يكن ذلك المميز من صفات الكمال ، فالموصوف به يكون موصوفاً بصفة ليست من صفات الكمال، وذلك نقصان ، فثبت بهذه الوجوه الثلاثة أن الإله الواحد كاف في تدبير العالم والإيجاد، وأن الزائد يجب نفيه فهذه الطريقة هي التي ذكرها الله تعالى ههنا في تقرير التوحيد"[١٠٠٠]. يقول الواحد سبحانه وتعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[١٠٠١].

---

٩٩٨ تفسير الرازي ١٣، ٢٢٦.

٩٩٩ آل عمران ١٨١.

١٠٠٠ تفسير الرازي، ج ٦، ص ٤١٣.

١٠٠١ النحل ٥١-٥٥.

"فالله تعالى هو الواحد الأحد، الذي توحد بجميع الكمالات، بحيث لا يشاركه فيها مشارك، وهو الذي توحد في إلوهيته، وأسمائه، وصفاته، وربوبيته، وهو الذي ليس كمثله شيء، ولم يتخذ زوجة ولا ولداً"[١٠٠٢].

واسم الواحد إذا جاء بنص لفظ (الواحد) فهو اسم من الأسماء الحسنى لان المعرفة تفيد الخصوص وكذلك التعيين، أما إذا جاء برسم لفظي مجرد من آل فأنه صفة لأنها تفيد العموم والإطلاق وهو ما يليق بالصفة وهذا مثبت في الآية الكريمة وفي تفسيرها عند المفسرين، يقول الواحد جل في علاه: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[١٠٠٣]، والآية لإثبات وحدانيته تعالى، وقيل: الخطاب للكاتمين ، وفيه انتقال عن زجرهم عما يعاملون رسولهم إلى زجرهم عن معاملتهم ربهم حيث يكتمون وحدانيته، ويقولون: عزير، وعيسى ابنان لله عز وجل، وفيه أنه وإن حسن الانتظام إلا أنه فيه خروج شأن النزول عن الآية وهو باطل وإضافة إله إلى ضمير المخاطبين باعتبار الاستحقاق لا باعتبار الوقوع فإن الآلهة الغير المستحقة كثيرة ، وإعادة لفظ إله وتوصيفه بالوحدة لإفادة أن المعتبر الوحدة في الإلوهية ، واستحقاق العبادة ، ولولا ذلك لكفى وإلهكم واحد فهو بمنزلة وصفهم الرجل بأنه سيد واحد، وعالم واحد، وقال أبو البقاء: إله خبر المبتدأ، و(واحد) صفة له ، والغرض هنا هو الصفة إذ لو قال: وإلهكم واحد لكان هو المقصود إلا أن في ذكره زيادة تأكيد، وهذا يشبه الحال الموطئة كقولك: مررت بزيد رجلاً صالحاً، وكقولك في الخبر: زيد شخص صالح، ولعل الأول ألطف، وأكثر الناس على أن الواحد هنا بمعنى لا نظير له ولا شبيه في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وقيل إن المراد به ما ليس بذي أبعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزئة أصلاً، وليس المعنى به هنا مبدأ العدد ، وأصح الأقوال عند ذوي العقول السليمة أنه الذي لا نظير له ولا شبيه له في استحقاق العبادة وهو مستلزم لكل كمال[١٠٠٤].

---

١٠٠٢ الوجيز في أسماء الله الحسنى ، الزجاج، ج ١، ص ١٨.

١٠٠٣ البقرة ١٦٣.

١٠٠٤ تفسير الالوسي، ج ٢، ص ٨١.

وفي كل الآيات التي ذكر الله فيها لفظة(واحد) تدل دلالة واضحة على الصفة لا على الاسم، ونعتقد أنه من المفيد لأولي الألباب ذكر الآيات الكريمة وبعض آراء المفسرين لإثبات ما ذهبنا إليه وعلى النحو الآتي:

– {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[١٠٠٥]. يقول الزمخشري: "(مَا تَعْبُدُونَ) سؤال عن صفة المعبود"[١٠٠٦]، ويقول الالوسي: "إلها واحدا بدل من (إِلَهِ آبَائِكَ) والنكرة تبدل من المعرفة بشرط أن توصف"[١٠٠٧]، فواحد هي صفة الإله والمقصود هو الله جل في علاه.

– {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[١٠٠٨]، ويقول البغوي عن هذه الآية:" أن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٠٠٩] .

– {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[١٠١٠]، يقول أبو السعود: "قوله تعالى: {وَمَا مِنْ إله إِلاَّ إله واحد} أي والحال أنه ليس في الوجود ذاتُ واجبٍ مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأُ جميعِ الموجودات إلا إله موصوفٌ بالوحدانية متعالٍ عن قَبول الشِرْكة"[١٠١١] .

– {إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}[١٠١٢]، وقال ابن عادل في اللباب: "أظهرهما: أنها كافَّةٌ ل (إنَّ) عن عملها، و (هو) مبتدأ، و(إله) خبر، و(واحد) صفته"[١٠١٣].

---

١٠٠٥ البقرة ١٣٣.

١٠٠٦ تفسير الزمخشري، ج ١، ص ١٣٦.

١٠٠٧ تفسير الالوسي، ج ٢، ص ١٨.

١٠٠٨ البقرة ١٦٣.

١٠٠٩ تفسير البغوي، ج ١، ص ١٧٦.

١٠١٠ المائدة ٧٣.

١٠١١ تفسير أبي السعود، ج٣، ص ٦٦.

١٠١٢ الأنعام ١٩

١٠١٣ تفسير اللباب لابن عادل، ج ٦، ص ٣٧٦.

- {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[١٠١٤] .
- {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ}[١٠١٥] .
- {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}[١٠١٦] .
- {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[١٠١٧] .
- {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[١٠١٨] .
- {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}[١٠١٩] .
- {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[١٠٢٠]
- {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ}[١٠٢١].
- {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}[١٠٢٢] .

وتُظهر هذه الآيات الكريمة أن واحد صفة لله لأنه دال على بعض أحوال الذات، فهو واحد صفته وهو رحمن رحيم رؤوف عظيم كريم تواب غفور وغيرها من صفاته الحسان، أما الواحد

---

١٠١٤ إبراهيم ٥٢.
١٠١٥ النحل ٢٢.
١٠١٦ النحل ٥١.
١٠١٧ الكهف ١١٠.
١٠١٨ الأنبياء ١٠٨.
١٠١٩ الحج ٣٤.
١٠٢٠ العنكبوت ٤٦.
١٠٢١ فصلت ٦.
١٠٢٢ التوبة ٣١.

فهو اسمه الذي يدل عليه سبحانه وتعالى، فعندما تقول سبحان الواحد فأنت تقصد ذات الواحد، لان الواحد اسمه الدال عليه أي على كل الذات. ولو تأملنا الآيات التي ورد فيها اسم الواحد جل وعلا لاستيقنا أكثر ولوضحت الرؤيا أكثر لمن غفل عن هذا المعنى:

- {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[١٠٢٣].

- {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[١٠٢٤].

- {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[١٠٢٥].

- {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[١٠٢٦].

- {لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[١٠٢٧].

- {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[١٠٢٨].

هذه الآيات كلها تذكر اسم الله الواحد المقترن باسمه القهار، وفي كل هذه الآيات تختفي دلالة الصفة لتظهر دلالة الاسم مناسبةً للسياق فيها.

الرب الواحد توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله، ومنها الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم ، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد

---

١٠٢٣ يوسف ٣٩.

١٠٢٤ الرعد ١٦.

١٠٢٥ إبراهيم ٤٨.

١٠٢٦ ص ٦٥.

١٠٢٧ الزمر ٤.

١٠٢٨ غافر١٦.

أن يؤمن بذلك كله[١٠٢٩]. قال تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا}[١٠٣٠] .

وكما هو الواحد واحد في ذاته واحد في صفاته واحد في أفعاله، فهو الواحد في أقواله، ويشمل القول المضمون والرسم، فعلى سبيل المضمون فإن أقوال الواحد هي المنهاج والشرع الذي يصلح لكل زمان وكل مكان، لما فيه من رؤية العارف بأحوال البشر، المحصي لقدراتهم، المطلع على أسرارهم، القادر على سماعهم، والقوي على حاجاتهم، الشاكر لطاعاتهم، والقاهر لغرورهم.فنهجه واحد لأنه من الواحد عز وجل، فكل الألواح والكتب التي أرسل الواحد سبحانه الرسل والأنبياء منذرين ومبشرين بها حملت في طياتها مضموناً واحداً، بدءاً من صحف إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[١٠٣١]، إلى قرآن محمد: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ}[١٠٣٢]، فصحف إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيها من قرآن محمد صلى الله عليه وسلم ، وقرآن محمد فيه من صحف إبراهيم لأنهما يمثلان القول الثابت من الواحد سبحانه وتعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[١٠٣٣]، ولكن ما يختلف فيه أن القرآن هو خاتم الكتب لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل مما يفضي ولابد إلى أن يكون القرآن مفصلا وجامعا لكل المضامين التي يريدها الواحد جل وعلا، {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[١٠٣٤]، وأن يكون محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[١٠٣٥]، فمضمون القول واحد لان المرسل واحد وباقٍ وقيوم ودائم هو الله فكان لزاما أن يكون المضمون واحد

---

١٠٢٩ أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ج ١، ص ١٥.

١٠٣٠ يوسف ٣٩-٤٠.

١٠٣١ الأعلى ١٩.

١٠٣٢ النمل ٦.

١٠٣٣ إبراهيم ٢٧.

١٠٣٤ يونس ٣٧.

١٠٣٥ الأنبياء ١٠٧.

ولو كان من غير الله لوجد من يقرأ هذا القول اختلافاً كبيرا، { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[١٠٣٦]، أما المتلقي فمتغير وبناءً على تغيره هذا أصدر أحكاماً متغيرة، تتمثل بالإيمان من فريق والكفر من فريق آخر، فأما الكفر فمصدره الادعاء بالاختلاف، فكل رسول يرسل إلى قوم يواجهه الكفار بالرفض لأنه يغاير ما يعرفون من عقائد، مما يدفعهم إلى التكذيب والكفر، {كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ}[١٠٣٧]، ولم يختلف التكذيب بين المشركين والمؤمنين، فعندما بعث الله سيدنا إبراهيم إلى قومه ممن كانوا يعبدون الأوثان من المشركين كذبوه، {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[١٠٣٨]، وعندما بعث الله عيسى بعد موسى كذبه اليهود من كانوا يؤمنون بالله الواحد القهار، {وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ}[١٠٣٩]، بل اختلف المؤمنون من اليهود والنصارى أكثر من ذلك إلى حد نفى كل منهم شريعة الآخر عندما وصفها بما لا يليق بها وكما يخبرنا العليم الخبير جل في علاه: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}[١٠٤٠]، واضحة هي دلالة الإطلاق في

---

١٠٣٦ النساء ٨٢.

١٠٣٧ المائدة ٧٠.

١٠٣٨ الشعراء ٦٩-٨٣.

١٠٣٩ البقرة ٨٧.

١٠٤٠ البقرة ١١٣.

الآية أي عموم اليهود وعموم النصارى وهم من ينطبق عليهم الاختلاف في الواحد وهو ما يؤكده قوله تعالى (وَهُمْ يَتْلُونَ الكتاب) ، "فالواو للحال، والكتاب للجنس. أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلوم والتلاوة للكتب، وحق من حمل التوراة أو الإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد لصحته، فإن التوراة مصدقة بعيسى عليه السلام، والإنجيل مصدق بموسى عليه السلام"[١٠٤١].

وكذلك الأمر بالنسبة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد واجه الرفض من المؤمنين من اليهود والنصارى على حد سواء، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}[١٠٤٢].

واختلاف المؤمنين في الواحد ما هو إلا بسبب المتغير الذهني الحاصل لديهم مع عجز عن إدراك حقيقة وحدة المضمون لقائل واحد سبحانه وتعالى عما يشركون هو رب العالمين، {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[١٠٤٣]، وقوله تعالى رَبّ العالمين يدل على أن ذلك الإله واحد، وأن كل العالمين ملكه، وليس في العالم إله سواه، ولا معبود غيره، وقوله الرحمن الرحيم يدل على أن الإله الواحد الذي لا إله سواه موصوف بكمال الرحمة والكرم والفضل والإحسان قبل الموت وعند الموت وبعد الموت[١٠٤٤].

---

١٠٤١ تفسير الرازي ٢، ٢٩١.

١٠٤٢ آل عمران ٦٤-٧٠.

١٠٤٣ الفاتحة ٢-٣.

١٠٤٤ تفسير الرازي، ج ١، ص ٢٤٥.

والخليفة بكل تأكيد هو متغير أيضا لان الباقي هو الله الواحد سبحانه ، ولكن يجب أن يسعى الخليفة أن يكون متغير واعي مدرك لطبيعة التغير واتجاهه حتى لا يشت عن الصراط الذي أراده الواحد له، فالخليفة عليه أن يكون واحداً في الرحمة والكرم والفضل والإحسان، فيجعل من اتصافه بهذه الصفات أنموذجا يُقتدى به في كل حين وعلى كل صعيد، وأن يكون واحداً في إتباع منهج الواحد سبحانه حتى يتأمل من حوله في امتثاله لهذا النهج وتمثله لمنهج الواحد جل وعلا في النظر إلى الأشياء وتأمل ما في صعدها ثم الحكم بما أمر الواحد جل في علاه واحداً أحدا فردا صمدا.

اللهم إنك الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، اللهم إنك الواحد الذي تتعدد صفاته الحسان ولا يتعدد، وتتعدد معجزاته وهو الواحد لا يتعدد.

اللهم إنك الواحد الذي لا بداية إلا به والآخر الذي لا نهاية إلا به، وإنك الواحد قبل الآحاد والآخر بعد الجموع، والواحد قبل الحياة والواحد بعد الممات والواحد بعد البعث سبحانك لا إله إلا أنت الواحد الأحد.

اللهم إنك الواحد الذي لا شريك له في الملك، والواحد الذي لا شريك له في العرش، والواحد الذي لا شريك له في الخلق، والواحد الذي لا شريك له في البعث والواحد الذي لا شريك له في الأمر.

اللهم يا الواحد نشهد إنك أنت الواحد القهار، وإنك الواحد العزيز الجبار، وإنك الواحد الملك المتعال، وإنك الواحد الرحمن الرحيم الذي كلما دعى بأسمائه الحسنى استجاب، اللهم يا الواحد ندعوك بأسمائك الحسنى أن ترحمنا وتطهرنا من كل دنس وتفتح لنا السبل للإصلاح والفلاح والإعمار والكسب الحلال يا الله.

# الصمد

الصمد الكامل في سؤدده، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكم الذي قد كمل في حكمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، إنه الله سبحانه وتعالى. وهذه صفة لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤ ولا كمثله شيء[١٠٤٥].

الصمد "الَّذِي تَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا وَتَقْصِدُهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهَا وَمُهِمَّاتِهَا"[١٠٤٦]

الصمد هو الذي لا يكون في حاجة، ولذا لا يوصف بما هو مادي وهو دائما أعلى وأعظم فلا يقارن بشيء سبحانه لا إله إلا هو وأحد أحد صمد.

"اسمه (الصمد) يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه"[١٠٤٧].

الصمد: "الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد"[١٠٤٨].

الصَّمَدُ: هو "السيد الذي قد كمُل في سُؤدَده، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبَّار الذي قد كمل في جبروته، والعليم

---

[١٠٤٥] جامع الرسائل – ج ١ ، ص ٣١٢.

[١٠٤٦] شرح العقيدة الواسطية، ج ١، ص ٦٦.

[١٠٤٧] أولياء الرحمن، من وأولياء الشيطان، ج ١، ص ٧٢.

[١٠٤٨] تفسير الطبري – ج ٢٤ ، ص ٦٩١.

الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له، وقال آخرون: بل هو الباقي الذي لا يفنَى"[١٠٤٩].

الصمد وهو من أسماء الله الحسنى الذي لم يرد إلا مرة وأحدة في سورة تشتمل على أركان التوحيد ومبادئ الإخلاص لله تعالى وهي سورة الإخلاص في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد}[١٠٥٠]. نزلت هذه السورة الكريمة على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتجيب على سؤال الكفرة والمشركين حينما طلبوا من الرسول أن يصف لهم ربه، فنزل قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد)، وقل: فعل أمر لمحمد بأن يقول للمشركين إن ربه هو الله، الموصوف بأسمائه الحسنى، والله تعني المجرد من المشاهدة فهو يَرى ولا يُرى، أي أنَّه لم يكن مادة ولا من مادة، هو الله الذي خَلق من يفكر فيه حتى يدركه هو كما هو، وذلك حتى لا يكون اللبس مع الإله الذي يتخذه المشرك ربا، وهو المخلوق من المادة التي خلقها الله، ولهذا فإن الإله هو المأخوذ من الشيء، والشيء من خلق الله، ولهذا جاء قوله عز وجل للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إجابة مأمورة (قل)، هو الباقي الدائم الأعلى والأعظم، ولهذا من صفاته إنه الخالق والخلاق، أي خالق الشيء وخالق من الشيء أشياء.

نزلت هذه السورة الكريمة لتجيب على سؤال الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعدما سألوه عن إلهه من يكون فنزلت هذه السورة المباركة على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، تأمره بقراءتها وقولها إجابة لمن قدّم السؤال: (من إلهك يا محمد)؟.

كان سؤالهم عن الإله، وهذا لسان حالهم، حيث أنهم يؤمنون بالآلهة، التي هي من اختياراتهم كالشمس والقمر والنجوم والنار، أو من أيديهم الصانعة لها كالأصنام، ولأن لسان حالهم وإيمانهم هو وجود الإله القريب لمشاهداتهم وحواسهم. لذا لم يرتق تفكيرهم إلى الله المجرد من

---

[١٠٤٩] المصدر السابق، ج ٢٤ ، ص ٦٩٢.

[١٠٥٠] – الإخلاص ١ – ٤.

المشاهدة المادية كما كانوا يعتقدون. فكانت الإجابة في قوله تعالى قل لهم يا محمد أنه: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}[١٠٥١] أي أنا الله الذي لا مثيل له مما يعتقدون ويتوقعون أو لا يتوقعون.

وبما أنه الواحد الذي لا يماثله شيء.

إذن الواحد الذي لا يماثله شيء لا يمكن أن يشتق من شيء.

والقاعدة تقول لا يشتق شيء من شيء إلا وهو على حالة من التماثل معه. ولذا من يقبل بأن اسم الله مشتق من اسم إله فعليه أن يقبل بالتماثل مع المشتق منه، وإذا قبل بذلك يجد نفسه على غير قاعدة.

ولأن الإله مخلوق (القمر والنجوم والشمس والنار والأصنام وغيرها مما اتخذ آلهة من دون الله). ولأن الله هو الخالق. إذن كيف يؤمن الإنسان باشتقاق الخالق من المخلوق؟!!.

ولذلك لا أحد يتماثل مع الله عز وجل، فالذي لم يكن له كفؤا أحد، ليس مثله شيء ولا تدركه الأبصار فلا يماثله شيء لا في الذات ولا في الصفات ولا في الاسم. وعلينا أن نتبيّن الفرق بين الاسم والمسمى، فالاسم اسم الله، والمسمى الآخر (الإله مسمى)، و (أسماؤنا مسميات)، أما الله فلم يسمه أحد، حتى يقال عنه المسمى، فاسمه عز وجل في ذاته. {إنه أنا الله العزيز الحكيم}[١٠٥٢]. إذن بما أنه قال تعالى: (أنا الله) والله لا يماثله شيء في الصورة ولا المضمون ولا الاسم. إذن (لا إله إلا الله). أي لا إله من دونه (لا معبود بحق من دونه) فلا وجود لمن يستحق العبادة غيره، فالذي سُمي بالإله يقول الله ليس هو أنا ولهذا قال تعالى: (لا إله إلا الله) أي لا إله غيري، وبالتالي من تعتقدوا بأنه أنا فهو لم يكن كذلك (لا إله إلا الله) ولهذا نهى الله العباد عن اختيار آلهة من دونه، حيث لا وجود لمن تعتقدون بأنه الله غيري، فأنا الله. أما أولئك الذين اتخذتموهم من دوني فهم ليس أنا، وهذه تحمل في مضمونها حكم وجوبي لتركهم، ومن لم يترك هذا الأمر ويتخلى عنه سيكون مشركا، {الله لا إله إلا هو له

---

[١٠٥١] طه، ١٤.

[١٠٥٢] الشعراء ، ٩.

الأسماء الحسنى}[١٠٥٣] ولهذا لا يعد الإله من أسماء الله الحسنى، بل الإله مسمى من قبل البشر وبالتالي جاء الخطاب على لسان حال الذين أطلقوا هذا المسمى (المعبود) الذي يقبل التعدد. ولذلك فالله هو الواحد الأحد الذي تتعدد صفاته التي بها يُسمى وهو لا يتعدد. وهنا يتضح الفرق بين اسم الله وبين بقية أسمائه التي يتصف بها ويحق لنا أن نسميه بها ما يجعله المسمى بصفاته الحسنى.

أما ألله تعالى فهو الاسم الأعظم المطلق الذي لا يقتصر على صفة أو خاصية وأحدة، بل هو الذي تتعدد فيه الصفات التي يتضمنها ويحتويها في أسمائه الحسنى، والتي إن نعدها لا نحصيها، {وإن تَعُدّوا نعمة الله لا تُحصُوها}[١٠٥٤] وهذا لا يعني أن نعمة الله غير محصية، بل تعني أن قدراتنا المحدودة لا تستطيع حصرها وعدها، مع أنّ الله أحصى كل شيء وعده عدَّ كما جاء في قوله تعالى: {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدًّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا}[١٠٥٥].

إذن بالنسبة لله كل شيء مسجل إحصاءً وتعدادا، أما بالنسبة لنا نحن بني الإنسان فغير قادرين على ذلك، وإلا هل هناك من يستطيع أن يحصي ما تراه العين أو يُحسُّ به وما لا تراه العين ولا يُحسُّ به مع أنه موجود من حولنا وعلى مقربة منا، وكذلك يمتد إلى ما يبعد عنّا إلى مالا نهاية حيث قدراتنا القاصرة أمام مقدرته تعالى؟.

ينتفي التماثل مع الله في الفعل والاسم والذات والصفة وفي كل شيء، {هو الله الذي لا إله إلا هو}[١٠٥٦]. لا إله نفي، لاعتقاد ظني في إله يفيد ويضر، أو يقرِّب من ويبعد عن، مع تأكيد على الوحدانية (هو الله). واستثناء الإله الذي ينسب إلى الذين ألهوه باختياراتهم أو لرغباتهم وحسب ظنونهم. ولذا فإن اسم الإله يرتبط بتأليه (تعلّق) من البشر لغير الله. أمَّا

---

[١٠٥٣] طه، ٨.

[١٠٥٤] . إبراهيم، ٣٤.

[١٠٥٥] . مريم، ٩٣ . ٩٥.

[١٠٥٦] . الحشر، ٢٢.

اسم الله تعالى فلا يرتبط بالإله إلا لسبب تقريب المعنى والدلالة للذين يظنون باعتقاداتهم في الآلهة حتى يتبين لهم المعنى المرشد إليه وهو الله.

إذن لا إله إلا الله، تعني لا معبود بحق إلا الله، ولذا فإنَّ الإله ليس هو الله، وبما أنه ليس هو الله. إذن لا يُمكن أن يكون من اشتقاقاته، (ليس من اشتقاقات اسم الله). الإله مسمى بشري أطلقوه البشر على ما يعبدون، أما أسم الجلالة (الله) مسمى ذاتي مصداقا لقوله تعالى في سورة الشعراء: {أنا الله} ولهذا اسمه غير مشتق، ولا يُشتق منه مسمى. فلو سلمنا بأنه بالإمكان أن يشتق منه مسمى نسلم أيضا في الوقت ذاته بالتعدد، وهذا أمر مستحيل حيث الله وأحد لا يتعدد ولا شريك له.

ولذلك جاء اسم الله اسم علم ليدل على ذاته، ومجموع صفاته الحُسنى. وهذا ما يخالف ما ورد في بعض المشتقات اللغوية التي تسند اسمه تعالى إلى اشتقاق من (أَلَه) التي تعني التحيّر في وعدم الاهتداء إلى، ويقال أنه مشتق من (الوله) وهو ذهاب العقل والحب الشديد، الذي قد يؤدي إلى ذهاب العقل من التعقل. ويقال أنه مشتق من (لاه) ولهذا جاءت (ألَه وألوهة وألاهة) وهذه تدل على أن الإله هو المعبود بحق أو بباطل، كما ورد في كتاب القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى[١٠٥٧].

وعليه، قل: فعل أمر ملزم القول لمن يقال له وهو مؤمن، ولهذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنزل في سورة الإخلاص، وهو القول الحق. والله وأحد لا يتكرر ولا يتعدد ولهذا فهو الواحد الأحد، إي هو الذي لا يبدأ العدد إلا به ولذا فهو الأول والآخر، فلا وجود لإله يعبد وحده لا شريك له إلا هو، أي لا وجود لغيره، إنه الواحد الذي لا يثنى ولا يجمع، ولهذا فهو وأحد أحد.

والصمد هو الواحد، وهو الواحد الذي لا يتصف بالميلاد بالمطلق (لم يلد ولم يولد)، ولأنه كذلك لا يتصف به أحد، (لم يكن له كفوا أحد) فهو وأحد في ذاته جل جلاله، لا شبيه ولا

---

[١٠٥٧] . مجدي صور الشورى ، الق، ول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. الق، اهرة، مكتبة العلم، ١٩٩٩م، ص ٢٩.

مثيل في الصفات، ولا قريب من أبوة وأمومة ولا وريث من أبناء وأحفاد، إنه الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

والصمد هو الثابت على الوحدانية والخالي من الشبه والمثيل، وهو الذي لم يلد ولم يولد، لا إله إلا هو.

والصمد هو الحي الباقي على الوحدانية فهو لا يثنى ولا يجمع ولا يشتق منه شيء لأنه لم يكن شيئا لتشتق منه الأشياء، إنه الخالق الذي خلق الشيء وخلق منه أشياء تثنى وتجمع، ولا تحصى إلا منه وحده قال تعالى: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[١٠٥٨].

الصمد هو الذي تُستمد منه الصفات ولا يستمد منها، والصامد الثابت الباقي على حالته التي هو عليها، ولهذا فالصمد المطلق هو الواحد الذي لم يلد ولم يولد، والصمد بالإضافة هو الذي يستمد صفاته من الصمد المطلق بثباته على توحيده وأحد أحد لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما أولئك الذين لا يصمدون على توحيده هم الذين لا يصمدون على الحق، ومن لم يصمد على الحق لا يمكن أن يكون من المستخلفين فيها، وذلك لأن الاستخلاف حق، ومن فقد هذه الصفة فقد أن يكون من الوارثين في الدارين، حيث لا توريث إلا لموحد مؤمن بالصمد الذي لم يكن إلها مخلوقا أو مخلقا، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١٠٥٩].

وعليه الصمد هو الذي لم يكن له شبيه ولا مثيل في شيء في دائرتي النسبية والمطلق، مصداقا لقوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد).

---

[١٠٥٨] إبراهيم، ٣٤.

[١٠٥٩] آل عمران، ٨٥ . ٨٩.

الصمد في لسان العرب: "الذي صَمَد إليه كل شيء أَي الذي خَلق الأَشياءَ كلها لا يَسْتَغْني عنه شيء وكلها دالّ على وحدانيته"[١٠٦٠]، هذا المعنى اللغوي المرتكز على محورية الالتجاء والحاجة والسيادة نلمحه بشدة في الدلالة القرآنية ولعلنا هنا نستطيع أن نتصور حجم الصورة وأهميتها من قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: "أَيَعْجِزُ أحدكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالُوا وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ قَالَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"[١٠٦١] ذلك أن هذه السورة كما يذكر المفسرون ودارسو النص القرآني أنها اشتملت على أركان التوحيد كلها، والقرآن ثلثه توحيد وثلثه تشريعات وثلثه قصص وعبر ولهذا اعتبر البعض سورة الفاتحة وكأنها قرأن كامل قال تعالى: {وَلَقَدْ آَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآَنَ الْعَظِيمَ}[١٠٦٢] ذلك أن الفاتحة اشتملت على التوحيد (الحمد لله رب العالمين) واشتملت على التشريعات (إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم) وتضمنت القصص والعبر الربانية في قوله (غير المغضوب عليهم) الذين هم اليهود، "حدثني علي بن الحسن، قال: حدثنا مسلم بن عبد الرحمن، قال: حدثنا محمد بن مصعب، عن حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن مُرِّي بن قَطَريّ، عن عدي بن حاتم، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله جلّ وعزّ "غير المغضوب عليهم" قال: هم اليهود[١٠٦٣].

(ولا الضالين) الذين هم النصارى وهذا هو محور القرآن كله، "حدثني علي بن الحسن، قال: حدثنا مسلم بن عبد الرحمن ، قال: حدثنا محمد بن مُصْعَب، عن حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن مُرّيّ بن قَطَريّ، عن عدي بن حاتم، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله: "ولا الضالين"، قال: النصارى هم الضالون"[١٠٦٤].

---

[١٠٦٠] – لسان العرب ج ٣ ص٢٥٨

[١٠٦١] – صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٤١

[١٠٦٢] – الحجر ٨٧

[١٠٦٣] تفسير الطبري – ج ١ ، ص ١٨٦.

[١٠٦٤] تفسير الطبري – ج ١ ، ص ١٩٣.

وسورة الإخلاص التي نحن بصددها التي اشتملت على اسم الله الصمد فلم تعالج إلا قضية التوحيد وعدم الإشراك بالله وهي القضية الرئيسة التي كان الأنبياء أول ما يبعثون لتقريرها ويكفي أن نقرأ في سورة من سور القرآن مثل الأعراف في قول الأنبياء واحد بعد الآخر قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[١٠٦٥] وقوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}[١٠٦٦] وقوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[١٠٦٧] وقوله تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[١٠٦٨] لذلك أن فهم دلالة الصمد القرآنية الذي هو اسم عظيم من أسمائه لا يتأتى إلا من معرفة مكانته في منظومة التوحيد القرآنية التي تشتمل على خمسة أركان أساسية:

أولا: تفرد الله سبحانه وتعالى في الخلق بمعنى أن الله وحده هو الذي خلق هذا العالم مصداقا لقوله تعالى: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ[١٠٦٩].

ثانيا: إفراده تبارك وتعالى في الملك بمعنى أنه المالك الحقيقي وهذا الجانب مبني على الجانب الأول فطالما أن الله هو الخالق إذن فهو المالك مصداقا لقوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٠٧٠]،

---

[١٠٦٥] – الأعراف ٥٩

[١٠٦٦] – الأعراف ٦٥

[١٠٦٧] – الأعراف ٧٣

[١٠٦٨] – الأعراف ٨٥

[١٠٦٩] – الأنعام، ١٠٢

[١٠٧٠] – المائدة، ١٢٠

ثالثا: تفرد الله في الحكم والتشريع والأمر والنهي لأنه هو المالك الخالق قال تعالى: {مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١٠٧١].

رابعا: تفرد الله تبارك وتعالى بالعبادة والامتثال الكامل لحكم الله وأمره قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[١٠٧٢].

خامسا: تفرد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله فلا شريك له بهذه المسميات الثلاثة قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[١٠٧٣].

هذه المنظومة التوحيدية يقع فيها دلالة الصمد في أكثر من محور فأما علاقة الصمد بتوحيد الخلق لله سبحانه وتعالى أنه الخالق وهو الذي يستطيع أن ينجد خلقه، والصمد من معانيه كما مر بنا من يلتجأ إليه في الحاجة ويتعلق الصمد بالجانب الثاني من التوحيد الذي هو الملك، فالمالك لابد أن يكون هو السيد ومن معاني الصمد إنه مالك الملك الذي بيده مقضيات الحوائج فلولاه ما كنا في الأرض مستخلفين ولولاوه ما كنا بعلوه في علو طائعين.

فدلالة الصمد تتوافر فيها بشدة معاني التوحيد التي هي أساس دعوة الإسلام لهذا نرى الإيقاع القوي في موسيقى السورة المرتكز على دلالة فعل الأمر المتكرر ظاهريا وفي البنية العميقة للسورة إذ ورد هذا الفعل ظاهرا في بداية السورة ثم أصبح يتردد بشكل خفي في داخل البنية العميقة للسورة للتأكيد على أهمية الأمر المنزل فيها. وهنا نتذكر الصيغة نفسها في عدة آيات متشابهة من حيث الغرض التبليغي الذي كان يؤمر به النبي أمرا مباشرا لا لبس فيه قال تعالى {فاصدع بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[١٠٧٤] وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

---

[١٠٧١] – يوسف –٤٠

[١٠٧٢] – الأنبياء، ٢٥

[١٠٧٣] – الإسراء، ١١٠

[١٠٧٤] – الحجر ٩٤

أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[١٠٧٥].

وهذه الشدة في الخطاب مع الرسول _ مع علو مكانته وقدره عند الله _ ذات أهمية بالغة في بيان أهمية الشيء المبلغ عنه وأمانة إيصال الرسالة من النبي، ولهذا قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ}[١٠٧٦] ذلك لأن الأمر الذي يراد تبليغه كما في سورة الإخلاص أمر على أهمية بالغة من الصلة بأصل الإسلام وعقيدة التوحيد.

ودلالة الصمد المتعددة النواحي بين السيادة والالتجاء وإجابة الحاجة والعناية والخلق قد ظهرت بسياقات مختلفة في النصوص القرآنية لم يرد فيها لفظ (الصمد) نعم لكن وردت دلالته المرتبطة بهذه المعاني ولهذا نلحظ تشديد القرآن على محاربة دعوى الإشراك بالله سواء أكانت من اليهود مع العزير أو النصارى مع المسيح أو المشركين مع الأصنام فلا نجد نوعا من أنواع الشرك إلا وقد ذكره القرآن الكريم منبها ومناقشا ومحذرا فمع الأصنام نجد النبي إبراهيم عليه الصلاة السلام الذي يمثل الخيار القرآني في رد هذه العقيدة قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آَلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[١٠٧٧] ومع الشمس والقمر نجد القرآن يقول {وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[١٠٧٨]، ومع الملائكة والجن يؤكد الله أنهم عباد له وليسوا آلهة فمن يتخذهم آلهة قد ضل، قال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}[١٠٧٩] ومع عيسى في قضية التثليث الذي جعلوه ثالث ثلاثة قال: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

---

[١٠٧٥] – المائدة، ٦٧

[١٠٧٦] – الحاقة ٤٤–٤٦

[١٠٧٧] – الأنعام، ٧٤

[١٠٧٨] – فصلت، ٣٧

[١٠٧٩] – سبأ ٤٠–٤١

لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحد سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا[١٠٨٠].

الغلو هنا عند النصارى كما كان عند اليهود افتراضهم لإله آخر غير الله جاعلين التعدد مرتكزا لهم في تفكيرهم العبادي بدل التوحيد الذي جاء به كل الأنبياء وهو الأمر الحق صلوات الله عليهم وسلم تسليما[١٠٨١]

تشكل النص القرآني وفق معطيات الدعوة الإسلامية التي واجهت في بدايتها قضية مهمة جدا ألا وهي قضية التوحيد ثم بعد ذلك بداية مرحلة جديدة وهي مرحلة التشريعات فخطاب التوحيد لم يكن خطابا منغلقا بل هو خطاب اعتمد على مرجعيات سابقه وهذه المرجعيات السابقة تمثلت في التوراة والإنجيل وإن كانت قد حرفت، قال تعالى: {قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[١٠٨٢] وقال: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الواحد الْقَهَّارُ}[١٠٨٣].

---

[١٠٨٠] – النساء، ١٧١

[١٠٨١] – التحرير والتنوير، ج ٤ ص ١٠٣

[١٠٨٢] آل عمران، ٩٣ . ١٠٠.

[١٠٨٣] – الرعد ١٦

والخطاب القرآني في سبيل إثبات هذه الحقيقة يعتمد في تشكيله على تقابل صور متضادة تمثل في حقيقتها طرفين متنافرين يمثل أحدهما جانب الإيمان والآخر جانب الكفر فخطاب غير المسلم في الدنيا يحمل جوانب تصويرية متنوعة الهدف منها توجيه الخطاب الى عملية التأثير الكلي في المتلقي بوصفه منكرا مواضيع الخطاب.

الصمد: هو الله المقصود في الحاجات وهذه الحاجات بطبيعة الحال تكون مرتبطة ارتباطا كليا بالخليفة الذي يبحث دائما عن المنجد الذي يلبي له كافة متطلباته فالعلاقة هنا علاقة عقائدية تتسم بنضج فكري ومعرفي تابعة إلى فكرة التوحيد التي آمن بها الخليفة والمتأتية من الرسالة التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم {لا يكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[١٠٨٤].

هذه طلبات يطلبها الخليفة من أجل الاستمرار في الحياة فهي لم تكن طلبات مادية إنما هي طلبات روحية تتعلق بأخطاء بشرية ارتكبت فهي تتعلق بأمرين رئيسين:

الأمر الأول: يتعلق بالخليفة نفسه من نسيان وخطأ وعدم التحمل بما لا يطيق.

الأمر الثاني: فهو استدعاء للماضي القديم الذي تشرب بعقله من أخبار الأمم السابقة وكيف كانت نهايتهم المأساوية جراء ما عملوه في الحياة الدنيا.

وفي نهاية المطاف يطلب النصر على الكافرين وهو غاية الخليفة الصالح ومن دلالات الصمد القرآنية إجابة الدعاء قال تعالى: {أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}[١٠٨٥] فإجابة الدعاء من خواص الربوبية التي يختص بها الإله الواحد لأنه الحق الذي ليس كمثله شيء فهو يجيب المضطر الذي هو في حاجة إليه، وهو أيضا يجيب غير المضطر فالله يجيب كل إنسان إلا أن إجابة المضطر

---

[١٠٨٤] –البقرة، ٢٨٦

[١٠٨٥] – النمل ٦٢

فيها دلالة على قدرته تعالى بعدّه الملجأ الوحيد للمضطر الذي سلك كل السبل ولم يبق له إلا الصمد الذي يلتجأ إليه عند الحاجة[١٠٨٦].

هنا يرتبط الدعاء ببنية مغلقة مكتفية بذاتها وتحيل إلى فكر ينبثق على عنصر جديد هو الاضطرار بحيث يخرج الدعاء من الحالة التقليدية التي رسمها الخليفة طيلة حياته إلى حالة جديدة فرضتها عليه حالته الجديدة من مرض أو عوز فهنا يكون اللجوء إلى الصمد الذي هو نعم المجيب لخليفته الذي ينظر له دائما بعين الرضا في كل الأحوال ذلك أن المجيب هنا نوع خاص لا ثاني له فهو قريب ممن يدعوه ولهذا ذكر الله بعد لفظ الصمد ما يوضح دلالته بقوله {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحد}[١٠٨٧] فخصائص المجيب هنا فريدة وخاصة جدا لا يوجد لها نظير في غيره وهذا أيضا ما توحيه لفظة الصمد الذي له السيادة المطلقة على كل شيء. قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}[١٠٨٨]، أي فقل لهم إني قريب، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم[١٠٨٩].

الصمد عز وعلا يعزز صمديته بخطابه هذا ويؤكدها فالمسألة هنا ليست عملية قرب أو بعد فورود القرب هنا يرسم معلما للخليفة وكيفية مخاطبته فخطاب الصمد هنا رسم أبعادا واضحة المعالم لصمديته فيتردد القرب مع الإجابة في قوله تعالى: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[١٠٩٠]، وكذلك مع السمع فقال: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}[١٠٩١] وجاءت الاستجابة للذين اتسموا

---

[١٠٨٦] – الكشاف ج ٥ ص٩٥

[١٠٨٧] – الإخلاص ٣-٤

[١٠٨٨] – البقرة، ١٨٦

[١٠٨٩] – البيضاوي، ج ١ ص ٢٢١

[١٠٩٠] – هود ٦١

[١٠٩١] – سبأ ٥٠

بالمهاجرة والمقاتلة في سبيل الله في قوله تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}[١٠٩٢].

الصمد هو الله الواحد الأحد الذي بيده الحكم وهو الذي بيده العلو والرفعة عن كل هبوط، وهو وحده القادر بالمطلق. ووحده هذه كلمة يؤكدها القرآن الكريم لما لها من أهمية في وحدانيته جل جلاله، قال تعالى {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آَمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}[١٠٩٣].

وفي دفاعهم عن عبادة الآباء والأجداد يذكر الحق تبارك وتعالى ذلك بما قالوا: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ}[١٠٩٤]، وبأن العداوة والبغضاء قائمة إلا أن تؤمنوا بالله وحده {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١٠٩٥] يرتسم هنا النص القرآني وفق معايير مجموعة من الأفكار التي ترعرعت في عقل المخاطب والتي نتج عنها إدراك حالة جديدة هي البحث عن الواحد الصمد من

---

[١٠٩٢] – آل عمران، ١٩٥

[١٠٩٣] – غافر ٨٣– ٨٥

[١٠٩٤] – الأعراف ٧٠– ٧١

[١٠٩٥] – الممتحنة ٤– ٥

خلال ترديد لفظة (وحده) التي هي نهاية المطاف لكل الأفكار السابقة أي أن كل كلام سبق لفظة (وحده) مثل مجموعة من الحزم المتشعبة التي تناولت مختلف الأفكار والمعتقدات والتي انتهت بشعاع واحد ارتسم وطغى على كل التوجهات والمقصودات وهو الصمد وحده.

الصمد: صفة من صفات الله في العلو والوحدانية، فهو صمد في علوه ورفعته ولهذا فهو بالمطلق صمد لا يمكن أن يطال ولكن من يؤمن به ولا يشرك به أحدا يكون منه قريب سميع مجيب رحمن رحيم. فليستجيبوا له يجدوه مجيبا، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}[١٠٩٦].

وعليه فالله الصمد بعلوه قريب وبرفعته قريب إما أولئك الذين يتخذوا آلهة من دونه فبرغم قربهم بين أيديهم فهم لا يسمعون ولا يستجيبون ولا يفيدون أحد، وهم في حاجة لمن يرعاهم من التلف والفساد والضياع والأنتهاء، ولهذا فالصمد وحده سميع مجيب، وما أجمل أن يكون المعبود وأحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفء أحد ويكون في علوه لا يطال ولا يُمسَّ ولا ينظر إليه وهو يسمع ويرى سبحانه إنه ربي الذي به آمنت وعليه توكلت وأوليت أمري وأمر أسرتي وما أملك إليه لا إله إلا هو النافع والحافظ من كل حسد وسوء وضرر ومن كل شعوذة وسحر وهو الغني القوي المجيب سبحانه صفاته لا تحصى إنه الله الصمد جل جلاله.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ}[١٠٩٧].

الصمد: هو مالك القوة بالمطلق، الذي خلق السماوات والأرضين وما فيهما وما خلق منهما من مخلوقات إنه على كل شيء قدير، ولهذا فالإنسان الذي خلق من الأرض خلق من القوة بالقوة، ولذا في أساس خلقه القوة، أما إذا حاد عن انتمائه للمصدر الذي منه يستمد القوة يجد

---

[١٠٩٦] البقرة، ١٨٦.

[١٠٩٧] الأعراف ١٩٤، ١٩٥.

نفسه وهنا ضعيفا، وإلا هل يعقل من خلق في أحسن تقويم إذا ما قورن بغيره من المخلوقات أن يكون ضعيفا؟. لا يمكن أن يكون ضعيفا إلا في حالتين:

الحالة الأولى: إذا ارتضى أن يقارن نفسه مع الصمد المطلق فيجد نفسه وهنا ضعيفا ولا مجال للمقارنة بين خالق ومخلوق ولكن للتوضيح فقط والحمد لله إننا من المؤمنين.

الحالة الثانية: إذا اعتمد في قوته على غير من أمده بها، أو أنه استعان بغير ما أعطاه خالقه من مصادر عون (الكتاب المبين والرسالة الخاتمة) يجد نفسه على ضعف لا قوة له، أي لا يملك الكلمة التي تمده بالحجة قوة، ولا يستطيع أن يفعل شيئا ويقول شئت إذا لم يتذكر ويعود إلى الذي بيده أمر المشيئة.

وعليه فالإنسان المستخلف في الأرض قوة من حيث الآتي:

**أولا: الفرد قوة والجماعة أقوى والمجتمع أكثر قوة:** قال تعالى: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أحد إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}[١٠٩٨]، وقال تعالى: {كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَأحدةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[١٠٩٩]

---

[١٠٩٨] هود ٨٠، ٨١.

[١٠٩٩] النحل ٨٩ . ٩٣.

الإنسان قوة هائلة، تُحقق نجاحات إذا ما استثمرت استثماراً أمثل. يستمدها من القيمة التي قوَّمه الله بها. هذا التقويم هو الذي جعل من الفرد قوة، ومن الجماعة قوة مضاعفة ومن المجتمع أكثر قوة.

وبما أن الإنسان خُلِق في أحسن تقويم.

إذن هو مقوّم بما هو عليه من قوة.

ولهذا كل ما نراه قوي هو ضعيف أمام قوة الإنسان العقلية والحسية والذوقية. وأيضا مهما نظرنا للإنسان بأنه قوة، فهو الضعيف أمام قوة خالقه. ولذا فإن كل شيء ممكن هو في دائرة النسبية، حيث لا مطلق إلا من عند الله تعالى.

فالإنسان بقوته يتفكّر ويتذكّر، ويستقرئ ويستنبط، ويخطط ويقدم فينجز، ثم يُقوّم فيُصحح أو يُطوّر.

ولذا فالقاعدة هي:

الإنسان قوة في دائرة الممكن.

والاستثناء هو:

الإنسان ضعف في دائرة الممكن.

ولأن الضعف والوهن هو خروج عن القاعدة، لذا فمن الواجب أن يتم العمل على العودة والإصلاح بدلا من الإفساد، وبالرغم من أن الإنسان قوة؛ إلاَّ أن هناك بعض من الأفراد الذين يواجهون وهنا في طبيعتهم الخَلقية، حيث المعتوه الذي يعاني من تأخر في قدراته العقلية، والذي تعطّلت بعضُ من حواسه، ونجد البعض يعيش في تأزماته الحياتية، هؤلاء هم في حاجة لمن يقدم إليهم المساعدة الهادفة: الخدمية والتأهيلية والإصلاحية والمعرفية والروحية.

<u>وعليه:</u>

متى يكون الأفراد أو الجماعات قوة؟.

١ . عندما يندمجون بقوتهم مع قوة الآخرين بإرادة.

٢ . عندما يتمكنون من ممارسة حقوقهم.

٣ . عندما يلتزمون بتأدية واجباتهم.

٤ . عندما يكونون قادرين على حمْل المسؤوليات.

٥ . عندما يكون لسان حالهم (نحن سويا). كقولهم لا للفساد، نعم للإصلاح- لا للكسل، نعم للعمل.

٦ . إذا تمكنوا من استيعاب بعضهم بعضا دون تفرقة وتحسس.

٧ . إذا تمكنوا من التطلُّع للآخرين.

٨ . عندما يتهيئون لإحداث التغيير إلى ما هو أفضل وأحسن وأجود.

٩ . عندما يلعبون أدوارا وصلاحيات واختصاصات بمهارات متنوعة.

وبما أن كل فرد قوة، إذاً يجب أن يكون لكل فرد دور يؤديه، ومن ينحرف عن دوره تصبح قاعدة الوجوب إصلاحه ليعود إلى مركزه الطبيعي، وهو القوة الفاعلة مع بقية مفردات المجتمع. ونظراً لوجود الفروق الفردية في القدرات والاستعدادات والمهارات والتخصصات، فإن الأدوار تتنوع وفقاً لذلك.

١٠ . عندما يستثمرون إمكاناتهم المادية الاستثمار أمثل، تمشياً مع كل حلقة من حلقات التطّور والتقدم التقني والعلمي.

١١ . عندما تُشبع حاجاتهم المتطورة.

١٢ . عندما تسود العدالة في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، ويقدر الأفراد والجماعات حق قدرهم.

١٣ . عندما يكون التطلّع للمفيد والنافع قيمة في السلوك والفعل.

١٤ . عندما تصبح الثروة ملكا عاما لأفراد المجتمع دون أي حرمان من الملكية الحرة والاستثمار الحر.

١٥ . عندما تلغى من القواميس السياسية والاقتصادية والاجتماعية كل كلمات الإكراه والإجبار بغير حق.

١٦ . عندما تكون الثروة قوة تمكن الأفراد والجماعات من تجاوز الحدود.

١٧ . عندما يكون التعليم قوي. وقوة التعليم ليس ألفاظا ومقررات، ولكن التعليم بما يحققه من منجزات إضافية على قوة أفراد المجتمع.

١٢ . عندما يرتفع المستوى الصحي للأفراد والجماعات. فالصحة قوة، والأفراد الذين يغفلوا عن هذه القوة، يضعف مستوى أدائهم وإنتاجهم، ومتوسط أعمارهم. لذلك كلما كانت قوة الإنسان وصحته سليمة، تمكِّن من تجاوز الصعاب، والتطلّع بدون تردد إلى الأمام، بما يحقق أهداف، وينجز أغراض، ويبلغ غايات.

وكما عرفنا أن الأفراد والجماعات قوة بوحدتهم وكيانهم، نتعرّف أيضاً كيف أن القوة الكلية تتجزأ إلى الآتي:

. قوة العقل.

. قوة الحواس.

. قوة النفس.

. قوة العاطفة.

. قوة الإرادة.

. قوة القرار.

. قوة التنفيذ.

. قوة المتابعة.

. قوة التقويم.

. قوة التصحيح.

يستمد الإنسان قوته من قوة خالقه، ويستمد قدرتهُ من قدرتهِ، وكل معطيات القوة يمكن أن تكون بيده إذا عرف أنّ عقله قوة، وقدراته قوة، ومهاراته قوة. وإذا فكر وخطط، ورسم الاستراتجيات أنجز أهدافه بكل قوة، وإذا لم يستثمر ذلك فلن يكون إلا ضعيفا.

ولأن الإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية فهو أقوى على المستوى الجماعي والأكثر قوة على المستوى المجتمعي.

وعليه فالإنسان قوة في خلقه كمفردة بشرية، وهو أقوى بمشاركته الجماعة، والأكثر قوة بتوحده مع المجتمع.

وعليه فالقاعدة هي:

١ . الفرد أقوى بمشاركته الجماعة.

٢ . الفرد أكثر قوة بمشاركته المجتمع.

والاستثناء هو:

١ . الفرد ضعف إذا ما قورن بقوة الجماعة.

٢ . الفرد أكثر ضعفا إذا ما قورن بقوة المجتمع.

ولهذا فإن القوة الاجتماعية تكمن في الأتي:

. قوة العلائق وترابطها.

. قوة المشاركة وحجمها.

. درجة التفاعل وتماسكها.

. قوة التنظيم وتشريعاته.

. قوة الدين وتسامحه.

. قوة العرف و أصالته.

. قوة القوانين وشفافيتها.

. ممارسة الديمقراطية بإرادة.

. اتخاذ قرارات واعية.

. تنفيذ القرارات بوعي.

. حمْل المسؤوليات وتحمُّل ما يترتب عليها من أعباء.

. مستوى التطلع ودرجاته القيمية.

**ثانيا: إيمان المجتمع مكمن القوة:** قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[١١٠٠]، وقال تعالى: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[١١٠١]، وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}[١١٠٢].

ولأن الإنسان المستخلف هو مكمن القوة، فقوته تُستمد من الدين الذي هو من الواحد الأحد الصمد. والذي ينبغي أن يتجسد في تنظيمه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من حيث الآتي:

---

[١١٠٠] الأنفال ٦٠، ٦١.

[١١٠١] التوبة ٦٩ . ٧١.

[١١٠٢] البقرة، ٢٥ . ٢٧.

ـ التنظيم الاجتماعي من حيث قوة القيم والفضائل التي تغرس في نفوس الأفراد الصلابة وتجعلهم في حالة وحدة لا في حالة تجزئة وتفرد.

. التنظيم الاقتصادي من حيث قوة الإنتاج المُشبع للحاجات المتطورة، والمنافسة التي تُمكِّن أفراد المجتمع وجماعاته من التطلُّع إلى كل مفيد ونافع.

ـ التنظيم السياسي من حيث قوة اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته وتقييم النتائج المترتبة على تنفيذه، ولهذا ينبغي أن يُبنى القرار على قوة قاعدة معيارية مستمدة من إطار مرجعي طبيعي كالدين والعرف حتى يكون التمسك بها إرادياً.

وعليه:

القاعدة هي:

١ . قوة التنظيم السياسي من قوة الإيمان بالواحد الصمد.

٢ . قوة التنظيم الاجتماعي من قوة الإيمان بالواحد الصمد.

٣ . قوة التنظيم الاقتصادي من قوة الإيمان بالواحد الصمد.

والاستثناء هو:

١ . ضعف التنظيم السياسي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد.

٢ . ضعف التنظيم الاجتماعي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد.

٣ . ضعف التنظيم الاقتصادي من ضعف الإيمان بالواحد الصمد.

ولذا إذا أُرِيدَ للمجتمع أن يكون قويا مؤمنا بالواحد الصمد، عليه بتمكين أفراده من ممارسة الحرية بأسلوب الشورى في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

وعليه فالقاعدة هي:

١ . اعتماد القوة في الكلمة.

٢ . اعتماد القوة في الفعل.

٣ . اعتماد القوة في السلوك.

والاستثناء هو:

١ . عدم اعتماد القوة في الكلمة.

٢ . عدم اعتماد القوة في الفعل.

٣ . عدم اعتماد القوة في السلوك.

**ثالثا: العقل قوة:** البقرة {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[١١٠٣]، وقال تعالى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١١٠٤]، وقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ}[١١٠٥]، وقال تعالى: {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى

---

[١١٠٣] البقرة، ٤٤.

[١١٠٤] البقرة، ٢٤٢ . ١٤٥.

[١١٠٥] يوسف، ٢، ٣.

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}[١١٠٦].

ولأن ملكة التمييز قوة، فإن تنميتها تجعلها في حالة فطنة، ولذا فإن تنميتها تُمكِّن الإنسان من التمييز والتبيُّن. ولهذا في ملكة التمييز الفطنة دائماً في حالة تأهب واستعداد للإقدام واتخاذ قرارات صائبة، وتحقيق نجاحات على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

وعليه فالقاعدة هي:

١ . ملكة التمييز قوة.

٢ . تنمية ملكة التمييز فطنة.

والاستثناء هو:

١ . ملكة التمييز ضعف.

٢ . عدم تنمية ملكة التمييز غفلة.

ولذا فإن تنمية ملكة التمييز يؤدي إلى الأتي:

. زيادة درجة الوعي والفطنة.

. تبيُّن الحق عن ثقة.

. معرفة ما يجب والإقدام عليه.

. معرفة ما لا يجب والإحجام عنه.

. استبصار مكامن القوة ومكامن الضعف.

وتكمن قوة العقل في الطريقة التي يُفكر بها الإنسان، وفيما يفكر. وإذا ما تمكّن الخليفة من فهم الطريقة التي يُفكِّر بها الإنسان، وفيما يفكِّر، واكتشف مكامن القوة والضعف فيه، يستطيع أن يرشده إلى كيف يُفكر بقوة فيما هو أصح.

إن عقل الإنسان، هو الذي يمكِّنه من استقبال المعلومات عن طريق الأعضاء الحسية، ونقلها إلى الدماغ ليقوم بتحليلها وترجمتها في سلوك وفعل مُشاهد وملاحظ.

---

[١١٠٦] الأنبياء، ٥٩ . ٦٧.

والصمد بالإضافة في تدبره للأمر، ينبغي أن لا يقف عند حد السلوك والفعل المُشاهد والمُلاحظ، بل عليه أن يدرك مصدر هذا السلوك والفعل، وهو العقل وما يحويه من قوة هائلة. هذه القوة هي التي جعلت مجموع قوة الجماعة أو المجتمع هي من مجموع حاصل القوة المجمّعة، وليس من حاصل القوة المتفردة.

وعليه: هناك مجموعة من الخطوات توضح لنا كيفية عمل هذه القوة، لأجل إدراك الكيفية التي يعمل بها العقل (حاصل مجموع أعضاء الجماعة أو أعضاء المجتمع)، ومن ثمَّ نجد المبررات التي جعلت الفرد يسلك ويفعل سلوكا سلبيا، أو سلوكا إيجابيا، كما نتمكَّن من تصحيح مسارات بعض الغايات التي يريد الفرد أو الجماعة بلوغها، وبذلك نستطيع خلق نُقلة في عقله أو عقل الجماعة؛ أي في خلق النقلة في كيفية التفكير وفيما يُفكر أو تفكر فيه، وبما يعود عليهم من منافع وفوائد قيميّة. وهذه الخطوات هي:

١- تنتظم المعلومات في عقل الإنسان في شكل مسارات عصبية متصلة، وكل معلومة أو فكرة تتحرك في مسارها الخاص، بما يُعطي ترابط عصبي بين المعلومة المختزنة في الدماغ مع ردود أفعال كل إنسان. فعلى سبيل المثال: الإنسان الذي سبق وأن سُجن وأفرج عنه، كلما مر بأسباب مشابهة بالتي جعلته بين الجدران سجينا تفكره بترابط عصبي في تلك الأعوام التي قضاها وهو مسلوب الإرادة.

٢- في كل مرة يحدث فيها ترابط عصبي، يبحث عقل الإنسان عن السبب الذي جعله يشعر بالألم أو المتعة، ويُسّجله في جهازه العصبي، بحيث يتمكّن من اتخاذ قرارات أفضل حول ما سيفعله في المستقبل. مثلاً: الفرد الذي قام بفعل السرقة وعوقب على فعله، يحدث له ترابط عصبي قد يمنعه من تكرار حدوث هذا الفعل.

٣- أما الفعل أو السلوك الذي يسلكه الإنسان لأول مرة، ولم يقم بتكراره، يُولّد عنده رابطة عصبية سرعان ما تضمر وتفشل في إرسال إشارات عصبية تُحفِّز على تكرار السلوك والفعل، وهنا يكون التغيير في السلوكيات والأفعال المنحرفة بصورة أكثر فاعلية.

لذا يأتي دور الخليفة، الذي يسعى إلى أحداث تغييرات في سلوكيات الفرد أو الجماعة المنحرفة انحرافا سالباً، حيث عليه أن يدرك أن أي تغيير في السلوكيات المنحرفة التي تسلك لفترة طويلة من الزمن، تحتاج إلى طريقة فعّالة لإحداث التغيير؛ ذلك لأنها كوّنت روابط عصبية قوية في العقل البشري، ما يجعل الضرورة تُلح لاستحداث أساليب التغيير إلى ما هو أفضل ويمكن من الصمود والعلو والرفعة التي تقرب الخليفة من مستخلفه جل جلاله.

عليه:

- قوي إرادتك.

. صحي نفسك من غفلتها.

. نمي قدراتك.

. هيئ استعداداتك.

. استثمر إمكاناتك.

. استرجع ماضيك وأخضعه للتقييم.

. استقري حاضرك وقارنه مع أهدافك.

. تطلّع لمستقبل أفضل.

. تحدى الحاضر وأقبل بتحدي الصعاب.

. أقدم على العمل ولا تتوقف عند التخطيط فقط، تذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين وفكر في الكيفية التي عليها كان الخلق حتى تدرك الحق ويأتيك اليقين من بين الكتاب الذي بين يديك فهو مجمع الآيات الإعجازية التي تهدي للحق والسبيل المستقيم.

**رابعا: الحواس قوة:** قال تعالى: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَأحدةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ

وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[١١٠٧]، وقال تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}[١١٠٨].

الإنسان مقوَّم بحواسه، فبها يُميّز ويدرك ويشعر ويسمع ويشم ويلمس وينظر ويشاهد ويُلحظ ويحب ويكره ويفرح ويحزن.

ولذا فإن القاعدة هي:

قوة الحواس.

والاستثناء هو:

ضعف الحواس.

ولأن الحواس قوة؛ فهي تكمن في الآتي:

١- قوة البصر.

٢ . قوة البصيرة.

٣ - قوة الاستماع.

٤ . قوة الإحساس.

٥ - قوة الذوق.

---

[١١٠٧] الأنعام، ٩٦ . ١٠١.

[١١٠٨] الفرقان، ٤٤ . ٥٠.

٦ – قوة اللمس.

٧ – قوة الشم.

٨ – قوة الحاسة التامّة.

وبما أن الإنسان قوة ليس له علاقة بالضعف إلا إذا قورن بخالقه. إذن الذين يركنون إلى الضعف هم الذين ضعف إيمانهم واختاروا الجلوس في قاعات الاستثناء. التي لا يليق الجلوس فيها لمن خُلق قويا. ولأن الأفراد والجماعات قوة مندمجة بوحدتهم، فهم بها قادرون على أحداث النقلة كلما تمكنوا من اكتشاف القوة فيهم.

١ . **البصر قوة:** قال تعالى: {فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[١١٠٩]، وقال تعالى: {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا}[١١١٠]، وقال تعالى: {أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}[١١١١]

البصر نعمة من نعم الله علينا، فهو القوة، التي تمدنا بقوة النظر والمشاهدة، حتى تُمكننا من الأنتقال والامتداد الحر، وتمكن البحاثة من متابعة ردود الأفعال واستقرائها بوعي وتقصٍ دقيقين، حتى الوقوف على العلل والمسببات الكامنة والظاهرة التي تؤثر على المتغيرات ذات العلاقة بالموضوع قيد الدراسة أو البحث.

ولذا كلما نظر الأخصائي الاجتماعي أو النفسي للفرد أو للجماعة، وأعينيهم تنظر إلى أسفل وهم في حالة خشية يعرف جيدا أن ما في أعينيهم من خشية هي القوة التي تُمكّن العملاء من مشاهدة الأخصائي ولو خلسة. ما يستوجب الفطنة من الأخصائي والمشاهدة الواعية

---

[١١٠٩] يوسف ٩٦.

[١١١٠] طه، ١٢٥.

[١١١١] النجم ١٢ . ١٩.

حتى لا تتم الغفلة عن كل مهم ونافع لدراسة الحالة سواء كانت حالة فردية أو حالة جماعية أو مجتمعية.

وهكذا عندما ينظر إلى الفرد والجماعة والعملاء وهم في حالة من الارتخاء، عليه أن يعرف أنهم في حالة تجميع قوة خارقة، تمكّنهم من إخفاء الحقيقة عنه. لذا ينبغي عليه أن لا يغفل عن أهمية المشاهدة وقوتها، وأن يعرف بأنه أمام قوة، وحتى وإن اعتبر نفسه قوة فعليه أن يعرف بأنه أمام قوة تمتلك المشاهد مثلما هو يمتلكها فلا يستهان بمن هو أمامه من المبحوثين الذين يمتلكون القوة.

ولهذا فإن القاعدة هي:

قوة البصر.

والاستثناء هو:

ضعف البصر.

وعلى الأخصائي الاجتماعي أو النفسي أن يعرف أن من يستطيع أن يُظهر الضعف والوهن أمامه من العملاء فهو قوة، فلو لم يكن قوة ما تمكّن من إظهار ضعفه أمام الأنظار، لأجل أن يحقق غاية في نفسه، ولذا على الأخصائي الاجتماعي أن يكون يقظا وفطنا وواعيا بمن هو أمامه من قوة وإلا سيقع في دائرة الممكن غير المتوقع.

وعليه فإن الضعف والوهن ليس دائما في المكوّن الكمي للزبائن أو العملاء أو الجماعة أو المجتمع، بل الضعف في معظم الأوقات يتمركز على العقول التي تفكر، والعيون ألتي تنظر، فمن المهم أن يعرف الخليفة كيف يفكر الأفراد وكيف تفكر الجماعة؟ وفيما يفكرون؟. وكيف يستطيعون تحديد أهدافهم؟. وكيف يخططون لإنجازها؟ وكيف يُهيئون أنفسهم لذلك؟ وكيف يستثمرون إمكاناتهم؟. وكيف يتقون الواحد الصمد فيما يَقدِمون عليه من أفعال وأعمال؟.

٢ . **البصيرة قوة:** قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[١١١٢]، وقال تعالى: {بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}[١١١٣].

البصيرة هي مرتكز قوة الذاكرة التي يستمد البصر منها قوته، ولذا فهي القوة التمييزية التي بها يتمكن الإنسان من التمييز بين ما يجب ويقدم على أدائه، وبين ما لا يجب وينسحب عن أدائه أو يجتنبه التزاما بأمر النهي عنه، وطاعة تامة للواحد الصمد.

والقاعدة هي:

قوة البصيرة.

والاستثناء هو:

ضعف البصيرة.

ولذا فإن البصيرة مُدرك عقلي وليس مُدرك بصري، فيها موازين العقل ومميزاته ومدركاته. بها يتمكّن الخليفة من التحليل والتشخيص والتعليل، حتى اكتشاف نقاط الوهن، ومن تمّ يعمل على تقويتها.

إن الغوص في هذا المُدرك العقلي يُمكِّن من امتلاك الفطنة واليقظة التي بدورها تُحفّز على ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات بدون تردد أو تأخير.

بالبصيرة الواعية يتمكّن الخليفة من التقييم والتقويم الموضوعيين للرؤى والأهداف، ولما يجب ولِما لا يجب. وعليه:

. فكّر بعمق حتى لا تضمر بصيرتك.

---

[١١١٢] يوسف ١٠٨ . ١١١.

[١١١٣] القيامة ١٤ . ١٩.

. قارن بين الدقيق والأدق منه حتى تقوى بصيرتك.

. فكّر في دائرة الممكن غير المتوقع مثلما تفكر في دائرة الممكن المتوقع.

ـ تمرَّن حتى تمتلك القوة التي تُلفتك لنفسك وتُمكنك من ملاحظة الآخرين وما يدور من حولك، وتمكنك من معرفة الإبل كيف خلقت والسماء كيف رفعت والجبال كيف نصبت والأرض كيف سطحت، مصداقا لقوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ}[١١١٤]

. شخّص كل حالة تطّلع عليها لتكتشف خفاياها، وتختبر مقدرتك التي بها تتغذى البصيرة.

. استرجع محفظتك من الذاكرة وأخضعها للتقييم ثم قوّم حالتك حتى تستبصر ما كنت عليه، وما يجب أن تُغيره بقوة الإرادة.

ـ استوضح نفسك مثلما تستوضح شخصيات العملاء والأفراد الذين تتولى حالاتهم بالدراسة حتى تتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة، وإحلال محلها قوة البصيرة، وتُسهم معهم في كشف الخفايا التي تُعثر أقوالهم وأفعالهم وسلوكياتهم حتى تنير الدروب المظلمة أمام بصائرهم، ويسترشدوا إلى سبل الحياة الاجتماعية والإنسانية وفقاً لقاعدة ما يجب، لأجل أحداث النقلة إلى ما هو مُفضّل.

. أكشف قوة البصيرة لدى المنحرفين حتى يتمكنوا من استقراء واستنباط الألم النفسي الذي يقع على الضحايا وذويهم (ضحايا الإنحرافات السالبة) حتى يستيقظوا من الغفلة التي هم فيها.

. لا تترك البصيرة ملكة عقلية للتخزين فقط، بل اجعلها في حالة حركة ويقظة مع ما يجري ويدور من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وذوقية وثقافية في المحيط الاجتماعي والإنساني.

---

[١١١٤] الغاشية ١٧ . ٢٦.

. اصح وصحي القصر من الغفلة حتى يتم التعرف على النفس وما يجري من حولها، واجعل بنيك يستبصرون أمرهم بكل موضوعية وذكرهم بالماضي الذي أسهم في غفلة البعض عمّا يجب، فانحرفوا وحادوا عن طرق الهدى. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[١١١٥]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}[١١١٦].

ـ فتش نفسك ببصيرة مثلما تفتش غيرك، وأكشف أسرارك بتجرد أمام نفسك واسترها أمام الآخرين، وهكذا كُن مع الآخرين حتى يستبصروا ما بهم دون خجل.

. تنزه في نفسك حتى تستبصر من أنت، وتستبصر ما لك وما عليك، وتعمل على الإصحاح.

. تحدى عقلك بالتفكير فيه حتى تستبصر بصيرتك.

. اعرف أن قوة البصيرة بقوة التفكير فيها، فلا تغفل عنها، وإن قبلت بالإغفال عنها ستجدها السبّاقة على ذلك وتكون أنت من الخاسرين. ولذا فإن البصيرة تضعف عندما تدخلها الغفلة، ولهذا عليك بالإنتباه والتيّقظ. فالغفلة تجعلك لا تعي بما فيك، وما لك من قوة (قدرات

---

[١١١٥] الحشر ٢.

[١١١٦] القصص، ٥١ . ٥٩.

واستعدادات وإمكانات). ولا تجعلك تعي بمن حولك من الناس، أفراد وجماعات ومجتمعات أو حكومات. ولا تعي بما تحاط به من ظروف ومواقف وإمكانات وما يحيطك من أفكار ومعلومات.

**٣ . الاستماع قوة:** قال تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أحدا وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الأنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أحدا وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الأن يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا}[١١١٧]، وقال تعالى: {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[١١١٨]، وقال تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ}[١١١٩].

قوة الاستماع تكمن في دقة التتبع وتوجيه الأذنين عن وعي لكل كبيرة وصغيرة تُقال، ولذا فهي ترتبط بقوة الإدراك حيت الاستماع القوي يؤدي إلى المزيد من الإلمام بالموضوع.

وعليه:

---

[١١١٧] الجن ١ . ١٣.

[١١١٨] البقرة، ١٨١.

[١١١٩] آل عمران، ٣٨ . ٤١.

ـ عليك بالاستماع إذا أردت أن تعرف ما يجري، أو أردت أن تعرف الحقيقة، فما يرويه من يقص عليك القصص لا تستهين به فهو مهم سواء كان صائبا أو كان على درجة من درجات الخطأ أو الكذب. فإذا كان صادقا: فالأخذ به يفيد كثيرا. وإذا كان كاذبا، فأخذ الحيطة والحذر منه هو الآخر يُفيد كثيرا، ولذا فإن مثل هذا الأمر يُفطِّن إلى أهمية الإصلاح بعد معرفة المستوى القيمي الذي عليه من يروي لك رواية أو يقص عليك قصة وعليك أن تتدبر وتتذكر وتفكر حتى تتمكن من المعرفة الحق وإن عزمت فتوكل على الله.

ـ استمع مباشرة لذوي العلاقات المباشرة بالحالة أو الموضوع المدروس، واستمع أيضا لذوي العلاقات بهم، وعليك أيضا أن لا تغفل عن الاستماع لِما يُروي من المحيط الاجتماعي حتى تعرف عن بينة، وإن لم تفعل ذلك فقد يُغرَّر بك.

ـ تفهّم ظروف الناس إذا كنت مسؤولا، حتى لا تصدر أحكام غير موضوعية، وقدّر كل خصوصية ظرفية وفقا للحالة والزمان والمكان، أي قدّر الخصوصية وتذكر قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1120]، ولا تكن غافلا عن قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[1121].

ـ هيئ أبناءك للاستماع إليك، ولكن ليس كمستقبلين للمعلومات التي تصدر فقط، بل كمشاركين في عمليات التدبُّر. وعليك أن تعرف مثلما ترغب في الاستماع إليك هم أيضا يرغبون في استماعك إليهم بكل عناية وانتباه.

. رتب أفكارك وفقا لأولويات ما تستمع إليه، ولا ترتبها وفقا لأولويات الموضوع الذي اعديته مسبقا، ففي بعض الأحيان لا يقبل الناس أو التلاميذ والمتعلمين الروتين ما يجعل بعضهم يسرحون وهم على حالة من الملل.

---

[1120] البقرة، ٢٥٦.

[1121] الكافرون ١ . ٦.

. الاستماع والإنتباه عن وعي قوة تُحسس المستخلفين فيها بقوة التتبع التي يلاحقهم بها، وفي مقابل ذلك إذا أحس العملاء بغفلة أو شرود من قبل المرشد لهم يصبحون غير مبالين بما يقال، وقد يستهتزوا بما يجري أثناء مقابلاته معهم.

. الاستماع الجيد يهيئ المستخلفين فيها للاستجابة، فاستمع جيد حتى يتهيئون المتعلمون لك، وإلا لن تبلغ المقاصد الدعائية لإتباع ما يجب في سبيل الله تعالى أي في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ولذلك فالقاعدة هي:

قوة الاستماع.

والاستثناء هو:

ضعف الاستماع.

٤ . **الإنصات قوة:** الإنصات سكوت من أجل الاستماع، وسكون عن الحركة التي قد تؤثر على استقبال ما يُستمع إليه، ولذلك فالإنصات بقوة هو إنصات بوعي وتتبع دقيقين. والسكوت هو متابعة بالعقل لأجل أن يتم استقبال الكلم.

ولذا فإن القاعدة هي:

الإنصات قوة.

والاستثناء هو:

الإنصات ضعف.

وعليه:

ـ أنصت بقوة حتى لا تخسر شيء من الحديث الذي تنصت إليه، وتابع منطلقات الكلم وأساليب إخراجه ودرجة شدته ومدى علاقته بالمتكلم من حيث التفاعل مع ما يقال من عدمه.

ـ اسكت فالسكوت تجميع للقوة الشاردة من حالة التمرد والإنطلاق بدون حدود إلى السيطرة التامة حتى الإلمام بما يتضمنه الموضوع وما يحتويه من متغيرات.

ـ أنصت حتى يتمكن العقل من استقبال المعلومات ويتمكن من تبويبها وتصنيفها وترتيبها حسب أولويات الموضوع أو الحالة.

ـ تجاوب مع ما تنصت إليه بالسكوت والاستماع، واعرف أن السكوت ليس بضعف، فالضعف هو ما يخالف ذلك في الاتجاه (فالذي لا يستطيع أن يسيطر على حواسه هو الذي يكون على حالة من الضعف).

. أنصت حتى تتبين، ولا تستعجل على الكلام فالكلام في غير محله ضعف، والإنصات في محله قوة.

. تزامن في إنصاتك مع بداية الحديث ولا تتأخر عن ذلك حتى لا تفوتك بدايات الكلام وحينها قد لا تتمكن من معرفة القواعد التي يُبنى عليها ما تستمع إليه من حديث.

. أنصت فالإنصات قوة تحقق التوافق بين المُرسل للكلم والمستقبل له. كما تحقق التوافق بين الكامن من الحديث والظاهر منه.

ـ أنصت من أجل معرفة الحقيقة ومكامنها وخفاياها، حتى تتمكن من التحليل الموضوعي والتشخيص بكل مهارة وفن.

**٥ . الأحاسيس قوة:**

الأحاسيس قوة إيقاظ المشاعر بما يدور في المحيط النفسي والمحيط الاجتماعي والمحيط البيئي، من خلال كل ما يُلحظ أو يُشاهد أو يُسمع أو يُلمس أو يُشم أو يُذاق. إنها القوة المعرفية التي تمد الإنسان بالطاقة التي تجعله في حالة استيعاب أو في حالة إقصاء وتحديد مواقف قد تُتخذ في محلها وقد لا تتخذ في محلها.

وعليه:

ـ الإحساس قوة، تحقق الفطنة وترتبط بالمدركات الواعية التي تجعل الأفراد والجماعات يميّزون ويتمكنون من الاختيار الحر.

التمييز الحسي قوة، تكمن في درجة التبيّن، التي تُمكّن من اكتشاف نقاط التداخل والخصوصية والاستقلالية بين المتغيرات الدخيلة والمتداخلة.

. التمييز الحسي قوة مقارنة بها تُصنَّف المعلومات وفقاً للدرجة والنوع والجنس، وبما يميز كل خصوصية عن غيرها، وبما يؤدي إلى كشف نقاط التمركز المشتركة مع بعض الخصوصيات الأخرى وكذلك نقاط التشتت عنها.

ـ التمييز الحسي قوة استيضاح للكلمة التي تحمل دلالة ومعنى ومدى علاقتها بالموضوع حتى يتم فرز المتشابهات عن غيرها من المخالفات.

. بقوة الإحساس يستدل المرشد للحق على ما يَقبله من هم في حاجة إليه (أفرادا أو جماعات) وما يَرفضونه، قبل أن يبدأ في عمليات التبشير أو التعليل والتحليل والتفسير.

. بقوة الحس يتم التعرف على ما هو سلبي والعمل على تفاديه، وما هو إيجابي والعمل عليه أو العمل به.

. الحس قوة استدلالية تربط المشاهد المحسوس بالملاحظ المجرد الذي يُمكِّن من ربط علاقات بين الأشياء كما يُمكِّن من فصلها بمستدلات إثباتيه.

. الحس قوة برهنة، يستند على معطيات ويصل إلى نتائج تُدرك بقوة المنطق والحُجّة.

. الحس قوة لغة وتفاهم بها تُكتب الكلمات بالملامسة، وبها تُقرأ حتى من قبل فاقدي البصر.

. ترتبط الأحاسيس بالوجدان الكامن الذي يتألم بما يترك أثرا سالبا على النفس، وبما يترك أثرا موجبا عليها، ولكل منهما استجابة تختلف باختلاف الأثر ونوعد ودرجة حدت أو درجة مرونته.

ـ الأحاسيس قوة تأهب تستقبل المعلومة وتقدمها للترجمة الفورية التي تمكنها من التمييز لتستجيب سلبيا أو تستجيب إيجابيا، وفي كلا الحالتين فالعقل هو الذي يتخذ القرار المناسب لكل فعل وفقا لقاعدة (لكل فعل رد فعل).

. قوة الأحاسيس قوة دافعة لتكوين علاقات مع الآخرين، ولذا كلما سلمت الحواس التي بها يتم الإدراك تكوّنت علاقات موجبة بين الأنا والآخر، فالحب المتبادل بين الأطراف قوة ترابطية تجعل لغة مشتركة ومنطق مشترك بين المثنى والجمع وكأنهما طرف وأحد ما يجعل لغة (النحن) هي اللغة السائدة بينهما، وجعل كل منهما يحس بالآخر وكأنه في وسط صدره.

ويجعلهما على حالة من التأهب لاستقبال بعضهما في المكان والزمان المناسبين للمقام الذي جعلهما في حالة وحدة، وجعل الشوق بينهما شعورا ظاهرا. ولهذا عندما تُحب أحدا تجد مكانه في القلب، وعندما تكرهه أيضا ستجده مكروها في القلب. ولذا فإن القلب في مثل هذه الحالات لا يعد مجرد مضخة للدم، بل أنه المركز الذي فيه يعيش الحب بين المحبين وهو الذي فيه يحدث الفراق، لتبقى فيه الأحزان من بعده عائشة، حتى تهزم بقوة الإيمان. ولذلك في القلب المكامن التي تُستثار بما يُفرح وتُستثار بما يُحزن، ولهذا فلكل منهما أثره السالب وأثره الموجب على الفعل والسلوك. ولكي تتأكد ضع يداك أو أحداهما على منتصف صدرك ستجد من تُحب بقوة الإحساس إنه متمركزا هناك، وإذا ما حدث لحبيب مكروه لا قدر الله فلا تحس به إلا حيث وضعت يداك على صدرك. وإلا هل هناك من يحس بحبيبه في رأسه؟.

ولذا فإن القاعدة هي:

١ . اتزان الأحاسيس.

٢ . قوة الأحاسيس.

والاستثناء هو:

١ . عدم اتزان الأحاسيس.

٢ . ضعف الأحاسيس.

٦ . **اللمس قوة:** قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[١١٢٢]، وقال تعالى: {وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[١١٢٣]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا

---

[١١٢٢] الحجر ٤٧ ، ٤٨.

[١١٢٣] الزمر ٦١.

كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[١١٢٤].

الحس اللمسي قوة بها نتمكن من التميز بين ما يليق بنا من نعومة وبين ما لا يليق بنا من خشونة، وبين ما يُدخل السرور في أنفسنا وبين من يَحفُها بالحُزن والأسى مع مراعاة أن لكل مناسبة المظهر الذي يليق بها. ولذا فاللمس قوة إدراكية بها نتعرّف، وبها نحتكم، وعليها نصدر الأحكام. ولذلك يكمن الحس في قوة التأهب لممارسة أو أداء ما يجب، والابتعاد عمّا لا يجب، وفيه أيضا تكمن الفطنة من الغفلة حتى يتم الاختيار عن إرادة.

ولذا فإن القاعدة هي:

اللمس قوة.

والاستثناء هو:

اللمس ضعف.

وعليه:

ـ اللمس فعل حركي مقصود، لأجل التمييز بين ما هو ناعم أو خشن، وبين ما هو أكثر نعومة أو أكثر خشونة.

. يترتب على الفعل اللمسي القبول والارتياح نفسياً وذوقياً للشيء الملموس. أو الرفض، عندما يكون الملموس غير مقبول، أو أن يكون مخيفاً أو ضاراً.

. يتأثر الفعل اللمسي بالملموس استجابة أو رفضا، تعلقا واستجماما بمحققات الرضاء الرفيع، أو سكونا وانسحابا من بعده ورفض بكل إرادة.

ـ حاسة اللمس تُنمي حرارة الالتصاق بعاطفة الأمومة والأبوة، فاحتضان الطفل على صدر أمه، يحقق له الدفء والاستئناس. ولهذا فالملامسة تحسس المتلامسين بالطمأنينة والقبول أو تحسسهم بالرفض. ولذا فإن عاطفة الحب تنمو بين المحبين بكل ودٍ واحترام في ظل تقوى الله الواحد الصمد جل جلاله.

---

[١١٢٤] المجادلة ٣ . ٦.

ـ التلامس قوة لارتباط المشاعر والأحاسيس تدفع بني الإنسان بقوتها الفاعلة إلى الكلام بالألسن والعيون وعندما تعجز الألسن عن الكلام يصبح الصمت أكبر دليل على المحبة وعلى التفاهم بدون تردد كما هو حال الحديث بالعيون مع الأطفال الذين تملأهم البراءة من الواحد الأحد.

٧ ـ **الذوق قوة:** قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آَمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}[١١٢٥]، وقال تعالى: {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ مَآَبًا لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كِذَّابًا وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}[١١٢٦]. ولأن الذوق رفعة وحسن معاملة قال تعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}[١١٢٧].

الذوق ملكة عقلية وقوة يتمكن من خلالها المتذوق من المعرفة الوافية، التي تُمكنه من كشف العلاقات التي تتجسد في المُذاق، وكشف العلاقة التي تربطه بالمجرد، فهي لا تقتصر عند حد المشاهدة، بل تمتد لتشمل ما هو ملاحظ، ولذا ترتبط هذه الملكة الذوقية بقوة الإحساس مع ملكتي التفكر والتذكر.

في الملكة الذوقية تنعدم الغفلة وتسود الفطنة، حتى تتمكن كل خلية من التناغم مع جميع الخلايا المتماثلة معها في المكون البشري، ما يجعل الذوق محقق الرفعة بين الأنا والآخر بالتماثل.

---

[١١٢٥] الدخان ٥١ . ٥٩.

[١١٢٦] النبأ ١٩ . ٣٠.

[١١٢٧] النساء، ٨٦.

تتوحد الأحاسيس والمشاعر مع الخيال الذي يسعى إلى طي الهوة مع الأمل حتى تتم ملامسة القيم التي تُعزز الإرادة، وتحقق التفاعل الوجداني، بين الرغبات والطموحات التي تُمكن الفرد من اكتشاف الحُسن الممتد في المسافة بين المشاهد والمجرد. قال تعالى: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[١١٢٨].

الذوق مكوّن قيمي، له من المعايير والمقاييس ما يمد الإنسان بوضوح الرؤية ونضج القرار المترتب على ذلك، ولهذا الجمال قيمة ذوقية لا يكمن في ذاته، بل يكمن في الجميل مشاهدا أو مُجردا، حركة أو سكونا، إظهارا أو إدغاما، تجويدا أو لحنٍا، لونا أو نغمة، وعليه لا يمكن أن يوصف الجمال بذاته، بل يوصف بالجميل الذي توحّد أو اشتمل فيه.

وعليه:

ـ تذوق وفطِّن الآخرين إلى ذلك، فالذوق حاسة عقلية وملكة تنمو كلما تُنشَّط وتُستثار، وتضعف وتنتهي كلما تُهمل.

. لا تستغرب فالذوق قوة ذهنية تستفز كل من يفكر ذوقياً حتى تجعله متوجا على قمم التأمل وتُمكنه من التقييم الموضوعي بعد تعمق وانتباه عميقين.

. ميّز بذوقٍ رفيع فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يميز بين ما فيه رفعة وبين ما لا رفعة فيه.

. عليك بمراعاة الذوق العام واحترامه إذا أردت أن تنال الاحترام والتقدير من الآخرين.

. اعتبر وقدِّر الخصوصيات الاجتماعية التي يرتسم الجمال فيها كما هو يرتسم بها، ولا تغفل عمّا يُدخل البهجة والفرحة في النفوس، ولا تُعمم معاييرك الاجتماعية ومقاييسك الفنية وتفرضها على معايير ومقاييس الآخرين بالإكراه فلا أكراه في الدين.

---

[١١٢٨] الأعراف ٣١، ٣٢.

. اعتمد الذوق قيمة لتبعث في نفوس الناس من حولك القوة التي تمدهم بالرفعة ولا تنظر لهم بنظرة دونية خالية من كل ذوق.

. إبدأ مع الناس من حيث هم بلطف ولباقة ذوقية إذا أردت أن تغير أحوالهم أو حالاتهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه، وكما أمر به الواحد الأحد جل جلاله.

. كُن فطنا فالذوق قوة قيمية يتمركز على كل الأشياء الجميلة التي نتفاعل معها.

. أعرف جيدا أن الإحساس بأثر القيم التي تُشكِّلها ملكة الذوق، يختلف من شخص لآخر مما يترتَّب عليه تفاوت في درجات التذوق لها، فالشخصية الواقعية مثلاً: هي التي تعتمد على العقل في تقدير وتقييم الأشياء فتقْدِم على أداء الأفعال بعد أن تتبيّن وتعرف ما يجب وما لا يجب، فتكون العلاقة بينها وبين الآخرين علاقة أخذ وعطاء. أما الشخصية الأنانية، هي التي تعتمد على المصلحة الخاصة، فتقيّم الأمور برؤاها دون مراعاة للمحيطين بها، ما يجعل علاقتها معهم علاقة مصلحة.

ولهذا فالقاعدة هي:

قوة الذوق.

والاستثناء هو:

ضعف الذوق.

٨ . **الشم قوة:** قال تعالى: {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[١١٢٩]، وقال تعالى: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}[١١٣٠]، وقال تعالى: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ}[١١٣١].

---

[١١٢٩] المطففين ٢٦.

[١١٣٠] الواقعة ٨٥، ٨٦.

[١١٣١] يوسف ٩٢ . ٩٥.

الشم قوة قيميّة، تأسست على سلامتها وأهميتها أضخم شركات الورود والزهور المتنوعة والمتعددة وأسست أكبر المصانع للعطور الفواحة من أجل إدخال البهجة في نفوس البشر، وإنعاشهم بما يُمدهم بالارتياح ويوقظ فيهم روح التطلّع للآخر حتى ملامسة الجمال فيه ومن حوله.

قوة الشم تبعث الروح في الأنفس والأبدان لتمدها بالحياة وتنقلها كالنحلة تطير من زهرة لزهرة لتستنشق من عطرها الفواح مثلما تمتص الرحيق منها. وتتسع صدورنا وتتمدد حتى ننتعش بقوة التنفس التي تزّود الجسم بالأكسجين، وتتحكم في تدّفق السائل الليمفاوي، الذي يحتوي على كريات الدم البيضاء التي تحمي الجسم من المواد السامة.

ولهذا فالشم قوة، من يفتقدها يفتقد لمقومات الحياة. فالشم لو لم يكن قوة ما كان له أثر موجب على تغذية الدم بالأكسجين وعلى نقلنا من حالات الضيق النفسي وانكماش رئتينا إلى حالة المتعة المترتبة على التعطر الذي به نتمكن من بلوغ الصحوة والإدراك الحق.

الشم قوة مخترقة لكل كبيرة وصغيرة، ولذا فهي في حالة حركة بين شهيق وزفير حتى يتمكّن الإنسان من التمييز بين ما هو محقق للنشوة من رياحين معطّرة، وبين العفونة التي تضيق بالصدور وتجعل النفس نافرة.

وعليه تهيئة المكان المناسب للمقابلات المحترمة يعد ضرورة، بما يُمكّن الناس من الراحة وترويض أنفاسهم باتزان، قال تعالى: {يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[١١٣٢]. الرائحة الطيبة تبعث الأمل في الأنفس والرائحة العفنة تضيق منا الصدور.

وعليه:

---

[١١٣٢] الأعراف ٣١ . ٣٣.

. تطيّب.

. تطهّر.

. كُن نظيفا.

. حافظ على حُسن المظهر.

. جدد الهواء في حُجرات المنازل والعمل واللقاءات العامة حتى تنشرح النفوس وتتفاعل على الحق.

ولذا فالقاعدة هي:

قوة الشم.

والاستثناء هو:

ضعف الشم.

**٩ . الحاسة التامّة:** قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[١١٣٣]، وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}[١١٣٤]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ

---

[١١٣٣] يونس، ٥٧، ٥٨.

[١١٣٤] الحج ٤٦.

وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}[١١٣٥].

الحاسة التامة هي: التي تتداخل فيها جميع الحواس، البصر والبصيرة والاستماع والأنصات والذوق والتذوق والحس والإحساس والشم واللمس.

ولذا فهي العملية التفاعلية للحواس، حول ما يُشاهد أو يُلحظ أو يُدرَك أو يُستمَع له أو يُذاق أو يُشم أو يتم التفكير فيه. إنها الحاسة (القمَّة) التي فيها تعمل جميع الحواس في وقت وأحد وبكل قوة، حتى تتجسد الحركة في الفعل والسلوك الذي يجعل المتحركين في حالة نشوة، ويقوي الإدراك، وتقوي البصيرة، ويتحقق التفاعل، ويتحقق الرقي الذوقي الذي يجعل الإنسان قمة.

وعندما يتم التداخل بين الحواس، يكون الشيء الذي نفكر فيه ذو قيمة. ولهذا لا تحدث النقلة بحاسة وأحدة، بل تحدث بسلامة الحواس واكتمالها في وحدة وأحدة تامة.

وعليه، فالمس مع عقلٍ، واسمع مع بصرٍ، وشُم مع ذوقٍ، وتذكّر مع تفكرٍ، وشاهدة مع ملاحظة حتى تكون في نُزهة ورفعة عالية وتنال الاعتراف والتقدير من الآخرين.

ولذا فإن القاعدة هي:

الحاسة التامة.

والاستثناء هو:

الحاسة القاصرة.

ومع أن القاعدة هي: الحاسة التامة، والاستثناء هو: الحاسة القاصرة. إلا أنّ بعض الحالات قد أظهرت نجاحات هائلة باستخدامها الحاسة الرئيسة فقط. وهذه تذكرنا بالشاب الألماني الذي أصيب في حادث بشلل رباعي تعطّلت عنده معظم حواسه، وبإصراره تمكّن من أن يكون من أكبر مستحدثي برامج الكمبيوتر، فهو يعقد الصفقات مع الشركات والمؤسسات، وهو ملقى فوق سريره لا يستطيع الحِراك ولا يستطيع التحدث، فقط يبرمج جهاز الحاسوب

[١١٣٥] الإسراء، ٣١ . ٣٨.

بعقله، ووفقاً لمتطلبات عملائه. إنها نعمة العقل التي جعل الله بها الإنسان مميزا عن غيره من المخلوقات حتى استخلفه به على الأرض ليقول الحق ويتبع الحق ولا يفعل شيء غير الحق.

**خامسا: النفس قوة:** قال تعالى: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[١١٣٦]، وقال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي}[١١٣٧]، جَنَّتِي}[١١٣٧]، والنفس قوة سواء في الاتجاه الموجب أو في الاتجاه السالب وإلا هل يعقل أن يكون لها أثر موجب أو سالب لو لم تكن قوة؟. قال تعالى: {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[١١٣٨].

النفس قوة باطمئنانها، وبتأديتها للعمل الصالح، وإقدامها على قول الحق وسلوكها لأفعال الخير، وكذلك عندما تَحسُن التصرف والمعاملة وتهتدي إلى الطريق المستقيم. وفي مقابل ذك تأتي النفس الضعيفة الأمارة بالسوء وإلحاق الضرر بالآخرين، وعندما تُظهر مالا تخفي، وعندما تَشُح في وقت ينبغي أن يكون فيه العطاء، وكذلك عندما تركُن إلى إصدار الأحكام الظنية بغير حق. قال تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[١١٣٩].

---

[١١٣٦] يوسف ٥٣ . ٥٦.

[١١٣٧] الفجر ٢٧ . ٣٠.

[١١٣٨] يوسف ١٨.

[١١٣٩] النساء، ١٢٨، ١٢٩.

ولهذا فالفرد قوة بنفسه، والجماعة قوة بمجموع الأنفس التي تكّونها، والمجتمع أكثر قوة، ولذلك يعمل الخيرون والمصلحون على معرفة ماهية هذه القوة وكيفية عملها، من أجل استعادتها إلى القاعدة (الإنسان قوة).

تكمن قوة الأنفس في قدرات قابلة للنمو، واستعدادات مهيأة للعمل الفعّال، ومشاعرٍ يخشاها الخوف.

ولذا فالقاعدة هي:

١ . قوة النفس.

٢ . قدرات قابلة للنمو.

٣ . استعدادات مهيأة للعمل الفعّال.

مشاعر يخشاها الخوف.

والاستثناء هو:

١ . ضعف النفس.

٢ . قدرات غير قابلة للنمو.

٣ . استعدادات غير مهيأة للعمل الفعّال.

٤ . مشاعر يُداهمها الخوف.

ولهذا يجد المصلح ومن يريد أن يفعل خيرا أمامه قوة إما موجبة يستفيد من طاقاتها وإمكاناتها، فيسخرها في خلق النُقلة للأفضل. وإما قوة سالبة، يعمل على تصحيح معلوماتها الخاطئة بمعلومات صائبة، وكذلك يعمل على تعديل سلوكها وتقويمه إلى ما يجب. ومع ذلك قد لا يُوفق ما لم يعرف مصادر القوة عند الأفراد الذين يتولى حالاتهم بالرعاية والعناية.

وعليه تستمد النفس قوتها من قوة العقل وقوة الحواس وسلامتها؛ فالأفراد والجماعات الذين يُفكرون بوعي سليم يستطيعون تحديد أهداف واضحة ويرسمون خططهم بموضوعية ويحشدون الإمكانات المتاحة ويسعون إلى البحث عن المزيد المفيد والنافع في طاعة الله الواحد الصمد الذي بيده كل شيء.

**سادسا: العاطفة قوة:** قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}[١١٤٠] وقال تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[١١٤١].

الحنان والمحبة هما القوتان التوأم مولودا قوة العاطفة، ولهذا لا مِحنة ولا حب لو لم تكن العاطفة سابقة عليهما. فالعاطفة قوة تقع في دائرة الممكن السالب والممكن الموجب (المتوقع وغير المتوقع)، وهي التي تمد المولود بدفء الأمومة ودفء الأبوة، وتمده بحرارة الالتصاق.

ولذا فإن القاعدة هي:

١ . قوة العاطفة.

٢ . قوة الحنان.

٣ . قوة المحبة.

والاستثناء هو:

١ . ضعف العاطفة.

---

[١١٤٠] هود ٤٢ . ٤٥.

[١١٤١] القصص، ٧ . ١٣.

٢ . ضعف الحنان.

٣ . ضعف المحبة.

ولذا على المبشرين والمنذرين بالحق أن لا يغفلوا عن أهمية العاطفة الإنسانية وأن يعملوا على تقويتها بما يُفيد الفرد والجماعة والمجتمع. ولهذا من باب الوجوب والضرورة يسعى الواعظ والمرشد والمصلح إلى تقوية العاطفة الواعية بأهمية الأبوة والأمومة والأخوة والعمومة وحق الجيرة في الاحترام والمساعدة الهادفة.

ولأن العاطفة قوة فلا ينبغي الإغفال عنها أثناء تناول الحالات أو المواضيع بالبحث والدراسة. العاطفة إذا لم تستثمر في أوجهها تدخل في دائرة غير المتوقع السالب، ما يجعل الضعف يدخل إلى نفوس الأفراد بدلا من دخول القوة إليهم. ففي المواقف السالبة عاطفيا لا يتمكن الأفراد من اتخاذ قرارات واعية، ولا يتمكنون من رسم سياسات موضوعية، ولا يتمكنون من تصميم استراتيجيات لصناعة المستقبل النافع والمفيد. فبعض الأطباء الجراحين المهرة لا يوفِّقون في القيام بعمليات جراحية لزوجاتهم أو أبائهم أو أبنائهم، بسبب سيطرة قوة العاطفة على قوة المهارة والخبرة. مثل هذه الحالة تُقرأ من زاويتين:

الزاوية الأولي: هؤلاء الأطباء يقدَّرون على أنهم يمتلكون قوة عاطفة تجاه أبائهم وأزواجهم أو أبنائهم.

والزاوية الثانية: أن الضعف قد ألم بهم والضعف ليس بقاعدة، ولهذا يتغلب الاستثناء الذي هو في حاجة لتقويته بالمعالجة.

وعليه:

. كُن قويا بقوة عاطفتك لا بضعفها.

. كُن محبا بصحوة نفسك لا بغيبوبتها.

. كُن حنونا بمودتك لا بجحودك.

. ثق أنك قوة.

. تحكّم في عاطفتك دون أن تطمسها.

. ميّز بين الحب الثابت والعاطفة المهتزة واتقي الله فيما تقول وتفعل وتعمل وتسلك.

**سابعا: الإرادة قوة:** قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[١١٤٢]، وقال تعالى: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[١١٤٣].

الإرادة قوة من يمتلكها يمتلك زمام أمره. فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحر عن وعي وإدراك سابقين لأجل بلوغ غايات بعزيمة وإصرار وبدون تردد، ولذلك فاتخاذ القرار عن وعي وتنفيذه بكل وعي وتحمّل ما يترتب عليه من أعباء يدل على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشرية، ومع ذلك لا إرادة إلا بقدرة، وقرار، وتنفيذ، ومسؤولية، وتهيئ نفسي.

ولهذا قوة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرية.

وعليه فالقاعدة هي:

١ . قوة الإرادة.

---

[١١٤٢] البقرة، ٣٠ . ٣٤.

[١١٤٣] البقرة، ١٢٩ . ١٣٣.

٢ . اتخاذ القرار.

٣ . تنفيذ القرار.

٤ . حمْل المسؤولية.

٥ . تنمية القدرة.

٦ . التهيؤ النفسي.

والاستثناء هو:

١ . ضعف الإرادة.

٢ . عدم اتخاذ القرار.

٣ . عدم تنفيذ القرار.

٤ . التخلي عن حمْل المسؤولية.

٥ . عدم تنمية القدرة.

٦ . عدم التهيؤ النفسي.

**ثامنا: قوة الإرادة تقوّي المناعة:** قال تعالى: {قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى}[١١٤٤].

---

[١١٤٤] طه، ٦٥ . ٧٦.

وقال تعالى: {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ}[١١٤٥].

بما أن الإرادة تقوّي المناعة.

إذن القاعدة هي:

١ . قوة الإرادة.

٢ . قوة المناعة.

والاستثناء هو:

١ . ضعف الإرادة.

٢ . ضعف المناعة.

وعليه:

وفقا لقاعدة المتوقع خذ بالقاعدة.

ووفقا لقاعدة غير المتوقع لا تهمل الاستثناء.

ولهذا كلما قويت إرادة الأبناء والمتعلمين والمسؤولين قويت مناعتهم.

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الأنهيار، والاستسلام لِما لا يجب. ولهذا على الخليفة أن يعمل على تقوية مناعة الناس حتى لا

[١١٤٥] الأنبياء، ٥٩ . ٧٢.

يستسلموا للمؤثرات السلبية، ويظلوا طريق الهداية التي من أجلها استخلفوا في الأرض ليصلحوا فيها ولا يفسد ولا يسفكوا الدماء بغير حق.

لذلك على الخليفة، أن يستثمر قوة الإرادة من أجل تقوية بناء شخصية الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرقي في المهارة والمسلك، حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى كل سالب أو ضلالة.

ولهذا، يستثمر الخليفة قوة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة، وتنمية أنماط التفكير الصائبة، التي تُمكن الأفراد من أحداث النقلة إلى مستويات الطموح المتطوِّرة عبر الزمن.

**تاسعا: القرار قوة:** القيوم المطلق هو القائم على كل أمر وهو الذي بيده القرار المطلق بالأمر (كن) إما القيوم على القول والفعل وحمل المسؤولية وممارسة الحقوق وأداء الواجبات فقراره لا ينفذ إلا بقوة مادية بشر وإمكانات، وفي جميع الأحوال القرار قوة ولا تنفذه إلا قوة، والقرار سلطان والسلطان قوة، قال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالأنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[١١٤٦].

تكمن قوة القرار في اتخاذه بمسؤولية، وفي درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره. ولذا كل قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجردة إلى أن يتم الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافدا وذلك بتماثل العزيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة.

ولهذا فالقاعدة هي:

١ . قوة القرار.

٢ . الإلمام بالمعطيات.

٣ . التنفيذ الإرادي.

والاستثناء هو:

١ . ضعف القرار.

---

[١١٤٦] الرحمن، ٣٣ . ٣٦.

٢ . عدم الإلمام بالمعطيات.

٣ . التنفيذ غير الإرادي.

وعليه: لا تحدث الأشياء إلا بقرار. ولا تنجز المهام والأعمال إلا به.

ولهذا القرار في دائرة الممكن المتوقع هو الوعي بما يجب.

والقرار في دائرة الممكن غير المتوقع هو عدم الوعي بما يجب. ما يجعل البعض يقدمون على أداء ما لا يجب. وهنا يفسح المجال أمام الخليفة لممارسة دوره الذي أقره له الواحد الصمد قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِد فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أحدا}[١١٤٧].

ولأن كل شيء بقرار، والقرار لو لم يكن سابقا على وجود الأشياء والمخلوقات ما كانت، ولهذا كان الوجود بقرار، والعدم بقرار. والبعث بقرار وإصدار الأمر بقرار والنهي بقرار، وهكذا العقاب والتواب، والغنى والفقر، والعلم والحكمة، والجهل والغفلة.

وبما أن كل شيء بقرار.

إذن لا شيء بدونه.

ومع أن كل شيء بقرار ولا شيء بدونه، إلا أن القرار لا يخرج عن كونه متوقعا أو غير متوقع. ولهذا كل القرارات على مستوى المستخلفين في الأرض هي في دائرة (الممكن).

وبما أننا نعرف أن كل شيء يقع في دائرة الممكن. إذن لا داعي للاستغراب.

وعليه: (كل شيء بقرار)، يساوي (كل شيء ممكن).

---

[١١٤٧] الكهف ١٠٣ . ١١٠.

ولهذا لا ممكن إلا بقرار.

ولا قرار إلا بممكن.

وبما أنه لا مستحيل في دائرة الممكن. إذن علينا بقبول تحدى الصعاب دون خوف ودون تراجع.

ولذا فإن القاعدة هي:

١ . اتخاذ القرار.

٢ . تحدي الصعاب.

والاستثناء هو:

١ . عدم اتخاذ القرار.

٢ . عدم تحدي الصعاب.

وعليه من لا يتحدى الصعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلا رفيعا. وكذلك في عصر العولمة من لا يسرع إلى تحدي الصعاب لن يجد له مكانا ليضع قدميه عليه، أمام الحركة السريعة للمتنافسين. ما يجعل البعض على الرصيف جالسين في دائرة المستقبل.

ولهذا كلما كان القرار الإرادي قويا وكان تنفيذه قويا، تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون أحداث النُقلة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوة القرار بقوة اتخاذه وقوة تنفيذه.

ولذا فإن قوة القرار تكمن في الآتي:

. ما يحققه ويترتب على إنجازه.

. قوة الالتزام بتنفيذه.

. استيعابه كل من يتعلق الأمر بهم أفراد أو جماعات أو مجتمعات.

. استيعابه للمتغيرات ذات العلاقة بالموضوع.

. تجاوز محققاته لِما كان متوقعا.

. أحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابا لكل من لا يتوقع.

أما قوة اتخاذ القرار فتكمن في:

. قوة القرار ذاته.

. قوة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

. قوة التنفيذ.

. قوة الهدف.

. قوة الخطة.

. قوة إعداد البرامج.

. وضوحه والمستهدف من ورائه.

. الإصرار على تجاوز السلبيات.

. الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

. بما يتركه من أثر موجب.

وعليه فإن اتخاذ القرار قوة تُمكِّن الخليفة من أحداث النقلة إلى ما هو أفضل وأجود وأرفع وأصلح وانفع.

بما أن اتخاذ القرار قوة تُكِّمن المجتمع من أحداث النقلة المحققة للإصلاح.

إذن القاعدة هي:

١ . قوة اتخاذ القرار.

٢ . تَمكُّن الخليفة من أحداث النقلة.

٣ . أحداث النقلة.

والاستثناء هو:

١ . ضعف اتخاذ القرار.

٢ . عدم تمَّكن الخليفة من أحداث النقلة.

٣ . عدم أحداث النقلة.

ولأجل ذلك ينبغي أن تُحدد الأهداف بكل وضوح، وأن تُرسم السياسات المنفذة لذلك، وأن تُحشد الإمكانات الهائلة وتستثمر على أفضل السبل، وأن يكون التطلُّع إلى المستقبل أمل متطور جنبا إلى جنب مع تطوّر الحاجات، حتى يتحقق الإشباع المرضي مع توفر الاختيارات لكل رغبة وفقا للقيم والفضائل التي يرتضيها الواحد الصمد جل جلاله.

وبهذا تكون قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه، بما أن قوة القرار في وضوحه ووضوح المستهدف منه.

إذن ضعف القرار في غموضه والتباس المستهدف منه.

ولذا فان القاعدة هي:

١ . وضوح القرار.

٢ . وضوح الأهداف.

والاستثناء هو:

١ . غموض القرار.

٢ . غموض الأهداف.

**عاشرا: الخليفة الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة:**

بما أن الخليفة الذي يجتاز الصعاب يزداد قوة.

إذن الخليفة الذي لم يتمكن من اجتياز الصعاب يزداد ضعفاً.

ولذا فالقاعدة هي:

١ . اجتياز الصعب.

٢ . ازدياد القوة.

والاستثناء هو:

١ . عدم اجتياز الصعب.

٢ . انتقاص القوة.

وعليه:

. اقبل بتحدي الصعاب فأنت قوة.

. لا تخف فالضعف لا يستطيع الصمود.

. نمي قدراتك.

. اغتنم الفرصة فهي قد لا تتكرر.

. اعمل على النجاح فهو أيسر من الفشل.

. بادر وتقدم بعد كل نهاية.

القوة تستمد من الصمد المطلق الذي يتحكم في الحركة والسكون ويسخر السحاب والرياح لحمل الأمطار ونقلها إلى الأرض الجرز، وبقوته تسقط فتنبت عشبا وزرعا مختلف ألوانه وثمار متنوعة عليها يتغذى من خلق، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ}[١١٤٨]، ومن معاني الصمد في اللغة القوة، ومنها الأرض كقوة صلبة متماسكة والجمع صماد والصمدة صخرة شديدة التمكن في الأرض، ولهذا الصمد القوي بالمطلق خلق الأرض قوة وخلق منها الإنسان قوة بعد أن بعث فيه الروح من عنده لتمده بالحركة، والعقل الذي يمده بالتفكُّر والتذكُّر وليدخل الإيمان قلبه قوة تضاعف القوة التي منها خُلق، ولهذا خلق في أحسن تقويم.

ولفظة القوة ترددت في النص القرآني الموحية بالشدة والعظمة للباري عز وجل في قوله:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ}[١١٤٩].

قوله (إلا ليعبدون) جاءت دليل وجوبي، فمن خلقك ليس لك بدا إلا أن تعبده، وعبادة الله والتمسك بعبوديته يعني تخلص من عبودية من لم يكن لهم دورا في الخلق بل لهم دور في إذلال المستعبد والتقليل من شأنه. إنّ ملاّك العبيد إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل

---

[١١٤٨] السجدة ٢٧.

[١١٤٩] -الذاريات ٥٦-٦٠

معايشهم وأرزاقهم ، فإمّا مجهز في تجارة ليفي ربحا. أو مرتب في فلاحة ليعتلّ أرضاً. أو مسلم في حرفة لينتفع بأجرته. أو محتطب. أو محتش. أو طابخ. أو خابز، وما أشبه ذلك من الأعمال والمهن التي هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق في دائرة التقليل من شأن من ارتضى بأسباب الحاجة أن يكون عبدا لغير الله،، وأمّا المالك الصمد فيريدهم أن يكونوا أحرارا، يعملوا من أجل أنفسهم ليكونوا أعزاء شرفاء وهم في استخلافهم يصلحون ولا يفسدون. إنه الغنيّ عن العباد وهو المعطي الذي لا يكل ولا يمل في عطائه ورحمته على العباد قال تعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}[١١٥٠].

إن الله سبحانه وتعالى ينزل الرزق الى الناس من السماوات والأرض وبعبادتهم له يكون لهم سميع مجيب عليم، فهو سميع بطلبهم وهم يدعونه تضرعا، ومجيب لأنه استمع لهم وعرف نواياهم التي بها يدعونه خوفا وطمعا، ولأنه مالك الملك فيجيب بالعطاء لمن أولى أمره إليه ولم يشرك به في دعائه أحدا، وعليم لأنه يعلم بحالهم وما تكنه صدورهم وما تتطلبه حاجاتهم فيقدِّر لهم ما يشبع حاجاتهم المتنوعة والمتعددة والمتطورة والحمد لله الواحد الصمد الذي نعبده ولا نعبد سواه، وله نركع ونسجد ولا نركع ولا نسجد لسواه، ولهذا فأنا عبد الله الذي قبل به ربا وأحدا أحدا صمد لا شريك له في الأمر والملك سبحانه ما أعظم شأنه، ولأنني بشر أخطاء وأصيب اللهم أجعل في لي كل خطأ استغفار وتوبة وتصديقا تاما لقولك تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[١١٥١].

و(إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) دائم المغفرة وكثيرها للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا جل وعلا بعد ما عكفنا عليه دهراً طويلاً فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب إليهم المنافع ولذلك وعدهم على

---

[١١٥٠] – الإسراء، ٢٠– ٢١

[١١٥١] – نوح ١١– ١٢

الاستغفار بأمور هي أحب إليهم وأوقع في قلوبهم من الأمور الأخروية أعني ما تضمنه وأحبيتهم لذلك لما جبلوا عليه من محبة الأمور الدنيوية[١١٥٢].

ومن دلالات الصمد الأخرى أنه فوق كل شيء قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أحدكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}[١١٥٣]، "ويرسل عليكم حفظة"، وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارًا، يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يُضيعون[١١٥٤].

وفوقية الصمد علوه في غير مقارنة مادية فإن قلنا ذلك أوجدنا له شكل وصورة وهو سبحانه المصوِّر الذي لا يصوَّر، وهو فوق كل شيء، وهذا يعني في علوه عن التشبه والمقارنات، فالشيء لا يقارن إلا بمثله، والله الصمد لم يكن شيئا، بل هو خالق الأشياء جميعها، ولهذا لا يحق أن نضرب الشبه والأمثال بين الأشياء في مقارنة مع خالق الأشياء بمشيئته جل جلاله. ولهذا لا يمكن أن يكون خالق الأشياء شيئا، بل أنه الواحد الأحد الصمد الذي يعلو عن أن يكون شيئا. قال تعالى: { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[١١٥٥].

والصمد هو الغالب الذي لا يغالبه أحد جل وعلا قال تعالى: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الواحد الْقَهَّارُ}[١١٥٦] وقهر الجبابرة بالعقوبة والخلق بالموت {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ

---

[١١٥٢] – الآلوسي ج ٢١ ص ٣١٣

[١١٥٣] – الأنعام، ٦١– ٦٢

[١١٥٤] تفسير الطبري – ج ١١ ، ص ٤٠٩.

[١١٥٥] الأنعام، ١٠٢ . ١٠٥.

[١١٥٦] – يوسف ٣٩

هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الواحد الْقَهَّارُ}[١١٥٧]، وقهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه وتدبيره فلا يتحرك منها متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[١١٥٨]، وقوله تعالى: {يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الواحد الْقَهَّارِ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[١١٥٩]، وهو لا شريك له ولا ولد إنه الغالب الكامل القدرة قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الواحد الْقَهَّارُ}[١١٦٠].

الصمد هو الذي بيده أمر الولاية والعناية، وهذا الاعتناء تمثل بلفظة العين التي تشربت بالنص القرآني فكانت معبرة وموحية بقدرة الباري عز وجل في تسيير الأمور وتفعيل المعجزات {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}[١١٦١].

وقد تجلت العناية أيضا في حفظ خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ

---

[١١٥٧] – الرعد ١٦

[١١٥٨] – إبراهيم، ٤٨ – ٥١

[١١٥٩] – غافر ١٧

[١١٦٠] – الزمر ٣– ٤

[١١٦١] – هود ٣٧–٣٩

النُّجُومِ[١١٦٢]، بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) أي في حفظنا وعنايتنا، فالعين مجاز عن الحفظ.

كذلك تبرز العناية كملمح رباني يريده الباري تبارك وتعالى في عرض معجزاته و تبليغها للناس فوجود يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت حمل رسالة عظيمة تتحدث عن العناية الإلهية التي حفظته في ظلمات ثلاث، فالمشهد هنا يتسم بالعظمة والانبهار ويحيل الى التفكر مليا بهذه العناية الربانية التي صورت معلما بقي شاخصا في الذهن، وهذه دلالة للصمد في قصة يونس عليه الصلاة والسلام الذي لم يفكر بالالتجاء إلا الى الصمد وحده، فكانت الاستجابة في قوله تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ}[١١٦٣] لم يلتجئ يونس إلا الى الله لأنه يعلم أنه الصمد وحده الذي لا يكشف ما به إلا هو.

وهكذا كانت القوة الربانية صامدة بقوة الواحد الأحد الصمد كما هو الحال مع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى في ذكر بعضهم في سورة الأنبياء: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[١١٦٤].

---

[١١٦٢] – الطور ٤٨-- ٤٩

[١١٦٣] – الأنبياء، ٨٧، ٨٨.

[١١٦٤] الأنبياء، ٨٣ . ٩٠.

الصمد الذي صَمَد إليه كل شيء أَي الذي خَلق الأَشياءَ كلها لا يَسْتَغْني عنه شيء وكلها دالّ على وحدانيته[١١٦٥] يقول الحق تبارك وتعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[١١٦٦].

الله هو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة وأَصل الخلق التقدير فهو باعْتبار تقدير ما منه وجُودُها وبالاعتبار للإِيجادِ على وَفْقِ التقدير خالقٌ والخَلْقُ في كلام العرب ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إِليه وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إِليه أَلا له الخَلق والأَمر تبارك الله أَحسن الخالقين[١١٦٧].

فقد استعمل القرآن الكريم الفعل (خلق) للدلالة على ما كان قد خلقه سابقا من مادة موجودة أصلا فقال {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[١١٦٨]، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[١١٦٩].

إن قانون الحياة قائم على الذكر والأنثى في أصل إيجاده كما قال تعالى: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأنثَى}[١١٧٠] وقانون الوجود الحي قانون ثنائية (الذكر و الأنثى) شامل لكل المخلوقات المخلوقة من الشيء وهو السابق في الخلق عليها كسبق الأرض على خلق آدم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

---

[١١٦٥] – لسان العرب، ج ٣ ص ٢٥٨

[١١٦٦] – الأنعام، ٧٣

[١١٦٧] – لسان العرب ج ١٠ ص ٨٥

[١١٦٨] – الروم، ٢١

[١١٦٩] – النساء، ١

[١١٧٠] – الق، يامة ٣٧– ٣٩

عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١١٧١] فكل أشكال المخلوقات الموجودة من مادة أخرى يشملها قانون ثنائية (الذكر الأنثى) قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[١١٧٢]، وقال تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[١١٧٣].

ولأن كل مخلوق هو مخلوق من شيء فكان خلق الإنسان من صلصال وخلق الجان من نار قال تعالى: {خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[١١٧٤]

وجاء الخلق بدلالة الإيجاد من غير أصل ولا احتذاء ويدخل تحت هذا النوع من الإيجاد خلق السموات والأرض كقوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[١١٧٥].

ثم يعود النص القرآني فيستعمل ذات الفعل بدلالة إيجاد أشياء وأنواع وأجناس أخرى لم توجد بعد ولا نعرفها فيقول تعالى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[١١٧٦]، وقوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أجلا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}[١١٧٧] نلحظ استخدام الفعل المضارع (يخلق) الدال على الحال والاستقبال والذي يشير الى إيجاد مخلوقات لا نعرفها ولا نشاهدها في حياتنا الآن، ولذا فالصمد هو الخلاق العليم قال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

---

[١١٧١] – النور ٤٥

[١١٧٢] الرعد ٣.

[١١٧٣] الذاريات ٤٧ . ٤٩.

[١١٧٤] الرحمن، ١٤ . ١٦.

[١١٧٥] – البقرة، ٢٩

[١١٧٦] – النحل ٨

[١١٧٧] – الإسراء، ٩٩

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ}[١١٧٨].

ثم يعود النص القرآني ليستعمل اسم الفاعل من خلق (خالق) والناس يقولون لا خالق إلا الله والمراد أن هذا اللفظ لا يطلق إلا لله إذ ليس أحد إلا وفي فعله سهو أو غلط يجري منه على غير تقدير غير الله تعالى.

ويقول تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[١١٧٩]. أي أن الله يخلق أشياء جديدة في الإنسان على مدار حياته من ناحية الفكر والبصر والسماع حتى في عملية النطق لا تبقى ثابتة بوتيرة واحدة من الولادة الى الممات إنما تتشكل تشكلا جديدا وفق معطيات الحياة التي يعيشها الخليفة.

وقصر الله سبحانه وتعالى صفة (الخالق) على ذاته فقال: {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الواحد الْقَهَّارُ}[١١٨٠]. الاستفهام هنا مستعمل في التهكم والتغليط[١١٨١] على من اتخذ إلها غير الله يخلق مثله ليتقرر بعدها بأسلوب إظهار اسم الجلالة من هو الخالق (قل الله خلق) لتأكيد الدلالة على من خلق ويخلق وسيخلق ما يريد.

ولأن خلق أشياء جديدة في كل مخلوق غير محسوسة ومنظورة وكأنها لا توجد بينما الرزق الذي يأتي به تعالى للإنسان منظور ومحسوس فعبر تعالى عنه بقوله {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}[١١٨٢] فجعل تعالى خلقه لأشياء متجددة في الإنسان على صفة الثبوت واللزوم إلى موته باستخدام اسم الفاعل (خالق) ولأنها من ثبوتها ولزومها للإنسان لا يشعر بفضل الله

---

[١١٧٨] الحجر ٨٥، ٨٦.

[١١٧٩] – الأنعام، ١٠٢

[١١٨٠] – الرعد ١٦

[١١٨١] – التحرير والتنوير، ج ٧ ص ٣٥٦

[١١٨٢] – فاطر ٣

عليه فيها بينما الرزق فيه دلالة ملموسة على نعمة الله وفضله فعبر بالفعل المضارع (يرزقكم) الدال على تجدد النعم.

ويعود الخطاب القرآني فيستعمل صيغة المبالغة (خلاق) للدلالة على مراحل الإيجاد التي مر بها كل مخلوق حسب القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيم}[١١٨٣] وما يعلمه الله الصمد بالمطلق هو ما لا نعلمه ولن نعلم إلا ما يعلمنا به أو يظهرنا عليه في مقابل إظهاره لنا، وفي قصة خلق الخليفة مراحل متعددة من تراب ومن ماء، ومن نطفة وهكذا سبحانه بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}[١١٨٤] وأشار بعدها أنه جمع بين الماء والتراب ليصبح طينا فقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أجلا وَأجل مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ}[١١٨٥] وفي مرحله أخرى من الإيجاد قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[١١٨٦] إشارة منه تعالى الى تغير الطين الى مرحلة اليبس وسماع صوت منه فيبس حتى إذا نقر صلصل[١١٨٧].

ولهذا شبهه تعالى في آخر المراحل بالفخار فقال تعالى: {خَلَقَ الإنسان مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}[١١٨٨] يكشف لنا هذا التشبيه الحسي عن القدرة الإلهية المتمثلة في نفخ الحياة في الأموات وبعث الحياة في الجماد، إن إيجاد الإنسان يشبه صنع قطعة من الفخار فالمواد الأولية واحدة في كليهما إلا أن المفارقة أن الله سبحانه وتعالى ينفخ الحياة في الإنسان فيصبح كائنا حيا بينما الفخار الذي يصنعه الإنسان يبقى بلا حياة وهكذا كل شيء خلقه تعالى يمر بمراحل في إيجاده وهذا الذي دل عليه استخدام صيغة المبالغة (خلاق).

---

[١١٨٣] – الحجر ٨٦

[١١٨٤] – الروم، ٢٠

[١١٨٥] – الأنعام، ٢

[١١٨٦] – الحجر ٢٦

[١١٨٧] – الكشاف، ج ٣ ص ٣١٠

[١١٨٨] – الرحمن، ١٤

أما إذا أراد الله جل وعلا أن يخلق مخلوقا بلا مراحل فإنه يخلقه بالقول أي (كن فيكون) ولهذا عندما خلق الله عيسى عليه السلام خارجا عن قوانين الخلق التي فطر بها خلقه سبحانه وتعالى جاء بالقول: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[١١٨٩] وعبر عن تكوين الله لعيسى بفعل يَخْلق: لأنه إيجاد كائن من غير الأسباب المعتادة لإيجاد مثله.

إما في قوله {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}[١١٩٠]. قال هنا (يفعل ما يشاء) لأن العمل سيتم على وفق القانون الأصلي للخلق على مراحل وكل ما في الأمر أن الله تبارك وتعالى أصلح له زوجه بعد أن كانت عاجزة عن الولادة كشفاء المريض بعد مرضه (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}[١١٩١] نلحظ أن الخلق جاء في كثير من الآيات في مقام إثبات الألوهية والربوبية له تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[١١٩٢].

أفمن يخلق هذه الأشياء التي ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شيء أفلا تذكرون فإن هذا القدر لا يحتاج إلى تدبر وتفكر ونظر. ويكفي فيه أن تتنبهوا على ما في عقولكم من أن العبادة لا تليق إلا بالمنعم الأعظم، وأنتم ترون في الشاهد إنساناً عاقلاً فاهماً ينعم بالنعمة العظيمة، ومع ذلك فتعلمون أنه يقبح عبادته فهذه الأصنام جمادات محضة، وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها، وكيف تجوزون الاشتغال بخدمتها وطاعتها[١١٩٣]. والنظر الى ما خلق الله تعالى لمعرفة عظيم صنعه ومن ثم التفكر في من

---

[١١٨٩] – آل عمران، ٤٧

[١١٩٠] – آل عمران، ٤٠

[١١٩١] – الأنبياء، ٩٠

[١١٩٢] – النحل ١٧

[١١٩٣] – الرازي، ج ٩ ص ٣٦٨

يستحق العبادة {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجلهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}[١١٩٤].

الصمد هو المُطَاعُ في كل شيء وهو العزيز الحكيم، وهو الرفيع العلي في قوته وصمده وعدله وحكمه وهيمنته وقدسيته، وتتشكل الإطاعة من سلسلة متصلة بعضها مع بعض تبدأ بالصمد تبارك وتعالى ثم يأتي بعده مبلغ البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التسلسل رسم لنا طريق التبليغ الذي اقره الباري عز وجل {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ[١١٩٥].

ولأنه الصمد الذي في رفعته لا يُطال بأي حال ولو اجتمعت الجن والأنس وهو العادل في حكمه وملكه ألا يكون هذا العظيم الصمد عز وجل أولى بان يطاع ويعبد؟ أم أن بعض العباد ليست لهم عقول في رؤوسهم؟. وإلى متى سيظلون في غفلتهم ولهوهم عن ذكر الله الذي بذكر تطمأن القلوب وتلين مع الرحمن الرحيم؟.

ويتجلى مع الإطاعة السمع كي لا يكونون كالصم المكذبين من الكفرة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}[١١٩٦]، وهنا ننتقل الى مرحلة جديدة من الإطاعة فقد دخل عنصر ثالث ضمن التدرج الذي واكب الخطاب القرآني ورسمه ضمن بنية جديدة يكون على أساسها تنفيذ الأوامر الإلهية، يقول الحق تبارك وتعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}[١١٩٧]، والمراد بأولي الأمر منكم: الذين تولوهم الأمر الذي يجب أن تفعلوه مباشرة بأنفسكم بإرادة، ولكن لأسباب الاشتراك مع الآخرين فيه، كان لزاما أن يتم اختيار من يتولى الرعاية المشتركة للأمر المشترك، ومن يتم اختياره للأمر لا ينوب عن من ولُّوه إدارة الأمر فيما لم يوله إليه من أمر. ولذا فالفرق كبير

---

[١١٩٤] – الأعراف ١٨٥

[١١٩٥] – آل عمران، ٣٢

[١١٩٦] – الأنفال ٢٠

[١١٩٧] – النساء، ٥٩

بين قوله (أولي الأمر منكم) وبين أن يقول أولي أمركم، فأولي أمركم هم آباؤكم وأخوتكم البالغين مستوى تحمل مسؤولياتكم وأنتم قصر، ولذا فالحاكم الذي يستولي على السلطة ليحكم العباد كرها، لا ينبغي أن يطاع، فهو غير مقصود بقوله (أولي الأمر منكم) فأولي الأمر منكم هم الذين يتم اختيارهم لرعاية الأمر الذي يتخذ من قبل الذين لهم علاقة به.

وعليه لا طاعة بالمطلق إلا للصمد تعالى والرسول الكريم وحتى الوالدين طاعتمها في غير معصية الله. ولهذا قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}[١١٩٨]، وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا[١١٩٩].

اللهم يا الصمد يا مستغني بذاتك عن الصاحبة والولد اجعلنا وزوجاتنا وولداننا ووالدينا صامدين على طاعتك ووحدانيتك واجعلنا منزهين عن الإفساد في الأرض التي خلقتنا منها وارتضيت لنا الاستخلاف والإصلاح فيها. اللهم أنت قاضي الحوائج فاهدنا إلى ما يُمكِّنا من قضاء حوائجنا وبكل ما يفيد وينفع، وبما فيه رضاك عن أقوالنا وأفعالنا وأعمالنا، اللهم يا الصمد نفوض لك الأمر في الظاهر والباطن وفي السر والعلن، فأنت الصمد الذي تَطعِم ولا تُطعَم وأنت تقضي بالحق حتى يحق، وتدمغ الباطل حتى يُزهق، فأطعمنا من لذيذ رزقك وارونا من سائغ رحمتك وأقر عيوننا ببديع نورك.

اللهم يا الصمد نسألك أن تغفر لنا ذنوبنا، وتستر عيوبنا وتجعلنا صامدين على الحق واتباعه، وصامدين على الإحسان واتباعه، وصامدين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللهم يا الصمد اجعلنا مؤمنين طائعين لكتابك الحكيم ولرسولك الكريم الذي صليت وملائكتك عليه وقلت وقولك الحق: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد في كل مكان وزمان وسرا وعلانية.

---

[١١٩٨] – محمد ٣٣.

[١١٩٩] – النساء، ٨٠.

اللهم يا الصمد  إنا أطعناك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، فأكرمنا بالجنة وأبعدنا عن النار وزح عن صدورنا كل هم وغم.

# القادر

القادر: من أسماء الله الحسنى وفي لسان العرب: "القادر هو مقدَّر كل شيء وقاضيه"[١٢٠٠].

"القادر على كل شيء"[١٢٠١]

القادر: هو الذي تُستمد منه القدرة ولا يُستمد من قدرة، ولأنه القادر فهو الغالب بالمطلق الذي تذل أمامه الصعاب وهو لا يذل، ولذا فهو المغالب لكل قدرة، أي أنه مغالب بالقوة التي تمده

[١٢٠٠] لسان العرب المحيط لابن ظور ، ج ٢، ص ٣٠.

[١٢٠١] بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا عليه السلام، ج ١، ص ٥٦.

بالقدرة المطلقة، قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[١٢٠٢]، عباده هم خلائقه من بني آدم، الذين منهم الوارثون ومنهم دون ذلك، والوارثون هم المستخلفون فيها بالحق لإحقاق الحق فيها بالإصلاح والإعمار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما أولئك الذين من دونهم فهم المفسدون فيها بغير حق، كفرا وعصيانا وشركا بالله الواحد الأحد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد لا إله إلا هو جل جلاله.

وهو القاهر فوق عباده بالقدرة التي لا تضاهيه قدرة، قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أحدكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}[١٢٠٣].

القادر اسم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته تعالى المتعلق بصفات الذات، والقادر: اسم فاعل من قَدَر يَقْدر[١٢٠٤]. أي فاعل القدرة المطلقة.

القادر هو الذي يفعل ما لم يستطع غيره فعله، ولذا فهو فعَّال لما يريد، {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[١٢٠٥].

القادر لا يُعرَّف إلا بقدرته على القول والفعل، وعلى إنطاق من يريد بقدرته أن يكون ناطقا، ومن يكون مغردا ومن يكون أصم وأبكم، ومن يكون ساكنا ومن يكون على حالة من الحركة، وهو القادر على أن يحيي ويميت سبحانه لا إله إلا هو محقق الحياة والممات إلى يوم يبعثون.

---

[١٢٠٢] الأنعام، ١٨.

[١٢٠٣] الأنعام، ٦١ . ٦٥.

[١٢٠٤] – النهاية في غريب الأثر، ج٤ ص٤١

[١٢٠٥] هود ١٠٧.

القادر هو الذي تستمد القدرة منه، فاتصف بها بالمطلق لا شريك له، إنه بها خَلق الشيء وخلق من الشيء أشياء بدون نهاية، وهو الذي بقدرته جعل له في الأرض خليفة، ليصلح فيها ولا يفسد ولا يسفك الدماء بغير حق.

والقادر بالإضافة هو المستخلف فيها وهو من حمْل الأمانة من أجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ومع أنه حمْل عظيم، إلا أن تحمُّله يزيد المؤمنين به عظمة.

قال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}[١٢٠٦].

قل يا محمد أن الله هو القادر على أن يبعث عليكم أيها الكفرة الفجرة المشركين عذابا لا تتوقعونه من أين يأتيكم، فالقادر قادر على أن يأتي بالعذاب من جميع الجوانب، وكيفما يشاء، ولأنه يشاء كيفما يشاء قال: (مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) فأن كان من فوقكم فتكون الضربة القاسمة من أعلى (من جند السماء) وإن كانت من أسفل فتكون من (جند الأرض الصالحين) الذين يفعلون ما يؤمرون، مثلما يفعل الملائكة الذين هم على النار قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[١٢٠٧].

القادر هو المختص بالآتي وبما ليس بالآتي:

إنه المختص بالخلق: بقدرته خلق الشيء وخلق منه الأشياء وهي النعم التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: {وَآَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[١٢٠٨]. وجعل الخليفة المستمد قدرته من قدرته تعالى قادرا على أن يصنع مما

---

[١٢٠٦] الأنعام، ٦٥.

[١٢٠٧] التحريم ٦، ٧.

[١٢٠٨] إبراهيم، ٣٤.

خلق الله له من نعم أشياء جديدة تفيده في حياته مثل المأكل والمشرب والملبس والمركوب وغيرها كثير.

ولأنه القادر البصير، جعل خليفته مبصرا ليرى ما خلق حتى يهتدي للتي هي أحسن، ولكن وللأسف هناك من اتقى ربه وشهد له بالوحدانية وعمل صالحا فكان له خليفة، وهناك من بصر وكفر وجعل له شريكا في الملك، ولهذا فإن القادر يملك القوة التي بها يحيي ويميت ومع ذلك يمهل ولا يهمل وهو الغفور الودود.

ولأنه القادر السميع، فجعل بقدرته عباده يسمعون الحق، ومع ذلك فمنهم من اتبعه بالهداية والفلاح وهناك من ضل السبيل، فالذي اهتدى بأمر الله إليه كان خليفة مباركا من عند القادر، ومن ظل كان مفسدا بغير حق فينالله عذاب شديد إلا من استغفر وتاب لربه سيجده توابا رحيما وأحدا أحدا لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ولأنه القادر العليم بالمطلق، جعل علمه بين العباد في دائرة الممكن وجعل فوق كل ذي علم عليم مصداقا لقوله تعالى: {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}[١٢٠٩].

والقادر المطلق علمه مطلق في حالتين:

في الظاهر: الظاهر هو ما ليس بكامنٍ ما يجعله خاضعا للملاحظة والمشاهدة والتعرف عليه بشكل مباشر أو غير مباشر. ولذا فالمعلومة الظاهرة تُسهم في تحليل ظواهر من بعدها، وهكذا تُحلل المعلومات وفق البيانات المشاهدة، والملاحظة والمحسوسة، سواء كانت سلوكا، أو شكلا، أو كما، أو فعلا؛ والظاهر هو الذي يتم التوقف عنده من أجل التعرف عليه، ومع ذلك ليس كل ظاهر واضح، بل معظم الظواهر تحتاج إلى توضيح، سواء كانت ظواهر طبيعية أو اجتماعية. والتوضيح هو تبيان ذلك الظاهر بما ظهر به عن الكامن، وبما ظهر عنه من أفعال، أو أقوال، أو إنتاج، فالإنسان قيمة كامنة في الإنسان الشكل، وهكذا السلوك تصرف ظاهر من الشكل الذي له كامن.

---

[١٢٠٩] يوسف ٧٦.

الظاهر هو الذي لم يعد مخفيا عن المشاهدة والملاحظة ما يجعله بيّن للمعاملة والتعامل الموضوعي، وهو الذي من وراء ظهوره غاية، ما يجعله قابل للامتداد والحركة ويتجسّد في السلوك والفعل بالنسبة لِما يتعلق بالحياة البشرية. الظاهر ما ليس بكامن، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين النية والفعل، فالنية ساكنة كامنة إلى حين تتوفر معطياتها فتمتد من حيز سكونها إلى الظهور في الفعل والسلوك. ومثل النواة التي فيها تكمن النخلة وعندما تغرس النواة في التربة المناسبة لنموها تظهر النخلة منها للمشاهدة والملاحظة وتنتهي النواة وتصبح هي الأخرى محمولة (كامنة) في النخلة عندما تتمر.

ولأنه القادر الودود، جعل وده بين العباد محبة له، وبينهم محبة، من أبوة وأمومة وأخوة وعمومة ومخولة وجيرة وذوي قربى في الدين لله الواحد الأحد. ومع ذلك هناك من جعل المحبة والمودة بين الناس فأصلح، وهناك من نصب العداء وفرق بين المرء وزوجه، فكانت اللعانات تلاحقه أينما حل، قال تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[١٢١٠].

قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آَبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ}[١٢١١] أي ما عظموه حق تعظيمه. القَدِيرُ والقادِرُ من أسماء الله عز وجل ومن القادر تستمد القدرة وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير من القُدْرة فالله عز وجل على كل شيء قدير والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ

---

[١٢١٠] آل عمران، ٥٩ . ٦١.

[١٢١١] – الأنعام، ٩١

شيء[١٢١٢]، وتتشعب المادة اللغوية للفعل قدر لعدة دلالات تتمركز حول فكرة أساسية محورية هي الإتيان بالشيء على وجهه التام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان.

وقد وردت المادة اللغوية قدر وتفرعاتها في القرآن الكريم مائة وتسع عشرة مرة فهي ذات كثافة ترددية عالية وهذا يدل على أهمية المادة اللغوية وحملها لكثير من الدلالات القرآنية التي تكاد تستوعب معظم موضوعات القرآن، ويمكننا استنتاج الدلالات الآتية من تردد الفعل قدر في فهم اسم الجلالة القادر، ومن خلال استقراء المادة القرآنية وبحسب كثرة ترددها تبين أنها تدل على الدلالات الآتية :

١ – أن الله هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدا عليه ولا ناقصا عنه وقد مثل هذه الدلالة لفظ قدير ومنه قوله تعالى: {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢١٣]، ولهذا لا يصح أن يوصف بالقدير المطلق إلا الله تعالى، لأنه لا يستطيع أحد بإتيان الأمر على تمامه إلا الله تبارك وتعالى.

٢– إعطاء الشيء على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسب ما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله ضربان: ضرب أو جده بالفعل، ومعنى إيجاده بالفعل أن أبدعه كاملا دفعة لا تعتريه الزيادة أو النقصان إلى أن يشاء أن يفنيه أو يبدله كالسموات وما فيها ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالقوة على وجه لا يتأتى منه غير ما قدروه فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون، وتقدير الحيوان الذكوري للأنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات. فتقدير الله على وجهين: أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا أو لا يكون كذا، أما على سبيل الوجوب وأما على سبيل الإمكان ومنه قوله تعالى: {لَهُ مَقَالِيدُ

---

[١٢١٢] – لسان العرب، ج ٥ ص ٧٤

[١٢١٣] – البقرة، ١٤٨

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[١٢١٤]، والملاحظة المهمة حول هذه الدلالة إنها ترتبط دائما بالرزق الذي يقدره الله لمن يشاء من عباده.

٣- دلالة التقدير: هذه دلالة قياسية في دائرة الممكن الموزون والمكيل وقياسات الطول والعرض المتري، والقادر هو المالك للمادة والروح والنفس والبدن، هذه المادة مرتبطة بإيجاد السموات والأرض وإحكام صنعة الأشياء قال تعالى: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[١٢١٥] وقوله تعالى {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}[١٢١٦]

أما اسم الله القادر فلم يتردد إلا سبع مرات وهو اسم فاعل للفعل قدر واسم الفاعل كما نعلم يدل على من اتصف به مع ثبات في هذه الصفة ودوام اتصالها به، ولهذا نلحظ أول شيء يمكن قراءته من تتبع الآيات التي ورد فيها اسم الفاعل قادر أنها جاءت لإثبات صفة القدرة لله تعالى من غير انفكاك عنه ولهذا قيل أن القدرة من صفات المعاني التي تتعلق بالذات الإلهية لأنها لا تنفك عن الذات الإلهية حالها حال الإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، فهذه الصفات لا تنفك عن ذات الله تعالى ومنها القدرة فهي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه ولهذا ارتبط اسم القادر بسياقات تدل على الخلق وإعادة الخلق أو الإتيان بالأمر المستحيل مثل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أجلا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}[١٢١٧] وقوله تعالى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ}[١٢١٨] وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ

---

[١٢١٤] – الشورى ١٢

[١٢١٥] – الأنعام، ٩٦

[١٢١٦] – يس ٣٨

[١٢١٧] – الإسراء، ٩٩

[١٢١٨] – يس ٨١

بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢١٩] كما ارتبط لفظ قادر في مسألة الإتيان بالآيات المعجزة سواء آيات حسية إعجازية كونية أم آيات كتابية قرآنية يقول تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[١٢٢٠].

والأدلة على أن الله قادر تنقسم إلى عقلية ونقليه، والأدلة تتحدد وفق أربع نقاط:

أ – أنه تعالى لو لم يتصف بالقدرة لكان عاجزا ولو كان عاجزا لما وجد شيء من هذه الحوادث المحكمة الصنعة المرتبة المتقنة وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة.

ب – لو كان عاجزا لكان ناقصا والنقص على القادر محال.

ج – لو كان عاجزا لكان ناقصا، ولو كان ناقصا لكان محتاجا إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل أخر..... وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطل.

د – الله صانع بديع، والمصنوع حادث، وصدور الحادث عن السابق لا يتصور إلا بطريق القدرة التي في ملك القادر.

يتبين من الأدلة العقلية السابقة أن إثبات القدرة لله تعالى مرتبط بنفي العجز عنه، هذا العجز أثبته القران لبني آدم منذ الخلق الأول إذ تعلق بأحد ابني ادم الذي ظهر عجزه في إدراك ما غاب عن حسه المشاهد حتى تحققت له ذلك برؤية الغراب قال تعالى: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ[١٢٢١] فبعد أن قتل أخيه هابيل تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه من السباع فحمله في جراب على ظهره، هنا العجز ليس بمعنى عدم القدرة أو الاتكال على الغير إنما

---

[١٢١٩] – الأحقاف، ٣٣

[١٢٢٠] – الأنعام، ٣٧

[١٢٢١] – المائدة، ٣٠ – ٣١

هو عجز في التفكير كيف يتصرف بهذه الجثة، هذا الأمر يوحي لنا بأن مدارك الإنسان في بدايته مازالت أوليه، فدفن الجثة من قبيل طلب سَتر المشاهد المكروهة.

ويتردد العجز في أساليب الخطاب التي تعتمد على رسم صورة ذهنية معتمده على واقع حسي مدرك ، أي أن هذا النوع من الخطاب يرتسم من خلال صورة يدركها الذهن إذ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}[١٢٢٢] فالصورة هنا أطرف وأدق مثل في تصوير ضعف الشركاء ومهانة الآلهة المدعاة وهذه الآية مثلت الضعف في أبين صورة وأبرزت عجز هؤلاء الذين ادعى المشركون أنهم آلهة قادرين يمنحون ويمنعون .

أما الأدلة النقلية على قدرة القادر فكثيرة في كتاب الله، ويكفي أن ننظر في المواضع السبعة التي ورد فيها لفظ القادر ليتبين لنا أنها جاءت بسياقات تتعلق بإثبات قدرته تعالى على أحداث الأشياء ويصور منها أشياء إعجازية، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آَيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[١٢٢٣] فالمخاطبون هنا تصوروا عجز الله عن الإتيان بأية ينصر بها رسوله فأثبت الباري قدرته على ذلك، وكذلك في قوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أجلا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا}[١٢٢٤] فالمشركون هنا يتشككون في قدرة الله تعالى على إعادتهم للحياة بعد موتهم وتحولهم إلى رفات ورميم فرد عليهم الخطاب القرآني بأن الذي خلق السموات والأرض لا يعجز على أن يعيدهم مرة أخرى فالتحدي صفة تلازم سياق الآيات التي ورد فيها اسم الله تعالى القادر، إذ تخيل المخاطبون في كل هذه السياقات عجز

---

[١٢٢٢] – الحج ٧٣

[١٢٢٣] – الأنعام، ٣٧

[١٢٢٤] – الإسراء، ٩٨ – ٩٩

الإله عن أحداث ما يريدون من أشياء فكان الجواب في كل سياق أن الله يستطيع أن يفعل بقدرته ما تخيلوا استحالته ولأهمية هذه الصفة بتعلقها بالذات الإلهية لمسنا التردد الكبير لأصل هذه المادة واشتقاقاتها في القران الكريم ومنه القدير الذي تفرد بنسبة عالية صفة لله تعالى القَدِيرُ وهو القادرُ على كل شيء من القَدْرِ والقَدَرِ وهو القضاءُ والجمعُ أقدارٌ وقَدَرَ على خلقه الأمْرَ يَقْدِرهُ ويَقْدُره قَدْراً وقَدَراً وقَدَّرَه له وعليه وقَدَرَ لهَ الرَّزْقَ[١٢٢٥]، هذا التنوع الكبير لهذه المادة القرآنية جعلت المعتزلة وهم أحد الفرق الإسلامية الأولى في التأصيل لعلم الكلام يعدون صفة القدرة أصل الصفات ويستدلون عليها بحدوث العالم. يقول القاضي عبد الجبار "اعلم أن أول ما يعرف استدلالا من صفات القديم عز وجل إنما هو كونه قادرا وما عداه من الصفات يترتب عليه لأن الدلالة التي دلت على انه تعالى هو المحدث للعالم دلت على هذه الصفة التي هي كونه تعالى قادرا من غير واسطة وليس كذلك باقي الصفات"[١٢٢٦].

إن أكثر الموضوعات صلة باسم الله تعالى القادر وبصفة القدير هو موضوع القدر في القرآن الكريم وفي الفكر الإسلامي الذي هو من الموضوعات الشائكة والخطيرة وهو وثيق الصلة بموضوع الصفات الإلهية التي تمثل القدرة مركزا جوهريا فيها سواء عند المعتزلة أو غيرهم من الفرق الإسلامية فهل الإنسان مخير أم مسير؟. وفق قدر الله وتقديره وما هي الصلة بين إرادة الله وإرادة الإنسان فإذا كان مجبرا على فعله فكيف يحاسبه الله تعالى وان كان مختارا فما موقع هذا الاختيار من إرادة الله وهل يصح أن يفعل الإنسان شيء لا يريده الله ؟ أن نظرة أولية في النصوص التي وردت فيها مادة القدر والتقدير تؤشر حقيقة أساسية أن الله بيده كل شيء وأنه لا يحدث شيء إلا بعلمه وإرادته يقول تعالى {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}[١٢٢٧] وقوله تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ

---

[١٢٢٥] – المخصص، ج ٤ ص ٣٠٤

[١٢٢٦] – شرح الأصول الخمسة، ص ١٥١

[١٢٢٧] – الرعد ٢٦

مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[١٢٢٨]وقوله تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}[١٢٢٩] ويقول تعالى في إثبات قدرته {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[١٢٣٠] وقوله: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[١٢٣١] إلا أن نصوصا أخرى تثبت قدرة للأنسان و إرادة له قال تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ}[١٢٣٢]، وقال تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[١٢٣٣] ووصف أحد مشركي قريش بالقدرة إذ قال عنه {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}[١٢٣٤] فهنا يقدح السؤال كيف تتعلق قدرة بقدرة الإنسان التي أثبتها القرآن؟ وبدون الدخول في التفاصيل التي لاتهمنا كثيرا فان إثبات القدرة للأنسان لا يتعارض مع إثبات القدرة لله تعالى لأن الله شاء أن يكون الإنسان قادرا يستطيع أن يفعل ما قدره الله له فهو يستطيع أن ينشي وينظر ويسمع لأن الله أراد له ذلك ولكنه لا يستطيع أن يطير مثلا لأن الله لم يقدر له ذلك وقدر للغير من خلقه.

أما مظاهر قدرة الله تعالى التي وردت بسياق القدرة فكثيرة ومنها:

---

[١٢٢٨] – القصص، ٨٢

[١٢٢٩] – فصلت، ١٠

[١٢٣٠] – هود ١٠٧

[١٢٣١] – البقرة، ٢٥٣

[١٢٣٢] – النمل ٤٠

[١٢٣٣] – الكهف ٢٩

[١٢٣٤] – المدثر ١٩

**أولا: الخلق والإيجاد:**

وفي موضع واحد اجتمع إيجاد الحياة والإعادة وذلك في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أجل مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٣٥] إن لفظة قدير وردت بسياقات الخلق الاعتيادية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَأحدةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[١٢٣٦] ووردت بسياقات أخرى تدل الخلق المعجز مثل خلق عيسى عليه السلام فقال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٣٧] وكذلك الحال مع زكريا في قوله تعالى: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا}[١٢٣٨].

كذلك خلق العوالم العظيمة يتجلى ذلك في قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ}[١٢٣٩] هذه الآية دالة على انفراد الله

---

[١٢٣٥] – الحج ٥ – ٦

[١٢٣٦] – النساء، ١

[١٢٣٧] – المائدة، ١٧

[١٢٣٨] – مريم ٧ – ٩

[١٢٣٩] – الشورى ٢٩

تعالى بالإلهية وهي آية خلق العوالم العظيمة وما فيها مما هو مشاهد للناس دون قصد الامتنان.

والآيات: جمع آية، وهي العلامة والدليل على شيء. والسياق دال على أن المراد الآيات الإلهية. والسموات: العوالم العليا والكواكب وما تجاوزَ الأرضَ من الجو.

والأرضُ: هي الأم التي منها خلقنا ونعيش عليها مع ما خلق على ظهرها وفي باطنها، وأمّا الموجودات التي في السموات العُلى من الملائكة والأرواح فلا يطلق عليها اسم دابّة. ويجوز أن تكون في بعض السماوات موجودات تدبّ فيها فإن الكواكب من السماوات، وحتى عدد الأجنحة يذكره الباري عز وجل، وفي أدق تفاصيله من ناحية الزيادة والنقصان إذ يقول تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٤٠] تجلت قدرته العظيمة في أدق التفاصيل فأي قدرة هذه التي حيرت العقول فقدرته هي في كل الأحوال فهو القادر على خلق السماوات والأرض وما فيهما من حيث ندرك ومما لا ندرك شيئا، إنه القادر المطلق الذي مدنا بقدرة منه عقلا وسمعا وحسا، إنه تعالى قادر على إعادة خلق ما يشاء فيهما.

**ثانيا: إعطاء الحياة وإعادة الحياة:**

ففي مطلع قائمة الموضوعات التي أثارت الخليفة ولا تزال تثيره قضية الحياة والموت، فلم تنقطع تساؤلاته منذ أن عرف وجوده أحس بكيانه عن سر الحياة والموت، وماهية كل منهما، والقرآن الكريم بوصفه شريعة المسلمين ومنهجهم في هذه الحياة تكثر الإشارة فيه إلى آيتي الحياة والموت في مختلف مجالاته التي عالجها وذلك لأن موضوع الحياة والموت يلمس قلب الخليفة بشدة وعمق، ويحقق الغرض المرجو منه بأعظم تأثير، كما أن ظاهرة الحياة والموت بارزة ومكررة في كل ما يقع عليه حس الخليفة. لذلك تحدث القران الكريم عن الحياة والموت بمختلف المجالات الفكرية، ومن خلال أشكال تعبيرية متنوعة، فالله تعالى هو الذي خلق الحياة والموت قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ

---

[١٢٤٠] – فاطر ١

الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[١٢٤١] والله تعالى بحكم إلوهيته للكون كله وخلقه للحياة والموت، هو الذي بيده وهب الحياة وعدمها بالموت {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا}[١٢٤٢] ولا أحد من خلق الله يملك قدرة الإحياء ولا ألاماته إنه الأمر بالمطلق بيده تعالى {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا[١٢٤٣] فالله سبحانه وتعالى هو الذي يملك الحياة والموت ولا سواه يملك، {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٤٤]، والحياة والموت صفة عظيمة من أفعال الله عز وجل. ومضمون هذه الجملة يؤذن بتعليل تسبيح الله تعالى لأن من له ملك العوالم العليا والعالم الدنيوي حقيق بأن يعرف الناس صفات كماله.

أما الإحياء والإماتة ممّا يشتمل عليه معنى مُلك السماوات والأرض لأنهما من أحوال ما عليهما، وتخصيص هذين بالذكر للاهتمام بهما لدلالتهما على دقيق الحكمة في التصرف في السماء والأرض ولظهور أن هذين الفعلين لا يستطيع المخلوق ادعاء أن له عملاً فيهما، وللتذكير بدليل إمكان البعث الذي جحده المشركون، وللتعريض بإبطال زعمهم إلهية أصنامهم، ومن هذين الفعلين جاء وصفه تعالى بصفة (المحيي المميت) وجلّ ثناؤه هو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء أو إماتة.

أمر عظيم عرضه الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم من أجل تفنيد مزاعم الكفار والوقوف على قدرته من أجل الاتعاظ والتذكر إذ يقول تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ

---

[١٢٤١] – الملك ٢

[١٢٤٢] – النجم ٤٤

[١٢٤٣] – الفرقان، ٣

[١٢٤٤] – الحديد ٢

وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٤٥].

هذه الآية تتناول كيفية الحياة والموت وحقيقة الحياة والموت وهي تؤلف جانبا من جوانب التصور الإسلامي، فالذي كان كافرا بالبعث من خلال كلمة الاستبعاد التي هي (أنى يحي) والتي تدل على الاعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء، واستعظام لقدرة المحيي، ففي هذه الآية الكريمة استعرض الله سبحانه وتعالى مراحا إعادة الحياة وهي عملية عكسية تختلف عن إيجاد الخلق إذ يقول تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ}[١٢٤٦] ولاشك أن خلق السموات الأرض أعظم وأفخم من إعادة الشخص حيا بعد أن صار ميتا والقادر على الأقوى الأكمل لابد وان يكون قادرا على الأقل والأضعف، فهو قادر تعالى على الإعادة، كما أن الله سبحانه وتعالى عرض أمام النبي إبراهيم عليه السلام كيفية إعادة الأموات بقوله {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[١٢٤٧] طلب إبراهيم عليه السلام هنا ليس من قبل الشك في قدرة الله سبحانه وتعالى بل لأجل أن ينبت ويتحقق علمه وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشُبه عن العقل فإعادة الخلق صورة ترددت في النص القرآني من ذلك قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٤٨].

---

[١٢٤٥] – البقرة، ٢٥٩

[١٢٤٦] – المؤمنون، ١٤

[١٢٤٧] – البقرة، ٢٦٠

[١٢٤٨] – الأحقاف، ٣٣

**ثالثا: التصرف في الأشياء:**

إن التصرف في الأشياء يحدث في أمور عدة ذكرها القران الكريم تبين قدرة الله وتصرفه في ما يشاء من الأمور التي قد يرى الإنسان أنها بخلاف المصلحة إلا أنها عند الله ليست كذلك ومنها تحويل القبلة التي ظن المسلمون أن أمرها يسيء إلى عقيدتهم وصعب الأمر عليهم إلا أن الواقع والشيء الحقيقي بحكمة من الله وتقدير منه لجعل المسلمين يتميزون عن غيرهم في وجهة عبادتهم {وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٤٩].

ولأن قول الله حق والحق يتصف بالديمومة والبقاء فإن الله لا ينسخ آية إلا وأن يأتي بغيرها تحل محلها، ولهذا نسخت رسالة موسى برسالة عيسى ونسخة رسالة عيسى برسالة محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام، إما غير ذلك فلا دليل قاطع إلا وأن الرسالة التي تنسخ يكون الاصطفاء لرسول من بعد الرسول الذي بعث بها لقومه أو قريته أو مدينته أو شعبه حتى جاءت الرسالة الكافة للناس كافة، ولهذا فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، قال تعالى: { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ}[١٢٥٠].

---

[١٢٤٩] – البقرة، ١٤٨

[١٢٥٠] آل عمران، ٩٣ . ١٠٠.

وقال تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١٢٥١] ونسخ الآية بيان انتهاء الحكم المستفاد منها، والآية دلت على جواز النسخ فنزول الآيات هو لمصلحة العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة لكن اليهود كانوا يتخذون من النسخ ذريعة للتشكيك في مصدر الأوامر والتكاليف الإسلامية ويقولون للمسلمين. وتتمثل قدرة الله سبحانه وتعالى هنا بأنه حريص كل الحرص على عباده من خلال نسخ الأحكام والإتيان بأحكام جديدة تكون لمصلحة العباد وحافزا لهم في بناء حياة طيبة.

ارتبط الملك مع القدرة من ذلك قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[١٢٥٢] الآية هنا تتحدث عن أهل الكتاب بعد زوال النبوءة منهم وانقراض الملك منهم بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنّه لا عجب أن تنتقل النبوءة من بني إسرائيل إلى المسلمين وعلى رسول عربيا، والمالك هو المختصّ بالتصرّف في شيء بجميع ما يتصرّف في أمثاله مما يُقصد له من ذواتها ومنافعها وثمراتها، بما يشاء فقد يكون ذلك بالأنفراد، وهو الأكثر، وقد يكون بمشاركةٍ، والمُلك بالضم نوعٌ منه وهو أعلى أنواعه، ومعناه التصرّف في جماعة عظيمة، أو أمة عديدة تصرُّف التدبير للشؤون، وإقامةِ الحقوق، ورعاية المصالح، ودفع العدوان عنها، وتوجيهها إلى ما فيه خيرها، بالرغبة والرهبة والتدبر فقدرة الباري عز وجل تتجلى في الإيتاء والنزع وهي دروس وعظات تستذكر على مر السنين.

**رابعا: إعطاء الأشياء على مقدارها:**

يقول الحق تبارك وتعالى {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[١٢٥٣]

---

[١٢٥١] – البقرة، ١٠٦

[١٢٥٢] – آل عمران، ٢٦

[١٢٥٣] – الشورى ٤٩ – ٥٠

يبين الله سبحانه وتعالى أنّ له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالأناث وبعضاً بالذكور، وبعضاً بالصنفين جميعاً، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولداً قط. فهو عليم بمن يستحق وقدير على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك، هذا التقسيم يحيلنا إلى تقسيم الخلق، حيث خلق الخلق على ثلاثة أقسام: فأدم وحواء مخلوقان من تراب لا من ذكر ولا أنثى، مصداقا لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[١٢٥٤]، وقال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[١٢٥٥].

وعيسى، عليه الصلاة والسلام، من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم، عليهما الصلاة والسلام. وكل هذه التقسيمات توحي بعظمة الباري تبارك وتعالى في قدرته العظيمة وبحكمته الباهرة.

ثم خلق الأنجاب من الذكر والأنثى معا، وهذا لا يعني في ذلك مراعاة الترتيب الزمني والأقدمية، فعيسى عليه الصلاة والسلام أمه من أب وأم أي أن الأنجاب من الأبوين جاء من بعد آدم مباشرة (من بنيه) ولكن عيسى عليه الصلاة والسلام كان في وجوده آية والحمد لله رب العالمين. وقد كان الاستئناف من بعده بالأنجاب مصداقا لقوله الدائم: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}[١٢٥٦]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أجل مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ

---

[١٢٥٤] الرعد ٣.

[١٢٥٥] الذاريات ٤٩.

[١٢٥٦] الكهف ٣٧.

عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[١٢٥٧].

**خامسا: كشف الضر:**

لا يكشف الضر إلا الله سبحانه وتعالى إذ يقول عز وجل: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٥٨] الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا مؤذن بأنّ المشركين خوّفوا النبي صلى الله عليه وسلم أو عرّضوا له بعزمهم على إصابته بشرّ وأذى فخاطبه الله بما يثبّت نفسه وما يؤيس أعداءه من أن يستزلّوه. ومن وراء ذلك إثبات أنّ المتصرّف المطلق في أحوال الموجودات هو الله تعالى بعد أن أثبت بالجمل السابقة أنّه محدث الموجودات كلّها في السماء والأرض، فجُعل ذلك في أسلوب تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم على عدم الخشية من بأس المشركين وتهديدهم ووعيدهم، وبأنّهم لا يستطيعون إضراره ولا يجلبون نفعه. ويحصل منه ردّ على المشركين الذين كانوا إذا ذُكّروا بأنّ الله خالق السماوات والأرض ومن فيهن أقرّوا بذلك، ويزعمون أنّ آلهتهم تشفع عند الله وأنّها تجلب الخير وتدفع الشرّ، فلمَّا أبطلت الآيات السابقة استحقاق الأصنام الإلهية لأنها لم تخلق شيئاً، وأوجبت عبادة المستحقّ الإلهية بحقّ، أبطلت هذه الآية استحقاقهم العبادة لأنهم لا يملكون للناس ضرّاً ولا نفعاً، كما قال تعالى: {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[١٢٥٩]

فخالق الموجودات هو القادر المطلق وحده لزم من ذلك أنّه مقدّر أحوالِهم وأعمالِهم، لأن كون ذلك في دائرة قدرته أولى وأحقّ بعد كون معروضات تلك العوارض مخلوقة له. فالمعروضات العارضة للموجودات حاصلة بتقدير الله لأنه تعالى مقدّر أسبابها، واضع نظام حصولها وتحصيلها، وخالق وسائل الدواعي النفسانية إليها أو الصوارف عنها.

---

[١٢٥٧] الحج ٥.

[١٢٥٨] – الأنعام، ١٧

[١٢٥٩] – المائدة، ٧٦

والضُرّ بضم الضاد هو الحال الذي يؤلم الإنسان، وهو من الشرّ، وهو المنافر للأنسان. ويقابله النفع، وهو من الخير، وهو الملائم. والمعنى إن قدّر الله لك الضرّ فهلاّ يستطيع أحد كشفه عنك إلاّ هو إن شاء ذلك، لأن مقدّراته مربوطة ومحوطة بنواميس ونظم لا تصل إلى تحويلها إلاّ قدرة خالقها. والمثال الواضح على كشف الضر هو ما حصل للنبي أيوب عليه الصلاة والسلام، إذ يقول تعالى {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ}[١٢٦٠] .

**سادسا: القدرة المعنوية:**

وهي التي تتعلق بتصريف القلوب ومحبتها وكرهها وثباتها على الإيمان أو زيغها إلى الكفر مثل قوله تعالى: {وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[١٢٦١] فالله سبحانه وتعالى قادر على تغيير الأحوال من وجعل المودة تسري بين الناس جميعا وخاصة بين المقربين إذ يقول تعالى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[١٢٦٢] هنا الخطاب يتوجه إلى المؤمنين عسى الله أن يجعل بينكم وأقاربكم من المشركين مَّوَدَّةَ بأن يوافقوكم في الدين ولا يشركوا بالقادر أحدا، وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم التصلب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييباً لقولهم، ولقد أنجز الله سبحانه وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحابّ والتصافي ما تم. والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة لمن أسلم من المشركين. هنا القدرة تتجلى في تغيير فكر متصلب متمسك بالديانة السابقة التي ينظر إليها وكأنها ورث لا يمكن التخلي عنه أو حتى مجرد التفكير بالابتعاد عنه أو تغيير بعض ما يعتقد منه،

---

[١٢٦٠] – الأنبياء، ٨٤

[١٢٦١] – الأنفال ٦٣

[١٢٦٢] – الممتحنة ٧

ونستذكر ضمن هذا السياق في تغيير طبيعة العلاقة بين الناس قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}[١٢٦٣]. وهذه المودة ليست فقط بين المؤمنين والمشركين بل تعدت إلى اقرب علاقة عرفها تاريخ البشرية وهي علاقة الأزواج إذ يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[١٢٦٤] هذه الآية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزاً في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشاذ. فقد جمع سبحانه بين الغرباء والأباعد وجعل بينهم هذه المودة التي توحي بالمحبة والرحمة وهما صفتان تبعثان على حسن المعاملة، هذه المودة لا يستطيع أحد مهما بلغ من شأن أن يوجد ها بين الرجل والمرأة إن لم تكن في طاعة الله ومرضاته.

**سابعا: إرسال الرسل:**

بعثت النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا الأمر العظيم الجليل الذي غير مسار التاريخ بكل تجلياته فكانت بعثته بعد بعثة النبي عيسى عليه الصلاة والسلام والتي سبقتها فترة انقطاع للرسل لفترة زمنية، كما سبقتها من قبل بعد موسى عليه الصلاة والسلام إذ يقول تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٦٥] الخطاب هنا موجه لأهل التوراة والأنجيل، وإنما أضافهم إلى الكتاب والله أعلم على وجه التعيير، يعني أنتم أهل الكتاب فلم لا تعملون بكتابكم؟ كقوله: يا عاقل لم لا تفعل كذا وكذا، وإنما تذكر العقل على معنى التعيير أي إنك لا تعمل عمل العقلاء. فقد جاءكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليبين لكم الدين والأحكام والشرائع بعد انقطاع من الرسل والوحي فلا تقولوا ما جاءنا من

---

[١٢٦٣] – فصلت، ٣٤

[١٢٦٤] – الروم، ٢١

[١٢٦٥] – المائدة، ١٩

بشير أو نذير فقد جاءكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشيرا بالجنة ونذيرا من النار والله سبحانه وتعالى بقدرته العظيمة قادر على المغفرة والعذاب فضلا عن ذلك بعث الرسل.

**ثامنا: المغفرة والعذاب:**

ومن مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى التامة في التصرف الكلي المغفرة والعذاب بما يشاء فقال تعالى: {لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [١٢٦٦]إن الناس قد علموا أنّ الله ربّ السموات والأرض، وخالق الخلق، فإذا كان ما في السموات والأرض لِلَّه، مخلوقاً له، لزم أن يكون جميع ذلك معلوماً له لأنه مكوِّن ضمائرِهم وخواطرهم، وعموم علمه تعالى بأحوال مخلوقاته من تمام معنى الخالقية والربوبية؛ لأنه لو خفي عليه شيء لكان العبد في حالة اختفاء حاله عن علم الله مستقلاً عن خالقه. ومالكيةُ الله تعالى أتَمّ أنواع الملك على الحَقيقة كسائر الصفات الثابتة لله تعالى ،وإبداء ما في النفس: إظهاره، وهو إعلأنه بالقول، فيما سبيله القول، وبالعمل فيما يترتّب عليه عمل؛ وإخفاؤه بخلاف ذلك، والله على كُلّ شَيْء قَدِيرٌ، ومنه محاسبتكم وجزاؤكم.

وورد في القدرة على العذاب والمغفرة قوله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٦٧] إذ المغفرة والعذاب فعلأن له تعالى يفعلهما بقدرته متى شاء فمع فرعون مثلا استعمل العذاب حتى مع التوبة في قوله تعالى: {آلأن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ}[١٢٦٨] والمنفي هو إيمانٌ ينجي مَن حصل منه في الدنيا والآخرة. وإنما لم ينفعه إيمانه لأنه جاء به في وقت حصول الموت. وهو وقت لا يقبل فيه إيمان الكافر ولا توبة العاصي، بينما استعمل المغفرة مع الثلاثة الذين خلفوا إذ يقول

---

[١٢٦٦] – البقرة، ٢٨٤

[١٢٦٧] – المائدة، ٤٠

[١٢٦٨] – يونس، ٩١ ، ٩٢

تعالى {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[١٢٦٩] وهم: كَعب بن مالك من بني سَلِمَة، ومُرارة بن الربيع العَمْري من بني عَمرو بن عَوْف، وهلال بن أمية الواقفي من بني واقف، كلهم من الأنصار تخلفوا عن غزوة تبوك بدون عذر.

ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك سألهم عن تخلفهم فلم يكذبوه بالعذر ولكنهم اعترفوا بذنبهم وحزنوا. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامهم، وأمرهم بأن يعتزلوا نساءهم. ثم عفا الله عنهم بعد خمسين ليلة.

والمغفرة لا تكون في الدنيا فقط وإنما تكون في الآخرة أيضا من ذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١٢٧٠] أُمر المؤمنون بالتوبة من الذنوب إذا تلبسوا بها لأن ذلك من إصلاح أنفسهم بعد أن أمروا بأن يجنِّبوا أنفسهم وأهليهم ما يَزِجّ بهم في عذاب النار، لأن اتقاء النار يتحقق باجتناب ما يرمي بهم فيها، وقد يذهلون عما فرط من سيئاتهم فهُدُوا إلى سبيل التوبة التي يمحون بها ما فرط من سيئاتهم.

والتوبة: العزم على عدم العود إلى العصيان مع الندم على ما فرط منه فيما مضى، ووصف التوبة بالنصوح مجاز جعلت التوبة التي لا تردد فيها ولا تخالطها نية العودة إلى العمل المتوب منه بمنزلة الناصح لغيره، والله سبحانه وتعالى قدير على المغفرة ولا أحد يملكها أو يقدر عليها إلا هو الرحمن الرحيم فهو يقبل التوبة وليس هنا ك أحد أخر يقبل التوبة مصداقا لقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا

---

[١٢٦٩] – التوبة ١١٨

[١٢٧٠] – التحريم ٨

تَفْعَلُونَ}[١٢٧١] كما أن الله سبحانه وتعالى بين قدرته على المغفرة والرحمة فانه بين قدرته على العذاب والعقاب سواء في الدنيا أم في الآخرة، والملاحظ أن صور العذاب الدنيوي تمثل ركيزة أساسية في فهم وتصديق صور العذاب الأخروي، فقد يقف الذهن طويلا عند مشاهد من صور العذاب الأخروي مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}[١٢٧٢] إن هذه الآيات احتوت على صورة ذهنية يمكن وجودها في الحياة واشتملت على عناصر ثلاثة، كانت هي المحور الرئيسي الذي يدور حوله التصوير، فهي أقطاب ثلاثة متعلقة بعضها مع بعض وكل وأحدة مكملة للأخرى في رسم هذه الصورة الذهنية و في بداية بدية الآمر كانت لفظة (زلزلة) فهذه اللفظة توحي لنا بتخيل واسع يعتمد على إدراكنا لمعنى الزلزلة في حياتنا إلا أن زلزلة الآخرة وصفها بالعظمة، فكيف يمكن أن تكون؟ زيادة على ذلك عمد الخطاب إلى تعظيم صورة الآخرة بهذه اللفظة، فهذه اللفظة عند البشر توحي إلى أمر عظيم يتبادر للذهن عند سماعها بالنهاية المأساوية للحياة.

والعنصر الثاني هو المرضعة، إذ الأمومة والحنان والخوف على الرضيع هي من صفات المرضعة وشفقة الأم على الابن أشد من شفقة الأب، فشفقتها على الرضيع اشد على شفقتها من غيره، وكل ذلك يدل بدلالة الأولى على ذهول غيرها من النساء والرجال، وقد ارتبط أيضا بهذا العنصر لفظة الحامل، فهي مساوية لحال المرضعة ووضع الحمل لا يكون إلا لشدة اضطراب نفس الحامل من فرط الفزع والخوف.

أما العنصر الثالث فهو قوله تعالى (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) فمن المعروف أن الإنسان لا يكون بهذه الحال إلا لأمر أصابه أو إذا شرب منكرا مسكرا، فهذه الصورة معروفة لدى البشر لكن ورودها في هذه الآية جاء بصيغة التشبيه البليغ الذي كسر إيضاح لكلمة

---

[١٢٧١] – الشورى ٢٥

[١٢٧٢] – الحج ١ ، ٢

(سكارى) فمن شدة هول يوم القيامة يصبح الناس سكارى أمام هول عظيم مرهوب عنيف تتزلزل له القلوب ففي هذا المشهد صورة مصغرة ليوم القيامة كله ولكنها مع صغرها، فيها كل ملامح هذا اليوم المشهود فخطاب التقوى في هذه الآية يجسده القرآن الكريم من خلال صور ومشاهد الآخرة المتتابعة والناصر المؤلفة لها.

العقل لا يتخيل يوما أن تترك المرضعة رضيعها وتنزل الأرض بالناس جميعا إلا أن القرآن الكريم قدم صورة مصغرة لهذه الحالة بالخسف الذي حدث مع قارون إذ زلزل الأرض من تحته حتى غدا كأن لم يكن هو وما عنده {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آَمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}[١٢٧٣]، وهكذا باقي مشاهد العذاب الدنيوي فهي صورة مصغرة لقدرة الله على تحقيق ما توعد به.

كذلك من العذاب الصعق الذي يحدث يوم القيامة إذ يقول تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}[١٢٧٤]، فالأموات يصعقون اضطراباً تدبّ بسببه فيهم الحياة فيكونون مستعدين لقبول الحياة، فإذا نفخت النفخة الثانية حلّت الأرواح في الأجساد المخلوقة لهم على مثال ما بَلي من أجسادهم التي بليت، أو حلّتْ الأرواح في الأجساد التي لم تزل باقية غير بالية كأجساد الذين صعقوا عند النفخة الأولى ، ويجوز أن يكون بين النفختين زمن تبلَى فيه جميع الأجساد. هذه الصورة تقابل عذاب عاد في الدنيا {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}[١٢٧٥] الصعق يمثل هذا الشكل من أشكال الموت دلالة خاصة وبارزة بين

---

[١٢٧٣] القصص، – ٨٠ – ٨٢

[١٢٧٤] – الزمر ٦٨

[١٢٧٥] – فصلت، ١٣

صنوف الموت في القران الكريم ذلك انه ورد بدلالة الفناء الأخير والشامل قبل الموت يوم القيامة، حيث لا يبقى إلا الله، إن هلاك عاد صورة حسية قائمة على التشبيه نقلت لنا الأحداث وكأنها تجري أمامنا اليوم وفي الوقت نفسه ترسم لنا صورة الصعق الذي سوف يحدث يوم القيامة.

ارتباط مفهوم القدرة بالقوة لأن القادر لابد أن يكون قويا فالله قادر وقوي في نفس الوقت إذ يقول تعالى {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}[١٢٧٦] بعد أن جاء عذاب الله سبحانه وتعالى أو أمر بنزوله فبطبيعة الحال توحي كلمة العذاب أمرا مخيفا مرعبا فيه من التهويل مالا يخفى لكن الله تبارك وتعالى أنجى صالحا والذين معه من ذلك العذاب الذين يكون هلاكه بالصيحة وبعد بيان العذاب وما آل إليه النبي صالح عليه السلام ومن معه من المؤمنين يتوجه الخطاب إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) القادر على كل شيء والغالب عليه في كل وقت ويندرج في ذلك الأنجاء والإهلاك في ذلك اليوم. ومن ذلك تردد نفس المعنى في قوله تعالى (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ)[١٢٧٧] تلطف جل شأنه في حق عباده المؤمنين دون غضب عليهم بمحض مشيئته سبحانه لأنه تعالى قوي قادر على أن يختص برحمته وكرمه من يشاء من عباده عزيز غالب لا يمنعه سبحانه عما يريده أحد.

وعليه القادر المطلق هو الذي لا يقف عند حدود دائرة الممكن التي تستوعب الامتداد العقلي لبني آدم فقط، بل إنه الممتد إلى ما لا نهاية في دائرة المستحيل، ولكي أوضح ذلك علينا بتناول دائرتي الممكن والمستحيل بالمقارنة والتحليل والتفسير وفقا للفرض المثبت الآتي:

**(لا تتاح الأشياء للمخلوق إن لم تكن ممكنة، وللقادر بالمطلق تتاح).**

هذا صحيح. ذلك لأن المخلوق هو محدود المقدرة.

---

[١٢٧٦] – هود ٦٦

[١٢٧٧] – الشورى ١٩

أما الخالق فهو القادر على كل مطلق.

ولهذا فبالنسبة للخالق القاعدة هي:

(خلق المستحيل على المخلوق، وهذا يعني لا وجود للاستثناء بالنسبة للخالق).

أما بالنسبة للمخلوق فالقاعدة هي:

(خلق الممكن من الممكن. وهذا يعني أنّ لكل قاعدة استثناء).

الاستثناء نحن بني الإنسان لا نخلق مستحيلا، ولكننا ننظر إليه، ونتعرف عليه، ونتمكن منه وفقا لقدراتنا واستطاعتنا على الحركة في دائرة الممكن.

وعليه فالمستحيل يُخلق من الخالق الأعظم، والنظر إليه والتفكير فيه وبلوغه يحدث في دائرة الممكن من قبل المخلوق الأفضل. ولهذا يقول الله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[١٢٧٨].

ولذا لا ينبغي أن يغفل المخلوق عن دائرة الممكن والتفكير فيها، والعمل وفقا للقواعد التي تحتويها أو تتضمنها أو تشير إليها، حيث لا مستحيل في دائرة الممكن.

وعلى الخليفة أن يعرف، أنّ علاقة قوية تربط بين الممكن والقدرة.

ولهذا فالممكن في نضج القدرة.

وغير الممكن في قصورها.

ولذا فالإنسان يتوقع ما هو ممكن، ولكنه قد لا يستطيع تحقيقه نتيجة قصور إرادته وقدرته. فما يشاهد أو يُلحظ أو يُحس به أو ما يتم تذوقه أو شمه أو سمعه فهو الواقع في حدود الممكن. وقد يحدث الاختلاف في درجات التمييز بين ما يوضع في مجال الممكن بالنسبة للمدركات والقدرات والأحاسيس حيث هناك البعض يمّيز بين الأشياء أكثر أو أقل من البعض الآخر.

---

[١٢٧٨] الغاشية ١٩ . ٢١.

فعلى سبيل المثال: الوصول إلى القمر كان في الزمان الماضي مستحيلاً وفقا لقدرات الإنسان وعلومه، وفي زماننا أصبح ممكنا، ولهذا خلق القمر مستحيلا كما أن خلق الوجود بأسره مستحيلا، وبملامسة دائرة الممكن لدائرة المستحيل يتم التعرف، ويحدث التمكّن وفقا للقدرة.

وعليه، كلما ظهرت الأشياء أو المخلوقات، إلى حيز المشاهدة أو الملاحظة، دخلت إلى دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع)، ولا ظهور للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

ولا كمون للأشياء ما لم تكن في دائرة الممكن.

وبناء على ذلك يعمل الخليفة على الآتي:

. إظهار الممكن.

. إنجاز الممكن.

. بلوغ الممكن.

. التخطيط وفق الممكن.

. التطلُّع وفق لممكن.

**والخليفة لا يستغرب حيث كل شيء ممكن:**

. الممكن: برغم وجوده؛ إلاَّ أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع). وهو الذي كلما توفرت شروطه تم تحقيقه أو بلوغه.

وبما أن كل شيء ممكن.

إذن فلماذا الاستغراب؟.

الاستغراب هو حدوث غير المتوقع في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقع. أي ظهور ما لم يكن في الحسبان، وعليه يجب أن يضع الخليفة في حسبانه كل ما هو ممكن في دائرة المتوقع وغير المتوقع حتى لا يفاجأ.

الممكن برغم وجوده المتجزئ إلا أن منه ما يوضع في الحسبان (المتوقع) ومنه ما لم يوضع في الحسبان (غير المتوقع).

مثال: البحث عن العمل، لو لم يكن ممكناً، ما كان البحث عنه. ولهذا البحث عن العمل ممكناً، والحصول عليه ممكناً.

وعدم الحصول عليه أيضاً ممكناً. هذا الأمر هو المتوقع (ما يوضع في الحسبان). لكن إذا قُدِّمت لك الإهانات التي لم تكن في الحسبان، وأنت تبحث عن فرصة عمل، فهذا الأمر بالنسبة لك غير متوقع.

وعليه: فالحب متوقع، والزواج متوقع، والطلاق كذلك، والأنحراف متوقع، والأنجاب متوقع، وأيضا عدم الأنجاب متوقع. الخيانة متوقعة، والطاعة والعصيان متوقعان، الكذب والصدق متوقعان، وأيضا أن يُعطى لك موعد ويُخَل به متوقع، وفي مقابل ما ذكرناه من متوقعات يكون غير المتوقع وفي ذلك على سبيل المثال: أن تَقدم الأم على ارتكاب فعل الفاحشة مع ابنها فهذا غير متوقع، أو أن يَقدم الأب على فعل الفاحشة مع ابنته، فهذا غير متوقع أيضاً، لأنه لم يوضع في حسبان القيم والأخلاق البنائية للأسرة مصداقا لقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آَبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}[١٢٧٩]

ولهذا، معاير المتوقع هي التي على ضوئها تكون القواعد، وعلى معايير غير المتوقع تكون الاستثناءات.

ولذا فالاستثناء، هو الذي يَقدم الخليفة على إصلاحه لأجل العودة إلى قواعد مكارم الأخلاق.

وغير الممكن: هو المستحيل، الذي لا يمكن الإقدام على فعله، أو بلوغه مهما فعلنا عبر الزمن.

---

[١٢٧٩] النساء، ٢٢ . ٢٣.

**مثال:**

. من غير الممكن أن نأتي بالشمس من المغرب.

. من غير الممكن أن ندمج الشمس في القمر.

. من غير الممكن أن يطير الإنسان من غير جناحين.

. من غير الممكن أن نفكر إن فقدنا عقولنا.

. من غير الممكن أن نحي الموتى بقدراتنا هذه.

وقد يتساءل البعض: ماذا تعني بقدراتنا هذه؟.

أعني: إنَّ إحياء الموتى عبر الزمن كان ممكناً لبعض الرسل والأنبياء بإذن الله تعالى، ولكن في زمننا هذا فهو غير ممكن، لأن زمن الرسل غير مستمر معنا بعد الرسالة الخاتمة والرسول الكافة.

إذن (كل ما لم يكن مستحيلاً ممكناً).

وبما أن كل شيء ممكناً. إذن فما هو الفرق بين الممكن والمستحيل؟.

الممكن، قابل للإثبات أو الاكتشاف. أي أنه في حاجة لمن يثبته ويبرهن على معطياته ومبرراته. ولذا فهو:

قابل للإثبات.

قابل للنفي .

قابل للرفض.

قابل للاكتشاف.

قابل للظهور.

قابل للكمون.

قابل للشك.

قابل للمقارنة.

قابل للترابط.

قابل للثبات.

قابل للاهتزاز.

قابل للدراسة والبحث.

قابل للتصحيح.

قابل للعلاج.

قابل للتقييم.

. ولهذا لو لم يكن ممكناً ما تم إثباته واكتشافه وظهوره وكمونه والشك فيه، ومقارنته ومعرفة ترابطه و ثباته واهتزازه.

. أما المستحيل فمثبت. وهو الذي نعلم به ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم بيوم الحساب ولكننا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنه موجود إلا أنه لا ينفى.

ـ عندما يكون اليوم السبت فإن الأحد سيأتي غدا وفقا لعلمنا ولكن قد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه.

إذن المستحيل: هو الذي لا يمتلك الفرد ولا الجماعة ولا المجتمع ولا الإنسانية كاملة أن تقوم به أو تفعله. إنه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا.

إذن: المتوقع وغير المتوقع هما اللذان يقعان من قِبل أو من طرف المخلوق.

المستحيل هو الذي يقع من قبل الخالق القادر.

ولذا فكلاهما يحدث، وفقا لتوقعاتنا. إلا أن الممكن يتحقق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله.

وعليه المستحيل نتوقعه ولكن وقوعه من خارجنا أما الممكن نتوقعه ويحدث من داخلنا.

لذا على الخليفة أن يضع في حساباته بان ظهور غير المتوقع ممكنا وإذا لم يضع ذلك في حساباته فسيفاجأ به، ولذا فالخليفة يعلم بأن (الصعب ليس بمستحيل).

الصعب فعل يُنفى ويُثبت، ولهذا فهو ممكنا، وبالرغم من أنه ممكنا إلا أنه ليس سهلا. ولذا فهو في حاجه لبذل الجهد، مع إعطاء الزمن الكافي والإمكانات الكافية.

وعليه:

من المستحيل أن يكون الإنسان عالماً بلا علم، ومن الصعب أن يصبح الإنسان عالماً.

وبما أنه من الصعب أن يصبح الإنسان عالماً، ومع ذلك فبالإمكان أن يكون.

إذن القاعدة هي:

تحدى الصعاب إذا أردت أن تكون عالماً.

والاستثناء هو:

تنسحب من التحدي تبقى جاهلاً.

ولهذا فإنَّ تقدم العلوم قاعدة. وتأخرها استثناء.

وقد يتساءل البعض: (متى يكون المثبت مستحيلاً؟).

. مستحيل أن تأتي به جديداً .

. مستحيل أن تأتي بمثله بالتمام.

. مستحيل أن تمتلك القوة المماثلة للقوة التي أظهرته.

ولهذا فالمثبت مستحيلاً. أما إذا استطعت أن تأتى به جديداً، أو تأتي بمثله، أو أن تمتلك القوة والقدرة التي أظهرته، فإن ذلك هو الممكن غير المتوقع (الصعب).

وقد يتساءل البعض أيضا: ما الفرق بين المستحيل والصعب؟.

المستحيل غير ممكن.

ومع أن المستحيل مثبت؛ إلا أنه خارج دائرة المتوقع وغير المتوقع.

الصعب ممكنا.

إنه القابل للإثبات أو النفي، إلا أنه في حاجة لبذل المزيد من الجهد، مع إعطائه الزمن الكافي والإمكانيات الكافية.

مثال: الأخصائي الاجتماعي الذي لديه فرضية تقول: (الحالة ميئوس منها) هذه فرضية غير مقبولة وفقا لقاعدة الممكن، ولذا لا يوجد شيء مستحيل في دائرة التعامل بين بني آدم، لكن قد يكون على درجة من الصعوبة.

ولذلك فعلى الخليفة أن يتحدى الصعاب، وأن يتجاوز قوة المواجهة مع الحالة التي يتعامل معها لأجل الإصلاح، حتى تصبح معه حالة غير ميئوس منها.

عليه:

فالقاعدة هي:

تحدي الصعاب.

والاستثناء هو:

الاستسلام للصعاب.

ولهذا لا تغفل عن الاستثناء، بل اعمل عليه.

ولماذا النظر والعمل على الاستثناء؟.

لأن من يقعون في دائرته هم في حاجة للعلاج والإصلاح.

ولهذا، من لا يغفل عن الاستثناء، يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل.

**عليه:**

١ . أنظر إلى المثبت واعمل على الممكن.

٢ . تحدى الصعاب، فإن تحديها ممكنا.

٣ . خطط وفقاً لما هو متوقع، ولِمَا هو غير متوقع، حتى لا تفاجأ.

٤ . لا تستغرب أن يحدث أو يقع غير المتوقع.

٥ . لا تصدر أحكاماً مطلقة على ما هو ممكن.

٦ . شك حتى ترى اليقين (الحقيقة). قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحد عَنْهُ حَاجِزِينَ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}[١٢٨٠]، وقال تعالى: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[١٢٨١].

٧ . تحدى الصعاب، فإن تحديها يأتي بالجديد.

٨ . خطط لمستقبل أفضل، واعمل على صناعته قبل قدوم زمنه.

٩ . انتبه إلى الاستثناء، تتفادى الأضرار والمخاطر.

١٠. انتبه إلى الاستثناء، تعيد إلى القاعدة المنحرفين عنها.

وبناء على ذلك:

أ . جمّع قواك تفعل الممكن.

ب . = = تصنع الممكن.

ج . = = تُحدث النُقلة.

د . = = يُعترف بك.

هـ . = = تنال التقدير.

و . = = تكسب الثقة.

ع . = = تُنجز الأهداف.

غ . = = تزداد إصرار.

---

[١٢٨٠] الحاق، ة ٣٨ . ٥٢.

[١٢٨١] التكاثر ١ . ٨.

* وعليه بالقدرة جعل القادر الكلمة قول يُسمع، والكلمة أساس كل شيء يُمكن أن يكون، فبها صدر الأمر الإلهي كن فكان، وبها يتفاهم الإنسان مع أطرافه، وبها تتخذ القرارات وتصدر الأوامر والنواهي، وبها يتقدم الإنسان أو يتأخر ولذا فالكلمة فاعلة عندما تمتد في القول والفعل والسلوك.

ولأنها كلمة فعندما تصدر بالألسن تُسمع، وتترك أثرا موجبا أو سالبا في الضمائر والقلوب. فهي التي تنقل القيم الموجبة والقيم السالبة، وبها تُحمل التعاليم وتُقوّم الأخلاق، وبها نزلت الرسالات السماوية على الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم.

وبما أن الكلمة قول يُسمع.

إذن القاعدة هي:

١ . (الكلمة قول).

٢ . (القول يُسمع)

والاستثناء هو:

١ . (الكلمة لا تُقال).

٢ . (القول لا يُسمع).

ولأن القول الذي يُسمع يترك أثراً.

لذا فأثر الكلمة في دائرة الممكن، قد يكون حُجّة لنا ويقد يكون حُجَّة علينا.

أن يكون حجة لنا فهذه القاعدة.

أن يكون حجة علينا فهذا الاستثناء.

ولكن أي كلمةٍ هي حُجَّة لنا؟.

كلمة الحق.

وأي كلمة هي حُجّة علينا؟.

كلمة الباطل.

إذن الحُجَّة دليل إثبات في دائرة الممكن السالب أو الموجب.

**وعليه:-**

. قُل الحق.

. تحدث وجادل به.

. أنصت حتى تتبين.

. عبَّر عما بداخلك بلسان صدق.

. أحكم بين الناس بالحق.

. أرسل الكلمة بود.

. استقبلها بوعي.

ولذا فعلى الخليفة أن يراعي الآتي:

١ . أن يكون لسانه لسان صدق مع لباقة ولطف معاملة وبكل موضوعية مع بني جنسه.

٢ . أن يَقدم على حل المشاكل بحُجّة وأن يعدل.

٣ . أن لا يحل مشكلة على حساب أخرى.

٤ . أن يضع في اعتباره عملية الإصلاح ضرورة إنسانية تستوجب منه الاستمرار في الحديث والحوار المنطقي.

٥ . أن لا يتوقع الاستجابة المرضية منذ البداية.

٦ . أن لا يطلب من الفرد ما لا يقدر عليه بإرادة.

٧ . أن يحدد الأولويات عند القيام بعملية الإصلاح.

٨ . أن ينمي مهاراته بالتفكير والتدبر الموضوعي.

٩ . أن يستعمل الفكاهة إذا ما استدعت الضرورة لذلك.

* وبالقدرة جعل القادر الكلمة الحُجَّة تُرسم.

ولأن الكلمة التي تُرسم لها صورة وشكل، كالشجرة التي تُحمل في الكلمة الدالة عليها، وكالقلم، والبحر، والجبال والأرض والطيور والأزهار والحيوانات كل هذه الكلمات ذات صورة

وجمعيها تُرسم. وهكذا الأشكال تتعدد أنواعها بتعدد صورها التي تُرسم وكذلك كلمة المثلث والمربع والمستطيل والدائرة كلمات دالة بالصورة والشكل.

فعندما يستمع المُستمع الذي سبق له وأن عرف وراءها، عندما يستمع للكلمات الدالة عليها تُرسم في ذهنه أشكالها وصورها حتى وإن لم تكن ماثلة أمامه، فعندما يقال لك قلم يُرسم القلم في ذهنك، وعندما يقال لك مقعدا أو غزالة أو وردة أو شلالا أو نهرا، كلها تُرسم في الذهن ما يجعل استيعاب الكلمة ذات الصورة والشكل أقرب إلى الفهم والإدراك عن غيرها من الكلمات التي ليست لها صورة أو شكل، وكل ذلك بالقدرة التي جعلت للمنطوق من القول صورة.

* وبالقدرة جعل القادر في الكلمة الحجة حركة.

لو لم يكن في الكلمة الحُجَّة حركة، ما امتدت من ذهن القائل إلى ذهن وعقل المستمع، ولَمَا تركت أثرا يمكن أن يؤثر على النفس أو يؤثر فيها سلبا بالنكوص والأنطواء والأنسحاب، أو إيجابا بالفطنة والصحوة والتيقظ الذي يمد الأفراد بأخذ الحيطة والحذر، والتطلّع لكل مفيد ونافع.

وبما أن في الكلمة الحُجَّة حركة.

إذن للكلمة الحُجَّة مجال امتداد.

ولهذا فالقاعدة هي:

١ . الكلمة امتداد.

٢ . الحُجَّة حركة.

والاستثناء هو:

١ . الكلمة انكماش.

٢ . الحُجَّة سكون.

ولذلك ينبغي على الخليفة أن لا يغفل عن الآتي:

١- أن يعمل بالكلمة الموجبة من أجل تصحيح الكلمة السالبة.

٢- استخدام الكلمات التي تَرتَسِم إيجابا على وجوه العباد، وذلك بما يترك أثراً موجباً.
٣- استخدام الكلمات التي لها دليل إثبات قابل للمطابقة والتقصي.
٤- استبدال الكلمات الجافة بأخرى مملوءة بالعواطف والمشاعر والذوق الرفيع.
٥- استبدال الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة.
٦- استبدال الكلمة الفاقدة للحجة بالكلمة المتضمنة لها.

وبما أن الكلمة بين سكون وحركة، وامتداد وانكماش.

إذن تقع الكلمة في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) ولهذا تحدث الكلمة أو تقال أو تصدر وفقاً لما هو متوقع سالباً أو لما هو متوقع موجبا.

وفي مقابل المتوقع السالب والموجب قد تقع أو تحدث الكلمة وفقاً لما هو في دائرة غير متوقع السالب أو غير المتوقع الموجب.

* وبالقدرة جعل القادر (الكلمة الحركة تترك أثراً ولا تُرسم)

وبما أن الكلمة التي تُرسم هي التي لها صورة وشكل.

والكلمة التي لها حركة تترك أثراً قابلاً للتقصي.

إذن الكلمة الحركة دليل إثبات قابل للمطابقة.

ولذا فإن القاعدة هي:

١ . الكلمة الحركة تترك أثرا.

٢ . الأثر لا يرتسم.

٣ . الأثر قابل للتقصي.

والاستثناء هو:

١ . الكلمة الحركة لا تترك أثرا.

٢ . الأثر يرتسم.

٣ . انعدام الأثر القابل للتقصي.

ولأجل إظهار الدليل أو إثباته تكمن الحركة في الكلمة ومن يتمكَّن من إثبات الدليل وإظهاره يتمكَّن من ملاحظة الحركة في الكلمة. ولهذا في الكلمات الآتية تكمن حركة وتُلحظ:

. هجرة.

. تقدم.

. انسحاب.

. وثب.

. هجوم.

. قفز.

. جلوس.

. قيام. ...الخ.

ولهذا لا يمكن لأحد أن يرسم هجرة أو تقدم أو انسحب أو قفز، ولكنه يستطيع أن يرسم المهاجرين والمتقدمين أو المنسحبين أو الذين هم على حالة من الوثب.

وعليه الكلمة الموضوعية تستوجب التحديد وإلا علق بها اللبس والغموض، وقد تزوّر الحقائق إذا لم تُقدّم الكلمة كما هي وبوضوح وبكل قدرة موجبة.

ولهذا فكلمة هجرة في حاجة للتوضيح فهي غير محددة موضوعيا ما يجعل الشكوك والظنون تلاحقها حتى يتم التبيُّن والتوضيح بدلائل وإثباتات علمية. فهل يا ترى هي دالة على هجرة الطيور، أم الهجرة الخارجية، أم هجرة الأسماك من المياه الباردة إلى المياه الدافئة؟ أم أنها هجرة داخلية من الأرياف والقرى والضواحي إلى المدن؟. أم أنها هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة؟. أم هجرة ماذا، أو من؟.

وأي قفز أو أي تقدم أو أي انسحاب تعنى تلك الكلمات؟. ولهذا فبالقدرة يتم التبين من أجل اليقين.

ولذا فالكلمة الحركة تقع في دائرة الممكن بين متوقع (سالب وموجب) وغير متوقع (سالب وموجب) وكل شيء نسبي، فتقدم الجيوش الغازية يعد موجباً، للدول الغازية، ويعد سالباً

للبلدان والدول المغزية (المعتدى عليها) ما يجعل المتوقع وغير المتوقع في دائرة الممكن، حيث يكون من المتوقع انتصار الجيوش الغازية في أقصر وقت وبأقل خسارة، وقد تحدث لهم الخسارة والهزيمة غير المتوقعة إذا أنتصر الجيش المغزو عليه مما يجعل الجيش الغازي في حاجة لإعادة حساباته التي سبق وأن وضع على ضوئها خطته في دائرة المتوقع فقط.

* بالقدرة جعل القادر جل جلاله (الكلمة الحُجَّة ترتسم).

ولأن الكلمة التي تَرتسم لا تُرسم.

ولأن الكلمة التي تَرتَسِم تترك أثراً في دائرة الممكن. لذا فإن كانت الكلمة المرتسمة نتاج فعل سالب، كالموت تترك أثراً يدل على الحزن وإن كانت نتاج فعل موجب كالفرحة تترك أثراً موجباً كالأنبساط والابتسامة.

ولهذا فالابتسامة تَرتَسِم على الوجه وتترك بسطة عليه وعلى النفس بهجة وسعادةً.

فالبهجة والسعادة من الكلمات التي تَرتَسِم ولا تُرسم مع أنها تترك أثراً موجبا.

والقاعدة هي:

١ . الكلمة تَرتَسِم.

٢ . الارتِسام حُجّة.

٣ . الارتِسَام يُشاهد.

٤ . الفرحة تُلحظ.

والاستثناء هو:

١ . انعدام الكلمة المرتسمة.

٢ . انعدام الارتسام الحُجّة.

٣ . الارتسام لا يُشاهد.

٤ . الفرحة لا تُلحظ.

الارتِسام يخضع للمشاهدة، ولهذا فالابتسامة تشاهد، والفرحة تُلحظ.

وهكذا تَرتسم الكلمة المُحزنة على الوجه فتترك أثراً في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) وبنسب تتفاوت من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة ومن مجتمع لمجتمع.

فالموت على سبيل المثال مع ما يتركه من أثر محزن على الغالبية البشرية إلا أنه يعد لدى البعض المنقذ من الآلام والمآسي والكروب، وهذا لا يعنى أنه لا يترك أثراً محزناً.

ولأن كل شيء نسبى، فالموت لا يترك أثراً محزناً على المُتوفى، وفي معظم الأحيان تترك أثر حزن بنسب متفاوتة على ذوي العلاقة به.

أما الاستشهاد الذي فيه تتم مفارقة التعامل مع الآخر فيتم عن فرحة، وفي كثير من الأحيان يترك الاستشهاد أثراً موجباً على ذوي العلاقة وفقاً لقاعدة النسبية في دائرة الممكن.

* بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة ذات معنى ودلالة).

بما أن الكلمة الحجة ذات معنى ودلالة.

إذن القاعدة هي:

١ . الكلمة الحُجّة ذات معنى.

٢ . الكلمة الحُجّة ذات دلالة.

والاستثناء هو:

١ . الكلمة الحجّة بلا معنى.

٢ . الكلمة الحُجّة بلا دلالة.

وبما أن للكلمة معنى ودلالة.

إذن للكلمة مضمون.

ولهذا فالكلمة المضمون قاعدة.

والكلمة بدون مضمون استثناء.

وعليه تقع الكلمة المعنى في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

فكلمة الدور على سبيل المثال، والموقف والمبدأ، والهدف، والغرض والغاية، كلمات ذات معانٍ ودلائل ولكنها لا تُرسم، ولا تَرتَسِم، وغير ذات حركة مباشرة، ولهذا فهي في حاجة لمن

يُعرِّفَ بها، ما يجعل البحَّاثة يحددون لها تعريفات إجرائية يتم العمل بها في سلوك وفعل وحركة. وحينما يصبح للكلمة معنى ودلالة وأثر حينها يستوجب التقصي العلمي والتتبع الموضوعي لكشف الأثر أو التعرُّف عليه.

والكلمة المنطوقة تُقرأ وتُكتب، وتأخذ احتمالين: إما أن تكون صادقة وإما أن تكون كاذبة.

١ . الكلمة الصادقة تحتوي على مضمون إثبات التطبيق عبر الزمن. حيث تطبيقها في الزمن الحاضر نتيجة سلامة تطبيقها في الماضي. وإثبات تطبيقها في الأن دليل للرابطة القيمية معها ومع الأثر الموجب الذي تتركه باستمرارية التجديد، ما جعلها في حالة امتداد وتطلّع للمستقبل في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

٢ . الكلمة الكاذبة: هي التي تفتقد إلى المصادق، لاحتوائها على مضمون الإثبات السالب وذلك لأنعدام العلاقة بينها وبين الموضوع، ومع ذلك فلولا الكذب ما عشقنا الصدق وتمسكنا به.

وبما أن الكلمة الكاذبة مكشوفة المضمون وقد تكون غير مكشوفة المضمون لمن قيلت له وقد يصدَّق قائلها إذا لم يسبق وأن عُرِفَ بهذه الصفة وتستمر كاذبة إلى أن يكشف أمرها.

وبرغم ذلك كله فالكلمة دائما حرة ولا يمكن أن تُسجن مع أنها تؤدي بصاحبها أو قائلها في بعض الأحيان إلى السجن. ومع ذلك قد يتساءل البعض:

هل الكلمة هي التي تجعل الإنسان كاذباً، أم أنّ الإنسان هو الذي يجعل من الكلمة كاذبة؟.

في اعتقادنا لم تكن الكلمة هي الفاعلة، بل الإنسان هو الفاعل الذي يجعل من الكلمة كاذبة. ولذلك الكلمة دائماً صادقة، أمَّا صاحبها (مصدرها) فقد لا يكون كذلك. والكلمة دائماً حرة، أمَّا صاحبها فلا، فعندما تُقال الكلمة، أو تُكتب، أو حتى تكون في الصدور، تكون معروفة، ولذلك قد يسجن صاحبها، أو تُمزق الكتب والصحف التي كُتبت عليها، وهي باقية لم تمزق حتى وإن قتل مصدرها. ولم يستطع أحد إدخالها السجن، إنها الحرة التي ينبغي أن تُحترم، لأننا بها كنا، وبها نتكلم ونتعلم ونتطوَّر، وبها آمنَّا، وبها نُحب ونكره، ونحكم ونملك ونقاتل. فينبغي أن تُحترم في أي وقت وأي مكان إلى النهاية.

* بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة مرونة).

بما أن الكلمة مرونة إذن في أساسها قابلة للامتداد والحركة والأخذ والعطاء والنقد والبناء والهدم.

وبما أن الكلمة الحُجّة مرونة.

إذن ليست بجامدة.

ولهذا فالقاعدة هي:

. الكلمة الحُجّة مرونة.

والاستثناء هو:

. الكلمة الحُجّة بلا مرونة.

ولذا فالمرونة قبول بالآتي:

. بالآخر.

. بالتغيّر.

. بالتغيير.

. بالاستيعاب.

. بالاعتراف.

. بالتقدير.

. بالتفهّم.

ولذا فبالمرونة يتم القبول والتغيير والاستيعاب والاعتراف والتقدير والتفهَّم والشفافية والتوافق والمساواة والعدل والاحترام.

و بما أن كل شيء ممكن.

إذن: ينبغي أن يكون الخليفة على درجة عالية من المرونة وإلا سيقع في المحظور القيمي الذي يستوجب منه تقبل الآخرين كما هم والعمل على نقلهم لِما يجب، ولذا فإن الكلمة المرنة تُمكِّن من الآتي:

. استيعاب الناس، وفقا لحقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليات يتم حملها.

. تفهَّم الظروف والأحوال حيث لكل ظروفه الخاصة التي تميزه عن الغير وتميز الغير عنه.

. تقدير المواقف.

. الاستجابة المناسبة بما يغرس الثقة في الأنفُس.

وبما أن كل شيء ممكن: إذن فلماذا لا يكون العباد على درجة عالية من المرونة؟. ولأن المرونة تُمكّن من استيعاب الفرد والجماعة وتُمكّن من تفهُّم ظروفهم وأحوالهم.

إذن فالقاعدة هي:

١ . الاستيعاب بمرونة.

٢ . التفهُّم بمرونة.

٣ . التغيير بمرونة.

والاستثناء هو:

١ . الاستيعاب بدون مرونة.

٢ . التفهُّم بدون مرونة.

٣ . التغيير بدون مرونة.

ولذا فإن الكلمة الحُجَّة هي:

. مرونة.

. تُحدث النقلة.

. تُسهم في صناعة المستقبل.

. تقع في دائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع).

ولأنها تقع في دائرة الممكن فلا ينبغي أن يستغرب الخليفة إن حدث التغيُّر أو التغيير، بل عليه أن يستغرب إذا لم يحدث التغيُّر أو التغيير.

وعليه إذا حدث الاستغراب عليك بالآتي:

. تساءل عن مبررات حدوثه أو ظهوره.

. ضع الفرضيات وفقاً لدائرة الممكن.
. جمّع المعلومات المتعلقة بموضوع الاستغراب.
. حلِّل المعلومات موضوعياً.
. شخَّص الحالة قيد البحث والدراسة.
. قف عند النتائج بكل وضوح.
. قوِّم ما بذلته من جهود من خلال تتبع واعي لكل خطوة خطوتها وأنت خليفة.

وبناء على ما سبق:

تقع الكلمة المرنة في دائرة الممكن (المتوقع، وغير المتوقع) ولهذا الكلمة المرنة في دائرة المتوقع هي ثابتة وفي دائرة غير المتوقع ليست كذلك.

فهي ثابتة من حيث: أنها حُجّة لها معايير ومقاييس موضوعية.

ومرنة من حيث: أنها قابلة للحركة من الكل إلى الجزء إلى المتجزئ.

فعلى سبيل المثال: الحَجرة (الطوبة) الصغيرة لها شكل أو صورة من خلال ما تكون عليه من هيئة، وإذا تمّ سحق الحَجرة الصغيرة ونُفخت من الطابق المائة، فإنها ستتطاير مع الهواء حتى تفقد شكلها والصورة التي كانت عليها، وهذا لا يعنى أن الحَجرةُ التي تم سحقها بكل عناية ودقة فقدت وجودها بل تطايرت فاتسعت دائرة انتشارها جغرافيا وقد لا تخضع للمشاهد بالعين المجردة. وهكذا كلمة الوقود (البنزين) ذات مدلول يشاهد وبها يتم امتلاء خزان الوقود سواء للطائرة أو للسيارة أو البواخر وكل ما يتحرك بالوقود، وبعد قطع مسافات ينفذ وينتهي الوقود (البنزين) من الخزان من خلال عمليات الاحتراق التي غيَّرت الشكل أو الهيئة التي كان عليها الوقود. فأين البنزين الذي نفذ؟. إنه موجود في عالم الوجود ولكن لم يعد على شكله السابق حيت احتراقه وفقدان عناصره الرئيسة وتبدُّله إلى شيء آخر قد يصفه البعض بأنه على حالة هيولية (حالة تغيّر عناصره وتطاير قد لا يشاهد بالعين المجردة مع أنه يدرك بالملاحظة والمعرفة العلمية).

* بالقدرة جعل القادر عز وجل (الكلمة الحُجَّة مفعولة).

الكلمة المفعولة تحتوي معطيات تنفيذها فيها.

ولذا فهي تختلف عن الكلمة التي تسبق أداء الفعل أو القيام به.

ولهذا فالكلمة المفعولة تستثني الفعل الماضي والمستقبل وتتمركز على الفعل الأن (الحاضر).

إنها الكلمة المثبتة عن واقع، ولذا فالفعل في زمن وقوعه أقوى وأصدق من الكلمة التي تسبق حدوثه.

والقاعدة هي:

١ . الكلمة تحتوي فعل ممارستها.

٢ . الفعل يحمل الكلمة التي تدل عليه.

٣ . الفعل يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة.

والاستثناء هو:

١ . الكلمة لا تحمل فعل ممارستها.

٢ . الفعل لا يحمل الكلمة التي تدل عليه.

٣ . الفعل لا يسبق الكلمة في الظروف المفاجئة.

ولهذا عندما يسبق الفعل القول، تصبح الكلمة مفعولة، كالزلزلة التي يفاجئ بها الناس وتُحدث دمارا، فهي الفعل بدون سابق معرفة أو إنذار، وفي هذه الحالة الفعل يسبق القول، وفي هذا الأمر يقول الله تعالى: {إذا زُلزِلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها وقال االأنسان مالها يومئذ تُحدث أخبارها بأن ربك أوحالها}. من هذه السورة الكريمة عرفنا أن الزلزلة فعل حدث أولا، ثم جاء الناس من بعد ذلك يتساءلون: ما الأمر؟!. ماذا حدث؟! (مالها). بعدها يقال لهم إنها هزة أرضية شديدة. وهكذا في حالة الصواعق التي تصيب البشر أو المباني أو الأشجار، فهي تحدث أولاً (وقوع الفعل أو حدوثه)، ويأتي الناس من بعدها يتساءلون بعد أن وجدوا الأثر أو وقفوا عليه، وحينها سيقال لهم السر الذي كان وراء ما حدث.

وعليه:

. حدد أولويات الحديث لتتمكن من تحقيق الأهداف.

. تكلم بوضوح لتتمكن من استبصار الغايات.

. اجعل لكلماتك معنى ودلالة لتجد من ينصت لما تقول.

. تأكد من أن أفكارك تنساب بمرونة ومع وافر الحجة.

. اجعل أفكارك عند قولها منطقية ومتتابعة.

. كن مرنا حتى تترك أثرا في الآخر.

. أجعل أفكارك وكلماتك تطلُّعية لتُسهِم في صناعة المستقبل.

اللهم يا القادر أجعلنا على قدرة نكون بها قادرين على إحقاق الحق وإزهاق الباطل، وتجعلنا من الموفين للكيل والميزان إذا اكتلنا أو وزنا وقدرة تجعلنا عادلين إذا حكمنا بين الناس، وأجعل لنا قدرة تُمكِّنا من مغالبة أي قوة ظالمة أو فاسقة أو فاجرة فاسدة، اللهم أجعلنا على قدرة تحفظنا من الضعف الذي يسببه أبالسة الجن والأنس وأجعل بيننا وبينهم سدا واجعلنا مصلحين لا مفسدين فيها ولا سافكي دماء بغير حق إنك أنت القادر سبحانك لا إله إلا أنت.

اللهم يا القادر اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوانا ما أحييتنا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا أحد إنك القادر.

اللهم يا القادر قدّر لنا الخير كله واجعله أمامنا حيثما نسير يكون معنا في الدنيا والآخرة.

اللهم يا القادر إنا نسألك الجنة وما يقرّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما يقرّب إليها من قول وعمل. اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم يا القادر إنك على كل شيء قادر فقدر لنا أرزاقاً تغنينا في دنيانا وجناتاً تغنينا في آخرتنا، اللهم إنك قدَّرت لنا الحياة بماضيها وحاضرها ومستقبلها الذي لا نعلمه فاجعله كله لنا على خير ولا تجعل لنا فيه كدرة ولا غفلة ولا ضلال ولا شر.

اللهم إنك القادر الذي لم يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا. اللهم اجعلنا بقدرتك قادرين على مغالبة من لا يريد بنا خيراً، وقادرين على اتباع أوامرك وتجنب نواهيك، وقادرين على التوجه إليك دون وسائط وأنت السميع المجيب اللهم اجبنا وكن بنا رؤوفاً رحيماً. اللهم إنك القادر الظاهر والباطن فأظهرنا بقدرتك على علم من علمك الظاهر وعلمك الباطن.

اللهم إنك القادر العظيم فاجعلنا بقدرتك العظيمة من عبادك الصالحين الذين لو اقسموا بك لأبريتهم.

---

# المقتدر

الْمُقْتَدِرُ: "هُوَ التَّامُّ الْقُدْرَةِ الَّذِي لا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلا يَحْتَجِزُ عَنْهُ بِمَنْعَةٍ وَقُوَّةٍ وهو لا يرده شيء عن المراد"[١٢٨٢].

المقتدر من أسماء الله تعالى، يوحي بالتمكن والهيمنة والتنظيم والتخطيط، فهو مالك هذا الكون ومدبره وكل شيء يجري وفق إرادته وحكمته، وتتردد مع لفظة المقتدر كل من القادر والقدير، إلا أن لفظة المقتدر هي أبلغ، وذلك أن الأصل في لغة العرب أن زيادة اللفظ تزيد المعنى قوة. وقد وردت أربع مرات في القران الكريم، وبالرغم من هذا التردد القليل تمثل عظمة الله تبارك وتعالى في تسيير أمور كونه كما يشاء، فهو يتعلق بأمور عدّه تكوّن بمجملها الدعائم الأساسية لهذا الكون الواسع، فالحياة على الأرض تمثل جانبا من جوانب اقتدار المولى تبارك وتعالى {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا

[١٢٨٢] الأسماء والصفات للبيهقي، ج ١، ص ٨١.

تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِر}[١٢٨٣] فضلا عن ذلك وردت هذه اللفظة في موضع الانتقام من المشركين، قال تعلى: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ}[١٢٨٤] وفي قوله تعالى: {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ}[١٢٨٥]، أما الآية الأخيرة التي وردت فيها فهي في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}[١٢٨٦]، فهي تتحدث عن أهل الجنة، فهم مقربون عند مليك معجز أمره في الملك والاقتدار، فلا شيء إلا وهو تحت ملكه وقدرته. وكل ما في هذا الكون يستسلم له ولا ينفك عن طاعته، من أكبر كوكب في السماء إلى أصغر ذرة من الرمل في الأرض، هو من تقدير إله ملك جليل مقتدر، فإذا كان كل شيء في السماوات والأرض وما بينهما منقادا لهذا التقدير، فإن العالم كله مطيع لذلك الملك المقتدر الذي خلقه.

المقتدر: هو مالك معطيات كل قدرة بالمطلق، فهو المقتدر بخلقه، والمقتدر بإحيائه وإماتته وبعثه، وهو المقتدر بقوته وهيمنته، وهو المقتدر بسمعه وبصره، وهو المقتدر بمكره لكل مكر، وكيده لكل كيد، ونصره لكل خليفة، وهو القاهر فوق عباده، وهو الرحمن الرحيم.

والمقتدر المظهر قدرته بفعل ما يقدر عليه وقد كان ذلك من الله تعالى فيما أمضاه وإن كان يقدر على أشياء كثيرة لم يفعلها، ولو شاء لفعلها، فاستحق بذلك أن يسمى مقتدرا، والمقتدر المطلق هو كامل المقدرة، والمقتدر بالإضافة هو تام القدرة، والفرق كبير بين كامل المقدرة بالمعطيات الاطلاقية حيث لا نقيصة فيه، وبين تام المقدرة وهو الذي لم يبلغ الكمال استحالة، ويملك معطيات الاقتدار في دائرة النسبية.

---

[١٢٨٣] -الكهف ٤٥

[١٢٨٤] – الزخرف٤١ – ٤٢

[١٢٨٥] – القمر ٤٢

[١٢٨٦] – القمر ٥٤ – ٥٥

ولذا فالاقتدار أبلغ بكماله المطلق، والقدرة قد يدخلها نوع من التضمين بالمقدور عليه ومنها الملك والمليك في معناه، قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}[١٢٨٧] وقوله تعالى: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}[١٢٨٨].

والقَدِيرُ فَعِيلٌ، والمُقْتَدِرُ مُفْتَعِلٌ من اقْتَدر وهو أَبْلغُ. والقَدِيرُ: هو الفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ على قَدْرِ ما تقضِي الحِكْمَة لا زائداً عليه ولا ناقِصاً عنه ولذلك لا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ به إِلاَّ اللهُ ومن استمد صفاته منه. والمُقْتَدِرُ هو الله تعالَى، فهُوَ الَّذِي ينتفي عنه العَجْزُ من كلّ وَجْهٍ تعالَى شَأْنُه.[١٢٨٩] ووصف الخليفة فيه وارد، إذ يقول أحد هذا مقتدر، ويقصد بذلك من ناحية المال أو من ناحية المنصب أو الوجاهة أو العطاء في القول وأداء الأفعال الحسان وهذه من صفات الخليفة الذي استمد اقتداره من المقتدر الأعظم، أي أنه المتمكن من التصرف في الأمور التي هو قادر على أن يفعلها نتيجة ما يملكه من قوة اقتدار، إذ يقول تعالى {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١٢٩٠] والمراد من التمكين هنا أن الله جل وعلا جعله ملكا يتصرف في الأرض يأمر وينهي.

المقتدر: هو من يملك الأمر ويحسن التصرف دون غفلة فلا يفوته شيء، ولا شيء إلا منه، ومتى ما أراد له مشيئة يقول له كن فيكون.

ومن مظاهر اقتداره ما أذكره:

أولا : يظهر أدوات مقدرته لخلقه:

اظهر الله سبحانه وتعالى مقدرته في مواضع كثيرة وهي بالكمال كما جاء في القرآن الكريم، وهذا الأمر متعلق بأمور كثيرة، منها ما يتعلق بالكون الذي تعيشه المخلوقات، ومنها ما يتعلق بالمعجزات التي ظهرت على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنها ما نعلمه ونستدل عليه

---

[١٢٨٧] – المؤمنون، ١١٦

[١٢٨٨] – القمر ٥٥

[١٢٨٩] – تاج العروس، ج ١ ص٣٣٧٧

[١٢٩٠] – يوسف ٢١

ومنها ما لا نعلمه حتى نستدل عليه، فالكون بوصفه الفضاء المفتوح أمام من خلق في أحسن تقويم الذي يراه دائما ويمعن نظره به متسائلا من خلق هذا الكون العجيب؟ وعلى أي نظام يسير، ومن هو المخطط له حتى يجري بهذه الدقة العجيبة فلا يصطدم القمر مع الشمس ولا النجوم بعضها مع بعض وكل في فلك يسبحون، وهذه التساؤلات تقود إلى نصوص من القرآن الكريم وأكثرها تحتوي على اشتقاقات الفعل (رأى) مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}[١٢٩١] هنا الباري عز وجل يستعرض آيات قدرته وعجائب الكون الدالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره، فضلا عن ذلك جعل البرق آية إنذار وتبشير معاً لأنهم كانوا يَسِمون البرق فيتوسمون الغيث وكانوا يخشون صواعقه.

وإنشاء السحاب: تكوينه بإثارة الأبْخرة التي تتجمع سحاباً. ومع كل التساؤلات فالخليفة لا تساؤل له لأنه يعلم وراء كل مخلوق خالق، والخالق بالمطلق هو أحسن من المخلوق دون مقارنة ظنية أو شكية، ولهذا فهو المؤمن بالحق قولا وإتباعا بالعمل الصالح الذي ينتج خيرا كثيرا.

هنا يرى الخليفة قدرة الله سبحانه وتعالى من خلال ما يرى أمامه من عظمة الباري عز وجل وقدرته، فالبرق فيه جانبان، جانب يرغب فيه الخليفة، ففيه إشارة إلى نزول الغيث والذي فيه تتجلى رحمة الله تعالى بإحياء الأرض، فيخرج منها ما يخرج رزقا للإنسان وبقية الكائنات، إذ يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[١٢٩٢] ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}[١٢٩٣] هذا جانب الرغبة، أما جانب الرهبة

---

[١٢٩١] – الرعد ١٢ – ١٣

[١٢٩٢] – الروم، ٢٤

[١٢٩٣] – غافر ١٣

فيتجلى في البرق ففيه صوت شديد يفزع منه بعض البشر حين النظر إليه أو سماعه، ومن عواقب البرق في بعض الأحيان مصاحبته بالصواعق التي تؤدي إلى إهلاك المصاب.

والمعجزات التي رافقت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هي جانب مهم من جوانب إظهار مقدرة الباري عز وجل، منها ما كانت مادية، ومنها ما كانت عقلية، ونقصد بالجانب المادي أنها كانت ترى بالعين المجردة، كمعجزات موسى عليه الصلاة والسلام، العصا وغيرها، وولادة عيسى عليه الصلاة والسلام، وما كان يعمله أمام الناس، إذ كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، أما الجانب الأخر فهو المعجزة العقلية وهي القرآن الكريم الذي أنزله الله تبارك وتعالى على رسوله الأمين محمد عليه الصلاة والسلام آيات مفصلات وفي كل آية قرآنية إعجاز مادي يستوجب الإدراك ومن أدركه آمن. لذا فعلى الخليفة الذي آمن أن يبحث في دائرة العلوم والمعارف دون توقف حتى يُمكن الناس من الاطلاع عليها، فإن اطلعوا عليها آمنوا وإن آمنوا اهتدوا وإن اهتدوا كانوا من المستخلفين فيها بالإصلاح والعمل النافع.

نلتمس من تاريخ الأمم أن كل أمة جاء فيها رسول أو نبي كانت تطلب منه برهانا على صدقه، ومن حقها أن تطلب هذا البرهان إن لم يحصل لها العلم بنبوته من طريق آخر، وذلك للتثبت من صحة نبوته، ولكن دون تعنت أو شطط، فيأتي البرهان على صورة معجزة ما، سواء كان ذلك ما طلبوه، أو شيئا آخر غير الذي طلبوه.

ينزل الله سبحانه وتعالى بحكمته العالية المعجزات على أيدي رسله المكرمين، باعتبار أن الشواهد المادية والمعنوية الخارقة للمعتاد المألوف في قوانين الكون وأنظمته تضع الباحث عن الحق أمام البرهان الواضح، الدال على صدق الرسول في دعواه بالرسالة. ذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة بشرا لا يستطيعون الإتيان بها منفردين أو مجتمعين، في حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم.

والمعجزة أمر ممكن عقلا، خارق للعادة، يجريه الله تبارك وتعالى على يد من أراد أن يؤيده، ليثبت بذلك صدق نبوته، وصحة رسالته.

عند الحديث عن المعجزات المادية نتحدث عن معجزة النبي موسى عليه الصلاة والسلام، فقد بعثه الله تعالى إلى قوم كان السحر عندهم هو الأمر الشائع الذي لا يمكن مجاراته أو التغلب عليه أو حتى الوقوف أمامه إلا أن قدرة المقتدر عز وجل كانت الحجة الدامغة أمام أنظار السحرة، إذ يقول تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آَيَاتِنَا الْكُبْرَى}[١٢٩٤] وإبراز انقلاب العصَا حيّةً في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى، ودفع الشكّ عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربة لأنّ مشاهدَة الخوارق تسارع بالنفس بادئ ذي بدء إلى تأويلها وتُدخل عليها الشك في إمكان استتار المعتاد بساتر خفي أو تخييل، فلذلك ابتدأ بسؤاله عما بيده ليوقن أنه ممسك بعصاه حتى إذا انقلبت حيّة لم يشك في أنّ تلك الحيّة هي التي كانت عصاه. فالاستفهام مستعمل في تحقيق حقيقة المسؤول عنه.

والقصد من ذلك زيادة اطمئنان قلبه بأنه في مقام الاصطفاء، وأن الكلام الذي سمعه كلام من قبل الله بدون واسطة متكلّم معتاد ولا في صورة المعتاد، كما دلّ عليه قوله بعد ذلك: {لنريك من آياتنا الكبرى}[١٢٩٥]، فقد اشتهر أهل مصر في ذلك الزمان بالسحر وبلغوا القمة فيه، ولذلك فان سحرة فرعون لما رأوا المعجزة علموا أنها ليست من نوع تخصصهم لخبرتهم بالسحر، فآمنوا في الحين، وهذه آية ومن ورائها آيات، إذ يقول تعالى: {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[١٢٩٦].

---

[١٢٩٤] – طه، ١٧ – ٢٣

[١٢٩٥] – التحرير والتنوير، ج ٩ ص ٣٦

[١٢٩٦] – طه، ٧٠ – ٧٣

أما المعجزة الأخرى فهي معجزة (الرجز) يعني العذاب وتتضمن هذه المعجزة صورا متتالية من الآيات الربانية، طلب موسى من فرعون أمرين :

الأمر الأول: استجابته للدعوة الربانية، وإيمانه بالله هو وقومه.

الأمر الثاني: فهو السماح له بأن يخرج بني إسرائيل من مصر ويغادر بهم إلى أرض الكنعانيين (فلسطين).

ولم يستجب فرعون لأي مطلب منهما وهذه آية من ورائها آيات، وأخذت فرعون العزة بالإثم، وعتا عن أمر الله تبارك وتعالى، وتمادى في تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام، واستمر في إذلال بني إسرائيل وإهانتهم وتسخيرهم.

فأمر الله تبارك وتعالى موسى عليه الصلاة والسلام أن يعلن لفرعون وقومه أن الله تعالى سيوقع بهم ألوانا من العذاب، عقوبة لهم ماداموا على كفرهم وعنادهم وإصرارهم على التمادي في الباطل، وأعلن لهم موسى ذلك وتوالت على مصر صنوف العذاب الرباني، قال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آَيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آَيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}[١٢٩٧].

[١٢٩٧] – الأعراف ١٣٠– ١٣٦

أما النبي عيسى عليه الصلاة والسلام فكان خاتمة أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسله الله تعالى إليهم، وأنزل عليه الإنجيل وأيده بخوارق عادات باهرات، فمنها ما كان إرهاصا بنبوته، ومنها ما كان معجزة مرافقة لرسالته، ليشهد الله تعالى له بصدقه فيما يبلغ عن ربه.

فمن إرهاصاته، ولادته من أم دون أب، شهد له بذلك القران الكريم، معلنا براءة أمه وحصانتها، وموضحا طريقة تكوينه في بطنها بوساطة نفخة جبريل عليه السلام. وكلامه وهو صبي في المهد، ووصف حال أمه حين جاءت به إلى قومها تحمله، إذ يقول تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ}[١٢٩٨].

أما معجزاته، فقد أرسل عليه الصلاة والسلام إلى قوم يفاخرون بمهاراتهم بالطب، وبلغوا فيه الحد الأقصى، فجاءت معجزته من ذلك القبيل يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله، إذ يقول تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[١٢٩٩] آيات من الله تبارك وتعالى في خمس من المعجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام، وهذه المعجزات لا يستطيع أحد القيام بها إلا أن يكون مقتدرا وهذه صفة المقتدر الأعظم الذي ليس له مثيل ولا يقارن بالمطلق، إنه الله جل جلاله، وهذه القدرة تتجلى هنا من خلال عرض معجزات لا يمكن للبشر إطلاقا القيام بها أو حتى محاولة التفكير فيها، فهنا يكون التسليم بها لا محالة.

---

[١٢٩٨] – مريم ٢٧ ٣٤

[١٢٩٩] – آل عمران، ٤٩

أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فكانت بعثته إلى قوم اشتهروا بالفصاحة والبلاغة، فقد بعث بين فصحاء قريش، وكانت العرب تتحاكم في الفصاحة بين أيدي قريش، إذ كانوا يجتمعون في أسواقهم كعكاظ يلقون الخطب والقصائد ويتفاخرون بالفصاحة ويتحاكمون لدى الحكماء هناك، لهذا كانت قريش أفصح العرب، لأن العرب يفدون إليها جميعا فتأخذ من جميع لغاتها الأفصح منها، لهذا كانت معجزته صلى الله عليه وسلم العظمى في القران الكريم المشتمل على جميع أجناس البلاغة، وقد تحداهم القران الكريم على أن يأتوا بمثله، فعجزوا عن الإتيان بمثله وذلك في قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}[١٣٠٠] ثم تحداهم أيضا بالإتيان بعشر سور مثله إن استطاعوا مع علمه المسبق بانعدام استطاعتهم، ولكن لإعطائهم الفرصة في دائرة المستحيل بالمطلق، قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٣٠١] بيَّن الله سبحانه وتعالى إعجاز القرآن الكريم، وأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولا بعشر سور من مثله، لأن كلام الله لا يشبه كلام المخلوقين، فضلا عن ذلك أن الرقم عشرة لا يعني أنهم يستطيعون الإتيان فعلا بعشر سور فإن مجموع السور العشرة شيء واحد. ألا وهو عجزهم لأن الإتيان بأي شيء. ثم تحداهم بسورة واحدة من مثله وذلك في قوله جل وعلا: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٣٠٢] ومع هذا فإنهم عجزوا عن الإتيان بمثله وعن الإتيان بسورة واحدة من مثله، كما خاطبهم بذلك في قوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[١٣٠٣] فقد ثبت عجزهم عن معارضة القران الكريم ولجؤوا إلى الحرب وقتال المسلمين، وحينها استوجب الجهاد والجهاد آية من ورائه آيات عظام.

---

[١٣٠٠] – الطور ٣٣ – ٣٤

[١٣٠١] – هود ١٣

[١٣٠٢] – يونس، ٣٨

[١٣٠٣] – الإسراء، ٨٨

وعليه، كل شيء في الخلق آية، وآيات الخالق لا يمكن أن يعدها أو يحصيها مخلوق مصداقا لقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[١٣٠٤].

نتبيَّن عددا من المعجزات تستوجب الوقوف عندها اتعاظا بها في الحياة الدنيا وطاعة تامة بمن أنزلها وخلقها لا إله إلا هو. وهكذا جميع آيات الكتاب الحكيم هي معجزات ومن هذه المعجزات ما جاء في الآيات الكريمة السابقة الذكر في سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي:

١ . الخالق هو الله ولا خالق سواه، والخليفة هو المؤمن بأن الخالق هو المقتدر الأعظم فلا غالب له أبداً.

٢ . ومن آياته العظام خلق السماوات، التي فيها المجرات والحركة كل في فلك يسبحون، والسماوات جمع السماء، والخليفة وحده يؤمن بوجودها يقينا، مع أنه لم يرها هي كما هي وهذه مليئة بالمعجزات العظام، والمعجزة المضافة إليها أن يتم الإيمان بها دون أن ترى بالعينين المخلوقتين آية من آيات الخالق.

---

[١٣٠٤] إبراهيم، ٣٢ ـ ٤٢.

٣ . ومن آياته خلق الأرض معجزة منها خَلق المعجزة وهي آدم الذي خلق هو من أديمها آية سبحانه إنه المقتدر جل جلاله. قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}[١٣٠٥]، ومن آية الخلق من التراب تتعدد الآيات العظام، ولهذا سبق أن قلنا من كل آية تتولد الآيات وفي كل آية معجزات تتعدد سبحانه إنه المقتدر العظيم. ولذا أوضح في تعداده لبعض من الآيات معجزات تتعدد، خلق الأرض آية، وخلق آدم منها آية، وجعله خليفة فيها آية، وخلقه للنطفة آية، وخلقه للعلقة آية، وإخراج الطفولة منها آية، وجعله النمو والكبر عبر الزمان آيات تتعدد، من مولود إلى طفل وصبي وشاب ورجل وكهل وشيخ وعجوز كل هذه آيات نراها بأم أعيننا مما يجعل في رؤيتها آيات تتنوع من ذكر وأنثى وخلق الموت آية تلاحق جميع الأعمار وهو على كل شيء قدير مقتدر. وكما أنه خلق الحياة والممات آيات عظام كذلك خلق الخليفة مؤمنا من الذين خلقهم في أحسن تقويم، وكان منهم الكافر والمشرك والضال والغافل والغني والفقير، وكان منهم الأنبياء والمرسلين، كل ذلك آيات فمن يهتدي يهتدي لنفسه ومن يضل يضل عن نفسه وهكذا تتولد الآيات من الآية بما لا يحصى ولا يعد، ومع ذلك تجد من يجادل في آيات الله بغير حق، أي بغير حجة تسنده أو دليل يستدل به وهذه في ذاتها آية حيث الخالق يخلق في أحسن تقويم ثم لا يؤمن به أو يشرك به أو لا يهتدي إلى ما يجب الهداية إليه، سبحانه إنه المقتدر العظيم الذي بحمده نهتدي

[١٣٠٥] غافر ٦٧ . ٧٧.

وبحمده نشكره ونتوب إليه وبه نستعين على كل شيء بنية واثقة من مقدرته على تحقيق الفعل المراد وهذه آية والحمد لله رب العالمين.

٤ . ومن آياته أنزل من السماء ماء: مع أن مصدر الماء لم يكن السماء، إلا أنه جعل من البخر آية لرفع الماء من البحار والأنهار والمحيطات إلى الأرض الجرز وحيث يشاء، وفي هذه آيات تتعدد، وهي آيات مبصرة تُرى بجميع الحواس قال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ}[١٣٠٦].

آيات عظيمة تتولد من آيات عظام، انظروا ما خلق في السماوات والأرض وعليكم بإتمام سورة الرحمن وآياتها العظام ولن تحصوها ولن تعدوها بالمطلق حيث وراء كل آية آيات عظام، فما بالكم بآيات الكتاب كله سبحانه إنه المقتدر وهو على كل شيء قدير فله الحمد والشكر إنه

---

[١٣٠٦] الرحمن، ١٧ ـ ٦٠.

ربي الذي لا إله إلا هو، به آمنت وعليه توكلت وأوليت أمري وأمر أسرتي وما أملك إليه فنعم المولى ونعم الوكيل والنصير.

٥ . إخراجه للثمرات رزقا: سبحانه قد خلقنا وخلق لنا رزقا متنوعا ومتعدد مع تعدداً آياته وتنوعها، ولذا وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، فاتقوا يا أولي الألباب واستغفروا الله يغفر لكم من ذنوبكم ويجعلكم من المستخلفين والوارثين في الدارين. قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[١٣٠٧]، إنها الآيات الكريمة المتولدة من الآيات العظام فانظروا كيف يضاعف الثمرات مع مضاعفة الحسنات سبحانه إنه المقتدر على ذلك والفعَّال لما يريد.

٦ . تسخيره للفك لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ: من آياته العظام التي نزلت في الآيات السابقة الذكر من سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي جعل منه تعالى في ذاته آيات، آيات في اصطفائه أبوا الأنبياء، وآيات في تحديه قولا وعملا للكفرة والمشركين، وفي براءته من النار آيات عظام مصداقا لقوله تعالى: {قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

[١٣٠٧] البقرة، ٢٦٥ . ٢٦٨.

اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ}[١٣٠٨]. ما أجمل الآيات تتولد وتتعدد وتتنوع من الآية الواحدة، وما أجمل إبراهيم نبيا يولد في قوله المعجزة من ربه الذي جعل أمر النار عليه أن تكون بردا وسلاما.

وعليه فإنه سخر الفلك تجري في البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات بأمره آيات خلقها للتنقل والتواصل والنجاة كما هو حال نوح عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}[١٣٠٩]. إنها الآيات التي تجعل الذين خلقوا في أحسن تقويم على أحسن خليفة في القول الصادق والفعل الخالص. وهكذا كانت الفلك آيات في البحار والبحيرات والأنهار والمحيطات قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ

---

[١٣٠٨] الأنبياء، ٥٩ . ٧٢.

[١٣٠٩] هود ٣٦ . ٣٥.

رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ}[١٣١٠].

٧ . ومن آياته أنه سخر لمن يريدهم خلائف في الأرض الشمس والقمر دائبين: كما سبق أن أوضحنا أن الشمس آية وكذلك القمر آية، وهنا جاءت آية عظيمة مرتبطة بهما وهي أن كل منهما دائب أي طائع في حركته وزمانه للأمر الذي خلقه بالقول (كن)، وفي هذا الدَّأب تناهٍ في الطاعة دون الخروج إلى معصية. ولهذا فإن الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، والحسبان مبلغ الدقة التي لا تدخلها الغفلة أو المغالطة أو الخطأ، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}[١٣١١].

٨ . من آياته أنه سخر لمن يراد له أن يكون خليفة الليل والنهار: نعم إن الليل والنهار آيتان عظيمتان مصداقا لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا}[١٣١٢].

---

[١٣١٠] الشورى ٣٢ ـ ٤٤.

[١٣١١] يونس، ٥ ، ٦.

[١٣١٢] الإسراء، ١٢.

النهار مبصرا بضوئه للعمل والإصلاح والفلاح والعمار في الأرض، والليل سكنا ولباسا للراحة لأجل العمل بعد أن يعود النهار مبصرا.

٩ . من آياته إيتاء العباد من كل ما سألوه: قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ}[١٣١٣]. سبحانه إنه المقتدر الذي يملك بالمطلق ويعطي ما يشاء لمن يشاء متى شاء، رغبات الناس تتعدد وتتنوع وتتطور، ومع ذلك فإن آيات المقتدر أعظم وهذه آيات كريمة تستوجب الحمد والشكر والعرفان بالطاعة والعبادة، وفوق ذلك يتم استخلاف الإنسان في الأرض وحمل الأمانة وهو بها ظلوما جهولا قال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[١٣١٤].

١٠ . ومن آياته النعم التي خلقها وهي لا تعد ولا تحصى: قال تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}[١٣١٥]، بطبيعة الحال لا

---

[١٣١٣] البقرة، ٥٨ . ٦١.

[١٣١٤] الأحزاب، ٧٢، ٧٣.

[١٣١٥] النحل ١٧ . ٢٠.

يمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق، الخالق مصدر لكل خلق، والمخلوق ليس بمصدر خلق، وذلك لأنه لا يخلق (يصنع) إلا من مخلوق (مصنوع) سابق عليه، ولهذا لا يعد مصدرا للخلق، ولكن من يستمد صفاته من صفات خالقه تكون روح الخلق فيه فيخلق مما خلق له الخالق أشياء، أي انه القادر على استمداد الشيء من الشيء، ولكن غير قادر على خلق الشيء من أساس وجوده وخلقه.

١١ . من آياته أن الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم منه الظلوم الكافر: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}[١٣١٦] خُلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون الخليفة في الأرض التي منها خلق، ولأنه منها خلق، عليه أن يعمل على الإصلاح فيها، إلا أن الفرقة كانت بين مصلح ومفسد، وبين كافر ومؤمن، وبين ضال ومهتدٍ، وبين محسن وظالم، ومنذ البداية كان الصراع بين ابني آدم مصداقا لقوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}[١٣١٧] الآية إعجازية دالة على كل ما هو قابل للتحقق، ومن آياته أن الذي خُلق في أحسن تقويم عندما يكون ظلوما، يقصر تفكيره عن تفكير الغراب الذي لم يكن من المخلوقين في أحسن تقويم، ولذا فالهداية نور بها يتم الاستيضاح دون لبس أو غموض، وبعد أن وقعت الآيات وهي القتل بغير حق، وعدم المعرفة بمواراة الجثمان جاء فعل الغراب آية، ثم جاء فعل الندم آية، وهكذا تتولد الآيات من الآية بفعل المليك المقتدر.

---

[١٣١٦] إبراهيم، ٣٤.

[١٣١٧] البقرة، ٢٧ ـ ٣١.

١٢ . من آياته الدعاء والاستجابة: الدعاء الخالص له الاستجابة الخالصة، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله كما جاء في الكتاب الحكيم: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آَمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[١٣١٨].

وعليه لكل دعاء استجابة ولكن زمن الاستجابة في علم الغيب، أي متى تكون الإجابة هذا الأمر بيد المجيب المطلق جل جلاله. الإجابة تأخذ أوجه فهي قد تتزامن مع الدعاء، وقد تكون تالية له بوقت قصير وقد تكون ذات زمن بعيد، ولكن شيئا واحدا لا نغفل عنه وهو لابد أن تكون الإجابة من السميع المجيب. وإلا هناك من يظن أنه سميع ولا يجيب؟! استغفر الله إنه الحق المجيب. قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[١٣١٩]، وقال تعالى: { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[١٣٢٠]. أمَّا الكافر والمشرك فآلهتهم لا تستجيب وذلك لفقدانها صفة السمع، وهي لا تنطق ولا تمتلك آية، ولأن الاستجابة آية، إذن لا وجود لآية إلا من سميع قريب مجيب لا يغفل أبدا ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يموت ولا يبلى. ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ

---

[١٣١٨] إبراهيم، ٣٥ ـ ٤٢.

[١٣١٩] غافر ٦٠.

[١٣٢٠] هود ٦١.

أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}[١٣٢١].

من خلال ما سبق بين الله تبارك وتعالى أدوات قدرته والتي يمكن أن نقسمها على قسمين :القسم الأول : وقتيه مرتبطة بزمان ومكان مثل معجزات الأنبياء موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، أما القسم الأخر فهي معجزات دائمة ومستمرة وهي معجزة القرآن الكريم فهي خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فكلها دلائل تشير إلى اقتدار الباري عز وجل المتمكن الذي بيده كل شيء.

ثانيا: موزع الأرزاق كما يشاء:

الرزق مفردة تتردد بين طيات القرآن الكريم، وهي محور كبير يدور حوله كثير من خطابات الكتاب الحكيم، فهي أمر عظيم تتجلى من خلالها قدرة الباري عز وجل، فالخلق أجمعين قدر لهم خالقهم تبارك وتعالى أمورهم جميعا منها أعمارهم، إذ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[١٣٢٢] هنا عملية عرض لخلق الإنسان من بداية تكونه إلى الموت، إذ أن عمر الإنسان مقدر له فلا ينقص ولا يزيد ساعة واحدة، يقول الحق تبارك وتعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[١٣٢٣] كذلك الرزق قدره الله سبحانه وتعالى بين الناس بمختلف ألوانهم وديانتهم واعتقاداتهم، إذ يقول الحق تبارك وتعالى: {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا}[١٣٢٤] فمن رحمة الله تبارك وتعالى انه يرزق حتى الكفرة الذين لا يؤمنون

---

[١٣٢١] الأحقاف، ٥.

[١٣٢٢] – الحج ٥

[١٣٢٣] – الأعراف ٣٤

[١٣٢٤] – الإسراء، ٢٠

بلقائه فقد أعطاهم من نعمة الدنيا على حسب ما قدر لهم، وأعطى المؤمنين خيري الدنيا والآخرة، ولذا فهم الوارثون حقا والمستخلفون حقا إذ يبشرهم بقوله: {وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[١٣٢٥] فرحمته واسعة تتخطى كل الحدود التي يفكر بها الخليفة فهي أمامه يجدها في الآخرة. أما توزيع الرزق، فهو بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد فيه ما يقتضي الحظر كالكفر مثلا. أما توزيع الرزق فلا يكون بالتساوي بين الناس جميعا فهو مقتدر أن يرزقهم جميعا بالتساوي لكنه بمشيئته وحكمته وإرادته لا يرزقهم بالتساوي، إذ يقول تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[١٣٢٦] هنا تتسم معاني الاقتدار بأوضح صورة قادر وقدير ومقتدر يتصرف كما يشاء، ويعطي كما يشاء، ويأخذ كما يشاء بيده الملك، يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور، وبعضاً بالصنفين جميعاً، ويزوجهم ذكرانا، ويخص آخرين بالعقم فلا يهب لهم ولداً قط. توزيع وفق ما يريد جل جلاله فهو المقتدر.

أما الغيث فهو جانب آخر من جوانب رحمة الله سبحانه وتعالى الدالة على اقتداره، فهو لا يعطيه بالتساوي بين الناس إنما يخص به من يشاء وفق حكمته وإرادته العظيمة، يقول تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}[١٣٢٧] الغيث رحمة لأنه ماء والماء مصدر كل حياة مصداقا لقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}[١٣٢٨] فعندما يكون الماء مطرا تكون الرحمة فيه لإحياء الأرض، وهذه الرحمة ليست

---

[١٣٢٥] – الأعراف ١٥٦

[١٣٢٦] – الشورى ٤٩ – ٥٠

[١٣٢٧] – الشورى ٢٨

[١٣٢٨] الأنبياء، ٣٠.

مقيدة بأحد المخلوقات إنما هي مطلقة لهم جميعا، وذلك لأنها وراء كل رزق، فهنا دلالة واضحة على قدرة الله تبارك وتعالى في إعطاء رحمته وتوزيعها كيفما يشاء متى ما شاء.

وقد يمنع الرزق بسبب المعصية التي تكون سببا في انقطاع الرزق، كما ورد في قوله تعالى: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[١٣٢٩] إن الله سبحانه وتعالى يعطي العبد على سبيل الابتلاء والامتحان، وليصرفه إلى طاعة الله، وليواضب على شكره على ما أعطاه من نعم، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالى قد يقطع عنه تلك النعم، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات، وقد يزيده ابتلاء. روي أن رجلاً من ثقيف وكان مسلماً، كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء، وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيباً وافراً للفقراء، فلما مات ورثها منه بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين، مثل ما كان يفعل أبونا، فأحرق الله جنتهم[١٣٣٠] هذه القصة تتأطر ضمن إرادة المقتدر تبارك وتعالى، الذي يتجلى من خلالها أن منع الرزق هنا وان كان فيه سبب وهو المعصية لكن مشيئة الله هي التي جعلت من البستان المثمر رمادا يتطاير في الهواء.

ويقابل منع الرزق منح الرزق بإرادته ومشيئته، إذ يقول تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ

---

[١٣٢٩] – القلم ، ١٧ – ٣٣

[١٣٣٠] – تفسير الرازي، ج ١٥ ص ٤٤٥

الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا}[١٣٣١] والاستغفار هنا هو الإيمان أي آمنوا إيماناً يكون استغفاراً لذنبكم فإنكم إن فعلتم غفر الله لكم فإن غفر لكم فسيأتيكم الخير الواسع في الدنيا والآخرة، فالله تعالى هو المقتدر بان يرسل عليكم الرزق من أموال وبنين وغير ذلك.

ولأنه المقتدر كان عادلا في توزيعه للرزق على كل ما خلق مصداقا لقوله تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}[١٣٣٢]، إذا بالنسبة للرزق لكل نصيبه فيه، لا يخلق شيئا إلا وعليه برزقه لا يظلم ربك أحدا. وهذه شرعة من اتبعها كان مهتديا بالحق للحق ومن كفر فقد ضل سواء السبيل، ولهذا كان الخليفة مصلحا وكان الضال مفسدا وما ربك بظلام للعبيد.

رابعا: مقتدر بإنزال العقاب أو رفعه:

العقاب اسم يتردد ضمن سياق كثير من الآيات القرآنية، وذلك لأن النص القرآني يحتوي بين طياته على ثنائية الثواب والعقاب، فقد كان العقاب هو الحل الأخير لكثير من الأقوام التي لم ترتدع ولم تتعظ ولم تتراجع عن غيها بعد أن رأت آيات الله سبحانه وتعالى وقدرته على أيدي أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم، فالعقاب مقدَّر من الله سبحانه وتعالى فلا يمنعه إلا هو، فكثير من الأقوام حل عليهم عقاب الله سبحانه وتعالى مثل قوم نوح عليه الصلاة والسلام كان عقابهم الغرق، والطوفان آية مهيبة لقدرة الباري عز وجل في الخروج عن المتعارف لدى الناس، وتحول الأرض إلى بحر هائج أمواجه تشبه الجبال العظيمة، إذ يقول تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ

---

[١٣٣١] – نوح ١٠ – ١٢

[١٣٣٢] هود ٦، ٧.

وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}[١٣٣٣] الطوفان ما كان إلاّ عن مثل زلازل تفجرت بها مياه الأرض وأمطار جمّة تلتقي سيولها مع مياه العيون فتختلط وتجتمع وتصب في الماء الذي كان قبلها حتى عم الماء جميع الأرض التي أراد الله إغراق أهلها الذين حق عليه القول، منظر رهيب تتجلى فيه قدرة الباري عز وجل يبدأ من الاختيار من كل شيء زوجين دلالة البقاء، وعدم انتهاء الأمر نهائيا بل فيه عودة إلى الحياة، وفيه إعمار للأرض التي تريد دائما الخليفة المؤمن والعادل الذي اختاره الله تبارك وتعالى ليستخلفه في الأرض، فمنظر الطوفان تتجسد فيه أروع صور الاقتدار التي تدلل على عظمة الباري عز وجل فهذه السفينة تجري وسط هذه الأمواج العنيفة وهي تحمل ما عليها، ثم بعد أن ينتهي الطوفان ترسو وتبدأ صفحة جديدة من تاريخ البشرية.

ونلحظ من قوله تعالى: (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا) شيئين:

الشيء الأول: إن مفتاح الحركة بالنسبة للسفينة هو (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا) فكانت تجري في أمان بالرغم من تلاطم الأمواج، وإن مفتاح الإيقاف هو (بسم الله مُرساها) فوقفت بسلام في مكان النجاة المحدد بقوة المقتدر جل جلاله.

وقوم لوط كان عقابهم أن جعل الله تبارك وتعالى قريتهم عاليها سافلها، قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}[١٣٣٤] وقوم شعيب كان عقابهم بالصيحة، قال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

---

[١٣٣٣] – هود ٤٠ – ٤٥

[١٣٣٤] – هود ٨٢ – ٨٣

شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ}[١٣٣٥] وقوم صالح أخذتهم الرجفة {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}[١٣٣٦]، هنا تجلت قدرة الله سبحانه وتعالى في إنزال العقاب على الأقوام التي لم تستجب لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه وبهذا طويت حياتهم من الدنيا كلمح البصر ولم يعد لهم من ذكر سوى أسماءهم وبقايا ديارهم التي توحي دائما بقدرة الباري عز وجل في إنزال عقابه على المستحقين، بعد ذكر هذه الأقوام وما حل بها نقصد قوم صالح ولوط وشعيب نأتي إلى قصة يونس عليه الصلاة والسلام الذي آمنت قريته بعد أن كاد يحل بها العذاب، فرفع عنها ونجت منه بالإيمان. وهي لمسة من ناحية أخرى تزين الإيمان للمكذبين، لعلهم يتقون العذاب الذي ينذرون. ولا تكون عاقبتهم كعاقبة قوم نوح وقوم موسى المهلكين، إذ يقول تعالى: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}[١٣٣٧] قوم يونس بادروا إلى الإيمان بعد أن فارقهم يونس، توقعاً لنزول العذاب، وقبل أن ينزل بهم العذاب، وذلك دليل على أن معاملة الله إياهم ليست مخالفة لما عامل به غيرهم من أهل القرى، وأن ليست لقوم يونس خصوصية، وبذلك لا يكون استثنائهم استثناءٍ منقطعاً. وإذ كان الكلام تغليطاً لأهل القرى المعرضين عن دعوة الرسل، وتعريضاً بالتحذير مما وقعوا فيه. فالمقتدر تجلت قدرته في رفع العقاب عن قوم يونس فلا أحد ينزل العقوبة أو يرفعها إلا هو المقتدر تبارك وتعظم.

المقتدر: هو رحمن وجبار، ورحيم وشديد العقاب، أي أنه فعال لما يريد، إنه المقتدر على الثواب والعقاب والحاجة والإرزاق، ولذا لكل فعل سبب وعلة ولهذا لا يمكن أن يظلم ربك أحدا، إنه المقتدر بعدله ومغفرته سبحانه إنه ربي.

---

[١٣٣٥] – هود ٩٤ –٩٥

[١٣٣٦] – الأعراف ٧٨

[١٣٣٧] – يونس، ٩٨

إنه المقتدر على الحياة والممات والبعث، والمقتدر على الابتلاء وفك الابتلاء اللهم فك ابتلائنا عنا وارزقنا رزقا نافعا وملكاً طاهرا، وأبناء صالحين مصلحين يصلحون ولا يفسدون في الأرض التي منها خلقنا وفيها استخلفنا ولا تجعلنا وإياهم سافكي دماء بغير حق، واجعلنا على العدل والطاعة والاهتداء للحق بالحق إنك الحق جل جلالك.

رابعا : كشف الضر:

يتردد عندنا في الحياة صبر أيوب فيضرب المثل بصبره، وتكتب القصائد الكثيرة بذكر صبر أيوب، وكيف تحمل ما تحمل من المعاناة والآلام فلم تثنه عن إيمانه بالله تبارك وتعالى بل زادته إيمانا، إذ يقول تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}[١٣٣٨] في هذه القصة العظيمة التي أرخت لحياة نبي من أنبياء الله فوسمته بسمة من أعظم السمات، ألا وهي سمة الصبر، فالضر الذي أصاب النبي أيوب عليه الصلاة والسلام هو مقدر من الباري عز وجل وهو الذي يرفعه متى أراد لحكمة ومشيئة تتعلق به تبارك وتعالى، وهذا مثل واضح وبيّن أراده الله تعالى من أجل الاتعاظ واللجوء إليه، فهو المقتدر على كشف الضر اللهم فك الضر عنا وارحمنا بواسع رحمتك إنك سميع مجيب.

للبحر أهوال ومشقة يتعرض لها الخليفة فيلجأ إلى الله تعالى كي ينقذه مما تعرض له يقول تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}[١٣٣٩] والضر هنا هو الغرق فالصيحات تتعالى وتستغيث تطلب النجاة والوصول إلى البر الذي هو المأمن فمن يصل بهم إلى البر لا يوجد أحد غير هو المقتدر الذي ينقذهم مما هم فيه، وهم في دعائهم يقصدونه هو لا غير.

---

[١٣٣٨] – ص، ٤١ – ٤٤

[١٣٣٩] – الإسراء، ٦٧

والخليفة يتخلق بخاصية كشف الضر من خلال وجوده في المجتمع ومتابعة إخوانه والوقوف على أحوالهم، والضر قد يكون أنواعاً، منه الضر البدني وهي الأمراض التي تنتشر في بعض الأحيان فتصيب إنساناً دون آخر من باب الابتلاء. ومنه الضر المادي، كأن يتعرض بيت من البيوت إلى الهدم نتيجة للتعرية أو سقوط الأمطار بغزارة الذي يؤدي إلى الفيضانات. فيسعى الخليفة بكل السبل من أجل رفع الضر وإرجاع الأمور كما كانت.

ولهذا فإن رفع الضر آية من آيات الله العظام فهو يرينا الرحمة جنبا إلى جنب مع الشدة والعقاب، وذلك لأجل أن نهتدي ولا نضل، ولأجل أن نعمل فلاحا وإصلاحا ولا نفسد فيها بغير حق، ولا نظلم أحدا.

وعليه بالنسبة للخليفة إلحاق الضرر بالكافر يعده رحمة لا كما يعده الكافر على نفسه، وهكذا إلحاق الضر بالمؤمن يرضي الكافر ولا يغيظ المؤمن لأنه يعتبره ابتلاء والابتلاء يزول بالإصلاح والهداية، ولهذا إنه تنبيه للعمل الخيِّر والتمسك به، فمن اهتدى يهتدي لنفسه ومن ضل عنها ضل. فالمؤمن إذا وقع عليه ظلم حتى ولو كان مقتدرا على رده وردع صاحبه يقول في نفسه ما أمر به الله تعالى أن يقال: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[١٣٤٠].

خامسا: إصلاح الخلائق:

المقتدر هو الذي يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلا منه وإحسانا، إذ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[١٣٤١]. القول السديد هو قول الحق، وقول

---

[١٣٤٠] آل عمران، ٧٢ . ٧٤.

[١٣٤١] – الأحزاب ٧٠ – ٧١

الحق إصلاحي، ولأجل الإصلاح يجب أن يقال القول الحق حتى لا تزور الحقائق بمشبهات ليست هي كما هي.

وتتقابل مع لفظة الإصلاح لفظة الإفساد، فعندما يراد الإصلاح لابد أن يكون هناك فساد، ولذا يستوجب إحلال الشيء المصلح محل الشيء المفسد، ولأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم فهو المدرك الذي يمتلك العقل الذي به يميز بين ما يجب الإتباع وبين ما يجب الابتعاد عنه وتجنبه، ولأن الله جعل كل شيء بالقوة على الإرادة، فما يبدو لأحد موجبا قد لا يكون كذلك للآخر، ولهذا يدور الصراع حتى يغلب أحدهم الآخر أو يهزمه، وفي هذا الأمر مغالبة، والمغالبة تدس خلفها ردود الأفعال والضغائن والثأر في أوقات الغفلة أو المفاجئة. ولأن المقتدر جعل للتخيير والتسيير فسحة في القول والفعل في دائرة الإرادة والنسبية، فكان الخليفة مؤمنا مهتديا، وكان الكافر مشركاً ضالا، وهذا الأمر ورد منذ بداية الخليقة، إذ يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[١٣٤٢] فمنذ خلق أدم عليه الصلاة والسلام ترددت لفظة الفساد والتي أصبحت بدايتها عمليا بقتل قابيل لأخيه هابيل، قال تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[١٣٤٣] فالفساد لابد له من إصلاح فلا يحق له أن يستشري بين الناس ويكون دينهم الذي يتوارثونه، فلا بد أن يتدخل المقتدر جل جلاله ويكون التدخل عن طريق أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وهكذا جاءت الرسالات السماوية لتبشر بما يريده الباري عز وجل من أجل الإصلاح المنشود، ولهذا نجد نصوصاً كثيرةً في القران الكريم ترد على لسان الأنبياء تتضمن محاور الإصلاح

---

[١٣٤٢] – البقرة، ٣٠

[١٣٤٣] – المائدة، ٢٧ – ٢٠

التي يريدها المقتدر تبارك وتعالى، {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شعيبا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[١٣٤٤] يتسم كلام نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه بالمراجعة أي أنه كان يكرر عليهم دائما ما يريده المقتدر عز وجل مما يدل على أن الإصلاح المنشود لا يتم من خلال تبليغ واحد، وإنما يحتاج إلى تكرار وعرض للحجج والبراهين التي تبطل الفساد وتدحضه وتبين مواطن الخطأ والزلل التي فيه، أما قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[١٣٤٥] بشارة من الله تبارك وتعالى أن هذه الأرض لا تبقى بيد الكفرة وأهل الفساد إنما مآلها إلى الصالحين من عباده الذين استخلفهم فيها وجعلهم الوارثين، فلهم الدور الكبير في عملية الإصلاح من خلال تبليغ ما أمر به الله عز وجل ويكون ذلك بالقول السديد، إذ يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[١٣٤٦] فالقول السديد هو مطلق كأن يكون آية قرآنية أو حديثاً نبوياً أو أذاناً يسمعه الناس، وهو قول الحق الذي لا يدخله الباطل، وهو في مجمله نداء إصلاح وتبشير بخير آتٍ، من الله تبارك وتعالى للمؤمنين بأن يتَّسِموا بالتقوى وسداد القول، ولابد لهم من النهي عن المنكر، لأن فائدة النهي عن المنكر التلبّسُ بالمحامد، والتقوى جماع الخير في العمل والقول. والقول السديد مبعث الفضائل، ويتردد الإصلاح أيضا حتى مع حال المؤمنين أنفسهم، إذ يقول تعالى: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}[١٣٤٧] فقوله {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} إشارة إلى ما يثيب على العمل الصالح. فالله سبحانه وتعالى كلما ذكر الإيمان والعمل الصالح، رتب عليهما المغفرة والأجر، وهذه المعادلة تتسم بما جاء به الخطاب القرآني الذي ركز على هذين الطرفين في

---

[١٣٤٤] – الأعراف ٨٥

[١٣٤٥] – الأنبياء، ١٠٥

[١٣٤٦] – الأحزاب ٧٠ – ٧١

[١٣٤٧] – محمد ٢

معادلة الحق، يقول تعالى: {فَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[١٣٤٨] وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ}[١٣٤٩] ويمكن أن نطلق على طبيعة هذا الخطاب بخطاب الرغبة، الذي يتحقق من خلاله ما يريده الباري عز وجل، فضلا عن ذلك أن العمل الصالح الذي يقابله العمل الفاسد تتطابق عليهما ثنائية الثابت والمهتز، فالثابت (الحق) يبقى كما هو لا يتغير مهما تعرض لأي شيء، أما المهتز فهو في بعض الأحيان قد يضمحل وينتهي فلا يبقى منه شيء سوى الذكرى، فالثابت هو العمل الصالح والمهتز هو العمل الفاسد الذي في حاجة لأن يصلح.

وعليه: الثبات قوَّة والاهتزاز ضعف:

الثبات قيمة تُقدّر بالفعل الذي هي عليه. أو بالفعل الذي به يتم الثبات.

والثبات لا يعني الجمود. والاهتزاز لا يعني الحركة.

ولهذا الثبات قاعدي. والاهتزاز استثنائي. ومع ذلك كل شيء نسبي.

ما تعتقد أنه على ثبات، قد يفاجئك بحركته وامتداده، وما تعتقد أنه في حالة سكون توقع أنه قد يتحرك في أي وقت من الأوقات بتمرد أو ثوران وامتداد. ومع ذلك أيضا، لا ثبات إلا بقوة مقتدر، ولا اهتزاز إلا بقوة مقتدر.

ولهذا فالقدرة قيمة قاعدية للثبات والحركة. فمن يصمد (يثبت) بقوة في مواجهة القوة، ومن يضعف أمام قوة تهزه من مستواه أو تحركه من مكانه لا يقارن بمن صمد وثبت.

ووفقا لدائرة المتوقع وغير المتوقع، الثابت والمهتز كلاهما في حالة حركة، سواء كانت الحركة سالبة أم موجبة.

وعليه، لا ثبات ولا اهتزاز، إلاَّ لوجود قابل للمشاهدة أو الملاحظة (الإدراك عن وعي).

فالثبات على المبادئ مسألة قيمية مفضلة عند بني الإنسان، ولكن أية مبادئ؟.

تلك التي يرضونها الناس ويختارونها بإرادة.

---

[١٣٤٨] – الحج ٥٠

[١٣٤٩] – العنكبوت ٧

ولهذا فالقاعدة هي:

الثبات على المبادئ.

والاستثناء هو:

الاهتزاز عن المبادئ.

وقد يوصف المهتز عنها بالمنحرف السالب. مما يجعل للمصلحين المستخلفين أدورا متنوعة ومتعددة في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ولذا قد استمدت المبادئ قوتها من الثبات، واستمدت ضعفها من الاهتزاز.

وعليه كل شيء في حالة حركة.

فعلى سبيل المثال: الأرض في حالة حركة. ولأن الأرض تتحرك، إذاً كل ما عليها في حالة حركة، حتى وإن كان ساكناً في حياته أو في مماته.

ولهذا، يتحّرك المحمول في حامله:

. الحافلة الناقلة للركاب على الأرض المتحركة تتحرك.

. الأم الحامل الراكبة في الحافلة المتحركة على الأرض المتحركة، جنينها يتحرك في بطنها، مثلما هي تتحرك مع الركاب في الحافلة.

وهكذا تتعدد المتحركات وتتنوع والحركة واحدة سواء كانت في المادة، أو كانت في الفكرة التي تمتد من عقل مفكر إلى عقل مفكر آخر. وإذا سكنت عند البعض فزمن سكونها لن يطول.

ولهذا فهي في حالة حركة.

ولهذا، فالعلاقة بين الثابت والمهتز. علاقة بين سكون وحركة.

وبما أن في السكون ثبات نسبي.

و في الحركة امتداد نسبي.

إذن القاعدة هي:

١ . الثبات النسبي.

٢ . الحركة النسبية.

والاستثناء هو:

١ . الثبات غير النسبي.

٢ . الحركة غير النسبية.

ولأنه لا مطلق إلا من عند الله .

إذن كل شيء بالنسبة للبشر نسبي .

ولذا:

- فكر في الثابت.
- فكر في المهتز.
- شاهد الثابت.
- لاحظ المتحرك.

وهكذا تتعدد المتحركات وتتنوّع والحركة واحدة.

ولذا فإن المعلومة أو السلوك يقعان بين المهتز والثابت إلى أن يصنّفان بمصادق.

فكّر في الثابت كما تفكِّر في المهتز:

بما أنه لا مطلق إلا من عند الله.

إذن بطبيعة الأمر بالنسبة لبني الإنسان كل شيء نسبي، ولهذا حتى القيم هي ذات ثبات نسبي، ومع أنها القابلة للتطوير والتغيير عبر الزمن، إلا أنها الأكثر استقرار.

ولهذا، لا فرق بين الثبات والاهتزاز من حيث أن كل منهما نسبي.

والذي جعل كل منهما على حالة من النسبية، هو التداخل بين الحركة والسكون. ولهذا، الثبات على حالة من الاهتزاز. والاهتزاز على حالة من الثبوت، ولو لم يكن الثبات نسبيا ما تغيرنا وتغيرت أحوالنا وأصبح أجدادنا مسلمين بعد أن كانوا من الجاهلين قبل الرسالة المحمدية الخاتمة.

ولأنَّ كل شيء نسبي، إذن كل شيء ممكن. فلا تستغرب أن يحدث ما لم تتوقع أن يحدث.

وعليه: إذا وقع ما لم تتوقع فعليك بالتعامل معه وفقا للرسالة الخاتمة حتى لا تندم يوم لا ينفعك الندم وتأكد إن الحق ثابت ودائم فلا تستغرب.

وعليك أن تعرف وفقا لدائرة الممكن (المتوقع وغير المتوقع) أن كل شيء قابل لأن يتغير كلما توفرت معطياته أو اشتراطاته.

وعليه فكّر في الثابت كما تفكر في المهتز، فكل شيء يتغير. واعرف أن الزمن كفيل بذلك إذا توفرت العزيمة ورسمت الخطط. ووضع المستقبل هدفا رئيسا لإحداث النقلة.

بطبيعة الأمر بما أن كل ثابت وكل مهتز هو نسبي.

إذن التفكير فيهما يعد ضرورة قبل اتخاذ القرار. ولذلك تتماثل دائرة الثابت والمهتز مع دائرة المتوقع وغير المتوقع، من حيث: أن ٥٠% من الدائرة هو ثابت أو متوقع، وأنّ ٥٠% من الدائرة هو المهتز أو غير المتوقع. وأيضا قد يكون الثابت سالبا، وقد يكون موجبا، وهكذا المهتز يمكن أن يكون سالبا ويمكن أن يكون موجبا.

ولذا فإن المتغير المتداخل يربط الثابت والمهتز في علاقة دائرة واحدة مثلما يربط المتوقع وغير المتوقع في علاقة دائرة واحدة وهي دائرة (الممكن). ولهذا تتداخل الحركة مع السكون، ويتداخل السكون مع الحركة.

وبما أن نسبة من السكون في حالة حركة. ونسبة من الحركة في حالة سكون.

إذن لا وجود للقوة المطلقة بالنسبة للخلق. ولذا فكّر في الثابت حتى تتيقن، وفكر في المهتز مثلما أنت متيقن.

وبما أن هناك حركة.

إذن بالطبيعة لا وجود للثبات المطلق، ولا وجود للاهتزاز المطلق.

النسبية مرونة في الثبات والاهتزاز:

لو لم يكن كل شيء نسبي ما استطعنا أن نصحح المعلومات الخاطئة التي تشربها المنحرف وأثرت في أقواله وأفعاله وسلوكه سلبا.

ولهذا فالقاعدة هي:

١ . مرونة النسبية في الثابت.

٢ . مرونة النسبية في المهتز.

والاستثناء هو:

١ . انعدام مرونة النسبية في الثابت.

٢ . انعدام مرونة النسبية في المهتز.

وبما أن النسبية مرونة في الثابت والمهتز.

إذن المرونة حركة استيعابية.

وعليه:

١- كن مرناً.

٢- ناقش كل كبيرة وصغيرة ولا تتشبث وجادل الناس بالتي هي أحسن ولا تظلم أحدا واتقي الله في نفسك وأهلك ودينك ووطنك وإلا ستندم يوم لا ينفعك الندم.

٣- ثِق أنِّ المرونة تخلق النُقلة، والنقلة تصنع المستقبل الأفضل والجود.

٤- ثِق أنَّ كلَ ممكن نسبي.

٥- تأكّد أنَّه لا وجود للثبات المطلق.

٦- تأكّد أنَّ الجمود يؤدي إلى التخلف.

٧- كُن مرناّ يتم استيعابك.

٨- كن مرناً تُقدَّر.

٩- لا تتشّبث حيث لا وجود بين أيدنا لمطلق.

١٠- ثِق أنَّ كلَ شيء يتغيّر إلى النهاية.

١١- ثِق إن لم تتغيّر إلى ما يُفيد سيتم تجاوزك أو يستهدفك الآخرون بالتغيير.

١٢ . ثق من يتغير عن قيمة سيتجه إلى غيرها.

١٣ . ثق من يتطلّع إلى قيمة نافعة سيترك أو يتجاوز عن أخرى.

القيم ثوابت عنيدة: القيم ثوابت؛ لأنها تستمد من مصادر ثابتة (الدين والعرف)، ولهذا يحتكم الناس بها. إنها مكمن القوة في دائرة المتوقع وغير المتوقع. فبدون القيم لا تجد المحبة بين الناس تربة صالحة لنموها، وبدونها لا يجد من يحافظ عليها، ولا يجد من يكنُ له التقدير والاحترام.

ولهذا فالقاعدة هي:

١ . القيم ثوابت.

٢ . القيم عنيدة.

٣ . القيم مكمن المحبة.

والاستثناء هو:

١ . القيم ليست ثوابت.

٢ . القيم ليست عنيدة.

٣ . القيم مكمن الكريهة.

ولهذا الكره اهتزاز، والاهتزاز تبدل.

المحبة ثبات، والثبات استقرار.

وعليه:-

. استقر تبني حياتك.

. استقر تصنع لك عنوان.

. استقر تفكر في المستقبل.

. استقر تحقق التغيّر وتصنع النقلة.

ولذا فإن التبدّل لا يُسهّم في بناء الحياة الأسرية والاجتماعية والإنسانية ولا يؤسس عنواناً ولا يصنع تاريخا ويحقق مستقبلاً، ولا يسهم في تنظيم المجتمع وعلائق أفراده وجماعاته.

ومع ذلك ليس دائما التمسك بالقيم فضيلة، القيم البالية التي لا تُسهم في صناعة المستقبل وتحدث النقلة، التمسك بها يؤدي إلى التخلف الثقافي والحضاري، ويطمس الشخصية

المتطلّعة، ويظهر الشخصية الانسحابية الضعيفة التي لا تستطيع تحدى الواقع وأسبابه وعلله التي تشد إلى الخلف في زمن الاندفاع إلى الأمام.

القيم التي يشب الناس عليها عبر الزمن قد يعتقد البعض أنها مسلمات لا يُقبل المساس بها حتى وإن لم تواكب حركة التغير الاجتماعي والإنساني. ولهذا القيم ثوابت عنيدة، فالمتمسكون بها لا يطيقون فراقها أو الحياد عنها. فأمرها ليس هينا، وعلى المستخلفين فيها مراعاة ذلك والعمل على تجاوزه بالمنطق والحجة والجدل بالتي هي أحسن، وليس بالإكراه، مع مراعاة البدء مع الناس من حيث هم ثم العمل معهم في اتجاه ما يجب، لأجل إحداث النقلة بإرادة.

وعلى الخليفة أن يضع في حساباته أهمية القيم بأهمية ما تحققه من منافع ومكاسب للأفراد والجماعات والمجتمعات، وبمدى أهميتها في تقوية الوحدة الاجتماعية وفي استيعاب الآخرين الذين لا يكون استيعابهم على حساب ما تحققه القيم السائدة من منافع للمجتمع الذي كان سببا في إنتاجها، ولا تكون على حساب الاستخلاف في الأرض والورثة في الجنة.

ولهذا الثوابت العنيدة قواعد. الحياد عنها ليس بالأمر الهين، مع أنه ممكن. وذلك لأن الزمان كفيل بمتغيراته أن يغير أو يؤثر في الثوابت.

الإنسان مواقف والاهتزاز لا يخلقها:

وبما أن الإنسان مواقف. والاهتزاز لا يخلق المواقف.

إذن القاعدة هي:

. ثبات المواقف.

والاستثناء هو:

. اهتزاز المواقف.

ولهذا فالإنسان مواقف مع ما يُحب أو يُفضِّل، ومواقف مما لا يُحب ومما لا يُفضّل. وذلك من أجل الآتي:

١ . إثبات الأنا المقدّرة قيمياً (التي تمارس حقوقها وتؤدي واجباتها وتحمْل مسؤولياتها).

٢ . إثبات الذات الاجتماعية المقدّرة (اجتماعياً واقتصاديا وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً).

٣ . إثبات الضمير الإنساني المقدّر (اجتماعياً واقتصاديا وسياسياً ونفسياً وذوقياً وثقافياً).

ولذا فإن، تقدير المواقف قاعدة. وعدم تقديرها استثناء.

ولهذا عليك أن:

. تسعى لنيل التقدير.

. تسعى لنيل الاحترام.

. تسعى لنيل الأعراف.

. تسعى لنيل الاعتبار.

. تطلّع إلى ما يجب.

. تفهّم ظروف الناس ولا تغتر.

. تمسّك بدين الكافة ولا تغفل عن ممارسة أقواله وأفعاله الحسان.

وعليه:

١ . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الخيانة والضلال.

٢ . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في السرقة.

٣ . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في الكذب.

٤ . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تعاطي المخدرات.

٥ . لا تُصدِّق من يُبارك بطولاتك في تضييع الوقت.

٦ . أفِق من غفلتك تجد الحقيقة بين يديك.

الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة:

بما أن الثابت يُعبّر عن الجوهر والمهتز يعبّر عن الصورة.

إذن القاعدة هي:

١ . الثبات جوهري.

٢ . الاهتزاز يعبر عن الصورة.

والاستثناء هو:

١ . الثبات ليس جوهري.

٢ . الاهتزاز لا يعبر عن الصورة.

ولذا عندما يُعبّر الثابت عن الجوهر يُعبّر المهتز عن الصورة.

ولهذا يُزاح الشك عن الثابت ويَعلُقْ بالمهتز.

وتظهر الحقائق في الجوهر وتختفي في كثير من الأحيان عن الصورة.

ولذا فإن الظاهر غير الكامن، فلا تغرَّنّك الأقوال والأفعال التي بها يتقرب البعض للبعض زلفى. ولذلك على الخليفة معرفة الآتي:

. أن الحقيقة تكمن في الجوهر.

. أن الصورة قد لا تعكس الحقيقة.

. أن القيم ثوابت وفقا لقاعدة الممكن.

. أن للثوابت معايير تقاس بها وتُقوّم.

. أنه لا معايير لمهتز.

. أن الشك يُمكّن من التعرّف والتبيّن.

. أن التفكير ضرورة قبل اتخاذ القرار.

. من لا يخطط لمستقبله يفاجأ.

. من لا يقارن لا يتمكّن من التمييز والتعرف على المفارقات.

. أن المعلومة تُحلل وفقا لمتغيراتها.

. لا تشخّص الحالة إلا في الوقع التي هي عليه.

. أن كل شيء ممكن فلا استغراب.

لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن:

بما أنه لا امتداد ولا حركة إلا في حدود الممكن.

إذن الممكن هو مجال الامتداد، ومجال الحركة والزمان.

ولأنه ممكن فهو متوقع الحدوث، وبعد حدوثه قد يكون مساوياً لما هو متوقع وقد يكون أكثر أو أقل.

ولذا فالممكن ضروري الحدوث إلا أن نسبة حدوثه احتمالية مما جعلنا نفترض الآتي:

. الاحتمال الأول: يكون الممكن مساوياً للمتوقع السالب أو الموجب.

. الاحتمال الثاني: يكون الممكن أقل من المتوقع السالب أو الموجب.

. الاحتمال الثالث: يكون الممكن أكثر من المتوقع السالب أو الموجب.

بناء على هذه الافتراضات الثلاثة لا يُمكن أن يكون الامتداد إلا في مجال الممكن، ولا ممكن إلا في دائرة الزمان.

ولذا فإن ما نشاهده أو نلحظه أو نحس به أو نتذوقه أو نشمه أو نسمعه هو الواقع في حدود الممكن.

ولأنه في حدود الممكن النسبي، يحدث الاختلاف في درجات تمييزنا لما يقع في مجاله بالنسبة إلى مداركنا وقدراتنا وأحاسيسنا فمنَّا من يميز بين الأشياء أكثر من بعضنا. وهذا يدل أن بعضنا قدراته التمييزية أقل والبعض الآخر يساوينا أو يتفوق علينا.

وعلى الخليفة أن يعرف:

كل شيء نسبي.

أن الثبات لا يعني الجمود.

أن المهتز يُمكن أن يثبت.

أن الإصلاح ممكن.

أن العلاج ممكن.

أن الممكن لم ولن يكون مستحيلاً.

وعليه:

. لا تكن أسيراً للصغائر.

. تطلّع لتُحوِّل خسائرك إلى مكاسب.

. ثق أن السباحة لا تُعلَّم على الفراش.

. ثق أنك قادر فكل شيء ممكن.

. ثق أنك قوة فلا تركن إلى الضعف.

. لا تعطل طاقاتك نتيجة عثرة واحدة في الطريق.

. ثق أن الأفعال أكثر حُجّة من الأقوال التي لم تكن حجَّة.

. تطلّع إلى المستقبل.

. غيّر وتغير لتحدث النقلة.

. اعمل على صناعة مستقبلك، وشارك الآخرين من أجله.

الثبات والاهتزاز في حالة تداخل:

لا غرابة أن نلحظ الثبات والاهتزاز في الشيء الواحد نتيجة إدخال متغيرات عليه، فالرياح على سبيل المثال: كمتغير على ثبات شجرة النخيل يجعلها في حالة اهتزاز، وإذا اشتدت الرياح حتى تصبح عاصفة قد تؤدي إلى إسقاط النخلة أرضا. ومع ذلك وإن سقطت على الأرض فلن تسقطها الرياح من أذهاننا فهي الثابتة فيها. وهكذا شخصية الإنسان المحترم الذي نال التقدير من الكثيرين فقد تهتز شخصيته في وقت من الأوقات وتحت ظروف معينة، وقد يحاول أمام البعض أن يُظهر تمسكه وثباته على بعض القيم إلا أنه سيكون مهتزا أمام الكثيرين. وهكذا يثبت المهتز ويهتز الثابت بإدخال المتغيرات عليه أو بتعرضه لمواقف تجعله في حالة اهتزاز بين التقدير والتقليل والتحقير.

ولهذا الإنسان ثابت ومهتز:

ثابت من حيث أنه إنسان (كجوهر).

ومهتز في سلوكه (كظاهر)، ومهتز من حيث لونه، ونوعه، ومراحل نموه، وقدراته واستعداداته.

ولذلك يثبت الجوهر وتهتز الأقوال، والأشكال، والأفعال، والسلوكيات.

وعليه:

. فكّر في الثابت.

. فكّر في المهتز.

. شاهد بتركيز.

. لاحظ بوعي.

. انتبه بإدراك.

. افطن بعقل.

. تدبر بحكمة.

والخليفة له دور كبير في عملية الإصلاح، فهو المحور الأساس لهذه العملية إذ يتطلب منه أن يكون واعيا في عملية الإصلاح، لأن المستخلفين يختلفون كل واحد عن الآخر في كل شيء، في التصرف والتفكير والحاجات، وعملية الإصلاح تتطلب ثنائية الرغبة والرهبة التي تعد القاعدة في التعامل، فقد أكد عليها القرآن الكريم في كثير من الآيات، إذ يقول تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}[١٣٥٠].

سادسا: المقتدر لا يحتاج إلى أحد:

الحاجة هي طبيعة بشرية يتسم بها الناس، فمن غير الممكن أن يستغني الناس عن بعضهم البعض وخاصة في أمور الحياة ومتطلباتها، فهذا الطبيب وهذا المهندس وهذا المعلم كلا حسب عمله يحتاجه الناس، وهذه الصورة التي عليها الناس جميعا تتغاير عندما تتجه الوجوه إلى السماء بقصد الدعاء، هنا تتبلور ملامح الحاجة لكل من خلال استعمال مفردة (ربنا) التي وردت في سياق كثير من الآيات القرآنية، فهي تدل على اللجوء الكامل إلى الله تبارك وتعالى

[١٣٥٠] – السجدة ١٦ – ٢٠

وبيان شدة الحاجة إليه، إذ يقول تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آَبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[١٣٥١] هنا يعلّم الله تبارك وتعالى الدعاء فيستعرض صنفين، الصنف الأول يدعو الله جل وعلا فيطلب حظ الدنيا، ولا يلتفت إلى حظ الآخرة، وهذا يترتب عليه أمر أخر وهو فقدان النصيب في الآخرة وذلك بقصوره الطلب من الدنيا، أما الصنف الأخر يطلب الأمرين جميعاً، أما بالنسبة إلى الصنف الأول يرتسم فيه النهي عن الاقتصار على طلب الدنيا، والذمّ لمن جعلها غاية رغبته، ومعظم مقصوده، أما الصنف الثاني ففيه طلب الأمرين الدنيا والآخرة والحسنة فيهما كل ما يريده الخليفة ويتمناه فهي مطلقه غير مقيدة بشيء، قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[١٣٥٢] دعاء تكرر فيه لفظة ربنا، مما يدل على أن الخليفة يلح في الدعاء، فضلا عن ذلك كثرة ما يريده الخليفة من طلبات إلا أن بداية الآية تفتح لنا منفذا في الولوج بقضية طلب الحاجات وهي قضية نستعرضها من خلال قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} فتكليف النفس إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمةً، أو ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها، فهل هذا الكلام ينطبق على المقتدر؟ بطبيعة الحال يكون الجواب لا. إذن فطلب الحاجات مقتصر على البشر فهم الذين يحتاجون الله تبارك وتعالى في كل شيء، أما هو جل في علاه فلا يحتاج إلى أحد فهو الغني الكريم، وهو مالك الملك بالمطلق وهو على كل شيء قدير، نعود إلى لفظة (ربنا) والتي تقابلها إن جاز القول لفظة (عبادي) إذ يقول تعالى: {يَا عِبَادِيَ

---

[١٣٥١] – البقرة، ٢٠٠ – ٢٠٢

[١٣٥٢] – البقرة، ٢٨٦

الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}[١٣٥٣] وقوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[١٣٥٤] فقوله يا عبادي مؤذن بأن بعده إعداد للقبول وإطماع في النجاة، وهذا لا يليق إلا بالمقتدر جل جلاله الذي يريد الخلاص لعباده والفوز بالجنة والابتعاد عن النار.

سابعا : المقتدر إن شاء فعل:

تبرز مقدرة الباري عز وجل في تصرفه في كثير من الأمور من خلال مشيئته العظيمة التي يحدد من خلالها ما يحصل وما سوف يحصل، وقد وردت المادة اللغوية (شاء) وتفرعاتها في القرآن الكريم مائتين وست وثلاثين مرة، فهي ذات كثافة ترددية عالية وهذا يدل على أهمية المادة اللغوية وحملها لكثير من الدلالات القرآنية التي تكاد تستوعب معظم موضوعات القرآن المتعلقة بالمشيئة، فهذه الكثافة العالية توحي لنا بالمقتدر جل جلاله في الاختيار، ونقصد بذلك مشيئته، يقول تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ}[١٣٥٥] وقوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}[١٣٥٦] وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}[١٣٥٧] هذه الآيات الكريمة بمجملها يدق فيها المقتدر ناقوس الخطر للمستخلفين في الأرض، فذهابهم قائم وبقائهم قائم. فإن من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قادر أن يبدلهم بخلق آخر، ولم يمتنع عليه ذلك كما قال تعالى: {وَمَا ذلك عَلَى الله بِعَزِيزٍ} بمتعذر أو متعسر، فإنه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور، ومن كان هذا شأنه كان حقيقاً بأن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه يوم الجزاء .

---

[١٣٥٣] – العنكبوت ٥٦

[١٣٥٤] – الزمر ٥٣

[١٣٥٥] – الأنعام، ١٣٣

[١٣٥٦] – فاطر ١٦

[١٣٥٧] – إبراهيم، ١٩

وقادر إن شاء فعل مرتبطة ارتباطاً كليا بالتهديد والوعيد الذي تشكل منه الخطاب القرآني وهذا ما رأيناه في سياق الآيات المتقدم

ثامنا: مرتب الأقدار بحكمته:

يهيئ الله تبارك وتعالى الأمور وفق مشيئته وتخطيطه العظيمين، ويتجلى ذلك في الأمور التي تتطلب وقتا طويلا، ويقصد بالوقت الطويل الأحداث التي تجري وفق نسق مترابط تكون الغاية منها عرض مقدرة الله تبارك وتعالى ورحمته، من ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، فقصة يوسف لها خصوصية لم تجتمع لقصة غيرها في القرآن الكريم، فهي قصة دائرية، إذ نرى من القراءة الأولى أن بدايتها رؤيا، يقول تعالى: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ}[١٣٥٨] ونهايتها تحقيق لهذه الرؤيا بقوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[١٣٥٩]، وهذا يفضي بنا إلى القول أنها قصة رؤيا، إذ أن للرؤى في تحريك أحداثها دورا كبيرا، فضلا عن ذلك أن هذه القصة اشتملت على مواقف كثيرة تبلورت حولها قدرة الله سبحانه وتعالى، فمنذ البداية أي من الرؤيا مرورا بالبئر، قال تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ}[١٣٦٠] ووجوده في بيت عزيز مصر، {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١٣٦١] والمراودة، {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي

---

[١٣٥٨] – يوسف ٤ – ٥

[١٣٥٩] – يوسف ١٠٠

[١٣٦٠] – يوسف ١٥

[١٣٦١] – يوسف ٢١

أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[١٣٦٢] وسجنه {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ}[١٣٦٣]، وتفسيره للرؤيا، {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ}[١٣٦٤] ومن ثم يكون على خزائن مصر {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[١٣٦٥] وبعد ذلك يقود قبيلته إلى الخصب والنماء {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[١٣٦٦] ذكر نعمة الله عليه بتوجهه إلى مناجاة ربه بالاعتراف بأعظم نعم الدنيا والنعمة العظمى في الآخرة، فذكر ثلاث نعم: اثنتان دنيويتان وهما: نعمة الولاية على الأرض ونعمة العلم، والثالثة : أخروية وهي نعمة الدين الحق المعبر عنه بالإسلام وجعل الذي أوتيه بعضاً من الملك ومن التأويل لأن ما أوتيه بعض من جنس الملك وبعض من التأويل إشعار بأن ذلك في جانب مُلك الله وفي جانب علمه شيء قليل.

هذه الأحداث المتتابعة تبين قدرة المقتدر عز وجل في عرض قدرته العظيمة، فضلا عن ذلك عرض خصائص كثيرة تتعلق بالأعمال الصالحة التي يجب أن يكون عليها الخليفة من بر الوالدين والصبر والعفاف والتقوى وغيرها. والمهم في ذلك أن الباري عز وجل شاء أن تكون حياة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام بهذا التتابع، فيكون قدره عليه الصلاة والسلام بهذه

---

[١٣٦٢] – يوسف ٢٣ – ٢٤

[١٣٦٣] – يوسف ٣٥

[١٣٦٤] – يوسف ٤٧ – ٤٩

[١٣٦٥] – يوسف ٥٥ – ٥٦

[١٣٦٦] – يوسف ١٠١

الطريقة المرتبة من صغره إلى أن أصبح عزيزا لمصر وهي من حكمة المقتدر عز وجل المقترنة بمقدرته.

تاسعا: مقتدر على المغالبة:

الكائنات كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به. فمن قوته واقتداره أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، إذ يقول تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[١٣٦٧] وأنه خلق الخلق ثم يميتهم ثم يحييهم ثم إليه يرجعون: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[١٣٦٨]، وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١٣٦٩]، ومن آثار قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبين والكفار الظالمين من أنواع العقوبات، وأنه لم يغن عنهم كيدهم ومكرهم ولا جنودهم ولا حصونهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك، وخصوصاً في هذه الأوقات، فإن هذه القوة الهائلة والمخترعات الباهرة التي وصلت إليها مقدرة هذه الأمم هي من اقتدار الله لهم وتعليمه لهم ما لم يكونوا يعلمونه، فمن آيات الله أن قواهم ومخترعاتهم لم تغن عنهم شيئاً في صد ما أصابهم من النكبات والعقوبات المهلكة، مع بذل جدهم واجتهادهم في توقي ذلك، ولكن أمر الله غالب، وقدرته تنقاد لها عناصر العالم العلوي والسفلي. ومن تمام عزته وقدرته وشمولهما: أنه كما أنه هو الخالق للعباد فهو خالق أعمالهم وطاعاتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة، ولا منافاة بين الأمرين، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق

---

[١٣٦٧] – الأعراف ٥٤

[١٣٦٨] – لقمان ٢٨

[١٣٦٩] – الروم، ٢٧

السبب التام خالق للمسبب، قال تعالى: {والله خلقكم وما تعملون}[١٣٧٠]، ومن آثار قدرته ما ذكره في كتابه من نصره أولياءه، على قلة عددهم وعدَدِهم على أعدائهم الذين فاقوهم بكثرة العدد والعدة، قال تعالى: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}[١٣٧١]. وفي معركة بدر تلك المعركة العظيمة التي غيرت مسار الدعوة الإسلامية، وزرعت الثقة في نفوس المسلمين وألهبت روح التضحية والفداء، وعززت مجدهم وفتحت لهم أبوابا كثيرة لنشر الدين الإسلامي، وكل ذلك كان رغم العدد القليل للمسلمين وضعف إمكانياتهم القتالية، إلا أن نصر الله كان هو الأعلى ومقدرته العظيمة فوق كل شيء، إذ يقول تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[١٣٧٢] فان أمر الله تبارك وتعالى نافذ لا محالة، يقول تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[١٣٧٣].

عاشرا: الجنة والنار بيده:

فمن آثار مقدرته ورحمته ما يحدثه لأهل النار ولأهل الجنة من أنواع العقاب وأصناف النعيم المستمر الكثير المتتابع الذي لا ينقطع ولا يتناهى. ويمكن القول أن لفظة النار ولفظة الجنة ترتبط بأسلوب التبشير والإنذار القرآني، فالخطاب القرآني بشير ونذير، ولهذا وصف الله رسوله

---

[١٣٧٠] – الصافات ٩٦

[١٣٧١] – البقرة، ٢٤٩

[١٣٧٢] – آل عمران، ١٢٣ – ١٢٦

[١٣٧٣] – يس ٨٢ – ٨٣

بأنه كذلك فقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[١٣٧٤]، إلا أن الخطاب القرآني حدد بالضبط مناط تبشيره ومناط إنذاره، فقال تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}[١٣٧٥].

فما يحدث لأهل النار هو من آثار قدرته التي لا تدانيها قوة، والتي كانت دائما محور الخطاب عندما يخاطب الباري جل جلاله الكفار وغيرهم من العصاة، إذ يقول تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[١٣٧٦] ففي القرآن الكريم نجد كثيرا من النصوص التي تتحدث عن النار وأهوالها، فضلا عن ذلك وصف النار فمن ذلك قوله تعالى: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ[١٣٧٧]، وصف تتزلزل له الأقدام وتخفق له القلوب وترتجف له الشفاه وتعلو الأنفاس، أي جحيم هذه التي ينتظرها المجرمون؟ ومن قدّرها بهذه القدرة المخيفة ورسمها بهذه الصورة المرعبة ؟ فلا يمكن أن يكون الجواب إلا المقتدر تبارك وتعالى، فقد وردت على لسان المشركين، في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}[١٣٧٨].

ومما يرد من أوصاف النار وأهلها يبين عظمة المقتدر جل جلاله ومنه:

– تعرض جهنم على الكافرين يوم القيامة فتظهر بارزة لهم: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا}[١٣٧٩].

---

[١٣٧٤] – سبا ٢٨

[١٣٧٥] – مريم ٩٧

[١٣٧٦] – البقرة، ٣٩

[١٣٧٧] – الصافات ٦٢ – ٦٨

[١٣٧٨] -البقرة، ١٦٥

[١٣٧٩] – الكهف ١٠٠

– تسع جهنم مستحقيها من الجن والإنس: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[١٣٨٠].

– لها أبواب: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}[١٣٨١].

– لها خزنة لإحقاق كلمة العذاب على الكافرين: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}[١٣٨٢].

– عليها ملائكة فيهم الغلظة والشدة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[١٣٨٣].

– مبنية على أعمدة وموصدة الأبواب: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}[١٣٨٤].

– لها سرادق: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}[١٣٨٥].

– لها طبقات طبقة فوق طبقة: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}[١٣٨٦].

– جوها لا يطاق: فحر نارها ينفذ إلى المسام ودخانها أسود، لا يخفف حرها بل يزيد فيه، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}[١٣٨٧].

---

[١٣٨٠] – هود ١١٨ – ١١٩

[١٣٨١] – الحجر ٤٣ – ٤٤

[١٣٨٢] – الزمر ٧١

[١٣٨٣] – التحريم ٦

[١٣٨٤] – الهمزة ٨ – ٩

[١٣٨٥] – الكهف ٢٩

[١٣٨٦] – النساء، ١٤٥

– تزداد سعيرا كلما خبت: {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}[١٣٨٨].

– لها أصوات منكرة مرعبة: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا}[١٣٨٩] وقوله تعالى: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}[١٣٩٠].

– يلقون فيها من مكان ضيق مقرنين: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا}[١٣٩١].

– عذابهم فيها متواصل: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}[١٣٩٢].

– لها خزنة تعنفهم وتذيقهم أصناف العذاب: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ}[١٣٩٣].

– لهم فيها ألوان العذاب الأليم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا}[١٣٩٤].

– لا صبر ولا طاقة لهم بالعذاب: {اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[١٣٩٥].

---

[١٣٨٧] – الواق، عة ٤١ – ٤٤

[١٣٨٨] – الإسراء، ٩٧

[١٣٨٩] -١ الفرقان، ١١، ١٢

[١٣٩٠] – الملك ٧ – ٨

[١٣٩١] – الفرقان، ١٣

[١٣٩٢] – الزخرف ٧٤– ٧٥

[١٣٩٣] – الزمر ٧١

[١٣٩٤] – النساء، ٥٦

– الزبانية يسحبونهم في الحميم والنار والأغلال في أعناقهم ويضربون بمقامع من حديد: {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}[١٣٩٦].

– لهم فيها زفير وشهيق: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[١٣٩٧].

– تلفح النار وجوههم وتقلب فيها: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}[١٣٩٨].

– فراشهم وغطاؤهم من النار: {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}[١٣٩٩]، وقوله تعالى: {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}[١٤٠٠].

– طعامهم من شجر الزقوم، يخرج من أصل الجحيم، وهو شجر صغير الورق، مرّ الطعم، وثمره نار، يضطرهم الجوع إلى أكله، لعدم وجود غيره، فيحرق معدهم، وشرابهم من المهل، ما يمهل في النار حتى يذوب: {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}[١٤٠١].

– شرابهم الحميم (الماء المغلي ) والغساق (صديد أهل النار) فيقطع الأمعاء من شدة حرارته: {وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ}[١٤٠٢].

– حرم عليهم طعام وشراب أهل الجنة: {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[١٤٠٣].

---

[١٣٩٥] – الطور ١٦

[١٣٩٦] – غافر ٧١

[١٣٩٧] – هود ١٠٦ – ١٠٧

[١٣٩٨] – المؤمنون، ١٠٤

[١٣٩٩] - الأعراف ٤١

[١٤٠٠] – الزمر ١٦

[١٤٠١] – الدخان ٤٣ – ٤٤

[١٤٠٢] – إبراهيم، ١٥ – ١٧

– يتمنون الرجوع إلى الدنيا، حين يقفون على العذاب: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[١٤٠٤].

– يتمنون الموت، ليتخلصوا من العذاب، وأنى لهم ذلك: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}[١٤٠٥]

– يدعون الله ليصرف عنهم العذاب أو يخففه: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ}[١٤٠٦].

– هم فيها خالدون: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ}[١٤٠٧].

أما الجنة فقد أعدها الله تبارك وتعالى للذين استخلفوا في الأرض والوارثين الذين آمنوا بالله وبرسوله وبرسالته الإسلام وقد وصفهم القرآن الكريم بأوصاف منها:

–المتقون: قال تعالى: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بالعباد}[١٤٠٨]، وقال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[١٤٠٩]. والجنة عرضها عرض السموات والأرض مصداقا لقوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[١٤١٠].

---

[١٤٠٣] – الأعراف ٥٠

[١٤٠٤] – الأنعام، ٢٧

[١٤٠٥] – الزخرف ٧٧

[١٤٠٦] – غافر ٤٩

[١٤٠٧] – البقرة، ١٦١ – ١٦٢

[١٤٠٨] آل عمران، ١٥.

[١٤٠٩] – الزمر ٧٣

[١٤١٠] – آل عمران، ١٣٣

وقال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[١٤١١]. وقال تعالى: {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ}[١٤١٢].

– الأبرار: {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ}[١٤١٣].

– المقربون: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}[١٤١٤].

– عطاؤهم غير مقطوع: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[١٤١٥].

– ممتعون: {وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ}[١٤١٦]، وقال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}[١٤١٧] .

– مرزقون: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[١٤١٨].

– مدللون: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا}[١٤١٩].

---

[١٤١١] – محمد ١٥

[١٤١٢] – الرحمن، ٦٢–٦٤

[١٤١٣] – آل عمران، ١٩٨

[١٤١٤] – الواق، عة ٨٨– ٨٩

[١٤١٥] – مريم ٦٢

[١٤١٦] – الطور ٢٢

[١٤١٧] – الصافات ٤٥ – ٧٤

[١٤١٨] – البقرة، ٢٥

[١٤١٩] – الإنسان ١٤

– لهم أزواج مطهرة: {وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}[١٤٢٠]، وقال تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ[١٤٢١].

– مخدومون ومخيرون: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}[١٤٢٢]، وقال تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}[١٤٢٣]. قال تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}[١٤٢٤]، وقال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[١٤٢٥]. وقال تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}[١٤٢٦].

– حامدون: يحمدون الله على ما آتاهم من النعم، التي وعدوا بها: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[١٤٢٧]

– عاملون الصالحات: لما فيها من نعيم : {إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}[١٤٢٨].

---

[١٤٢٠] – النساء، ٥٧

[١٤٢١] - الصافات ٤٨ – ٤٩

[١٤٢٢] – الإنسان ١٣

[١٤٢٣] – الطور ٢٤

[١٤٢٤] – الكهف ٣١

[١٤٢٥] – محمد ١٥

[١٤٢٦] – الغاشية ١٣ – ١٦

[١٤٢٧] – الزمر ٧٤

[١٤٢٨] – الكهف ١٠٧ ١٠٨

– خالدون: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[١٤٢٩].

وعليه فمن صفات المقتدر يستمد الخليفة صفات مقدرته في دائرة النسبية، فهو المقتدر على التسامح، والمقتدر على القول الحق، والمقتدر على الفعل الحق، وهو المقتدر على إزهاق الباطل ودمغه بالحجة الحق، وهو المقتدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو المقتدر على أن يفعل ما يريد تحت إرادة المقتدر الأعظم جل جلاله، وهو الذي يتذكر مقدرة الله عليه كلما أحس بأن له مقدرة.

اللهم يا المقتدر هب لنا القدرة التي تُمكنا من الطاعة التامة والاستماع للقول واتباع أحسنه والاحتكام به، اللهم بقدرتك أهدنا في من هديت وهيئنا لما ارتضيت لنقوم به ونحن قادرين ولا تجعلنا من الَّذِينَ قَالُوا آَمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آَخَرِينَ ولا تجعلنا يا المقتدر عاجزين عن إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

اللهم يا المقتدر اجعل لنا من قدرتك حظا نستعين به على عبادتك وطاعتك وندفع به حب الشهوات الدنيوية فلا تكون أكبر همنا ولا تكون مخالفة لأوامرك فنكون بذلك مقتدرين على الدعوة إلى سبيلك بالحق وقادرين على الثبات على شرعك ومنهاجك القويم أمام كل مفاتن الزمان ومغرياته وفتنه فنكون ظاهرين بالحق على الباطل مظهرين له وللعدل في كل أفعالنا وأقوالنا.

اللهم يا المقتدر أجعل لنا القدرة التي بها نتحدى الصعاب ونتجنب الوقوع في الخطايا ونقدم على أفعال الخيرات إنك قريب سميع مجيب الدعاء يا خالق الأرض والسماوات العلا وما بينهما وما تحت الثرى.

---

[١٤٢٩] – البقرة، ٢٥

اللهم يا المقتدر اجعلنا من المتخلقين المتحققين باسمك المقتدر، فنكون ممن يُقدِّر الأمور بقدرها الصحيح فلا يكون في أعمالنا إفراط ولا تفريط، ولا في أقوالنا زلات وخطايا، ولا في أنفسنا غلظة على من تحب وعلى من يجب الإحسان إليهم في غير معصيتك.

# موسوعة أسماء الله الحسنى

## وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض

تأليف

أ.د. عقيل حسين عقيل

جامعة الفاتح - كلية الآداب

الجزء السابع

دار ابن كثير

دمشق - بيروت